

حَدَائِقُ الْأَنْوَارِ وَ مَطَالِعُ الْأَسْرَارِ

فِي

سِيَرَةِ النَّبِيِّ الْمَحْمُودِ

عَفْوَن

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمَرْضُوفِينَ الْأَخْيَارِ .

لِلْعَالِمِ الْفَقِيهِ الْقَاضِي عَالَمَةِ الْيَمَنِ

مُحَمَّدَ بْنَ عُكَيْمٍ مَجْرَقِ الْحَضَرِيِّ الشَّافِعِيِّ

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

٨٦٩ - ٩٣٠ هـ

اعْتَنَى بِهِ

مُحَمَّدُ غَسَّانُ نَصُوحِ عَزَقُولِ

دَارُ الْمُبْتَغَاتِ

حَدَائِقُ الْأَنْوَارِ وَمَطَالِعُ الْأَسْرَارِ

فِي

سِيَرَةِ النَّبِيِّ الْمُحَمَّدِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى آلِهِ وَوَحْيِهِ الطَّيِّفِينَ (الْأَخْيَارِ) .

المُسَكَّنَا

تَبْصِرَةُ الْحَضْرَةِ الْأَخْمَدِيَّةِ الشَّاهِدِيَّةِ سَيِّدَةِ الْحَضْرَةِ الْأَخْمَدِيَّةِ الشَّاهِدِيَّةِ

لِلْعَالِمِ الْفَقِيهِ الْقَاضِي عَالِمَةِ الْيَمَنِ

مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَضْرِيِّ الشَّافِعِيِّ

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

٨٦٩ - ٩٣٠ هـ

عَنْ يَدِهِ

مُحَمَّدُ غَسَّانُ نَصُوحِ عَزَقُول

دَارُ الْمُنْتَهَا

الطبعة الرابعة
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م
جميع الحقوق محفوظة للنّاشِر

اسم الكتاب : حقائق الأنوار ومطالع الأسرار	عدد الأجزاء : (١)
المؤلف : الإمام بحرق (ت ٩٣٠ هـ)	عدد المجلّدات : (١)
الإعداد : مركز دار المنهاج للدراسات	نوع الورق : أبيض
موضوع الكتاب : سيرة نبوية	نوع التجليد : مجلّد فلكسي
مقاس الكتاب : (٢٤ سم)	عدد الصفحات : (٥٩٢ صفحة)
تصنيف ديوي الموضوعي : (٢٥٨,٣)	عدد ألوان الطباعة : لون واحد

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني

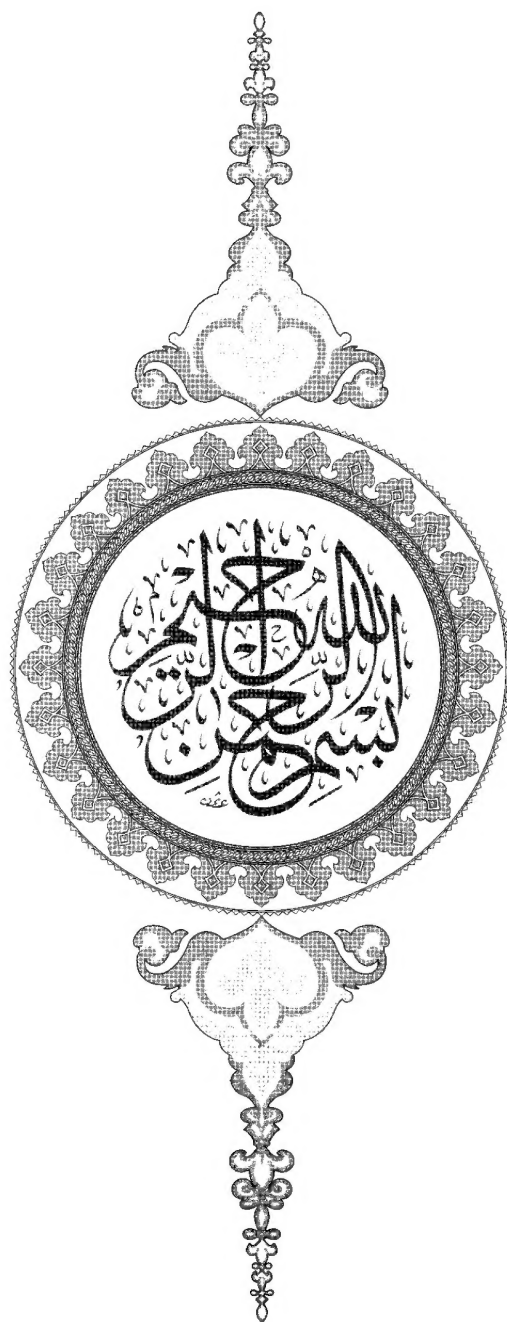
لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال ، أو نسخه ، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه ، وكذلك لا يسمح بترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبقاً من الناشر .



9 789953 498713

الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 498 - 71 - 3





دار المنهاج

لبنان - بيروت

هاتف: 05 806906 - فاكس: 05 813906

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمر بن سالم باجحيف
وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية - جدة

حي الكندرة - شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون

هاتف رئيسي 6326666 - الإدارة 6300655

المكتبة 6322471 - فاكس 6320392

ص. ب 22943 - جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب

عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين

عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

الموزعون المعتمدون داخل المملكة العربية السعودية

جدة

مكتبة دار كنوز المعرفة

هاتف 6570628 - فاكس 6510421

مكة المكرمة

مكتبة نزار الباز

هاتف 5473838 - فاكس 5473939

مكة المكرمة

مكتبة الأسدي

هاتف 5570506 - فاكس 5273037

المدينة المنورة

مكتبة الزمان

هاتف 8366666 - فاكس 8383226

المدينة المنورة

دار البدوي

هاتف 0503000240

الدمام

مكتبة المتنبي

هاتف 8344946 - فاكس 8432794

الطائف

مكتبة المزيني

هاتف 7365852

الرياض

مكتبة الرشد

هاتف 2051500 - فاكس 2253864

الرياض

دار التدمرية

هاتف 4924706 - فاكس 4937130

الرياض

مكتبة العبيكان

وجميع فروعها داخل المملكة

هاتف 4654424 - فاكس 2011913

الرياض

مكتبة جرير

وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها

هاتف 4626000 - فاكس 4656363

الموزعون المعتمدون خارج المملكة العربية السعودية



فيرجن وفروعها في العالم العربي

الإمارات العربية المتحدة

حروف للنشر والتوزيع - أبو ظبي

هاتف 5593007 - فاكس 5593027

مكتبة الإمام البخاري - دبي

هاتف 2977766 - فاكس 2975556

مكتبة دبي للتوزيع - دبي

هاتف 3339998 - فاكس 3337800

الجمهورية اليمنية

مكتبة تريم الحديثة - حضرموت

هاتف 417130 - فاكس 418130

مملكة البحرين

مكتبة الفاروق - المنامة

هاتف 17272204 - فاكس 17256936

جمهورية مصر العربية

دار السلام - القاهرة

هاتف 22741578 - فاكس 22741750

مكتبة نزار الباز - القاهرة

هاتف 25060822 - جوال 0122107253

دولة الكويت

مكتبة دار البيان - حولي

تلفكس 22616490 - جوال 9952001

دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي

هاتف 22658180 - فاكس 22658180

المملكة المغربية

مكتبة التراث العربي - الدار البيضاء

هاتف 0522853562 - فاكس 0522854003

دار الأمان - الرباط

هاتف 0537723276 - فاكس 0537200055

الجمهورية اللبنانية

الدار العربية للعلوم - بيروت

هاتف 785107 - فاكس 786230

مكتبة التمام - بيروت

هاتف 707039 - جوال 03662783

المملكة الأردنية الهاشمية

دار محمد دنديس - عمان

هاتف 4653390 - فاكس 4653380

دولة قطر

مكتبة الثقافة - الدوحة

هاتف 44421132 - فاكس 44421131

جمهورية العراق

مكتبة دار الميثاق - الموصل

هاتف 7704116177 - فاكس 7481732016

الجمهورية العربية السورية

مكتبة المنهاج القويم - دمشق

هاتف 2235402 - فاكس 2242340

جمهورية الصومال

مكتبة دار الزاهر - مقديشو

هاتف 002525911310

جمهورية الجزائر

دار البصائر - الجزائر

هاتف 021773627 - فاكس 021773625

ماليزيا

مكتبة توء كنالي - كوالا لمبور

هاتف 00601115726830

جمهورية أندونيسيا

دار العلوم الإسلامية - سوروبايا

هاتف 0062313522971
جوال 00623160222020

انكلترا

دار مكة العالمية - برمنجهام

هاتف 01217739309 - جوال 07533177345
فاكس 01217723600

جمهورية فرنسا

مكتبة سنا - باريس

هاتف 0148052928 - فاكس 0148052997

الهند

مكتبة الشباب العلمية - لكاناؤ

هاتف 00919198621671

الجمهورية التركية

مكتبة الإرشاد - إستانبول

هاتف 02126381633 - فاكس 02126381700

جميع إصداراتنا متوفرة على

 **Furat**
Furat.com

موقع رائد لتجارة الكتب والبرمجيات العربية

www.furat.com

 **نيلاوفرات كوم**

موقع مكتبة نيل وفرات . كوم لتجارة الكتب

www.nwf.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة لا بد منها

الحمد لله الذي أكرم هذه الأمة بالخيرية ، فكانت خير أمة أخرجت للناس . والصلاة والسلام على سيد الجن والناس ؛ سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه المطهرين عن الأدناس . وبعد :
فإننا - وبين كتابنا هذا - هناك الكثير من الأمور التي قابلتنا ، والشؤون والشجون التي أعترضتنا ، والتي تحتم علينا لزماً التوضيح والتبيان .

فبعد أن فرغنا من تحقيق هذا الكتاب المبارك ، الذي نقدّمه للقارئ الكريم ، والذي أخذ من الوقت والجهد ما الله به عليم ، وأصبح في مراحلهِ النهائية - البروفة الأخيرة - فوجئنا وعند مراجعتنا لبعض الأحداث الواردة فيه ، على كتاب آخر مطبوع تحت أسم « حقائق الأنوار » لابن الدِّيَّع ، حقّقه الشيخ عبد الله الأنصاري - على الجميع رحمّة الله - فلاحظنا بعض التشابه في الكتابة بين الكتابين لنفس الحادثة ، فظننا أنّه من باب سقوط الحافر على الحافر ، فأخذنا جزيئة أخرى من الكتاب ، فوجدنا أنّ النصّ هو هو .

عندها كان لا بدّ لنا من زيادة الاهتمام والبحث في الموضوع ، فعدنا إلى أوّل الكتاب ، فوجدنا أنّ الكتاب هو نفس الكتاب ، والفرق فقط هو في أسم المؤلف ، والذي حقّقه الشيخ الأنصاري - رحمه الله تعالى - معتمداً نسخة خطيّة من مجموع به عدّة كتب أكثرها لابن الدِّيَّع ، وأنّ هذا الكتاب قد نُسبَ في المخطوط المذكور لابن الدِّيَّع .

مع العلم بأنّ الشيخ الأنصاري - رحمه الله تعالى - عندما ترجم لابن الدِّيَّع وأسّعرض مؤلفاته ذكر أنّه لم يجد ممّن ترجم له ذكر كتاب سيرته هذا ، وعلل ذلك بأنّ مترجميه قد أغفلوا هذا الكتاب ، أو لم يشتهر أمره . وأضاف قائلاً : (ونرجو من الله أن يوفّقنا لجمع معلومات تُفيدنا أكثر في توثيق هذه السيرة وصلّيتها بأبن الدِّيَّع في المستقبل ، ممّا سيجمع إلينا من آراء القراء الكرام التي نأمل أن يوافقونا بها ، وبما ستوصلُ إليه في المستقبل إن شاء الله) .

بل إنّ المخطوط الذي أعتمده الأنصاري - رحمه الله - قد أعتراه نقص في بعض الأسطر في بداية الكتاب ، والمذكور فيها - أي : في المخطوطين المعتمدين لدينا - أسم الكتاب وأنّه مُهدى لأحد ملوك الهند . وقد صرّح - رحمه الله - بذلك - مُشيراً إلى مواضع النقص - قائلاً : (فالبياض في الموضوع الأوّل أخفى عنا معرفة الملك الذي قدّم إليه - المؤلف - هذا الكتاب ووسمه بأسمه

ورسمه برسمه ، والبياض في الموضع الثاني حجب عنا معرفة أسم الكتاب على وجه التحقيق والتأكيد .

ومع هذا كله نرى أَنَّ الأنصاري - رحمه الله - قد ذكر أثناء وصفه للمخطوط الذي اعتمده - والذي هو ضمن مجموع لُكُتِبَ أُخْرَى لابن الدَّيْبِيع - فقال : (عنوان الكتاب معلقٌ بخط الثلث الجميل . وأرجحُ أَنَّ هذه العنونة مستحدثة ، يعود تاريخ كتابتها إلى زمن متأخرٍ عن زمن نسخها) .

ولعلَّ التشابه في بعض الأمور قد أوصلَ الأنصاري - رحمه الله - إلى ما وصل إليه .
وكم كنا نأملُ أن يكون الشيخ الأنصاري بين ظهرانينا ليطلعَ على ما توصلنا إليه من معلومات كانت ستُحلج صدره وتقرَّبها عينه . عليه رحمةُ الله^(١) .

يَحْسُنُ بنا أن نُشيرَ هنا إلى أَنَّا قد أَطْلَعْنَا العلامةَ الشيخَ عبد الله بن محمد الحبشي على ما توصلنا إليه ، فتكرَّم بكتابة تمهيدٍ لهذا الكتاب المبارك ، ساهم في تبيان الحقيقة وإزالة اللبس . فجزاهُ اللهُ عنا خيراً ، ووفقهُ وسدَّدَ خطاه .

وإنني وكلِّي فرحٌ وسرورٌ بهذا الاكتشاف الذي أعادَ الحقوق لأهلها ، وأوضحَ أمراً في غاية الأهمية حول نسبة هذا الكتاب ، أتوجَّهُ إلى الله تعالى أن يكلِّلَ أعمالنا ومساعدتنا وجميع أمورنا بالتوفيق^(٢) .

ويحسنُ بي أيضاً أن أجري في هذه العجالة مقارنةً بين طبعة الأنصاري - رحمه الله تعالى - وبين طبعتنا هذه ؛ ذاكرًا مميزاتها :

١ - اعتمد الأنصاري على مخطوطٍ واحدٍ فقط ، فقال : (تعرَّضَ المجموعُ لعمل الأرضة ، فأحدثت فيه ثقبواً اخترقت المجموع من الغلاف إلى الغلاف ، وأحدثت فيه ضرراً بالغاً ، وأتت على بعض الكلمات فأقطعتها) . وقد بذل - رحمه الله - جهداً كبيراً بإثبات النقص الذي أصاب المخطوط ، مُعارضاً الكتاب على أصوله التي نهَلَ المؤلف منها ، مُجتهداً بتصويب النصِّحيف وإصلاح الخلل ، وبما أَنَّهُ اعتمد على نسخة ناقصة وسقيمة فلم تأتِ تصويباته كاملةً في معظم المواطن . بينما اعتمدنا نحن على مخطوطين كاملين ليس بهما أي نقصٍ أو خرم ، فجاء الكتاب أكثر ضبطاً وأقرب إلى الصواب .

-
- (١) كانت وفاة الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري نهاية سنة ١٤١٠ هـ . رحمه الله تعالى .
(٢) كذلك - وقبل طبع هذا الكتاب المبارك - فإننا قد اكتشفنا ما يزيل أي شكٍّ ربما يطرأ - مع ما توفر من الأدلة السابقة - فقد عثرنا على كتاب « مولد النبي ﷺ » للعلامة (بحرق) محفوظاً في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق ؛ من خلال ثلاث نسخ خطية ، ذوات الأرقام : (٨٥٧١) ، (١٠٧٩٩) ، (١١٣٧٢) ؛ وبعد اطلاعنا عليها وجدنا تطابقاً في بداية « المولد » مع فصل (خطبة في التعريف بمولده الشريف) من هذا الكتاب ، ص ٥٣ وهذا التطابق كلمة بكلمة وحرف بحرف ؛ ممَّا يؤكد دون أدنى شكٍّ أَنَّ هذا الكتاب للعلامة (بحرق) - رحمه الله تعالى - والله الحمد على ما أنعم وألهم . اهـ الناشر .

٢- أحوال - رحمه الله - نصوص الكتاب على أصولها ما أستطاع ، وخرّج معظم الأحاديث فيه ، وقام بإتمام الأخبار التي أختصرها المؤلف ، ذاكراً ذلك في الهامش ، ممّا زاد في حجم الكتاب كثيراً - حتّى وصل إلى ثلاثة مجلدات . بينما قمنا بإحالة نصوص الكتاب على مصادرهما الأصليّة ، وتخرّيج الأحاديث كلّها ، وذلك بشكل مفيد ومختصر ، فجاءت طبعتنا في مجلد واحد . وقد أستفدنا من بعض تعليقاته فأثبتناها بالهامش وميّزناها بـ (أنصاري) .

٣- ربّما وجدنا تناقضاً لم يُجمع عليه أهل السّير أثناء معارضة الكتاب على مصادره ، فلم يعلّق - رحمه الله - عليها بشيء . بينما وجدنا من الأمانة العلميّة أن نشير إلى ذلك بالهامش .

٤- مرّ معنا - في أثناء الكتاب - بعض الروايات الواهية الساقطة سنداً ومتناً وعقلاً ونقلًا - كقصّة زواج النّبِيِّ ﷺ بزَيْنَب بنت جحش - والتي وقعت في بعض كُتب القصص والتفسير والسّير ، وقد تذرّع بها أعداء الإسلام في التّهجّم على الإسلام ونبوّه ، ونسج المستشرقون والمبشّرون من هذه الرواية وغيرها أثواباً من الكذب والخيال معتمدين بذلك على هذه الروايات المُختلقة المدسوسة - عند أئمة النّقد وعلماء الرواية - فلم يشر الأنصاري - رحمه الله - إلى ذلك مطلقاً . فقمنا بالرّد على هؤلاء في الأماكن التي تتطلّب منا ذلك .

٥- أجهّد الأنصاري - رحمه الله - نفسه في صنع فهرس للكتاب - بلغت مجلّداً كاملاً !! - ممّا زاد في حجمه وثمرته ، ونرى أنّ مثل هذه الكتب لا تحتاج إلى هذه الفهارس الكثيرة . وقد أشار إلى ذلك العلامة المحقّق (عبد الفتاح أبو غدة) - رحمه الله تعالى - حول عدم جدوى هذه الفهارس مقارنة بالوقت الذي تستهلكه ^(١) .

(١) قال العلامة المحقّق (عبد الفتاح أبو غدة) - رحمه الله تعالى - في كتابه « الانتقاء في فضل الأئمة الثلاثة الفقهاء » ، ص ٣٥٢ ؛ تحت عنوان (حول صنع الفهارس للكتب المطبوعة وذهاب الوقت الثمين بها) :
جرت العادة في الأيام الأخيرة أن يُصنّع للكتاب الكبير أو النّفيس الخطير فهرس عامّة ، حتّى يسهل الاتصال بمعلوماته دون عناءٍ طويل وتردّدٍ كثير بين صفحاته للوصول إلى طلبة الباحث ، وفي ذلك نفع مشهورٌ وضبطٌ تامٌّ لأطراف المعلومات فتصّاب لراغبها بأقصر الطرق وأقل الوقت .
ولكن هذا العمل فيه بذل جهدٍ كبير ، وتحمل مشقّات كثيرة ؛ فقد صار نوعاً من أنواع التّأليف ، والإتقان فيه صعبٌ وعمرٌ ، ويحتاج إلى حبس النّفس عليه مدّةً طويلةً ، ولذا يتردّد طالبُ العلم بين الإقدام عليه لتقريبه المطلوب ييسّر وسهولة ، والإحجام عنه لِمَا يأكل من الذّهن والزّمن في معاناة ضبط الأسماء وتمييزها ، وتصنيفها وعدم تعدّدها أو تداخلها سهواً وخطأ .

وقد تردّدت كثيراً في صنع فهرس هذا الكتاب نظراً لِمَا يذهب من الوقت في تأليف فهرسه وضبطها وإتقانها . فقد أخذ مني صنع هذه الفهارس وضبطها ، ومقابلتها بالكتاب أكثر من ثلاثة أشهر مع بعض أعمال صغرى خفيفة ، فتمنّيت لو كنتُ صرفتُ ذلك الزّمن في خدمة كتاب آخر ، ولكن ما كلُّ الأمانى تُرضى!

قال الأخ الفاضل الأستاذ المحقّق محمود الطّناحي ، في كتابه النّفيس « مدخل إلى تاريخ نشر التراث » في ص ٧٤ ، بعد أن أشار إلى فضل الأستاذ الشيخ محمّد محيي الدّين عبد الحميد - رحمه الله تعالى - فيما نشره وحقّقه من الكتب ، وبعد ذكره ما أنتقد على الشيخ في إغفاله صنع الفهارس لكتبه النّضرة الميسّرة ، =

فلم نعد في عملنا هذا إلى صناعة الفهارس ، سيّما وأنّا فصلنا بين مواضيع الكتاب المتتابة ووضعناها على هامش الكتاب . ولم ندخلها في نصّ المؤلّف - كما يفعل بعض المحقّقين - كيلا يتوهّم القارئ الكريم أنّها من صنع المؤلّف ، وأيضا من باب التّأدّب مع الأئمّة السّابقين بالمحافظة على مصنّفاتهم . وبالتالي أصبح تناول الكتاب سهلاً وممتعاً .

٦ - ألحقنا بالكتاب ثبثاً ضمّنناه أهمّ أحداث السّيرة النّبويّة العطرة والتشريعات ونحو ذلك ، وأحلناها إلى مكان وجودها في صفحات الكتاب . أمّا الحدث الذي لم يرد بعده رقمٌ يشير إلى مكان وجوده داخل الكتاب ؛ فلْيُعْلَم أنّ المؤلّف - رحمه الله - لم يذكره . وإنّما ذكرناه إتماماً للفائدة والنّفع . كما ألحقنا به أيضاً بعض المصوّرات والمخطّطات الملوّنة الّتي تُعين على فهم بعض أحداث السّيرة النّبويّة الشّريفة .

وفي الختام : نسأل الله أن يجعل نيّاتنا ومقاصدنا له وحده سبحانه ، خالصةً لوجهه الكريم . وأنّ يعمّ النّفع بهذا الكتاب الأئمّة المحمّديّة في مشارق الأرض ومغاربها ، وأنّ يجزي القائمين على هذا العمل ، وكلّ من شارك أو ساعد في إخراج هذا الكتاب خير الجزاء ، إنّه سميعٌ مجيبٌ . وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم . وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

التّأخير

= وحَدَّثني الأستاذ فؤاد سيّد ؛ عالم المخطوطات بدار الكتب المصريّة رحمه الله تعالى قال : سألت ذات يوم الشّيخ محيي الدّين عبد الحميد : لماذا لا تهتمّ بفهرسة ما تنشرُ يا مولانا؟! فأجاب : أمّن أجل خمسة عشر مستشرقاً أضيع وقتاً هو أولى بأن يُصرف إلى تحقيق كتاب جديد !! وقد صدّق الشّيخ فإنّها تذهب بالوقت الثّمين ، ولا يشعُر به القارئ .

تمهيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِقَلَمٍ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّبْسِي (*)

الحمد لله ربَّ العالمين ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم . أمَّا بعد :

فأُطْلِعَنِي الأستاذُ عمر سالم باجخيف - الناشر لهذا الكتاب المبارك - على مخطوطتين من هذا الكتاب القيم . كلاهما تحمل أسم العلامة المتبحر الكبير (محمد بن عمر بحرق الحضرمي) المتوفى سنة ٩٣٠ هـ .

وفي كليتهما ما لا يدعُ مجالاً للشك في نسبة الكتاب للمذكور .

ويصدق القول في ذلك الإهداء الذي صدر المؤلف مقدّمته به ، وهو إلى سلطان الهند العالم (شمسُ الدين مظفر بن محمود شاه) ؛ ممّا يُعْطِي دليلاً آخر إلى نسبة الكتاب إلى (بحرق) ، حيث إنّ المذكور دخل الهند وأستوطن بها ، وكان ممّا أتحف به هذا الملك كتابنا هذا ، لشغف المذكور بالعلم وأهله وتقريب العلماء .

وقد أشار إلى صلة المؤلف بالمذكور صاحب « النور السافر » ؛ فقال : (ولما عزم إلى الهند ، ووفد على السلطان مظفر ، فقرّبه السلطان وعظّمه ؛ ولما خبر علمه وفضله زاد في تعظيمه وتبجيله ، وأنزله المنزلة التي تليقُ به) (١) .

ويزيدنا إيضاحاً حول هذا الموضوع العلامة (عبد الحي اللكنوي) ، صاحب كتاب « نزّهة الخواطر » ؛ يقول في أثناء كلامه حول دخول العلامة (بحرق) الهند : (ووفد على سلطانها (مظفر بن محمود بيكره) - بايقرا - ، فعظّمه وقام به ، وقدمه وسّع عليه ، وألتفت إليه وأدناه منه ، وأخذ عنه ؛ فاشتهر بجاهه ، وصنّف له « تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية الأحمدية » (٢) .

(*) باحث يمني ، يعمل حالياً في (المجمع الثقافي) بأبوظبي .

(١) تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، ص ١٣٦ .

(٢) نزّهة الخواطر ، ج ٤ / ٣٠٦ .

فدلّنا جميع هذا . . على صحّة نسبة الكتاب إلى علامتنا (بحرق) . وبدليل أنّ جميع المخطوطات الموجودة تحملُ اسمَ العلامة (بحرق) .

ولكن يُشكّكُ على ذلك التّواتر ، ويجعل هناك في نفس الباحث بعض السّؤال أنّ النّسخة المطبوعة من هذا الكتاب تحملُ اسمَ العلامة المحدث (أبو محمّد عبد الرحمن بن عليّ ابن الدّيبّيع الزّبيديّ) المتوفّي سنة ٩٤٤ هـ . وقد قام بنشرها في سنة ١٤٠٣ هـ العلامة الفاضل (عبد الله بن إبراهيم الأنصاريّ) ، وقد بذل في تحقيقها جهداً يُشكر عليه ؛ إلّا أنّه لم يرجع في تحقيق المخطوطة إلّا إلى نسخة واحدة ، وأوحى كلامه في المقدّمة إلى الشكّ في نسبة الكتاب إلى (ابن الدّيبّيع) المذكور فقال : (ولم أجد أحداً ممّن ترجمه قد ذكّر كتاب سيرته « حقائق الأنوار ومطالع الأسرار » ، ولعلّ هذا الكتاب قد غفل عن ذكره مترجموه ، أو لم يشتهر أمره) .

قلتُ : والرّجوع في تحقيق كتاب مثل هذا إلى مخطوطة واحدة لا يخلو من بعض المجازفة ، إضافة على ذلك سقم النّسخة التي رجّع إليها علامتنا (الأنصاريّ) - رحمه الله - وكما أشار إلى ذلك هو بنفسه .

ولكن تبقى أماننا الحقيقة الماثلة ، وهي أنّ جميع المخطوطات المتوفّرة لدينا الآن تُجمّع على نسبة الكتاب إلى العلامة (بحرق) ، باستثناء تلك النّسخة السّقيمة التي رجّع إليها (الأنصاريّ) ، والتي تشير إلى نسبة تأليفها إلى (ابن الدّيبّيع) .

ولا يخلو الأمر من أنّ هناك يداً عابثةً أو تعمّداً أدخل تلك النّسبة إلى المخطوطة المذكورة ، حيث إنّ هناك أسطر بقيت فارغة ، ترك فيها ناسخها عنوان الكتاب وأسم المهدى إليه الكتاب المذكور ؛ وهو سلطان الهند ، الذي اتّصل به العلامة (بحرق) واجتمع به ، ولا يُعرف لابن الدّيبّيع رحلة إلى الهند ، بل بقي أثرٌ من أسم المهدى إليه في الأبيات التي أوردها المؤلّف في مدح السّultan المذكور ، وهي قوله :

فَأَحْمَدُ أَسْمَى مَنْ بَنَى أَسْماً وَكُنْيَةً وَفِعْلاً وَوَصْفاً مُلْكُهُ مِنْ أَسَاسِهِ
شِهَابٌ فَخُذْ مِنْ عِلْمِهِ وَأَقْبَسِ اسْمَهُ سَنَا النُّورِ وَأَخْشَ النَّارَ فِي وَقْتِ بَاسِهِ

إلى قوله :

فَلا زالَ مَحْمُوداً حَمِيداً مُظَفَّراً شِهَاباً عَلَى أَعْدَائِهِ كَأَناسِهِ
وأيضاً بقيّة من أسم الكتاب ، حيث جاء في طبعة (الأنصاريّ) قوله : (فوسمتُ بأسمه هذا الكتاب الكريم ، ورسمتهُ برسمِهِ . . . فسمّيته تبصرة - (في مطبوعة الأنصاريّ بصيرة . . خطأ) -

الحضرة ، ثم تأتي نقط في المطبوعة هي موضع السقط المتعمد من قبل الناسخ أو غيره .

وإذا كان طراً التشكيك - عند من يرى هذا - في نسبة الكتاب إلى (بحرق) ، فإنَّ العنوان كذلك يختلفُ عما أوردَهُ العلامة (العيدروس) في « النور السَّافر » ، حيث ذكر أنَّ عنوانه هو كتاب « تبصرة الحضرة الشَّاهية الأحمديَّة بسيرة الحضرة النَّبوية الأحمديَّة »^(١) .

وأيَّدَ هذا المؤلَّف نفسه ، حيث نصَّ صراحةً على هذا العنوان في مقدِّمة كتابه فقال : (فوسمْتُ باسمه هذا الكتابَ الكريمَ ، ورسمتُهُ برسمِهِ ، وإنَّه بسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ؛ فسَمَّيْتُهُ : « تبصرة الحضرة الأحمديَّة الشَّاهية بسيرة الحضرة الأحمديَّة النَّبوية » .

ولكنَّ المخطوطات الَّتِي بأيدينا تحملُ عنواناً مُغايراً للعنوان الَّذي أرتضاهُ المؤلَّف ، بما فيها تلك المخطوطات الَّتِي نصَّ فيها المؤلَّف على عنوانه الأوَّل . وهذا يدخلُ أيضاً في باب الاستفهام حول العنوان والمؤلَّف ، ولكن يقع لبعض المؤلِّفين أن يغيِّروا في أسماء كتبهم ، بل وفي المؤلِّفات نفسها ؛ إمَّا بالزيادة أو النقصان ، ولا يستبعد أن العلامة (بحرق) - رحمه الله - لما كتَبَ كتابَهُ أوَّل مرَّةٍ وأهداه إلى السُّلطان السَّابق ذَكَرَهُ جعله يحملُ اسمه ، لشرف هذا السُّلطان وورعه ، حيث عُرِفَ عند من ترجم له بالصَّلاح وكثرة العبادة ، ولكن رأى بعد ذلك تكريماً للمقام الشَّريف أن يحملَ عنواناً آخرَ يتناسب مع عظيم الموضوع ، ومع أذواق طلبة العلم ، فأسماه : « حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النَّبيِّ المختار ﷺ » .

وهو الاسم الَّذي تحمله طبعتنا هذه وطبعة الشَّيخ (الأنصاري) - رحمه الله -

وهذا ما أردنا التَّنبيه عليه ، وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم . . .

عبدالله بن محمد (طيب)

أبو ظبي

في ٢٥/٧/١٤١٨ هـ

٢٥/١١/١٩٩٧ م

(١) تاريخ النور السَّافر عن أخبار القرن العاشر ، ص ١٣٦ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ ، وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ :

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران ١٠٢/٣] .

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي سَاءَ لَوْ نَبَىءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [سورة النساء ١/٤] .

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [٧١] إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/٧١ - ٧٢] .

أَمَّا بعد :

فإن خير ما يتدارسه الناشئة وطلّاب العلم ، ويُعنى به الباحثون والمؤلفون دراسة السيرة النبوية ، إذ هي خير وسيلة للتعلّم والتّهذيب والتّأديب ، وفيها ما يرجوه المؤمن من دينٍ ودنيا ، وعلمٍ وعملٍ ، وآدابٍ وأخلاقٍ ، ورحمةٍ وعدلٍ ، وجهادٍ وأستشهادٍ في سبيل الله ، ثمّ نشر العقيدة والشريعة ، والقيّم الإنسانية النبيلة .

إنّ السيرة النبوية نورٌ ساطعٌ وهّاجٌ ، أفضى إلى ظلمات الجهل والوثنية ، فأنجابت كما ينجاب الغمام ، وهدى من الله أرسله إلى الإنسانية الضّالة ، فأنشلها من ضياعٍ ، وأنتاشها من هلاكٍ ، وأنقذها ممّا كانت تتخبّط فيه من دياجير الظّلام ، وعقابيل الضّلال .

وإذا كانت السيرة في اللغة بمعنى : الطريقة والسّنة ، فإنّها يُراد بها التّعريف على حياة الرّسول ﷺ قرّة العين وريحانة القلب ؛ منذ ظهور الإرهاصات التي مهّدت لرسالته ، وما سبق مولده من ظواهر وأحداثٍ تلقي أضواءً رحمانيةً على طريقة الدّعوة المحمّدية ، ثمّ مولده ﷺ ،

ونشأته حتّى مبعثه ، وما جاء بعد ذلك من دعوة الناس إلى الدين القيم ، وما لقى ﷺ في سبيل نشر هذا الدين من عنّت ومعارضة ، وما جرى بينه عليه الصّلاة والسّلام وبين من عارضوه من صراع بالبيان والسّنان ، وذكر من استجاب له ، حتّى علت راية الحقّ ، وأضاءت شعله الإيمان .

تاريخ التّأليف في السّيرة وأشهر كتبها :

إنّ أوّل ما يلفت الانتباه في سير الأنبياء أنّ السّيرة النبويّة أصحّ سيرة لتاريخ نبيّ مرسل ، ولم نعرف على مدى التاريخ البشريّ كلّ أمة من أُمم الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام ، سعدت بمثل ما جاء في القرآن الكريم عن الرّسالة والرّسول ، ولا حظيت بمثل تلك المجموعة الثّمينة من الأحاديث النبويّة ، ذلك السّجل الخالد ، بل كانت هناك حلقات مفقودة في حياة رُسُلها ، لا يمكن البحث عنها ، والاهتداء إليها .

أمّا خاتم الرّسل محمّد ﷺ فهو الرّسول الذي نعرف عنه كلّ دقيق وجليّ ، ونعرف عنه من دقائق الأخلاق والصفّات ، والميول والرّغبات ، والقول والعمل ، ما لا نعرفه عن غيره من النّبیین عليهم الصّلاة والسّلام .

ومن رحمة الله تعالى أنّ كانت هذه الأُمة تملك قوّة الذاكرة ، وسرعة الحفظ والاستظهار ، ممّا يسّر لها الجمع والاستحضار ، ولا عجب في ذلك فقد بهرهم الوحي بقوة بيانه ، وأخذ عليهم مشاعرهم بسطوة سلطانه ، وأسأثر بكريم مواهبهم في لفظه ومعناه ، فكان الحفظ في الصدور ، والتّدوين في السّطور ، وكانت الصّبغة التي شاء الله أن تكون .

لقد أهتمّ المسلمون الأوائل اهتماماً كبيراً بأحاديث رسول الله ﷺ وسننه الفعلية والقولية ، قبل أن تدوّن الأحاديث تدويناً عامّاً في آخر القرن الأوّل الهجري - ولم يكن قد دوّن في تاريخ العرب أو السّيرة شيء إلى أن مضت أيام الخلفاء الراشدين - فكتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عامله على المدينة أبي بكر بن محمّد بن حزم - وهو من كبار المُحدّثين - طالباً منه أن يدوّن أحاديث رسول الله ﷺ في كتاب ورّعه على البلاد الإسلاميّة .

وقد قام المُحدّثون بعدها بجمع أحاديث رسول الله ﷺ في كتب لا تلتزم منهجاً معيّناً في التّرتيب والتّصنيف ، ولم تخل كتبهم من ذكر ما يتعلّق بسيرة النّبي ﷺ وحياته ومغازيه ومناقبه وما إلى ذلك . وقد استمرّ هذا المنهج حتّى بعد أنفصال السّيرة عن الأحاديث في التّأليف .

ثمّ صنّفت في السّيرة النبويّة مصنّفات خاصّة بها . وقد كان في مقدّمة المؤلّفين في السّيرة أربعة :

١ - عروة بن الرّبير (المتوفى سنة ٩٣هـ) ، وكان فقيهاً ، مُحدّثاً ، عالماً بالحديث ، معروفاً

بتدوينه العلم والحديث ، أسلم قديماً ، وشهد الغزوات والمشاهد كلها . ولم يصل كتابه إلينا .

٢ - أبان بن عثمان بن عفان (المتوفى سنة ١٠٥هـ) ، كان فقيهاً ، محدثاً . وقد كتب ما سمع من أخبار السيرة في مصنف لم يصل إلينا .

٣ - وهب بن منبه (المتوفى سنة ١١٤هـ) ، كان مؤرخاً ، وكانت له معرفة بأخبار الأوائل ، وأحوال الأمم السابقة . وقد أكثر من الرواية عن الإسرائيليات .

٤ - شرحبيل بن سعد الخطمي المدني (المتوفى سنة ١٢٣هـ) ، كان عالماً بالمغازي والبدرين .

ويعد هؤلاء الأربعة الطبقة الأولى التي صنفت في السيرة النبوية .

ثم جاء بعد هؤلاء طبقة أخرى ، عاشت في العصر الأموي ، اشتهر منها في كتابة السيرة النبوية ثلاثة :

١ - عاصم بن عمر بن قتادة (المتوفى سنة ١٢٠هـ) ، وهو راوية للعلم ، عالِمٌ بالمغازي والسيرة ، وقد أمره الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة ، ففعل . وقد اعتمد ابن إسحاق والواقدي على مصنفاته ، وجعلوها من مراجعهم المهمة .

٢ - محمد بن شهاب الزهري (المتوفى سنة ١٢٤هـ) ، عالِمٌ محدث ، وهو أول من دون الحديث ، وقيل : إن سيرته أول سيرة صنفت في الإسلام ، وهي من أوثق السير وأفضلها ، وقد اعتمد ابن إسحاق عليها في سيرته .

٣ - عبد الله بن أبي بكر بن حزم الأنصاري (المتوفى سنة ١٢٥هـ) ، وقد كان عالماً ، محدثاً ، ثبناً ، وكان من أهل العلم والبصر ، وقد نقلت عنه روايات كثيرة ، اعتمدها ابن إسحاق وابن سعد والطبري في كتبهم .

ثم جاء بعد هؤلاء طبقة أخرى ، عاشت في العصر العباسي الأول ، وكان من أشهرهم أربعة :

١ - موسى بن عتبة (المتوفى سنة ١٤١هـ) ، كان عالماً بالسيرة النبوية ، وقد صنّف كتاباً في المغازي ، اعتمد عليه ابن سعد والطبري في كتبهم . ولم يصل كتابه إلينا .

٢ - محمد بن إسحاق المطلبي (المتوفى سنة ١٥١هـ) ، وهو من أصل فارسي ، صنّف كتابه « المغازي » بناءً على طلب الخليفة المنصور ، جمع فيه تاريخ الخليقة من آدم عليه السلام إلى

زمنه ، وقد أطلال فيه فلم يرضه المنصور وأمره بأختصاره فأختصره . وهو أول كتاب وصل إلينا .

٣ - معمر بن راشد (المتوفى سنة ١٥٠هـ) ، فقيه ، حافظ ، متقن . صنف كتاباً في المغازي لم يصل إلينا ، ما خلا نقولاً أوردها الواقدي وابن سعد في كتبهم .

٤ - محمد بن عمر الواقدي (المتوفى سنة ٢٠٧هـ) ، وقد كان عالماً بالمغازي واختلاف الناس وأحاديثهم . صنف كتاب « المغازي » ، ونهج فيه منهجاً تاريخياً علمياً جغرافياً . وقد كان هذا الكتاب الأساس الذي بنى عليه المؤلفون في السيرة كتبهم .

ثم جاء بعدهم طبقة أخرى ، من أشهرهم :

١ - أبو محمد عبد الملك بن هشام (المتوفى سنة ٢١٨هـ) ، كان مؤرخاً ، عالماً بالسيرة والأنساب واللغة وأخبار العرب ، روى لنا سيرة ابن إسحاق بعد أن هذبها ، وحذف منها الكثير مما ليس فيه صلة بسيرته ﷺ ، فجاء على نحو مخالف تماماً لما وضعه ابن إسحاق ، لكن دون أن يغير منه كلمة واحدة . ولهذا فقد نسي ابن إسحاق ، وذكر ابن هشام . ولم يعد الكتاب مقروناً إلا بأسم ابن هشام .

ثم جاء بعد هؤلاء الأعلام علماء كثيرون صنفوا في السيرة ، منهم من أطلال ، ومنهم من اقتصر ، ومنهم من أعتنى بذكر الأسانيد ، ومنهم من حذفها .

ومن أشهر هذه المصنفات :

١ - عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ، لابن سيد الناس الأندلسي ، (المتوفى سنة ٧٣٤هـ) .

٢ - جوامع السيرة ، لابن حزم الأندلسي ، (المتوفى سنة ٤٥٦هـ) .

٣ - المواهب اللدنية . للقسطلاني ، (المتوفى سنة ٩٢٣هـ) .

٤ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، للصالحى ، (المتوفى سنة ٩٤٢هـ) .

٥ - إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، المعروف بالسيرة الحلبية ، للحلي ، (المتوفى سنة ١٠٤٤هـ) .

ومن بين هؤلاء الأئمة الأعلام - صاحب هذا الكتاب الذي بين أيدينا - محمد بن عمر بن مبارك (بحرق) الحضرمي . حيث نهج في تأليف هذا الكتاب نهج من سبقه من علماء السير ، فصنفه في وقت كثر فيه التأليف في السيرة . وكانت مؤلفات المحدثين في السيرة تحظى بالقبول والتقدير ، لأنها من أفضل الكتب صحةً ، وأروعها تأليفاً ، وأصدقها لهجةً ، على حين كانت

مؤلفات المؤرخين وأصحاب المغازي والملاحم لا تصل إلى تلك الرفعة التي حظيت بها كتب المحدثين ؛ ذلك لأن المحدثين كانوا لا ينقلون في كتبهم إلا عن الثقات ، ويطرحون ما لم يصح عندهم من الروايات ، ويذكرون الأحاديث الصحيحة ، ويتبعون عن تدوين الأحاديث الضعيفة ، ويهجرون الروايات الموضوعة والمنحولة .

لقد كان المؤلف - رحمه الله تعالى - أحد أولئك المحدثين ، حيث نهج في كتابه هذا منهجهم ، فانتقى الأحاديث الصحيحة ، والأخبار الثابتة ، واختار موضوعاته من أمهات كتب السيرة النبوية التي قرأها وتعلمها . ولا عجب في ذلك ، فهو ممن عُرف بطول اليد في علم الحديث وفنونه .

فجاء الكتاب جليل النفع ، عظيم الفائدة ، غزير المعلومات ، واضح الأسلوب ، جزل العبارة .

نسخ الكتاب :

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسختين خطيتين :

الأولى : نسخة (دار الكتب المصرية) ، برقم (١٢٦١) ؛ وهي من كتب المرحوم (جعفر أفندي بناسكجي) ، الذي آل الكتاب إليه من مكتبة المرحوم المبرور (موسى بن السيد جعفر مبرك) طاب ثراه ، تقع في ست وثلاثين ومئة ورقة ، في كل ورقة ثلاثة وعشرون سطراً ، خطها نسخي متقدّم ، ليس عليها ما يشير إلى أسم ناسخها ، كان الفراغ من نسخها ظهر يوم الإثنين من محرّم ، سنة ألف ومئة وأربع للهجرة .

الثانية : نسخة مكتبة الأحقاف بتريم . عدد أوراقها سبع ومئة ورقة ، ومتوسط عدد أسطرها خمسة وعشرون سطراً ، خطها بين الثلث والنسخ المعتاد . ذات الرقم (٣٠١٠) . لم أجد ما يشير إلى أسم ناسخها ، كان الفراغ من نسخها يوم الأربعاء سادس عشر ذي القعدة سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف للهجرة .

منهج التحقيق :

١ - بعد نسخ المخطوط المعتمد أصلاً ، قابلته على النسخة الأخرى ، فما كان بين النسختين أدنى خلاف ؛ أثبت ما في المخطوط المعتمد أصلاً ؛ إلا أن يكون خطأ ظاهراً أو زيادات لم ترد في الأصل ، فأثبت ما في النسخة الأخرى .

٢ - أضفت ما كان مناسباً من العبارة ليستقيم المعنى ، وميزته بـ [] ، وهذه الزيادة اعتمدتها لدى رجوعي إلى الأصول التي نهل المؤلف منها .

٣ - ضبطت النص ضبطاً أسأل الله العلي العظيم أن يكون صحيحاً ، قريباً إلى الصواب ، كما أراده المؤلف - رحمه الله - .

- ٤ - أثبتُّ أرقام صفحات المخطوط المعتمد عند بداية كلِّ صفحة ، ورمزت لها بـ [ق...].
- ٥ - خرَّجت الآيات الكريمة بذكر أسم السورة ، وترتيبها في القرآن ، ورقم الآية .
- ٦ - عزوت الأحاديث النبوية الشريفة إلى مظانها من كتب السنة المطهرة .
- ٧ - أحلتُ الموضوعات الرئيسة إلى مصادرها .
- ٨ - وضحت ما كان مُغلَقاً ومبهماً بالشرح والتبيان .
- ٩ - عنونتُ فقرَ الكتاب بعنوانات مناسبة ، ووضعتُهما على هامش الكتاب ، وذلك للفصل بين موضوعات الكتاب المتتابعة ، بطريقة تجعله سهلاً مُتناوِلاً في هذا العصر .
- ١٠ - ربّما أجدُ تناقضاً أو مخالفةً لم يُجمع عليها علماء السير أثناء مقابلة المصادر التي أخذ عنها المؤلف مع مصادر السيرة الأخرى ، لذلك وجدتُ من الواجب والأمانة أن أنبّه على ذلك وأشير إليه في الحاشية ، رامزاً له بـ (قلت) .
- ١١ - تعرّضتُ أثناء الكتاب للردّ على بعض المستشرقين وأبواقهم المقلّدين لهم ، وذلك في المواضيع التي تحتاج لذلك .
- يحسُنُ بي أن أشير إلى أنني عدتُ إلى مُعظم كتب المغازي والسير التي كتبت قديماً وحديثاً لمعارضتها بهذا الكتاب .
- وإنّي أجد من البرِّ والوفاء أن أتوقّف عند أهمّ كتابين كانا لي عوناً ، فقد استفدتُ منهما وأفدتُ .
- أولهما : السيرة النبويّة في ضوء القرآن والسنة . للدكتور محمّد بن محمّد أبو شهبه - رحمه الله تعالى - الذي أعتمد على ذكر الآيات المتعلقة بحوادث السيرة ووقائعها . وبذكر الأحاديث الصحيحة ، وترك الأحاديث الموضوعة أو الإسرائيلية المكذوبة . وأعتمد أيضاً على كتب التاريخ والسير قديهما وحديثها ، بعد الفحص والتّحقيق ، والموازنة بين الروايات ، والأخذ بما يصلح للاحتجاج منها ، والردّ على أوهام المؤرّخين الذين بالغوا في مخالفة المحدثين ، وخاصّة إذا عارضت روايتهم ما هو أصحُّ منها كرواية صاحب الصّحاحين . ثمّ تصدّى - رحمه الله تعالى - لأولئك الذين يُحاولون أن يتألكوا بالباطل من المبشرين والمستشرقين الذين لا يجدون ثغرة ينفثون منها أحقادهم وسمومهم إلّا نفذوا منها ، فكان لهم بالمرصاد . وكذلك فقد تصدّى للكتاب المسلمين الذين تأثّروا بالمستشرقين ، وراحوا يلوكون أقوالهم دون تثبّت ومعرفة . فجزاه الله عنا وعن المسلمين كلّ خير .

ثانيهما : الجامع في السيرة النبوية . تأليف الأخت سميرة الزايد . فقد كان هذا الكتاب - الذي يقع في ستة مجلدات من القطع الكبير - عملاً فريداً من نوعه ، وينم عن جلالة هذا العمل ومدى أهميته ، الجهد الكبير الذي بُذل في سبيل إنجازه . أما ثمرة هذا الجهد المبارك فتجلى في فائدتين لا تقل إحداهما عن الأخرى قيمة وأهمية :

الأولى : الإحاطة بمعظم أحداث السيرة النبوية ، وتسجيلها في كتاب جامع ، يطل القارئ من خلاله على حياة الرسول ﷺ عامةً ، بكل جوانبها ومراحلها ، وسائر ما فيها وما يتصل بها .

الثانية : ربط سائر مرويات السيرة النبوية بمصادرها الأصلية المتنوعة . مع بيان أماكن كل منها من تلك المصادر على اختلافها .

وهذا الكتاب ، من خلال هاتين الفائدتين ؛ يعدُّ أوّل جهد من نوعه في نطاق الكتابات الحديثة في السيرة النبوية . أرفع للأخت سميرة الشكر الوفير لجهد هذا المبارك الذي قلما يستطيع أن ينهض به فرد واحد .

وإني أجد من البرِّ والوفاء أيضاً - وتحقيقاً لقوله ﷺ : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ » - أن أقدم جليل الشكر والامتنان لمشايعنا وأساتذتنا وإخواننا من طلبة العلم ؛ الذين أسهموا بمجهود مشكور وعملٍ مذكور في مراجعة وتدقيق وتصحيح نصّ هذا الكتاب المبارك ، وكذلك لما أسدوه من ملاحظات وإيضاحات لحواشي الكتاب ؛ مما أغنى الكتاب وجعله من الكتب المخلوطة بحق . ونحن لا نزكي عملنا هذا ؛ وإنما هو من باب التحدث بنعمة الله ، ولسوف يلمس القارئ الكريم ذلك عند تصفّحه لهذا الكتاب .

نسأل الله أن يقبل ما بذلوه وعملوه ، وأن يجزيهم عنا خير الجزاء .

وإليك أيُّها القارئ الغالي أقدم سيرة رسول الله ﷺ مبسطةً ، مبوبةً ، مرتبةً . بذلت فيها طوقي وأستفدت طاقتي ، فإن أصبت فمن الله تعالى ، وإن قصرتُ عن بلوغ الهدف فمن نفسي ، وحسبي بذل الجهد وحسن النية .

أسأل الله العليّ القدير أن ينفع بهذا الكتاب الأمة المحمّدية ، وأن يكرمهم باتباع سيرة الرسول وسنته وأقواله وأفعاله وأحواله ﷺ ، إنه على ما يشاء قدير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

وكتبه

محمد رفيع بن نضوح عزقول

نُبذةٌ يسيرةٌ عن حياة الإمام بحرق رحمه الله تعالى

اسمه :

هو الشيخُ العلامةُ المحدثُ ، الإمامُ البارِعُ ، اللُّغويُّ النَّحويُّ الأديبُ ؛ القاضي : جمالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُبَارَكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ . الحِميرِيُّ ، الحضرميُّ ، الشَّافعي . الشَّهيرُ بِـ (بَحْرَق) .

مولده :

وُلِدَ - رحمه الله تعالى - في ليلة النِّصف من شعبان ، سنة تسع وستين وثمان مئة بحضرموت .

نشأته وطلبه العلم :

نشأ - رحمه الله تعالى - على أحسن الأوصاف والتُّعوت بحضرموت ؛ المشهود لها بوفرة العلماء ورسوخهم في كثيرٍ من فنون العلم ، فحفظَ القرآنَ العظيمَ و« الجزرية » ومعظم « الحاوي الصَّغير » و« الشَّاطِبيَّة » ومنظومة « البرماوي » الأصولية و« ألفية ابن مالك » النَّحويَّة . وأخذ عن الفقيه الشيخ الجليل مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ باجرِفيل الفقه .

رحلَ إلى (الشحر) ، فأخذ عن العلامة الشَّهير عبدِ الله بن عبد الرَّحمن بافضل وقرأ عليه في الفقه وأصوله .

ثمَّ إلى بندر (عدن) ، فأخذ عن عبدِ الله بن أَحْمَدَ بامخرمة الَّذي لازمه ملازمةً تامَّةً حتَّى تخرَّجَ به ، وقرأ عليه الفقه وأصوله والعربية ، حتَّى كان جلُّ أنفعائه به ، وقرأ عليه « ألفية ابن مالك » وجميع « سيرة ابن هشام » وجملَةٌ صالحةٌ من « الحاوي الصَّغير » في الفقه ، وسمعَ عليه جملةً من علومِ شتَّى . وأخذ عن الشيخ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بافضل ، فقرأ عليه أيضاً الفقه وأصوله .

ثمَّ ارتحلَ إلى (زبيد) وأخذ عن علمائها . فأخذ علمَ الحديث عن المحدثِ الشيخِ

زين الدين محمد بن عبد اللطيف الشرجي ، وعلم الأصول عن الفقيه جمال الدين محمد بن أبي بكر الصائغ ، وأخذ عنه التفسير والحديث والنحو ، وقرأ عليه « شرح البهجة الوردية » لأبي زرعة . وأخذ أيضاً عن السيد الشريف الحسين بن عبد الرحمن الأهدل . وصحب الشيخ أبا بكر العيدروس ، وأخذ عنه ، وأنتفع به ، وعادت عليه بركته .

ثم رحل إلى (الحرمين) سنة أربع وتسعين وثمان مئة ، وأدى النُسكين العظيمين ، واجتمع بالحافظ السخاوي ، وسمع منه ، وأخذ عنه علم الحديث والمصطلح .

مكانته وحياته :

كان - رحمه الله تعالى - ثقة ، صالحاً ، حافظاً للأحاديث والآثار ، رجاعاً إلى الحق ، مجباً لأهل العلم ، مُحسناً إلى طلبته ، غاية في الكرم ، مؤثراً .

تولّى القضاء (بالشحر) ، فكان قاضياً عادلاً تُحمد أحكامه . ثم عزّل نفسه ، وقصد (عدن) فحصل له قبولٌ وجاهٌ عند أميرها مرجان العامري .

ولما توفي الأمير مرجان سنة سبع وعشرين وتسع مئة قصد (الهند) ، فوفد على سلطانها مظفر شاه أحمد بن محمود بايقرا (الكجراتي) . فقرّبهُ السلطان وأكرمه وعظمه ، وقام به وقدمه ، ووسّع عليه وألّفت إليه ، وأدناه منه وأخذ عنه ، فأشتهر بجاهه . وصنّف للسلطان كتابنا هذا : « تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية الأحمدية » .

قال السخاوي في « الضوء اللامع » : وصاهر صاحبنا - أي : بحرق - حمزة الناصري على ابنته وأولدها ، وتولّع بالنظم أيضاً ومدح - السلطان - عامر بن عبد الوهاب حين شرع في بناء مدارس (زبيد) والنظر فيها ، فكان من أولها فيما أنشدني حين لقيناه (بمكة) ، وأخذ عني ، وكان قدومه لها ليلة الصعود ، فحجّ حجة الإسلام وأقام قليلاً ، ثم رجع - كان الله له - .

فمّا قال - مادحاً السلطان عامر بن عبد الوهاب - :

أبى الله إلا أن تحوز المفاخر
فسمّاك من بين البرية عامرا
عمرت رسوم الدين بعد دروسها
وأحييت أثار الإله الدوائر
فأنت صلاح الدين لا شك هذه
شواهد تبدو عليك ظواهر

قال - أي : السخاوي - وكذا أنشدني مما امتدح به المشار إليه بيتاً هو عشر كلمات :

يا ربّ كن أبداً معيناً نصيراً
شمس الملوك صلاح دينك عامرا

وضمّنه في أربعة أبيات يستخرج منها الضمير من العشر فقال :

أَيَّدْتَ دِينَكَ يَا رَبَّ الْعُلَا أَبَدًا
أَعْنِي بِهِ عَامِرًا شَمْسَ الْمُلُوكِ فَكُنْ
وَنَاصِرًا وَمُعِينًا فَهَوَّ شَمْسُ ضُحَى
سَمِيَّتِهِ عَامِرًا لَمَّا أَرَدْتَ بِهِ
انتهى كلام السَّخَاوِيِّ (١) .

بِناصِرٍ لِمُلُوكِ الْأَرْضِ قَدْ ضَهَّدَا
نَصِيرُهُ أَبَدًا فِي كُلِّ مَا قَصَّدَا
أَخْفَى نُجُومَ مُلُوكِ الْأَرْضِ مُنْذُ بَدَا
صَلَحَ دِينَكَ إِرْغَامًا لِمَنْ جَحَّدَا

قال عنه العيدروس في « النور السافر » : (ما رأيْتُ أحدًا من علماء (حضرموت) أحسنَ ولا أوجزَ عبارةً منه ، وله نظمٌ حسنٌ ، وهو أحدٌ من جمع بين ديباجتي النظم والنثر ، فنثره منشورٌ الرِّياضِ جادٌ بها السَّحائبُ ، ونظمه منظومٌ العقودِ زانها النُّحُورُ والثرائبُ) (٢) .

وهو الَّذي يقولُ هذه الأبيات مُجيباً لبعض الفضلاء المُمتَحِنِينَ له من أهل زمانه :

يَا مَنْ أَجَادَ غَدَاةَ أَنْشَدَ مَقُولَا
إِنْ كُنْتَ مُمْتَحِنِي بِذَاكَ فَإِنِّي
وَإِذَا تَبَادَرَتِ الْجِيَادُ بِحَلَبَةٍ
قَسَمًا بِآيَاتِ الْبَدِيعِ وَمَا حَوَى
لَوْ كُنْتُ مُفْتَخِرًا بِنَظْمِ قَصِيدَةٍ
مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ يَرُوقُ سَمَاعُهَا
وَتَرَى لِيَدُكُمْ بَلِيدًا قَلْبُهُ
وَعَلَى جَرِيرِ بَحْرِ مِطْرَفٍ تِيهَنَا
وَلَيْنَ تَبَيَّ أِبْنُ الْحُسَيْنِ فَإِنِّي
أُظَنِّتُ أَنَّ الشَّعْرَ يَضَعُبُ صَوْغُهُ
أُبْدِي الْعَجَائِبَ إِنْ بَرَزْتُ مُفَاخِرًا
لَكِنِّي رَجُلٌ أَصُونُ بِضَاعَتِي
وَأَرَى مِنَ الْجُرْمِ الْعَظِيمِ خَرِيدَةً
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ عَقْرَبًا تَخْتَلُّكَ بَالُ
وَأَنَا الْغَرِيبُ وَأَنْتَ ذَاكَ وَبَيْنَنَا

وَأَفَادَ مِنْ إِحْسَانِهِ وَتَفَضَّلَا
لَسْتُ الْهَيَوْبَةَ حَيْثُمَا قِيلَ أَنْزَلَا
يَوْمَ النَّزَالِ رَأَيْتَ طَرْفِي أَوَّلَا
مِنْ صَنْعَتَيْهِ مُوشِحًا وَمُسَلَّسَلَا
لَبَيْتُ فِي هَامِ الْمَجَرَّةِ مَنْزِلَا
وَيُعِيدُ سُحْبَانَ الْفَصَاحَةِ بِاقِلَا
حَضِرًا وَيَنْقَلِبُ الْفَرَزْدَقُ أَخْطَلَا
وَمُهَلِّلاً بُبْدِيهِ نَسِجَ مُهَلِّهَا
سَأَكُونُ فِي تِلْكَ الصَّنَاعَةِ مُرْسَلَا
عِنْدِي وَقَدْ أَضْحَى لَدَيَّ مُذَلَّلَا
أَوْ مَادِحًا لِلْقَوْمِ أَوْ مُتَغَزَّلَا
عَمَّنْ يُسَاوِمُ بِخَسْهَاسٍ مُتَبَدَّلَا
حَسَنَاءَ تُهْدَى لِلثَّيْمِ وَتُجْتَلَى
أَفْعَى وَلَا جَذَعًا يُزَاحِمُ بُزْلَا
رَحِمَ يَحِقُّ لِمِثْلِهَا أَنْ تَوْصَلَا

ولقد أجادَ فيها كلَّ الإِجادة - والله درّه - ولا يَبْعُدُ أَنَّ براعته في الشعر لمعنى إرثي من إمامه

(١) الضوء اللامع ، ج ٨ / ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٢) تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، ص ١٣٣ .

الشافعي رضي الله عنه . انتهى كلام العيدروس^(١) .

وقد ذكر له كرامات ومراثي صالحات لا نطيل بذكرها .

وله مقاطيع شعريّة حسنة ، منها :

أَنَا فِي سَلْوَةٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنَّ أَبَانِي الْحَبِيبُ أَوْ إِنَّ أَتَانِي
أَغْنِمُ الْوَضْلَ إِنْ دَنَا فِي أَمَانٍ وَإِذَا مَا نَأَى أَعِشْ بِأَلَمَانِي
وله قصيدة عظيمة سماها : « العروة الوثيقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة » ، أجاد فيها إلى الغاية ، وشرحها شرحاً سماه : « الحديقة الأنيقة » .

لقد كان - رحمه الله تعالى - العالم الذي يمشي تحت علم فتياه العلماء الأعلام وحملة الأقالام ، وتخضع لفصاحته وبلاغته صيارفة النثر والنظام . شيخ اللغة والنحو والإعراب ، وعمدة الفقهاء في نصوص الشافعي والأصحاب .

مصنّفاته :

صنّف - رحمه الله تعالى - مصنّفات عديدة في الأصول والفروع والحديث والسيرة والعقيدة والنحو وفي أهل الأحوال . وقد تلقّاها الناس بالقبول نذكر منها :

١ - حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ، المسمّى بـ « تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية الأحمدية » . وهو كتابنا هذا ، الذي نتشرف بإخراجه إلى الأخوة القراء الكرام .

٢ - أرجوزة في علم الحساب .

٣ - أرجوزة في علم الطب ، وشرحها شرحاً مفيداً .

٤ - الأسرار النبوية في اختصار الأذكار النووية . (مطبوع) .

٥ - البهجة في تقويم اللهجة .

٦ - ترتيب الشلوك إلى ملك الملوك .

٧ - تحفة الأحباب في شرح « ملحّة الأعراب » ، للحريري . (مطبوع) .

٨ - الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة . (مطبوع) .

٩ - الحسام المسلول على مُنتقضي أصحاب الرسول ﷺ . (مطبوع) .

(١) تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

- ١٠ - حلية البنات والبنين فيما يُحتاج إليه من أمر الدين . (مطبوع) .
 - ١١ - الحواشي المفيدة على أبيات الياضي في العقيدة . وذكر في كتابه « ترتيب السُّلوك » أنَّ له على أبيات الشَّيخ عبد الله بن أسعد الياضي ثلاثة شروح ، بسيط ووسيط ووجيز .
 - ١٢ - ذخيرة الإخوان ، (المختصر من كتاب الاستغناء بالقرآن) . (مخطوط) .
 - ١٣ - رسالة في علم الميقات .
 - ١٤ - رسالة في الفلك .
 - ١٥ - شرح الجزرية .
 - ١٦ - شرح على منظومة الشَّيخ أبي الجيش الأندلسي في العروض .
 - ١٧ - شرحان على لامية ابن مالك في التَّصريف ؛ مختصر وكبير .
 - ١٨ - عقد الدُّرر في الإيمان بالقضاء والقدر . (مخطوط) .
 - ١٩ - العقد الثمين في إبطال القول بالتَّقييح والتَّحسين . (مخطوط) .
 - ٢٠ - فتح الأقفال شرح أبنية الأفعال .
 - ٢١ - فتح الرُّؤوف في معاني الحروف .
 - ٢٢ - مختصر الخلاصة لابن مالك ، في عدَّة أهل بدر وشرحه .
 - ٢٣ - مختصر نهاية النَّاشري في علم القراءات .
 - ٢٤ - متعة الأسماع بأحكام السَّماع ، (المختصر من كتاب الإمتاع) .
 - ٢٥ - مختصر التَّريغ والتَّرهيب ، للمندري . (مخطوط) .
 - ٢٦ - مختصر شرح لامية العجم ، للصَّفدي . (مخطوط) .
 - ٢٧ - مختصر المقاصد الحسنة ، للسَّخاوي .
 - ٢٨ - مواهب القدوس في مناقب العيدروس .
 - ٢٩ - التَّبذة المختصرة في معرفة الخصال المكفرة للذنوب المقدَّمة والمؤخَّرة .
 - ٣٠ - التَّبذة المنتخبة من كتاب الأوائل ، للعسكري .
- لعلَّ هذه المصنَّفات هي الأشهر .
- وبالجملة : فجميعُ مؤلَّفاته رائقةٌ حسنةٌ ، محرَّرةٌ منقَّبةٌ مستحسنةٌ ، ولهذا تداولها أبناء

الزَّمان ، وتناقلها المشاة والركبان ، وعُقدت عليها الخناصر ، وأنعطفت عليها الأواصر .

وفاته :

قال العيدروس في « النور السافر »^(١) : حُكي أَنَّهُ مات بالسَّمِّ ، وسببُ ذلك أَنَّهُ حظيَ عند السُّلطان إلى الغاية ، فحسدهُ الوزراء على ذلك ، فوقعَ منهم ما أوجبَ لَهُ الشَّهادةَ ، وناهيكَ بها من سعادة .

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِيهِ هَذَا الدَّوَيْتُ لِبَعْضِهِمْ يمدحُه :

لَأَيِّ الْمَعَانِي زِيدَتْ أَلْقَافُ فِي أَسْمِكُمْ وَمَا غَيَّرَتْ شَيْئاً إِذَا هِيَ تُذَكَّرُ
لَأَنَّكَ بَحْرُ الْعِلْمِ وَالْبَحْرُ شَأْنُهُ إِذَا زِيدَ فِيهِ الشَّيْءُ لَا يَتَغَيَّرُ
ومثله قول الآخر فيه أيضاً :

فَأَنْتَ بَحْرٌ وَقَافٌ مَا لَهُ طَرْفُ مُحَمَّدُ إِسْمُكَ الْمَعْرُوفُ مَوْصُوفَا
سَمِيَّ خَيْرِ الْأَنَامِ الطَّهْرِ مِنْ مُضَرٍ يَهْنَأُكَ يَهْنَأُكَ هَذَا الْفَخْرُ تَشْرِيفَا
عاشَ - رحمه الله تعالى - إحدى وستين سنةً ، وانتقلَ إلى جوار ربِّه ليلةَ العشرين من شعبان سنة ثلاثين وتسع مئة (بكجرات) ، فشيَّعَهُ خلقٌ كثيرٌ ، ودُفِنَ في مدينة (أحمد آباد) .
تغمَّده الله بالرحمة والرضوان ، وأسكنه فسيح الجنان .

(١) تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، ص ١٤٠ .

ترجمة السلطان مظفر بن محمود بابكر البكراني المهدي إليه هذا الكتاب

هو السلطان الفاضل العادل المحدث الفقيه مظفر بن محمود بن محمد بن أحمد بن محمد بن المظفر الكجراتي ، أبو النصر شمس الدين مظفر شاه . صاحب الرئاسة^(١) .
وُلِدَ في العشرين من شوال سنة خمس وسبعين وثمان مئة في (كجرات) من بلاد الهند .
ونشأ في مهد السلطنة ، ورضع من لبان العلم وترعرع . وقرأ على مجد الدين الإيجي العلامة ،
وأخذ الحديث عنه . وعن الشيخ المحدث جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحميري
الحضرمي الشهير بـ (بحرق) ، وتدرَّب في الفنون الحربية ، حتَّى فاقَ أسلافه في العلم
والأدب ، وفي كثير من الفعال الحميدة .
قام بالملك بعد والده في شهر رمضان سنة سبع عشرة وتسع مئة .
كان غاية في التقوى والعزيمة ، والعدل والسَّخاء ، والنَّجدة والجهاد ، والعفو والتَّسامح
عن النَّاس ؛ ولذلك لَقَّبَهُ بالسلطان الحليم .
وكانَ جيِّدَ القريحة ، سليمَ الطَّبع ، حسنَ المحاضرة ، خطَّاطاً جيِّدَ الخطِّ ، كان يكتب
النَّسخ والثُّلث والرَّقاع بكمال الجودة ، وكان يكتب القرآن الحكيم بيده ثمَّ يبعث به إلى الحرمين
الشَّريفين ، وحفظ القرآن في أيام الشَّباب .
وكان يقتني آثار السُّنة السَّنيَّة في كلِّ قولٍ وفعلٍ ، ويعمل بنصوص الأحاديث النَّبويَّة ، وكثيراً
ما يذكر الموت ويبيكي ، ويكرِّم العلماء ويبالغ في تعظيمهم .
ولم يزل يحافظ على الوضوء ويصلي بالجماعة ويصوم رمضان ، ولم يقرب الخمر قطُّ ،
ولم يقع في عرض أحدٍ ، وكان يعفو ويسامح عن الخطَّائين ، ويجتنب الإسراف والتَّبذير ، وبذل
الأموال الطائلة على غير أهلها .
وكان كثير التفحُّص عن أخبار النَّاس ، عظيم التحسُّس عن أخبار الممالك ، وربَّما يغيِّر رايه
ولباسه ويخرج من قصره آناء اللَّيل والنَّهار ، ويطلع على الأخبار ويستكشف الأسرار .

(١) أي : رئاسة السَّيف والقلم .

وله من الأخبار والتّوارد ما لا يُسمَعُ بمثله في العدل وإنصاف المظلومين ، ممّا يُذكرنا بسير الأوائل من الخلفاء الرّاشدين ومَن بعدهم .

قال اللكنوي في « نزهة الخواطر » ، أثناء ترجمته لهذا السُّلطان العادل :

قال الآصفي : وفي سنة إحدى وثلاثين وتسع مئة خرج السُّلطان إلى مصلّى العيد للاستسقاء ، وتصدّق وتفقد ذوي الحاجة على طبقاتهم ، وسألهم الدُّعاء ، ثمّ تقدّم للصلاة ، وكان آخر ما دعا به - كما يُقال - : (اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَلَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي شَيْئاً ، فَإِنْ تَكُ ذُنُوبِي حَبَسَتْ الْقَطَرُ عَنْ خَلْقِكَ فَهَا نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ! فَأَعِثْنَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) ، قال هذا ووضع جبهته على الأرض ، واستمرّ ساجداً يكرّر قوله : (يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) ، فما رفع رأسه إلّا وهاجت ريحٌ ونشأت بحرية ببرقٍ ورعدٍ ومطرٍ ؛ ثمّ سجد لله شكراً ، ورَجَعَ من صلاته بدعاء الخلق له وهو يتصدّق وينفخ بالمال يميناً وشمالاً .

وبعد الاستسقاء بقليل أعتراه الكسلُ ، ثمّ ضعُفَت المعدة ، ومنه شكّا ضعف الجسد ، وفي خلال ذلك عقد مجلساً حافلاً بسادة الأئمة ومشايخ الدّين ، واجتمع بهم ، وتذاكروا فيما يصلح بلاغاً للآخرة ، إلى أن تسلسل الحديث في رحمة الله سبحانه وما اقتضاه منه وإحسانه ، فأخذ يشرح ما منّ الله عليه من حسنة ونعمة ، ويعترف بعجز شكرها ، إلى أن قال : (وما من حديث رويته عن أستاذي المسند العالي مجد الدين بروايته له عن مشايخه إلّا وأحفظه وأسنده ، وأعرف لراويه نسبته وثقته ، وأوائل حاله إلى وفاته . وما من آية إلّا ومنّ الله عليّ بحفظها وفهم تأويلها وأسباب نزولها وعلم قراءتها . وأمّا الفقه فاستحضر منه ما أرجو به مفهوم : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . ولي مدّة أشهر أصرف وقتي باستعمال ما عليه الزُّهاد ، وأشتغل بما سنّه المشايخ لتزكية الأنفاس عملاً بما قيل : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » ؛ وها أنا أطمع في شمول بركاتهم مُتَعَلِّلاً بعسى ولعلّ ، وكُنْتُ شرعت بقراءة « معالم التنزيل » ، وقد قاربت إتمامه ، إلّا أنّي أرجو أن أختمه في الجنة إن شاء الله تعالى ، فلا تنسوني من صالح دعائكم ، فإنّي أجد أعضائي فقدت قواها ، وليس إلّا رحمة الله سبحانه دواها) .

فدعا له الحاضرون بالبركة في العمر .

قال : وفي سنة اثنتين وثلاثين وتسع مئة على خروجه من (جانپانير) ظهرت منه مخائل المستودع بفراق الأبد لها ولأهلها ، وأكثر من أعمال البرّ فيها .

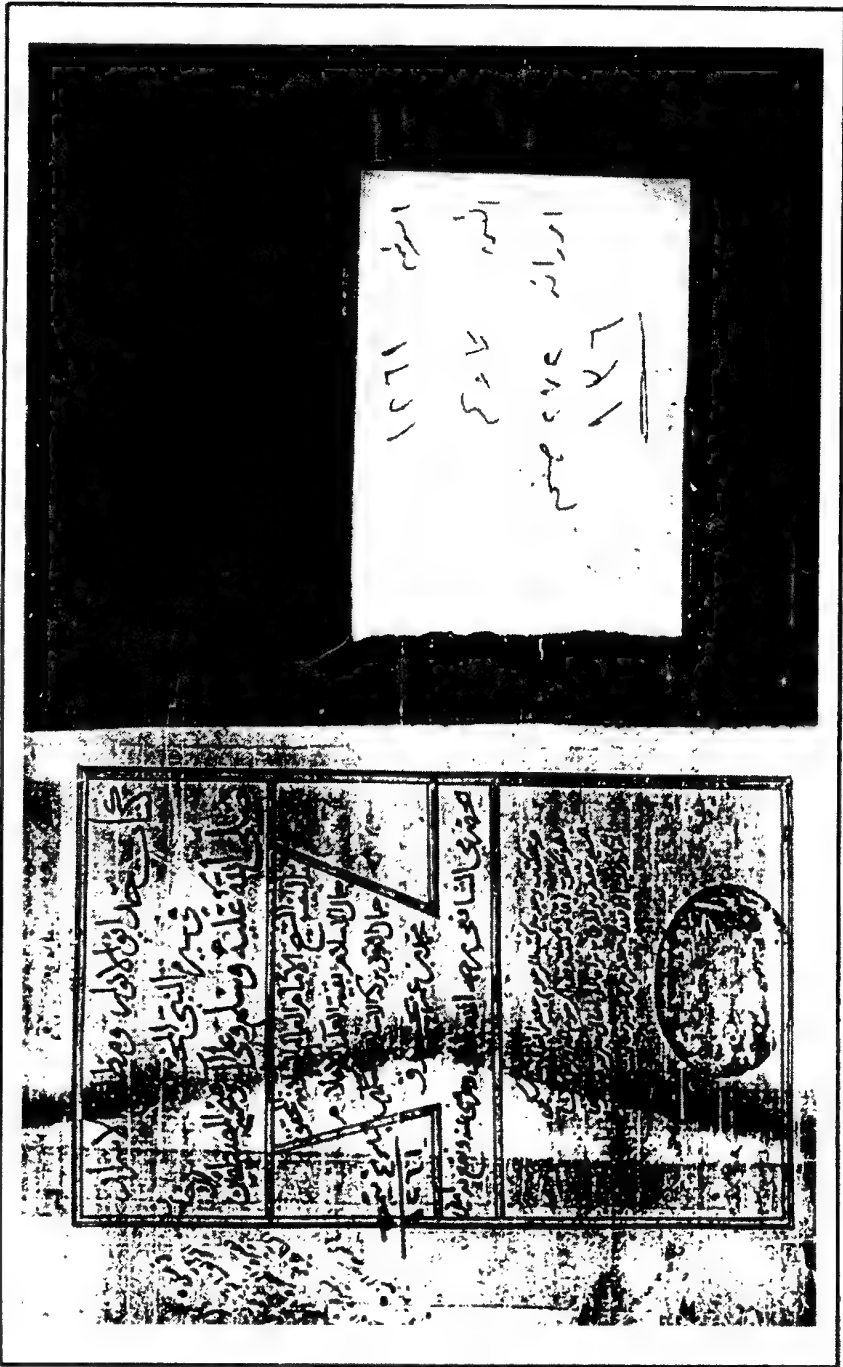
وفي طريقه إلى (أحمد آباد) ، ولما نزل بها كان يكثر من التردد إلى المزارات المُتَبَرِّكة ، ويكثر من الخير بها ، وكان له حسن الظنّ بالعلامة (خرم خان) ، فقال له يوماً : نظرت فيما أُوتِر به أولي الاستحقاق من الإنفاق فإذا أنا بين إفراط في صرف بيت المال وتفريط في منع أهله ، فلم أدر إذا سئلت عنهما بما أُجيب .

وفي آخر أيامه - وكان يوم الجمعة - قام إلى المحل وأضطجع إلى أن زالت الشمس ، فاستدعى بالماء وتوضأ وصلّى ركعتي الوضوء ، وقام من مصلاه إلى بيت الحرم ، واجتمعت النسوة عليه آيساتٍ باكيات يندبن أنفسهن حزناً على فراقٍ لا اجتماع بعده ، فأمرهن بالصبر المؤذن بالأجر ، وفرّق عليهنّ مالا ، ثمّ ودّعهن وأستودعن الله سبحانه ، وخرج وجلس ساعة ، ثمّ أستدنى منه راجه محمّد حسين المخاطب بأشجع الملك وقال له : قد رفع الله قدرك بالعلم وله وهي آخر خدمتك لي ، أريدك تحضر وفاتي وتقرأ عليّ سورة يس ، وتغسلني بيدك وتسامحني فيه ، فأمتن بما أهله به وفّاه ودعا له ، ثمّ وقد سمع أذانا قال : أهو في الوقت ؟ فأجاب أسد الملك : هذا أذان الاستدعاء لاستعداد صلاة الجمعة ويكون في العادة قبل الوقت ، فقال : أمّا صلاة الظهر فأصليها عندهم ، وأمّا صلاة العصر فعند ربّي في الجنة إن شاء الله تعالى ، ثمّ أذن للحاضرين في صلاة الجمعة وأستدعى مصلاه وصلّى ، ودعا الله سبحانه بوجه مقبل عليه وقلب مُنيب إليه ، دعاء من هو مفارق للقصر مشرف على القبر ، ثمّ كان آخر دعائه : ﴿ رَبِّ قَدْءَ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ وقام من مصلاه وهو يقول : أستودعك الله - وأضطجع على سريره وهو مجتمع الحواس ، ووجهه يلتفت إلى القبلة ، وقال : (لا إله إلا الله محمّد رسول الله) ، وفاضت نفسه والخطيب على المنبر يدعو له ؛ وفي ذلك عبرة لمن ألقى السّمع وهو شهيد .

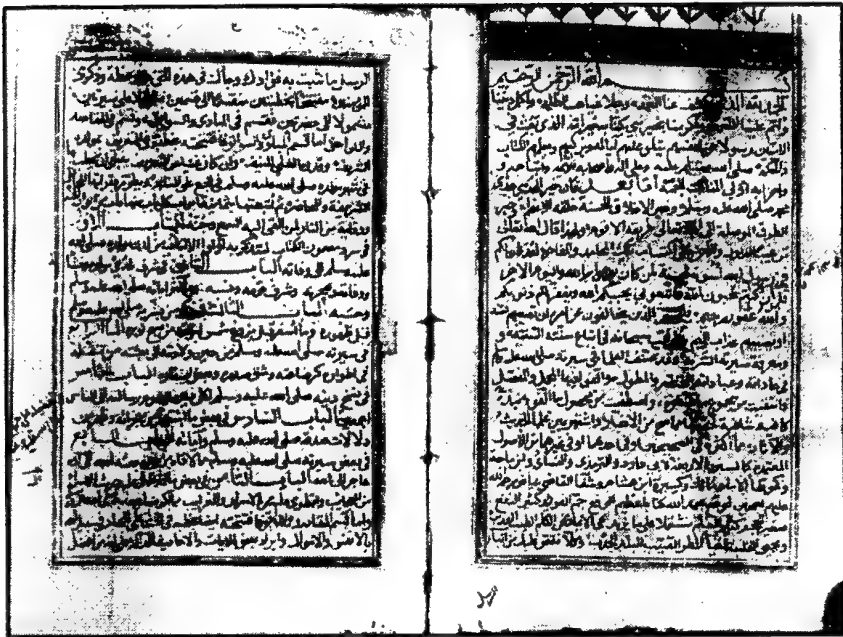
وكان ذلك في ثاني جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وتسع مئة وحمل تابوته إلى (سركيج) ودفن عند والده . طيّب الله ثراه . (١)

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، ج ٤ / ٣٥٥ . ملخصاً .

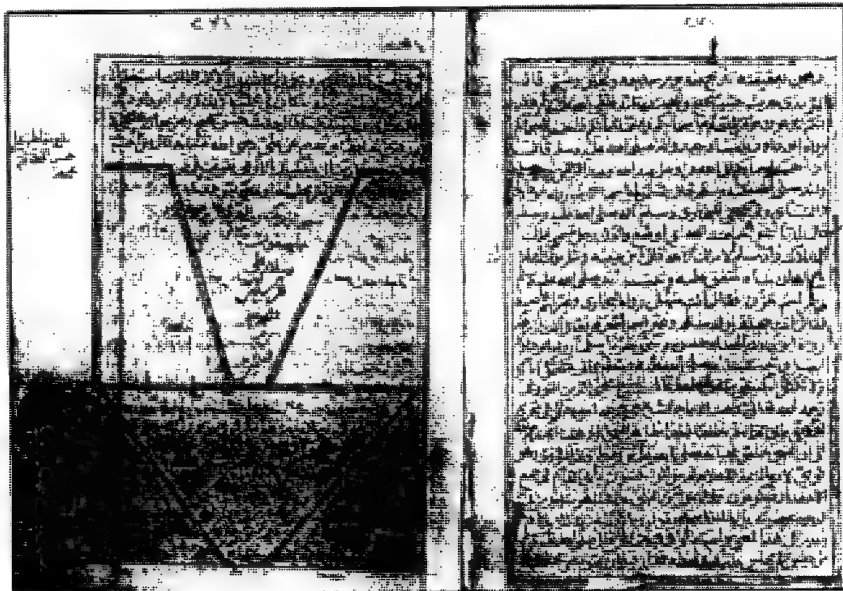
صورة عن المخطوطات الشفاه بها
في مخفي هذا الكتاب



راموز ورقة العنوان لمخطوط (دار الكتب المصرية)



راموز الورقة الأولى لمخطوط (دار الكتب المصرية)



راموز الورقة الأخيرة لمخطوط (دار الكتب المصرية)

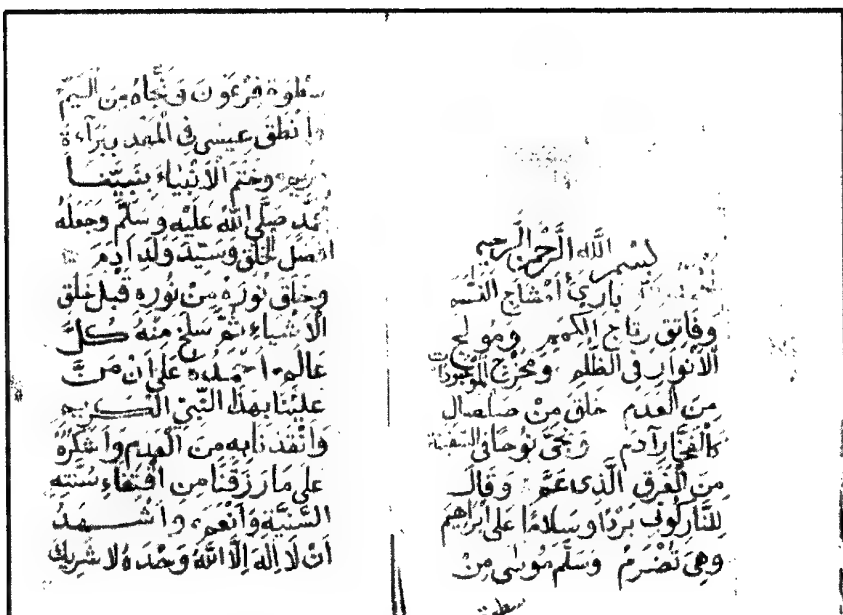


راموز ورقة العنوان لمخطوط (الأنصاري)



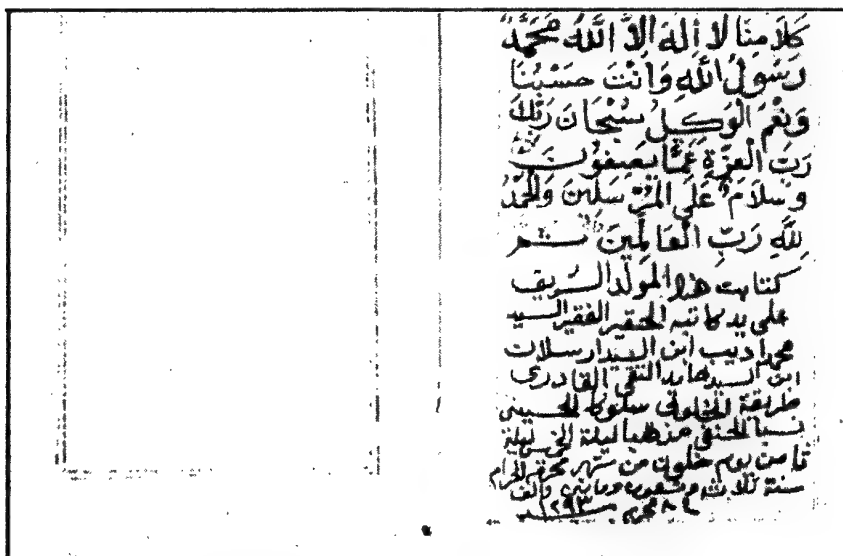
راموز ورقة العنوان لمخطوط (مولد النبي) للإمام بحرق

وضعت للفائدة العلمية



راموز الورقة الأولى لمخطوط (مولد النبي ﷺ) للإمام بحرق

وضعت للفائدة العلمية



راموز الورقة الأخيرة لمخطوط (مولد النبي ﷺ) للإمام بحرق

وضعت للفائدة العلمية

حَدَائِقُ الْأَنْوَارِ وَ مَطَالِعُ الْأَسْرَارِ

فِي

سِيَرَةِ النَّبِيِّ الْمَحْمُودِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَهْلِ الطَّهْرَةِ الْأَخْيَارِ .

المُسْتَكْمَلُ

تَبَيُّرَةُ الْحَضْرَةِ الْأَخْمَدِيَّةِ الشَّاهِدِيَّةِ نَبِيَّةِ الْحَضْرَةِ الْأَكْبَرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

لِلْعَالِمِ الْفَقِيهِ الْقَاضِي عِلَامَةِ الْيَمَنِ

مُحَمَّدَ بْنَ عُمَرَ بِحَرَقِ الْحَضَرِيِّ الشَّافِعِيِّ

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

١٦٩ - ٩٣٠ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [٢ق]

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي كشف عنا الغُمَّة^(١) ، وجلا غياهب الظلمة ،
وأكمل ديننا وأتم علينا النعمة ، وأكرمنا بخير نبي فُكنا به خير أمة ،
﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [سورة الجمعة ٢/٦٢] .

صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه الأئمة ، وأتباعه
وأحزابه أولي المناقب الجمة .

أما بعد : فإن خير الهدي هدي محمد ﷺ ، وخير الأخلاق الحسنة
خُلُقُهُ الْأَعْظَمُ ، وخير الطرق الموصلة إلى الله تعالى طريقه الْأَقْوَمُ .

ولهذا قال الله تعالى ترغيباً للأول والآخر في اكتساب تلك المحامد
والمفاخر : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [سورة الأحزاب ٢١/٣٣] . [وقال تعالى] : ﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ
تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة
آل عمران ٣/٣١] . [وقال تعالى] : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن
تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة النور ٢٤/٦٣] .

فرغب سبحانه في أتباع سنته السنية^(٢) ، ومعرفة سيرته

(١) الغُمَّة : الكرب .

(٢) السَّنيَّةُ : المضيئة الرفيعة القدر .

السَّرِيَّةُ^(١) . وقد صَنَّفَ العُلَمَاءُ - رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى - فِي سِيرَتِهِ ﷺ
 وَفِي عَادَاتِهِ وَعِبَادَاتِهِ الْمُخْتَصَرَ وَالْمُطَوَّلَ ، وَأَلَّفُوا فِيهَا الْمُجْمَلَ
 وَالْمُفَصَّلَ . فَأَنْتَقَيْتُ مِنْ مَجْمُوعِ مَا صَنَّفُوهُ ، وَأَصْطَفَيْتُ مِنْ
 مُحْصُولِ مَا أَلَّفُوهُ ؛ نُبْذَةً كَافِيَةً شَافِيَةً ، لَخَصْتُهَا مِمَّا صَحَّ مِنْ
 الْأَخْبَارِ ، وَأَشْتَهَرَ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَالْآثَارِ ، مِمَّا أَكْثَرُهُ فِي
 «الصَّحَّاحِينَ» ، أَوْ فِي أَحَدِهِمَا ، أَوْ فِي غَيْرِهِمَا مِنَ الْأُصُولِ
 الْمَعْتَمَدَةِ - كَالسُّنَنِ الْأَرْبَعَةِ ، لِأَبِي دَاوُودَ وَالتِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ وَأَبْنِ
 مَاجَةَ ، وَكُمُوطَ الْإِمَامِ مَالِكَ ، وَكُسَيْرَةَ أَبْنِ هِشَامَ ، وَشِفَاءَ الْقَاضِي
 عِيَاضَ - رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

فَوَقَعَ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى كِتَاباً عَظِيماً الْوَقَعَ ، جَمَّ الْفَوَائِدَ ، كَثِيرَ
 النِّفَعِ ، صَغِيرَ الْحَجْمِ ، كَثِيرَ الْعِلْمِ ، مُشْتَمِلاً عَلَى مَا يَزِيدُ فِي
 الْإِيمَانِ مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ الْعَذْبِ ، وَيُحْيِي الْقَلْبَ إِحْيَاءَ الْمَطَرِ
 الصَّيْبِ^(٢) لِلْبَلَدِ الْجَدْبِ^(٣) .

[ق ٣] ﴿وَلَا تَقْصُصْ عَلَيَّ مِنْ أَنْبَاءِ / الرُّسُلِ مَا نُنِثِي بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
 الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة هود ١١/ ١٢٠] .

مُفْتَتِحاً بِخُطْبَتَيْنِ ، مُنْقَسِماً إِلَى قِسْمَيْنِ ، مُشْتَمِلاً عَلَى سِيرَتَيْنِ ،
 مَشْمُولاً إِلَى حَضْرَتَيْنِ .

فَقَسَمْتُ فِي الْمَبَادِئِ وَالسَّوَابِقِ ، وَقَسَمْتُ فِي الْمَقَاصِدِ وَاللَّوَاحِقِ .
 أَمَّا قِسْمُ الْمَبَادِئِ وَالسَّوَابِقِ : فَأَفْتَتَحْتُهُ بِخُطْبَةٍ فِي التَّعْرِيفِ
 بِمَوْلِدِهِ الشَّرِيفِ ، وَقَدَرِهِ الْعَلِيِّ الْمُنِيفِ - وَإِنْ كَانَ غَنِيّاً عَنِ التَّعْرِيفِ -

(١) السَّرِيَّةُ : الشَّرِيفَةُ . سَرَوْ ، سَرَوَةٌ ، وَسَرَوْاً : شَرُفَ ، فَهُوَ سَرِيٌّ .

(٢) الْمَطَرُ الصَّيْبُ : الْمَطَرُ بِقَدْرٍ مَا يَنْفَعُ وَلَا يُوْذِي . مِنَ الصَّوْبِ .

(٣) الْبَلَدُ الْجَدْبُ : الْبَلَدُ الَّذِي يَبْسُتُ أَرْضُهُ لِاحْتِبَاسِ الْمَاءِ عَنْهَا .

يَنْبَغِي أَنْ يُخْطَبَ بِهَا فِي شَهْرِ مَوْلِدِهِ ﷺ فِي الْجُمُعِ عَلَى الْمَنَابِر ،
وَيُطْرَزُ بِقَرَأَتِهَا الْمَحَافِلُ الشَّرِيفَةُ وَالْمَحَاضِرُ .

ثُمَّ أَتَبَعْتُهَا بِثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ ، كُلُّ بَابٍ مِنْهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ،
وَوَقَايَةُ مِنَ النَّارِ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْهِ السَّمْعَ وَجُنَّةً .

الباب الأول : في سرد مضمون الكتاب ، ليتذكَّرَ به أُولُو
الْأَلْبَابِ ، مِنْ لَدُنْ مَوْلِدِهِ ﷺ إِلَى وَفَاتِهِ .

الباب الثاني : في شَرَفِ بَلَدِي مَوْلِدِهِ وَنَشَأَتِهِ وَوَفَاتِهِ وَهَجْرَتِهِ ،
وَشَرَفِ قَوْمِهِ وَنَسَبِهِ ، وَمَآثِرِ آبَائِهِ ﷺ وَحَسَبِهِ .

الباب الثالث : في ذِكْرِ مَنْ بَشَّرَ بِهِ ﷺ قَبْلَ ظَهْوَرِهِ ، وَمَا أَسْفَرَ
قَبْلَ بَزْوِغِ شَمْسِ نَبَوَّتِهِ مِنْ صُبْحِ نَوْرِهِ ﷺ .

الباب الرابع : في سِيرَتِهِ ﷺ مِنْ حِينِ وَلَادَتِهِ إِلَى بَعْثَتِهِ ، مِنْ
تَنْقُلِهِ فِي أَطْوَارِهِ - كَرِضَاعِهِ وَشَقِّ صَدْرِهِ - وَبَعْضِ أَسْفَارِهِ .

الباب الخامس : في نَسْخِ دِينِهِ ﷺ لِكُلِّ دِينٍ ، وَعَمُومِ رِسَالَتِهِ
إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَتَفْضِيلِهِ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، صَلَّى
اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

الباب السادس : في بَعْضِ مَا أَشْتَهَرَ مِنْ مَعْجَزَاتِهِ ، وَظَهَرَ مِنْ
دَلَالَاتِ صِدْقِهِ ﷺ وَأَيَّاتِهِ .

الباب السابع : في بَعْضِ سِيرَتِهِ ﷺ ؛ مِمَّا لَاقَاهُ مِنْ حِينِ بَعْثِهِ اللَّهُ
إِلَى أَنْ هَاجَرَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

الباب الثامن : في بَعْضِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ مِنْ
الْعَجَائِبِ ، وَأَنْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْغُرَائِبِ ، مِمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ ﷺ .

وَأَمَّا قِسْمُ الْمَقَاصِدِ وَاللَّوَاحِقِ : فَافْتَتَحْتُهُ أَيْضاً بِخُطْبَةٍ فِي الْحَثِّ

[ق٤] على الجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال ، وإيراد بعض الآيات والأحاديث الدالة على أنه من أفضل الأعمال ، ليُخطَب بها حيث تدعو الحاجة إليها ، لتحريض المجاهدين ، وتذكيرهم برفع درجاتهم يوم الدين ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الذاريات ٥١/ ٥٥] .

ثم أتبعها بذكر ما أشتهر من سيرته ﷺ - من هجرته إلى وفاته - ومن تشريع أحكام دينه وغزواته ، وما في أثناء ذلك من علامات نبوته ومعجزاته ، وأسباب نزول سور من القرآن وآياته ، مرتباً لها على سني هجرته ﷺ العشر ، ناشراً لما أنطوى من مسكها الطيب النشر .

ثم ذيلت ذلك بفصول في وجوب نصب الإمام ، وأن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين ، ومدة خلافة الخلفاء الأربعة ، وذكر شيء من فضائل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ؛ الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، وخلفائه الأربعة ، الموضحين سبل رشاده ، مع ذكر ترتيبهم في الفضل ، والرد على من قدح في أحد منهم بالقول الفصل .

ثم ختمت الكتاب بشيء من سيرته ﷺ في أحواله النفسية النفسية ، وأقواله المقدسة القدسية ، إذ لا ينطق ﷺ عن الهوى ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَحِيُّ الْوَحَى ﴾ [سورة النجم ٥٣/ ٤] .

أما أحواله النفسية : ففي حسن خلقه وخلقه ، ووفور عقله ، وحسن عشرته ، وسماحته ، وشجاعته ، وزهده ﷺ .

وأما أقواله القدسية : ففي ذكره لربه في سوابق صلاته ، ولواحقها ، وفيها ، وفي صيامه ، وحجّه ، وجهاده ، وسفره ، ومعاشه ، ومعاشرته ، ومرضه ، وعند موته ﷺ .

ناقلاً ذلك عن كتب الحديث المعتمدة ، ليكون كتاباً جامعاً

للحضرتين ، شافعاً للجامع بين السيرتين ، كالمَلِكِ المظفَّر والليث الغضنفر : السُّلطان أحمد بنُ السُّلطان محمود شاه^(١) ، زادهُ الله ممَّا آتاهُ مِنَ المُلْكِ والحِكمة ، وعَلَّمَهُ ممَّا يَشَاءُ ، وَأَوْزَعَهُ^(٢) أَنْ يَشْكُرَ نعمتهُ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ ، وعلى والديه ، وَأَنْ يَعْمَلَ صَالِحاً يَرْضَاهُ ، وَأَصْلَحَ لَهُ فِي ذُرِّيَّتِهِ ، وَأَدْخَلَهُ بِرحمته في عباده الصَّالحين ، وإِيَّانا والمسلمين ، إِنَّهُ جَوادٌ كريم / [قَالَ : مِنَ الطَّوِيل] :

[ق ٥]

فَأَحْمَدُ أَسْمَى مَنْ بَنَى أَسْماً وَكُنْيَةً
وَفِعْلاً وَوَصْفاً مُلْكُهُ مِنْ أَسَاسِهِ
شِهَابٌ فَخَذَ مِنْ عِلْمِهِ وَأَقْتَبَاسِهِ
سَنَا النُّورِ وَأَخْشَ النَّارَ فِي وَقْتِ بَاسِهِ
وَعَنْ بِيضِهِ أَوْ سُمْرِهِ أَوْ قِيَاسِهِ
سَلَّ الْخَصَمَ عَنْ بُرْهَانِهِ أَوْ قِيَاسِهِ
فَتَلَكَّ رُجُومٌ ، قَدْ أُعِدَّتْ لِبَاسِهِ
نُجُومٌ هُدًى فِي زِيَّهِ وَلِبَاسِهِ^(٣)
فَلَا زَالَ مَحْمُوداً حَمِيداً مُظَفَّراً
شِهَاباً عَلَى أَعْدَائِهِ كَأَناسِهِ^(٤)
يُنَكِّسُ جَالُوتُ الصَّلِيبِ صَلاَبَهُ
بِتَأْيِيدِ دَاوُودَ عَلَى أُمِّ رَاسِهِ^(٥)

(١) ذكرنا نبذةً يسيرةً عنه في المقدمة ، ص ٢٨-٢٩ .

(٢) أَوْزَعَهُ : أَلْهَمَهُ .

(٣) الرُّجُوم : الشُّهْب والأَنْوَارُ . مفردُها : رَجْم .

(٤) المقصود : مثل سهام الرَّمي . وإنسي القوس : ما أَقْبَلَ عَلَيْكَ مِنْهَا ، وقيل : ما وَلِيَ الرَّمَاي .

(٥) الصَّلِيب : القوي . داوود : النَّبِيُّ داوود عليه السَّلام . أُمُّ رَاسِهِ : أَصْلُ رَاسِهِ .

وَيَحْظِي بِمَا آتَاهُ مُلْكًا وَحِكْمَةً

بِأَجْنَادِهِ أَمْ نَفْسِهِ أَمْ مِرَاسِهِ^(١)

فوسّمتُ باسمه هذا الكتاب الكريم ، ورسمته برسمه ، وإنّه
بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، فسَمَّيْتُهُ : (بصيرة الحضرة الأحمديّة
الشّاهيّة بسيرة الحضرة الأحمديّة النّبويّة) ؛ متوسّلاً إلى الله تعالى
بصاحب الحضرة النّبويّة خير الأنام عليه أفضل الصّلاة والسّلام ؛ أن
يُمهّدَ بصاحبِ الحضرة الشّاهيّة قواعد الإسلام ، وأن يَعْمُرَ وَيَغْمُرَ
بوجوده وجوده البلاد والعباد ، وأن يُلحِقَ الحضرة بالحضرة ،
ويَحشُرَ الزُّمَرَةَ في الزُّمَرَةِ ، فالمرءُ مع مَنْ أَحَبَّ^(٢) ، وَمَنْ تشبّهَ بَقَوْمٍ
فَهُوَ مِنْهُمْ^(٣) ، ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْغَالِبُونَ ﴾ [سورة المائدة ٥٦/٥] .

-
- (١) أجناده : جنوده . الميراس : القوّة . أَمْ : حرف عطف بمعنى بل .
(٢) إشارة لقول النّبي ﷺ الذي أخرجه البخاريّ ، برقم (٥٨١٦) عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال : « المرءُ مع مَنْ أَحَبَّ » .
(٣) إشارة لقول النّبي ﷺ الذي أخرجه أبو داود ، برقم (٣٥١٢) عن ابن
عمر رضي الله عنهما : « مَنْ تشبّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » .

القِسْمُ الْأَوَّلُ - ٢

فَسْمُ الْمُبَادَى وَالسُّوَابِ

خطبة

في التعريف بمولده الشريف، وفدرة العليّ الشريف

الحمد لله باري أمشاج النسم^(١) ، وفاتق رتاج الكيم^(٢) ،
ومولج الأنوار في الظلم ، ومُخرج الموجودات من العدم ، خلق من
صلصال^(٣) كالفخار آدم ، ونجى نوحاً في السفينة من الغرق الذي
عم ، وقال للنار : ﴿ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة الأنبياء ٦٩/٢١]
وهي تضطرب ، وسلم موسى من سطوة فرعون ونجّاه من اليم ،
وأطلق عيسى في المهد ببراءة مريم ، وختم الأنبياء بمحمد صلى الله
عليه وعليهم أجمعين وسلم ، وجعله سيّد ولد آدم ، وأُمّته خير
الأمم .

أحمده على ما رزق وأنعم ، وأفوض أمري إليه تعالى فيما قضى
وأبرم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة من آمن به
وأسلم . وأشهد أن محمداً عبده المصطفى المكرّم ، ورسوله

(١) المشيج : كل شيئين مختلطين . النسم : الخلق والناس .

(٢) الرتاج : الباب العظيم ، (ج) : رُتج . الكيم : برعوم الثمرة . وأيضاً :
وعاء الطلع ، (ج) : أكمام . والكيم : بضم الكاف : مدخل اليد
ومخرجها من الثوب ، (ج) : أكمام ، وكيمّة .

(٣) الصلصال : طين يابس له صلصلة ، أي : صوت .

[٦ق] الْمُجْتَبَى الْمُعَظَّم ؛ أَرْسَلَهُ / إِلَى كَافَّةِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَأَخْتَصَّهُ
بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ ، وَأَصْحَابِهِ
الْمُؤَفِّينَ بِالْعُهُودِ وَالذِّمَمِ .

أَمَّا بَعْدُ : فَحَقِيقُ يَوْمٍ كَانَ فِيهِ وَجُودُ الْمُصْطَفَى ﷺ أَنْ يُتَّخَذَ
عِيداً ، وَخَلِيقُ بَوَاقِ أَسْفَرْتِ فِيهِ غُرَّتُهُ أَنْ يُعْقَدَ طَالِعاً سَعِيداً ،
فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَأَحْذَرُوا عَوَاقِبَ الذُّنُوبِ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى بِتَعْظِيمِ شَأْنِ هَذَا النَّبِيِّ الْمَحْبُوبِ ، وَأَعْرِفُوا حُرْمَتَهُ عِنْدَ
عِلَامِ الْغُيُوبِ ، ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعْبَرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾
[سورة الحج ٢٢/ ٣٢] .

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَا أَكْرَمَ أَيَّامَ مَوْلَدِهِ الشَّرِيفَةِ عِنْدَ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهَا !
وَمَا أَعَظَّمَ بَرَكَتَهَا عِنْدَ مَنْ لَاحَظَ سِرَّهَا ! .

فَفِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ أُنْبِثَتْ عَنْ جَوْهَرَةِ الْكَوْنِ بِيضَةُ الشَّرَفِ .
وَفِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ مِنْهُ ظَهَرَتِ الدَّرَّةُ الْمَصُونَةُ مِنْ بَاطِنِ الصَّدَفِ .
وَفِي ثَانِي عَشْرِهِ أُبْرِزَ سَابِقُ السَّعْدِ مِنْ كُمُونِ^(١) الْعَدَمِ ،
وَبِ (مَكَّةَ) الْمَشْرِفَةِ أُنْجَزَ صَادِقُ الْوَعْدِ بِمُضْمُونِ الْكَرَمِ . حَمَلَتْ بِهِ
أُمُّهُ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَصَمِّ ، وَمَاتَ أَبُوهُ وَحَمَلُهُ مَا اسْتَتَمَّ ، ثُمَّ أَدَّتْ
مَا حَمَلَتْهُ مِنَ الْأَمَانَةِ آمِنَةً ، وَكَانَتْ مِمَّا تَشْكُوهُ الْحَوَامِلُ آمِنَةً .

فَحِينَئِذٍ أَسْفَرَ^(٢) صَبْحُ السَّعَادَةِ وَبَدَأَ ، وَبَشَّرَتْ طَلَائِعُهُ بِطُلُوعِ

(١) الْكُمُونُ : الْإِخْتِفَاءُ وَالْكَتْمَانُ . يُقَالُ : كَمَنَ فِي الْمَكَانِ ، أَيِ : تَوَارَى
وَأَخْتَفَى . وَكَمَنَتِ النَّاقَةُ لِقَاحَهَا ، أَيِ : كَتَمَتْهُ .

(٢) أَسْفَرَ : أَنْجَلَى وَأَنْكَشَفَ .

شمس الهدى ، وطُوقَ جِندُ الوجود بعقود الإفضال ، ودارت أَفلاكُ
السُّعود بقطب دائرة الكمال ، فوضَعَتْهُ ﷺ واضِعاً يديه على
الأرض ، رافعاً رأسَهُ إلى السَّمَاء ، مقطوعَ الشَّرَّة ، مختوناً ، منزهاً
عن قَدَرِ النَّفَاس ، مُكْرَماً .

فأَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ (بُصْرَى) مِنْ أَرْضِ الشَّام . وخمدت نارُ
الْفُرسِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا ، ولم تَحْمَدْ مِنْذُ أَلْفِ عَامٍ . وَأَنْشَقَّ لِهَيْبَتِهِ حِينَ
وُلِدَ إِيوَانُ كَسْرَى . وتواصلت مِنَ الرُّهبان والكهَّانِ هَوَاتِفُ الْبُشْرَى ،
وأشرقت مطالعُ الأنوار بميمون وفادَتِهِ ، وتعَبَّتْ أَرْجَاءُ الْأَقْطَارِ
بطيب ولادته ، وخرَّتِ الْأَصْنَامُ عَلَى وجوها إِذْعاناً لِسَيَادَتِهِ .

فأَرْضَعَتْهُ ثَوْبِيَّةٌ - مولاة عمِّه - أَيَّاماً ، ثُمَّ تَوَلَّيَتْهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ
رضاعاً وفطاماً ، فشمَلَتْهَا / الْبَرَكَاتُ بِحَضَانَتِهِ ، ولم تَزَلْ تَعْرِفُ مِنْهُ [ق٧]
الْخَيْرَاتِ فِي مَدَّتِهِ ، فدرَّ ثَدْيُهَا عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَاطِلاً ، وَجَادَتْ
شَارِفُهَا^(١) بِاللَّبَنِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ لَا تَرْوِي نَاهِلاً^(٢) ، وَأَسْرَعَتْ أَتَانُهَا^(٣)
فِي السَّيْرِ وَقَدْ كَانَتْ ثَاقِلاً ، وَأَخْصَبَتْ بِلَادُهَا وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ مَاحِلاً .

ثُمَّ فَصَلَتْهُ بَعْدَ أَنْ تَمَّ لَهُ الْحَوْلَان ، وَكَانَ يَشِبُّ شَبَاباً^(٤) لَا يَشِبُّهُ
الْغِلْمَان ، وَظَهَرَتْ لَهَا فِي صِغَرِهِ مَخَائِلُ^(٥) نَبَوَّتِهِ ، وَأَخَذَهُ الْمَلَكُان
مِنْ بَيْنِ الصَّبِيَّان ، فَشَقَّ مِنْ تَحْتِ صَدْرِهِ إِلَى سُرَّتِهِ ، فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ
عَلَقَةً سَوْدَاء ، وَقَالَا : هَذَا حِطُّ الشَّيْطَان ، وَغَسَلَاهُ بِمَاءِ الْكُوْثَر ، ثُمَّ
خَتَمَاهُ بِالْحِكْمَةِ وَالْإِيمَان .

(١) الشَّارِفُ : النَّاظَةُ الْمُسْتَنَّةُ .

(٢) شَارِباً وَاحِداً . نَهْلُ الشَّارِبِ : شَرِبَ حَتَّى رَوَى ، فَهُوَ نَاهِلٌ .

(٣) الْأَتَانُ : الْحِمَارَةُ .

(٤) يَنْمُو نَمَوًّأ سَرِيعاً . شَبَّ يَشِبُّ شَبَاباً وَشَبِيحَةً : الْفَتَاءُ وَالْحَدَاثَةُ .

(٥) الْمَخَائِلُ : الدَّلَائِلُ . يُقَالُ : أَخَالَ فَلَانٌ لِلْخَيْرِ ، أَيِ : ظَهَرَتْ دَلَائِلُهُ فِيهِ .

قُلْتِ : المشهورُ في الأحاديث الصَّحيحة أنَّهُمَا غَسَلَاهُ
بماء زمزم . فلذلك جَزَمَ البُلْقَيْنِي وغيرُهُ من المتأخِّرينَ أَنَّ ماءَ زمزمَ
أَفْضَلُ مِنَ الْكُوثر .

ثُمَّ ماتَ لسنٍّ تميِّزه أُمُّهُ ، وَكَفَلَهُ جَدُّهُ ، ثُمَّ عُمُّهُ ، وَلَمْ
يَزَلْ ﷺ يَنْشَأُ وَعَيْنُ الْعِنايةِ ترعاهُ وَتَحْفَظُهُ مِمَّا يَحْذَرُهُ وَيَخْشَاهُ ،
وَمِنْحَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْذُ نَشَأَ كُلَّ خُلُقٍ جَمِيلٍ ، وَأَحْلَهُ مِنَ الْقُلُوبِ
بِالمَحَلِّ الجَليلِ ، وَعُرِفَ مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِهِ بِالْعِفَّةِ وَالصَّيَانَةِ ، وَتَمَيَّزَ
عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِهِ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ .

وَلَمَّا أَخَذَتْ مَطَالِعُ بَعْثِهِ فِي أَفْقِ سُمُومِهَا ، وَأَنَّ لشمسِ نُبُوَّتِهِ أَنْ
تَطْلَعَ مِنْ عُلوِّهَا ؛ حُبِّتْ إِلَيْهِ الْخُلُوةَ لِلأنْسِ بربِّهِ . فَكَانَ يَخْلُو فِي
(حِراءَ) ، وَيَتَنَعَّمُ بِقَرْبِهِ ، وَكَانَتْ تَظْهَرُ لَهُ الْأَضْوَاءُ وَالْأَنْوَارُ ، وَتُسَلِّمُ
عَلَيْهِ بِالرَّسَالَةِ الْأَحْجارُ وَالْأَشْجارُ .

ثُمَّ كَانَ وَحْيُهُ مَنَاماً ، وَتَعْلِيمُهُ إِلهاماً ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا
جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، وَلَا يَنْوِي أَمراً إِلَّا ظَفِرَ بِالْفُوزِ وَالنُّجُجِ .

فَلَمَّا بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ ؛ جاءَهُ جَبْرِيلُ الْأَمِينُ مِنْ رَبِّهِ ذِي الْجَلالَةِ ،
بِمنشور^(١) النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ ، فَأَقْرَأَهُ : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

[سورة العلق ٩٦/٥١] .

فمَكَثَ ﷺ بِ (مَكَّةَ) ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، يَدْعُوهُمْ إِلَى سَبيلِ رَبِّهِ
بِالحِكمةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، فَآمَنَ بِهِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ السَّعَادَةُ فِي دارِ
البَقَاءِ ، وَكَذَّبَ بِهِ مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ فِي الْأَرْزَلِ الشَّقَاءُ .

(١) المنشور : بيان بأمرٍ من الأمور يُذاع بين النَّاسِ ليعلموه . (أنصاري) .

ولعشر سنينَ مِنْ مَبْعَثِهِ الْكَرِيمِ ؛ خَصَّهُ اللهُ بِالْإِسْرَاءِ الْعَظِيمِ ،
 فَسَارَ وَجَبْرِيلُ مُصَاحِبٌ لَهُ إِلَى أَعْلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى ، وَجَاوَزَ سِدْرَةَ
 الْمُنتَهَى ، وَشَرَّفَ بِالْمُنَاجَاةِ فِي الْمَقَامِ / الْأَسْنَى ، وَنَالَ مِنَ الْقُرْبِ [ق٨]
 مَا تُرْجِمُ عَنْهُ : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [سورة النجم ٥٣/٩] .

ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى دَارِ هَجْرَتِهِ ، وَمَأْوَى أَنْصَارِهِ وَأُسْرَتِهِ ، فَسَلَّ
 سَيْفَ الْحَقِّ مِنْ غِمْدِهِ ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَايَةَ جَهْدِهِ ، حَتَّى
 فَتَحَ اللَّهُ لَهُ أَقْفَالَ الْبِلَادِ ، وَمَكَّنَهُ مِنْ نَوَاصِي الْعِبَادِ^(١) ، وَأَظْهَرَ دِينَهُ
 عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ .

ثُمَّ تَوَفَّاهُ عِنْدَ حُضُورِ أَجَلِهِ ، إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي جَنَّاتِ
 النَّعِيمِ ، مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْفُوزِ الْعَظِيمِ .

فُسَبِّحَانَ مَنْ حَبَّاهُ بِأَنْوَاعِ الْإِكْرَامِ ، وَأَرْسَلَهُ رَحْمَةً لْجَمِيعِ
 الْأَنَامِ ، وَجَعَلَهُ سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وَمُعَوَّلَهُمْ ، وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَأَوَّلَهُمْ ،
 وَنَسَخَ بِشَرِّهِ الشَّرَائِعَ ، وَمَلَأَ بِذِكْرِهِ الْمَسَامِعَ ، وَشَرَّفَ بِرِسَالَتِهِ
 الْمَنَائِرَ^(٢) ، وَقَرَّنَ ذِكْرَهُ بِذِكْرِهِ فِي لِسَانِ كُلِّ ذَاكِرٍ ، وَذَلَّلَ
 كُلَّ صَعْبٍ لُطْلَابِهِ ، وَأَمَدَّهُ بِمَلَائِكَتِهِ الْكِرَامِ تُجَاهِدُ فِي رِكَابِهِ .

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي أَكْرَمَنَا بِظَهْوَرِهِ ، وَأَخْرَجَنَا مِنْ ظُلُمَاتِ
 الْكُفْرِ بِنُورِهِ : أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ شَمِلَتْهُ بِرَحْمَتِهِ الْعَنَايَةُ ،
 وَلَا حِظَّتُهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ عَيْنِ الرَّعَايَةِ . وَأَنْ يُشَرِّفَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
 بِطَاعَتِهِ ، وَأَتْبَاعِ سُنَّتِهِ ، وَأَغْتَنَامَ زِيَارَتِهِ ، وَيَحْشُرَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي
 شِفَاعَتِهِ وَزُمرَتِهِ .

(١) النَّوَاصِي : النَّاصِيَةُ ؛ مُقَدِّمُ الرَّأْسِ .

(٢) الْمَنَائِرُ : الْمَآذِنُ . وَتَجْمَعُ الْمَنَارَةُ عَلَى الْقِيَاسِ : مَنَارَاتُ ، وَعَلَى غَيْرِ
 قِيَاسٍ : مَنَائِرُ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ ، وَنَتَشَفَّعُ إِلَيْكَ بِحَقِّهِ عَلَيْكَ ، فَهُوَ أَوْجَهُ
الْشُّفْعَاءِ لَدَيْكَ ، وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَيْكَ : أَنْ لَا تَدَعَ لَنَا ذَنْباً إِلَّا غَفَرْتَهُ ،
وَلَا هَمّاً إِلَّا فَرَّجْتَهُ ، وَلَا ضَرّاً إِلَّا كَشَفْتَهُ ، وَلَا عَدُوّاً إِلَّا كَفَيْتَهُ ،
وَلَا شَرّاً إِلَّا صَرَفْتَهُ ، وَلَا خَيْراً إِلَّا يَسَّرْتَهُ ، وَلَا وَالِيّاً إِلَّا أَصْلَحْتَهُ ،
وَلَا مُجَاهِداً فِي سَبِيلِكَ إِلَّا نَصَرْتَهُ ، وَلَا طَالِباً لِلْخَيْرِ إِلَّا أَعَنْتَهُ ،
وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضًى إِلَّا قَضَيْتَهَا . يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

البَابُ الْأَوَّلُ

في سرد مضمون هذا الكتاب

ـ ليتذكر به أولوا الألباب ـ

مِنْ ذِكْرِ مَوْلَاهِ ﷺ إِلَى وَفَاتِهِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُعْجَزَاتِهِ وَعَزَوَاتِهِ ،
بَحِثْ لَوْ أَقْصَرَ عَلَيْهِ مُقْصِرٌ لَأَغْنَاهُ عَمَّا فَضَّلْنَاهُ فِي سَائِرِ الْكُتُبِ وَفَطَّنَاهُ .

قَالَ عُلَمَاءُ الشَّيْخِ : وُلِدَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فِي ربيع الأول ، / يوم [ق ٩]
الاثنين - بلا خلاف - ، لِسِتِّي عَشْرَةَ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْهُ عَلَى الْأَشْهُرِ ^(١) ،
وَأَرْضَعَتْهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ ، وَفَضَّلَتْهُ لِحَوْلِينَ كَامِلِينَ ، وَقَدِمَتْ بِهِ
(مَكَّةَ) ، ثُمَّ رَجَعَتْ بِهِ إِلَى بَلَدِ (بَنِي سَعْدٍ) لِحَرْصِهَا عَلَيْهِ ، وَشُقَّ
صَدْرُهُ ﷺ فِي الْعَامِ الْخَامِسِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ .

ثُمَّ قَدِمَتْ بِهِ بَعْدَهُ لَمَّا تَخَوَّفَتْ عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهِ عِنْدَهُمْ
نَحْوَ خَمْسَةِ أَعْوَامٍ .

وَفِي السَّنَةِ السَّادَةِ مِنْ مَوْلَاهِ ﷺ : خَرَجَتْ بِهِ أُمُّهُ مَعَهَا إِلَى
(الْمَدِينَةِ) ، فَأَقَامَتْ بِهِ شَهْرًا ، ثُمَّ رَجَعَتْ بِهِ فَمَاتَتْ بِـ (الْأَبْوَاءِ) ^(٢)

(١) ذكر محمود باشا الفلكي في «التقويم العربي قبل الإسلام» ،
ص ٣٦ - ٣٩ : أَنَّ ولادة الرسول ﷺ كانت في صبيحة يوم اثنين التاسع من
شهر ربيع الأول ، الموافق لعشرين من (نيسان) عام الفيل سنة إحدى
وسبعين وخمس مئة ميلادية . (أنصاري) .

(٢) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة ، بينها وبين الجحفة مما يلي
المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . (معجم معالم الحجاز ج ١ / ٣٦) .

- بموحدة - بين (مكة والمدينة) .

وفي السنة السابعة : وَفَدَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ عَلَى سَيْفِ بْنِ ذِي
يَزَنَ الْحِمَيْرِيِّ ، فَأَخْبَرَهُ سَيْفٌ وَالْكُهَّانُ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

وفي السنة الثامنة : تَوَفَّى جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ ، وَكَفَلَهُ عُمُّهُ أَبُو طَالِبٍ .

وفي الثالثة عشرة : خَرَجَ بِهِ عُمُّهُ أَبُو طَالِبٍ إِلَى (الشَّام) ، فَلَمَّا
بَلَّغُوا (بُصْرَى) ، رَأَاهُ بَحِيرَا الرَّاهِبِ - بَفَتْحِ الْمُوَحَّدةِ وَكَسْرِ الْمُهْمَلَةِ
مَمْدُوداً - فَتَحَقَّقَ فِيهِ صِفَاتُ النَّبُوَّةِ ، فَأَمَرَ عُمُّهُ بِرَدِّهِ ، فَرَجَعَ بِهِ .

وفي الرابعة عشرة : كَانَتْ حَرْبُ الْفِجَارِ - بِكَسْرِ الْفَاءِ - بَيْنَ
قُرَيْشٍ وَهَوَازِنَ ، وَكَانَتْ الدَّائِرَةُ لَهُوَازِنَ عَلَى قُرَيْشٍ ، فَشَهِدَهَا
النَّبِيُّ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ يَوْمًا ، فَأَنْقَلَبَتِ الدَّائِرَةُ لِقُرَيْشٍ عَلَى هَوَازِنَ .

ثُمَّ عَقَدَتْ قُرَيْشٌ حِلْفَ الْفُضُولِ لِنُصْرَةِ الْمَظْلُومِ ، فَشَهِدَهُ مَعَ قَوْمِهِ .

وفي الخامسة والعشرين : خَرَجَ ﷺ مَعَ مَيْسَرَةَ - غُلَامٍ خَدِيجَةٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فِي تِجَارَةٍ لَهَا ، فَرَأَاهُ نَسْطُورٌ - بَفَتْحِ النُّونِ -
الرَّاهِبَ ، فَقَالَ : (أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا نَبِيٌّ ، وَأَنَّهُ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ) . فَلَمَّا
رَجَعَا أَخْبَرَهَا مَيْسَرَةُ بِذَلِكَ ، وَبِمَا شَاهَدَتْ مِنْهُ ﷺ ، فَخَطَبَتْهُ إِلَى
نَفْسِهَا ، فَنَكَحَهَا .

وفي الخامسة والثلاثين : بَنَتْ قُرَيْشٌ الْكَعْبَةَ ، وَوَضَعَ ﷺ
الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي مَكَانِهِ .

وفي الثامنة والثلاثين : حَبَبَ اللَّهُ إِلَيْهِ الْخُلُوةَ ، فَكَانَ يَخْلُو بَغَارَ
(حِرَاءِ) ، ثُمَّ كَانَ يَرَى الْأَنْوَارَ ، وَيَسْمَعُ الْهَوَاتِفَ ، ثُمَّ كَانَ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ
[١٠ق] الْأَحْجَارُ / وَالْأَشْجَارُ .

وقبل مبعثه ﷺ بستة أشهر كان وحيه مناماً ، وكان لا يرى رؤيا

إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ - أَي : الصُّبْحِ الْمَفْلُوقِ^(١) - .

ولَمَّا بَلَغَ ﷺ أَرْبَعِينَ سَنَةً : جَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوَحْيِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسُورَةِ : إِقْرَأْ ، ثُمَّ [الْقَلَمُ ، ثُمَّ] الْمُدَّثِّرُ ، ثُمَّ الْمَزْمَلُ ، فَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سِرًّا حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [سورة الحجر ٩٤/١٥] - أَي : شُقَّ جُمُوعُهُمْ بِالتَّوْحِيدِ - فَأَظْهَرَ الدَّعْوَةَ .

وفي السَّنةِ الْخَامِسَةِ مِنْ مَبْعَثِهِ ﷺ : هَاجَرَ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ ، مِنْهُمْ : عُثْمَانُ وَالزُّبَيْرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَجَعْفَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ مَعَهُمْ إِلَى (الْحَبْشَةِ) ، فَأَقَامُوا بِهَا عَشْرَ سِنِينَ .

وفي السَّنةِ السَّادِسَةِ مِنْ مَبْعَثِهِ ﷺ : أَسْلَمَ حَمْزَةُ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَعَزَّ بِإِسْلَامِهِمَا الْإِسْلَامُ .

وفي السَّنةِ السَّابِعَةِ لِمُسْتَهْلِّ الْمَحْرَمِ مِنْهَا : تَعَاهَدَتْ قُرَيْشٌ عَلَى قَطِيعَةِ بَنِي هَاشِمٍ ، إِلَّا أَنْ يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ ﷺ وَيَبْرُؤُوا مِنْهُ ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ بَيْنَهُمْ صَحِيفَةً ، وَعَلَّقُوهَا فِي الْكَعْبَةِ .

فَاعْتَزَلَ بَنُو هَاشِمٍ بِنَ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَتَبِعَهُمْ إِخْوَانُهُمْ بَنُو الْمُطَّلِبِ بِنَ عَبْدِ مَنَافٍ مَعَ أَبِي طَالِبٍ إِلَى شُعْبِ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَقَامُوا بِهِ نَحْوَ ثَلَاثِ سِنِينَ ، إِلَى أَنْ سَعَى الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ بِنَ تَوْفَلٍ بِنَ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَزَمَعَهُ بِنُ الْأَسْوَدِ بِنِ [الْمُطَّلِبِ بِنِ] أَسَدٍ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ ، فَخَرَجَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ مِنَ الشُّعْبِ فِي أَوَاخِرِ السَّنةِ التَّاسِعَةِ .

وفي السَّنةِ الْعَاشِرَةِ : مَاتَ أَبُو طَالِبٍ ، ثُمَّ مَاتَتْ بَعْدَهُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَحَزَنَ ﷺ لِمَوْتِهِمَا حُزْنًا شَدِيدًا ، وَنَالَتْ

(١) رَوَّيَا وَاضِحَةً . فَلَقَ اللَّهُ الصُّبْحَ : أَبْدَاهُ وَأَوْضَحَهُ .

قُرِشَ مِنْهُ ﷺ مَا لَمْ تَكُن تَنَالُهُ فِي حَيَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ .

فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى (الطَّائِفِ) ، وَأَقَامَ بِهَا شَهْرًا يُدْعَوُ ثَقِيفًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، وَأَغْرَوْا^(١) بِهِ عِنْدَ أَنْصَرَفِهِ سَفَهَاءَهُمْ ، فَرَجَعَ إِلَى (مَكَّةَ) فَلَمْ يَدْخُلْهَا إِلَّا بِجَوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيِّ .

[١١ق]

وَفِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ / : أَجْتَهَدَ ﷺ فِي عَرْضِ نَفْسِهِ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي الْمَوْسِمِ ، فَأَمَنَ بِهِ سِتَّةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْأَنْصَارِ ، وَرَجَعُوا إِلَى (الْمَدِينَةِ) ، فَفُشِيَ فِيهَا الْإِسْلَامُ .

وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ - فِي رَجَبٍ مِنْهَا أَوْ رَمَضَانَ - : أَسْرَى بِهِ مَوْلَاهُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، ثُمَّ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَنَهَى . وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّتِهِ الْخَمْسَ صَلَوَاتٍ .

وَفِي آخِرِ تِلْكَ السَّنَةِ فِي الْمَوْسِمِ : وَافَاهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ بـ (العَقَبَةِ) لَيْلًا ، فَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ النِّسَاءِ الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ ﴾ الْآيَةَ [سورة الممتحنة ٦٠/١٢] ، وَبَعَثَ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ يُقْرِئُهُمُ الْقُرْآنَ ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ السَّعْدَانِ : سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الْأَوْسِ ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ سَيِّدُ الْخَزَرَجِ ، فَأَسْلَمَ لِإِسْلَامِهِمَا كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِمَا .

وَفِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ - فِي آخِرِهَا فِي الْمَوْسِمِ - : وَافَاهُ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنْ مُسْلِمِي الْأَنْصَارِ فَبَايَعُوهُ عِنْدَ (العَقَبَةِ) أَيْضًا ، عَلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ إِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ، وَأَخْرَجُوا لَهُ اثْنِي عَشَرَ نَقِيًّا ؛ تِسْعَةً مِنَ الْخَزَرَجِ وَثَلَاثَةً مِنَ الْأَوْسِ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى (الْمَدِينَةِ) .

فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُذِ أَصْحَابُهُ بِالْهَجْرَةِ إِلَى (الْمَدِينَةِ) ، فَهَاجَرُوا

(١) أَغْرَى بِهِ : أَوَّلَعَ ، وَحَرَّضَ عَلَيْهِ ، وَالْمَقْصُودُ : حَرَّضُوا عَلَيْهِ سَفَهَاءَهُمْ .

إليها ، وأقام ﷺ يَنْتَظِرُ الإِذْنَ مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى فِي الْهَجْرَةِ ، وَحَسَبَ مَعَهُ
عَلِيًّا وَأَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

فَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ فِي دَارِ النَّدْوَةِ لِلْمَشَاوَرَةِ فِي أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ ،
فَاجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَنَزَلَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْوَحْيِ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَهُ بِالْهَجْرَةِ إِلَى (الْمَدِينَةِ) ،
فَهَاجَرَ إِلَيْهَا . وَذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ - الرَّابِعَةِ
عَشْرَةَ - لَتَمَامِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ مِنْ مَبْعَثِهِ ﷺ .

وَدَخَلَ ﷺ مِنْ عَوَالِي (الْمَدِينَةِ) ، يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ، الثَّانِي عَشَرَ مِنْ
رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، فَلَبِثَ فِي (قُبَاء) عِنْدَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ أَرْبَعَ عَشْرَةَ
/ لَيْلَةً ، وَبَنَى فِيهَا مَسْجِدَ (قُبَاء) ، ثُمَّ أُنْتَقَلَ فَنَزَلَ فِي بَنِي النَّجَّارِ ، [ق ١٢]
أَخْوَالَ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛ فِي مَنْزِلِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ شَهْرًا ،
إِلَى أَنْ بَنَى مَسْجِدَهُ الشَّرِيفَ وَمَسَاكِنَهُ .

وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ ، وَهِيَ الْأُولَى مِنْ سِنِي الْهَجْرَةِ : شُرِعَ الْأَذَانُ .
وَفِي أَوَّلِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ أَوْ آخِرِ الْأُولَى : نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَكُمْ عَلَى تَحَرُّفٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الآيَاتِ [سُورَةُ الصَّف ٦١/١٠-١١] ؛ فَأَمَرَ بِالْجِهَادِ .

وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فِي رَجَبٍ : نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ
وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ ١٤٤/٢] ؛ فَحُوِّلَتِ الْقِبْلَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ ، بَعْدَ أَنْ صَلَّى
إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ نَحْوَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا .

وَفِي شَعْبَانَ مِنْهَا - [أَي: السَّنَةِ الثَّانِيَةِ] - : نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [الآيَاتِ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ ١٨٣/٢] ؛
فَفُرِضَ صَوْمُ رَمَضَانَ ، وَفُرِضَ فِيهِ ﷺ صَدَقَةُ الْفِطْرِ .

وفيها أيضاً - [أي : السَّنة الثانية] - في يوم الجمعة السَّابعَ عشرَ مِنْ رمضانَ : كانتْ وقعةُ (بَدْرٍ) الكُبرى ، وهيَ يومَ الفرقان ، يومَ ألتقىَ الجَمعان ، ونزلتْ سورة الأنفال في قِسمة غنائمها .

وفيها - [أي : السَّنة الثانية] - بعدَ (بَدْرٍ) : أمرَ النَّبيُّ ﷺ بقتل كعبِ ابنِ الأشرف الطَّائي وأُمُّهُ مِنْ بني النَّضير ، وهوَ في حِصْنٍ مِنْ (يَثْرَب) ، فقتلَهُ خمسةٌ مِنَ الأوس ، عليهمَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ - بفتح الميم واللام - .

ثمَّ أمرَ ﷺ بقتل أبي رافع بن أبي الحُقيق ، وهوَ في حِصْنٍ بـ (خيبر) ، فقتلَهُ سبعةٌ مِنَ الخَزَرَج ، عليهمَ عبدُ الله بن عَتِيكٍ - بتقديم الفوقية على التَّحتية ، كعظيم - .

وفيها - [أي : السَّنة الثانية] - : نقضت يهودُ (المدينة) - بنو قَيْنُقَاعَ رَهْطُ عبد الله بنِ سَلامِ الحَبَرِ الإسرائيليِّ - العهدَ ، فحاصَرَهُمُ النَّبيُّ ﷺ حتَّى نزلوا على حُكْمِهِ ، فأستوهِبَهُمُ مِنْهُ عبدُ الله بنُ أَبِي ابنِ سَلُول^(١) ، وكانوا حلفاءَهُ ، فوهبَهُمُ لَهُ .

وفي السَّنة الثالثة ، في شَوَّالٍ ، في اليومِ الخامسَ عَشَرَ مِنْهُ : كانتْ وقعةُ (أُحُدٍ) ، فأكرمَ اللهُ تعالى فيها مَنْ أكرمَ بالشَّهادة ؛ ومنهُم : حمزةٌ رضي اللهُ عَنْهُ ، ونزلَ قولُهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ / تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ إلى آخر السُّورة [سورة آل عمران ٣ / ١٢١] .

وفيها - [أي : السَّنة الثالثة] - بعدَ (أُحُدٍ) : بعثَ النَّبيُّ ﷺ عاصمَ بنَ ثابتٍ في عشرةٍ عينا^(٢) ، فلمَّا كانوا في بعض الطريق

(١) عبد الله بن أبي ابن سلول ؛ كتابُهُ (ابن سلول) بالألف ، ويعرب بإعراب عبد الله ؛ فَإِنَّهُ وصِفٌ ثَانٍ لَهُ ، لِأَنَّهُ عبد الله بن أبي . وهو عبد الله بن سلول أيضاً ، فَأَبِيُّ أبوه ، وسلولُ أُمُّهُ ، فُنُسِبَ إلى أبويه . (أنصاري) .

(٢) في ابن هشام : ستَّة نفر . والأصحُّ ما أثبتَهُ المُؤَلِّف - رحمه اللهُ - وهم ستَّة من المهاجرين وأربعة من الأنصار ، (أخرجه البخاري ، برقم (٢٨٨٠) ، =

ب (الرَّجِيع) وهو ماءٌ لهذيل بين (عُسفان ومَرَّ الظَّهران)^(١) ظَفَرَ بهم بنو لِحْيَان بعدَ أَنْ أَعْطَوْهُمُ الْعَهْدَ بِالْأَمَانِ ، ففَقَتَلُوا مِنْهُمْ سِتَّةً ، وَهَرَبَ اثْنَانِ ، وَأَسْرَوْا اثْنَيْنِ ، وَهُمَا : حُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَزَيْدُ بْنُ الدَّثِنَّةِ ، فَبَاعَوْهُمَا بِ (مَكَّةَ) لِقُرَيْشٍ ، فَأَشْتَرَوْهُمَا وَقَتَلُوهُمَا .

وفيهما أيضاً - [أي : السَّنةِ الثَّالِثَةِ] - بعد (أُحُدٍ)^(٢) : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مع عامر بن مالك العامريِّ مُلَاعِبَ الْأَسِنَّةِ^(٣) سَبْعِينَ رَجُلًا ، وَهُمْ الْقُرَاءُ بِجَوَارِهِ ، ففَقَتَلَهُمْ قِبَائِلُ سُلَيْمٍ عَصِيَّةٌ وَرِعْلٌ وَذَكْوَانٌ ، وَأَخْفَرُوا^(٤) جِوَارَ عامر بن مالكٍ ، فَقَتَلَتِ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو

= عن أبي هريرة رضي الله عنه) ، وقد أورد المؤلفُ بعثَ الرَّجِيعِ ضمنَ أحداثِ السَّنةِ الثَّالِثَةِ للهجرة . والذي ترجَّحَ أنَّها من أحداثِ السَّنةِ الرَّابِعَةِ . واللهُ أعلمُ .

(١) مَرَّ الظَّهران : وهو في معاجم الجغرافية العربيَّة : (وادي فاطمة) ؛ يقع في الشَّمالِ الشرقيِّ لمَكَّةَ ، بعيداً عنها بـ ٢٨ كيلو متر منها ، وهو أكبرُ الوديان سعةً ، وأكثرها خصباً وماءً ، وأوفرها قرىً وسكناً ومساجن ، يصب فيه تسعون وادياً من أوديةِ مَكَّةَ الكبار والصَّغار ، فهو مجمعُ الأوديةِ ، وطوله نحو ثمانين كيلو متراً .

ويبتدئ وادي فاطمة من المناعمة شرقاً بجنوب ، وينتهي بجَدَّةِ غرب مَكَّةَ ، وتهبط مياهه من جبل (برد) وهو أعلى فرع له من جهة الجنوب ، ويهبط بعض مياهه كذلك من وادي نخلة (اليمانية) من البوابة (البهيتة) .

وكذلك يصب فيه وادي نخلة (الشامية) من الناحية الغربيَّة ، ويصب فيه وادي (حورة) أيضاً ، وكذلك وادي (علاف) من ناحية الشَّمال ، ووادي (العشر) ووادي (سرف) الذي به قبر السيِّدة ميمونة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها ، كلاهما يفيضان على وادي فاطمة .

ولعل لإقامة الأشراف الهاشميين من بني فاطمة رضي الله عنها أثراً في تغليب اسم (وادي فاطمة) على اسم (مَرَّ الظَّهران) .

(٢) أيضاً أورد المؤلفُ وقعة بئر معونة ضمنَ أحداثِ السَّنةِ الثَّالِثَةِ للهجرة . والذي ترجَّحَ أنَّها من أحداثِ السَّنةِ الرَّابِعَةِ . واللهُ أعلمُ .

(٣) وسَمَّى عامر بن مالكٍ مُلَاعِبَ الْأَسِنَّةِ يومَ الثَّوْبَانِ ، وَالْأَسِنَّةُ : جمعُ سِنَانٍ ، وهو : الرَّمحُ ، فكان عامرٌ مُلَاعِبَ الرَّماحِ .

(٤) أَخْفَرُوا : نقضوا العهدَ وغدروا .

عليهم وعلى بني لحيان .

وكانوا أطلقوا عمرو بن أمية الضمري ، فلما رجع وجد اثنين من بني عامر قتلتهما ومعهما جوار من النبي ﷺ لم يعلم به ، فوداهما^(١) النبي ﷺ .

وفيها أو في الرابعة^(٢) : قصد النبي ﷺ بني النضير ليستعينهم في دية الرجلين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري ، فاستند إلى جدار حصن لهم ، فهموا بطرح حجر عليه ، فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك ، فقام مؤهما لهم أنه غير ذاهب ، ثم صبحهم ﷺ بالجيش فجلاهم^(٣) إلى (الشام) .

وفيهم نزلت سورة الحشر : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ [سورة الحشر ٢/٥٩] إلى آخرها ، فجلوا إلى (الشام) ، إلا حبي بن أخطب فليق بـ (خير) .

وفي السنة الرابعة : خرج النبي ﷺ بأصحابه في شهر رمضان^(٤) في مؤعد [مع] أبي سفيان له يوم (أحد) إلى (بدر) ، فلم يأته أبو سفيان وقومه ، فرجع النبي ﷺ .

وفيها - [أي : السنة الرابعة] - : كانت غزوة ذات الرقاع ، فخرج ﷺ إلى (نجد) يريد غطفان ، فالتقى بهم ولم يكن قتال ، فنزلت : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾ [سورة النساء ١٠٢/٤] .

(١) وداهما : دفع ديتهما .

(٢) والصواب : الرابعة ، لأن غزوة بني النضير كانت بعد أحد بستة أشهر . والله أعلم .

(٣) جلاهم : أخرجهم من ديارهم .

(٤) أجمع أهل السير على أن خروج النبي ﷺ كان في شعبان . ويسمى بـ (غزوة بدر الآخرة) . والله أعلم .

فصلوا صلاة الخوف .

ولما قفل ﷺ منها - أي : رجع - نام تحت / شجرة وقت القيلولة ، [ق١٤] وتفرق عنه الناس ، وعلق سيفه بالشجرة ، فهم غورث بن الحارث بقتله به ، فعصمه الله منه ، ونزل : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ [سورة المائدة ١١/٥] ، في ذلك أو في قصة بني النضير ^(١) .

وفي السنة الرابعة ^(٢) : بلغه أن بني المُصْطَلِق من خُزاعة أجمعوا لحربه ، فخرج ﷺ إليهم حتى لقيهم بـ : (المريسيع) ^(٣) - مصغراً بمهملات - وهو ماء لهم من ناحية (قُديد) ^(٤) - مصغراً بقاف ومهملة مكررة - وهو مكان بين (مكة والمدينة) ، فهزمهم ، وسبى أموالهم وذرائعهم ، وأصطفى منهم أم المؤمنين جويرية بنت الحارث المُصْطَلِقِيَّة رضي الله عنها .

ولما قفل ﷺ منها أزدحم المهاجرون والأنصار على ماء .

وكان من أمر عبد الله بن أبي بن سلول ما كان من قوله : ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ [سورة المنافقون ٨/٦٣] ،

(١) قال القشيري : وقد تنزل الآية في قصة ، ثم ينزل ذكرها مرة أخرى لادِّكار ما سبق .

(٢) قلت : ترجَّح أنها في السنة الخامسة . والله أعلم .

(٣) المريسيع : قرية من قرى وادي القرى وهو من ناحية قُديد إلى الشام ، (الزهر المعطار ، ص ٥٣٢) .

(٤) قُديد : في الجنوب الشرقي عن رابغ ، تبعد عنها بمرحلة وربع (سبعة وعشرون ميلاً) . ويسكنها بنو زبيد ، وبها عيون ونخيل وبساتين ، ويقربها إلى جهة البحر كان صنم (مناة) منصوباً .

فَنَجَمَ نِفَاقُهُ - أَي : ظَهَرَ - وَنَزَلَتْ فِيهِ سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ .

وَلَمَّا دَنَا ﷺ مِنْ (الْمَدِينَةِ) تَخَلَّفَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ الْجَيْشِ لَيْلًا فِي قِضَاءِ حَاجَةٍ لَهَا ، فَرَحَلُوا هَوْدَجَهَا وَلَمْ يَشْعُرُوا بِهَا ، فَقَالَ فِيهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا ، وَنَزَلَتْ الْعَشْرُ الْآيَاتُ مِنْ سُورَةِ النُّورِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ [سورة النور ١١/٢٤] .

وفيهما - [أَي : السَّنة الخامسة] - : كَانَتْ وَقَعَةُ الْخَنْدُقِ - وَهِيَ الْأَحْزَابُ أَيْضًا - فِي شَوَّالٍ سَنَةِ [خمس] ^(١) بَعْدَ غَزْوَةِ (بَدْرٍ) الصُّغْرَى ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ فِيهَا أَحَدَ عَشَرَ أَلْفًا ، وَأَشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَى أَهْلِ (الْمَدِينَةِ) ، ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ [سورة الأحزاب ١٠/٣٣] كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَكَانَتْ مَدَّةُ الْحِصَارِ نَحْوَ شَهْرٍ ، ثُمَّ كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِمَا ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ [سورة الأحزاب ٩/٣٣] ، وَنَزَلَتْ سُورَةُ الْأَحْزَابِ .

وَوَقَعَ فِي أَيَّامِ (الْخَنْدُقِ) مَا وَقَعَ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ ﷺ الْبَاهِرَةِ ، كَحَدِيثِ الْكُدْيَةِ ^(٢) - بِضَمِّ الْكَافِ - الَّتِي أَعْتَرَضَتْ ، فَهَذَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْمِعْوَلِ . [١٥ق] وَحَدِيثِ جَابِرٍ حَيْثُ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ / إِلَى عَنَاقٍ ^(٣) وَصَاعٍ مِنْ شَعِيرٍ ، فَأَشْبَعَ مِنْ ذَلِكَ جَيْشَ الْخَنْدُقِ كُلَّهُ ؛ وَهُمْ أَلْفٌ فَأَكْثَرُ . وَحَدِيثِ أَبِي طَلْحَةَ حَيْثُ بَعَثَ أَنْسًا بِأَقْرَاصٍ تَحْتَ إِبْطِهِ فَأَشْبَعَ مِنْهَا ﷺ ثَمَانِينَ رَجُلًا جِيَاعًا .

(١) فِي الْمَخْطُوطِ : أَرْبَع .

(٢) الْكُدْيَةُ : قِطْعَةٌ صَلْبَةٌ غَلِيظَةٌ ، لَا تَعْمَلُ فِيهَا الْفَأْسُ . (الْنَّهَایَةُ ،

ج ١٥٦/٤) .

(٣) الْعَنَاقُ : الْأُنْتَى مِنْ أَوْلَادِ الْمَاعِزِ مَا لَمْ يَتِمَّ لَهَا سَنَةٌ . (الْنَّهَایَةُ ، ج ٣/٣١١) .

وكانت بنو قريظة مُعَاهِدِينَ لَهُ ﷺ فنقضتِ العهدَ في مدّة الحصار، وأعانوا المُشركين .

فلَمَّا هَزَمَ اللهُ الْأَحْزَابَ وَأَنْقَضَى الْحِصَارَ ، جَاءَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَتَ الْقِيلُولَةِ^(١) ، فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ ، فَخَرَجَ ﷺ فَحَاصَرَهُمْ .

فَأَرْسَلُوا إِلَى أَبِي لُبَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَسْتَشِيرُونَهُ ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَا كَانَ ، فَلَمَّا أَشْتَدَّ بِهِمُ الْحِصَارُ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ ، وَكَانَ قَدْ أُصِيبَ بِهِمْ يَوْمَ (الْخَنْدَقِ) ، فَحَكَمَ فِيهِمْ بِقَتْلِ رِجَالِهِمْ وَسَبْيِ نِسَائِهِمْ وَذُرَارِيِّهِمْ وَقِسْمَةِ أَمْوَالِهِمْ ، فَقَالَ ﷺ : « لَقَدْ وَافَقْتَ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى »^(٢) ثُمَّ مَاتَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَأَهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَرَحاً بِقُدُومِ رُوحِهِ .

وَفِي السَّنَةِ الْخَامَةِ : زَوَّجَهُ اللهُ تَعَالَى زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الْأَحْزَابِ ٣٣/٣٧] .

وَفِيهَا : - [أَي : السَّنَةِ السَّادِسَةِ] - خَرَجَ ﷺ مُعْتَمِراً فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، فَصَدَّتْهُ قُرَيْشٌ عَنِ الْبَيْتِ ، فَوَقَعَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ . ثُمَّ صَلَّحَ الْحُدَيْبِيَّةَ عَشْرَ سِنِينَ ، وَفِيهِ : أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ مُسْلِماً إِلَّا رَدَّهُ إِلَيْهِمْ .

(١) الْقِيلُولَةُ : الْإِسْتِرَاحَةُ نِصْفَ النَّهَارِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهَا نَوْمٌ . (النَّهَائِيَّةُ ، ج ٤/١٣٣) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٨٩٥) ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . بَنَحْوَهُ .

وَأَنَّ بَنِي بَكْرِ فِي صَلَاحِهِمْ ، وَخُزَاعَةَ فِي صَلَاحِهِ ﷺ .

وَأَلَّا يَدْخُلَ (مَكَّةَ) إِلَّا مِنْ عَامِ قَابِلٍ .

فَنَحَرَ هَذِيهُ وَحَلَقَ وَرَجَعَ ﷺ ، وَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [سورة الفتح ١٨/٤٨] .

وفيها - [أي : السَّنة السادسة] - : أَنْفَلَتَ أَبُو بَصِيرٍ - بِمَوْحَدَةٍ وَمُهِمَلَةٍ كَعَظِيمٍ - إِلَى (الْمَدِينَةِ) مُسْلِمًا ، فَرَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَتَلَ وَاحِدًا مِنَ الرَّجُلِينَ اللَّذِينَ رَجَعَا بِهِ ، وَأَنْفَلَتَ ، فَلَحِقَ بِسَيْفِ الْبَحْرِ^(١) ، فَأَنْفَلَتَ إِلَيْهِ أَبُو جَنْدَلٍ - بِجِيمٍ وَنُونٍ - بَنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَرَجُلًا مِنْ [ق١٦] الْمُسْلِمِينَ / الْمُسْتَضْعَفِينَ بِ (مَكَّةَ) ، فَاجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عَصَابَةٌ ، فَقَطَعُوا سَبِيلَ قُرَيْشٍ إِلَى (الشَّامِ) ، حَتَّى سَأَلَتْ قُرَيْشٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَضُمَّهُمْ إِلَيْهِ ، وَمَنْ جَاءَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، فَضَمَّهُمْ إِلَيْهِ .

وفيها - [أي : السَّنة السَّابِعَة] - أَسْلَمَ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ : عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ عَمْرُو بْنُ (الْحَبْشَةِ) عَلَى يَدِ النَّجَاشِيِّ^(٢) .

وفيها - [أي : السَّنة السَّابِعَة] - أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ رُسُلَهُ بِكُتُبِهِ إِلَى مُلُوكِ الْأَقَالِيمِ .

(١) سَيْفُ الْبَحْرِ : سَاحِلُهُ .

(٢) أَوْرَدَ ابْنُ هِشَامٍ هَذَا الْخَبَرَ إِثْرَ غَزْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ ، لِأَنَّ ذَهَابَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ إِلَى النَّجَاشِيِّ كَانَ بَعْدَ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ، وَقَدْ ذَكَرَ هُنَا قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ ؛ لِأَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ كَانَ فِي خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَقَدْ ذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ فِي « الدَّلَائِلِ » ، وَابْنُ سَعْدٍ فِي « الطَّبَقَاتِ » ، وَالْهَيْثَمِيُّ فِي « مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ » ، وَغَيْرُهُمْ أَنَّ إِسْلَامَ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ كَانَ فِي أَوَائِلِ سَنَةِ ثَمَانٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ومنهم : عبد الله بن حُذافة السَّهميُّ ، بعثه بكتابه إلى كِسْرَى فمَزَقَهُ ، فدعا عليهم أَنْ يُمَزَّقُوا كُلُّ مُمَزَّقٍ^(١) .

ومنهم : دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ رضي الله عنه ، بعثه بكتابه إلى قيصَرَ [مَلِكِ الرُّومِ] ، فوجدَ عنده أبا سفيان ، فأستدعاهُ قيصراً ، فسأله عن صفات النَّبِيِّ ﷺ وشرائع دينه ، فأخبره أبو سفيان بها ، فأعترفَ قيصراً بنبوته ﷺ ، ولمَّ يُوقَفْ للإسلام ، لعدم مساعدة جنوده له مَعَ شقاوته ، فوقع الإسلام مِنْ يَوْمِئِذٍ في قلب أبي سفيان .

وفي السَّنة السَّادسة^(٢) في المُحَرَّم منها : أَفْتَحَ النَّبِيُّ ﷺ (خَيْرَ) بعدَ أَنْ حاصرَهُمْ سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، ثُمَّ قَسَمَ أَمْوَالَهُمْ نِصْفَيْنِ ، نِصْفاً لِنَوَائِبِهِ^(٣) وَنِصْفاً بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ^(٤) .

وقَدِمَ عليه جعفرٌ فيمَنْ بَقِيَ مِنْ مُهاجِرَةِ (الحبشة) رضي الله عنهم ، فَأَسْهَمَ لَهُمْ .
وَأَهْدَتْ إِلَيْهِ الْيَهُودِيَّةُ^(٥) الشَّاةَ الْمَصْلِيَّةَ - أَي : الْمَشْوِيَّةَ - الْمَسْمُومَةَ ، فَأَخْبَرَهُ الذَّرَاعُ بِذَلِكَ .

وَأَصْطَفَى ﷺ مِنْ سَبَايَا (خَيْرَ) أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ بِنْتُ حُيَيٍّ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٦٤) ، عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) قُلْتُ : تَرَجَّحَ أَنَّهَا فِي السَّنة السَّابِعة . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٣) نَوَائِبُهُ : جَمْعُ نَائِبَةٍ ؛ وَهِيَ مَا يَنْوُبُ الْإِنْسَانَ ، أَي : مَا يَنْزِلُ بِهِ مِنَ الْمُهِمَّاتِ وَالْحَوَادِثِ .

(٤) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٣٦٦) ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرَ الْيَهُودَ ، أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا ، وَلَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا .

(٥) وَهِيَ : زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، أَمْرَأَةٌ سَلَامٌ بِنْتُ مِشْكَمَ ، وَأَبْنَةُ أَخِي مَرْحَبٍ . (أَنْصَارِي) .

الإِسْرَائِيلِيَّةُ الْهَارُونِيَّةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا .

وفي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا - [أَي : السَّنَةِ السَّابِعَةِ] - : أَعْتَمَرَ ﷺ عُمْرَةَ الْقَضَاءِ ، وَأَقَامَ بِ (مَكَّةَ) ثَلَاثًا ، ثُمَّ رَجَعَ فَدَخَلَ ﷺ بِمِيمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةِ ، أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا خَالَةَ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَذَلِكَ لَيْلَةً مُنْصَرَفِهِ مِنْ (مَكَّةَ) بِ (سَرِفٍ) ^(١) - كَتَبَتْ ، بِمَوْحَدَةٍ وَسَيْنٍ مُهْمَلَةٍ - وَهُوَ بَيْنَ (التَّنْعِيمِ) ^(٢) وَمَرِّ الظُّهْرَانِ ، وَبِذَلِكَ الْمَكَانِ كَانَ مَوْتُهَا وَقَبْرُهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا .

[ق١٧] وفي السَّنَةِ السَّابِعَةِ : أُتُّخِذَ لَهُ الْمِنْبَرُ ﷺ ، / وَكَانَ مِنْ قَبْلِ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ ، فَحَنَّنَ إِلَيْهِ الْجِذْعُ ، حَتَّى مَسَحَ عَلَيْهِ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ .

وفِيهَا - [أَي : السَّنَةِ السَّابِعَةِ] - فِي رَجَبٍ : قَدِمَ عَلَيْهِ وَقَدَّ عَبْدُ الْقَيْسِ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَرِئِيسُهُمُ الْأَشْجُ ^(٣) - بِمُعْجَمَةٍ وَجِيمٍ - فَأَثْنَى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعَلَيْهِمْ خَيْرًا .

وفي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْهَا : كَانَتْ غَزْوَةُ مُؤْتَةَ - بِفُوقِيَّةٍ مَضْمُومَةٍ الْمِيمِ مَهْمُوزَةٍ [الْوَاو] - وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى (الْبَلْقَاءِ) مِنْ أَرْضِ (الشَّامِ) ، فَأَكْرَمَ اللهُ فِيهَا جَعْفَرًا وَزَيْدًا وَابْنَ رَوَاحَةَ وَجَمَاعَةً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِالشَّهَادَةِ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَأَنْحَازَ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَكَانُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَكَانَ هِرَقْلُ مَلِكِ الرُّومِ فِي مِثْيَى أَلْفٍ .

(١) سَرِفٌ : مَوْضِعٌ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ شِمَالًا .

(٢) التَّنْعِيمُ : وَادٍ يَقَعُ شِمَالَ مَكَّةَ بِقِمَّةِ جِبَالٍ بِشَمِ شَرْقًا وَجِبَلِ الشَّهِيدِ جَنُوبًا . وَهُوَ مِيقَاتٌ لِمَنْ أَرَادَ الْعُمْرَةَ مِنَ الْمَكِّيِّينَ . وَفِيهِ مَسْجِدٌ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا . يَقَعُ عَلَى مَقْرَبَةِ سِتَّةِ أَمْيَالٍ شِمَالًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ، (مَعَالِمُ مَكَّةَ ص ٥٠-٥١) .

(٣) وَاسْمُهُ : الْمَنْذَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْعَبْدِيُّ .

وفيهما - [أي : السَّنة الثامنة] - في رمضان : كَانَ فَتَحَ (مَكَّة) .

وسببُ انتفاضِ الصُّلحِ : أَنَّ قُرَيْشاً أَعَانَتْ حلفاءَهُمْ (بنِي بَكْرِ) عَلَى (خِزَاعَةِ) حلفاءِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَدِمَ أَبُو سُفْيَانُ (المدينة) يَطْلُبُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ صُلْحاً ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَيْهِ ، فَرَجَعَ ، وَقَدِمَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخُزَاعِيُّ الْكَعْبِيُّ يَسْتَنْصِرُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى قُرَيْشٍ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَتَجَهَّزَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى (مَكَّة) فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ (الْجُحْفَةَ) ^(١) - بِجَيْمٍ مَضْمُومَةٍ ثُمَّ حَاءٍ مُهْمَلَةٍ سَاكِنَةٍ - عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنَ (المدينة) لَقِيَهُ عُمَةُ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُهَاجِراً بِأَهْلِهِ ، فَرَدَّهُ مَعَهُ ، وَكَانَ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدَ (بَذْرِ) ، وَأَسْتَأذَنَ النَّبِيَّ ﷺ فِي أَنْ يُقِيمَ : بِ (مَكَّة) عَلَى سِقَايَةِ الْحَاجِّ ، فَأَذِنَ لَهُ . وَلَقِيَهُ أَيْضاً ابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَقْبَلَ مُسْلِماً ، مُعْتَذِراً مِمَّا كَانَ جَرَى مِنْهُ ، فَرَدَّهُ مَعَهُ . وَأَخَذَ اللَّهُ الْعِيُونَ عَلَى قُرَيْشٍ بِدَعْوَتِهِ ﷺ ^(٢) ، فَلَمْ يَشْعُرْ أَحَدٌ بِخُرُوجِهِ ﷺ إِلَيْهِمْ .

فَلَمَّا بَلَغَ (مَرَّ الظَّهْرَانِ) أَدْرَكَتِ الْعَبَّاسُ الرَّقَّةَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَرَكِبَ بَغْلَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِإِذْنِهِ لِيُخْبِرَهُمْ أَنَّ يَأْخُذُوا أَمَاناً مِنْهُ ﷺ ، فَلَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ / خَرَجُوا يَتَطَلَّعُونَ ، وَذَلِكَ فِي [١٨ق] اللَّيْلِ ، فَرَدَّهُمْ إِلَى (مَكَّة) ، وَاتَى بِأَبِي سُفْيَانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمَ ، ثُمَّ أَصْبَحَ ﷺ فَدَخَلَ (مَكَّة) ضُحًى مِنْ أَعْلَاهَا ، وَذَلِكَ لِعَشْرِ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأَقَامَ بِهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْماً يَقْصُرُ الصَّلَاةَ .

(١) الْجُحْفَةُ : وَهُوَ وَادٍ يَتَدَيَّءُ مِنْ شَرْقِ رَابِعٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْجِبَالِ ، وَيَصُبُّ جَنُوبَ رَابِعٍ فِي الْبَحْرِ ، بَعْدَ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ . وَهُوَ مِيقَاتُ حَجَّاجٍ (مِصْرَ وَالشَّامَ) ؛ إِنْ لَمْ يَمْرَوْا عَلَى (المدينة) ، وَكَانَتِ الْجُحْفَةُ قَرْيَةً تَارِيخِيَّةً ، وَهِيَ الْآنَ خَرِبَةٌ ، وَبِهَا آثَارُ الْقَرْيَةِ الْمَعْمُورَةِ ، وَأَطْلَالُ قَصْرِ أَثَرِيِّ مَبْنِيٍّ بِالْحِجَارَةِ السُّودَاءِ ؛ أَسْمُهُ (قَصْرُ الْعُلَيَاءِ) .

(٢) وَدَعَاؤُهُ ﷺ : «اللَّهُمَّ خُذِ الْعِيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ» .

ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَّ (هَوَازِن) أَجْتَمَعَتْ لِحَرْبِهِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، عَلَيْهِم مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ^(١) ، فَخَرَجَ ﷺ إِلَيْهِمْ لِعَشْرِينَ [مِنْ] شَوَالٍ ، فِي عَشْرَةِ آلَافٍ جِيْشِ الْفَتْحِ ، وَالْفَيْنِ مِمَّنْ أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ ، فَكَانُوا اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا ، فَأَعْجَبَتْهُمْ كَثْرَتُهُمْ ، فَقَالُوا : لَنْ نُغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ كَثْرَتُهُمْ شَيْئًا ، وَوَجَدُوا الْمُشْرِكِينَ قَدْ كَمَنُوا لَهُمْ فِي شِعَابِ (حُنَيْنٍ) وَهُوَ وَادٍ بَيْنَ (مَكَّةَ وَالطَّائِفِ) ، فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ شَدُّوا عَلَيْهِمْ وَرَشَقَوْهُمْ بِالنَّبْلِ ، وَكَانُوا رُمَاءً ، فَأَنْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَمَاعَةٍ ، فَتَزَلَّ عَنْ بَغْلَتِهِ وَأَخَذَ كَفًّا مِنْ الْحَصَى فَرَمَى بِهِ فِي وَجْهِهِ الْمُشْرِكِينَ فَأَنْهَزَمُوا ، وَنَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ ، فَغَنِمُوا ذُرَارِيَّهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَكَانُوا قَدْ جَعَلُوهُمْ مَعَهُمْ لِيُقَاتِلُوا دُونَهُمْ ، فَأَنْهَزَمَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ عَلَيْهِمْ : دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ، وَسَاقُوا الْمَالَ وَالذَّرَارِيَّ ، فَأَدْرَكَهُمْ أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ فِي سَرِيَّةٍ بِ (أَوْطَاسٍ) فَهَزَمُوهُمْ بَعْدَ أَنْ قُتِلَ أَبُو عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلِحَقَّ أَكْثَرُهُمْ بِ : (الطَّائِفِ) ، فَتَوَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى (الطَّائِفِ) وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَحَاصَرَهُمْ بَضْعًا وَعَشْرِينَ لَيْلَةً ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِهِمْ ، فَدَعَا لَهُمْ بِالْهَدَايَةِ وَرَجَعَ ، فَأَتَوْهُ بَعْدَ رَجُوعِهِ إِلَى (الْمَدِينَةِ) مُسْلِمِينَ عَلَى يَدَيْ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ .

وَلَمَّا قُفِلَ ﷺ مِنْ (الطَّائِفِ) قَسَمَ غَنَائِمَ (حُنَيْنٍ) بِ (الْجَعْفَرَانَةِ)^(٢)

- عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ مِنْ (مَكَّةَ) - .

ثُمَّ أَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ ، وَذَلِكَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، فَدَخَلَ (مَكَّةَ) فَقَضَى نُسْكَهَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : عَوْفُ بْنُ مَالِكِ النَّصْرِيِّ ، وَهُوَ كَذَلِكَ أَيْنَمَا وَرَدَ فِي الْأَصْلِ .

(٢) الْجَعْفَرَانَةُ : قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ فِي صَدْرِ وَادِي (سَرِفٍ) ، فِيهَا مَسْجِدٌ يَعْتَمِرُ مِنْهُ أَهْلُ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ ، تَقَعُ شِمَالُ شَرْقِي مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ ، عَلَى قَرَابَةِ ٢٤ كِيلَا . وَتَقَعُ عَلَى ١١ كِيلَا شِمَالًا عَدَلًا مِنْ طَرِيقِ الْيَمَانِيَةِ ، (مَعَالِمُ مَكَّةَ ص ٦٤-٦٥) .

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى (الْمَدِينَةِ) فَدَخَلَهَا فِي آخِرِ ذِي الْقَعْدَةِ ، فَوُلِدَ لَهُ ﷺ فِي ذِي الْحِجَّةِ إِبْرَاهِيمُ ، وَعَاشَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ مَاتَ ، وَأُنْكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَوْتِهِ ، وَذَلِكَ وَقْتُ الضُّحَى فِي أَوَّلِ ربيعٍ مِنْ سَنَةِ / تِسْعٍ ^(١) ، فَقَالَ [ق ١٩] النَّاسُ : اُنْكَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ ، فَجَمَعَ ﷺ النَّاسَ وَصَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْكُسُوفِ ، ثُمَّ خَطَبَ بِهِمْ فَقَالَ : « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ » ^(٢) .

وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ : دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ ، وَجَعَلَهُ عِلْمًا عَلَى وَفَاتِهِ ﷺ .

وَوَفَدَتْ عَلَيْهِ الْوُفُودُ . فَمِنْهُمْ : وَفَدُ (بَنِي حَنِيفَةَ) ، فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ عَلَيْهِمْ : مُسَيِّلِمَةُ الْكَذَابِ ، وَأَبَى أَنْ يُسَلِّمَ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَرَجَعَ خَائِبًا .

وَمِنْهُمْ : وَفَدُ (نَجْرَانُ) ، وَكَانُوا نَصَارَى ، فَحَاجَّوْهُ فِي عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، أَنَّهُ أَبْنُ اللَّهِ لِكُونِهِ خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبِي ، فَتَزَلَّتْ : ﴿ إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [سورة آل عمران ٥٩/٣] - أَيِ : مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَلَا أَبِي - .

وَنَزَلَتْ آيَةُ الْمُبَاهَلَةِ - أَيِ : الْمُلَاعَنَةِ - : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [سورة آل عمران ٦١/٣] ، فَقَالَ لَهُمْ رِيسَاهُمْ - السَّيِّدُ ^(٣) وَالْعَاقِبُ ^(٤) - : لَا تَفْعَلُوا ،

(١) وَالرَّاجِعُ أَنَّهَا سَنَةُ عَشْرِ . انْظُرْ تَعْلِيقَنَا ص ٣٦٤ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٠٠١) . عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) السَّيِّدُ : رِيسَهُمْ وَمُفْتِيَهُمْ ، وَأَسْمُهُ : الْأَيْهَم .

(٤) الْعَاقِبُ : أَمِيرُ الْقَوْمِ . وَأَسْمُهُ : عَبْدُ الْمَسِيحِ .

ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى الْجَزِيَّةِ ، وَقَالُوا : أُبْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا مِنْ أَصْحَابِكَ ، فَقَالَ : « لَا بُعَثَنَّ مَعَكُمْ [رَجُلًا] أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ » ، فَبْعَثَ مَعَهُمْ أَبَا عبيدة بنَ الجراح رضيَ اللهُ عنه ، وقالَ : « هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ » (١) .

وَمِنْهُمْ : وفود (اليمن) ، فَأَسْلَمُوا ، فَقَالَ : « أَتَاكُمْ أَهْلُ (الْيَمَنِ) ، هُمْ أَرْقُ أَفْئِدَةً ، وَأَلْيَنُ قُلُوبًا ، الْإِيْمَانُ يَمَانٍ ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ » (٢) وَبَعَثَ مَعَهُمْ معاذَ بنَ جَبَلٍ وَأَبَا موسى الأشعري رضيَ اللهُ عنهما .

وَقَدِمَ عَلَيْهِ : كعبُ بنُ زهيرٍ رضيَ اللهُ عنه ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَهْدَرَ دَمَهُ لِشِعْرِ عَرَضَ فِيهِ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْلَمَ وَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ مِنْهُ ، وَأَنْشَدَهُ فِي الْمَسْجِدِ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ : (بِأَنْتَ سَعَادُ) فَقَبِلَ عُذْرَهُ وَكَسَاهُ بُرْدَتَهُ ﷺ .

وفيهَا - [أَي : السَّنَةُ التَّاسِعَةُ] - : كَانَتْ غَزْوَةُ (تَبُوكَ) إِلَى (الشَّامِ) لِقِتَالِ الرُّومِ ، فَخَرَجَ ﷺ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَخَلَّفَ عَلَى (الْمَدِينَةِ) عَلِيًّا رضيَ اللهُ عنه ، فَقَالَ : أَتَخْلُفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ ؟ فَقَالَ ﷺ : « أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ [ق ٢٠] هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » (٣) / .

فَلَمَّا بَلَغَ (تَبُوكَ) وَهِيَ أَدْنَى بِلَادِ الرُّومِ ، أَقَامَ بِهَا بَضْعَ عَشْرَةِ لَيَالٍ ، وَلَمْ يَلْقَ عَدُوًّا ، وَصَالَحَ جُمْلَةً مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ عَلَى الْجَزِيَّةِ .

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى (الْمَدِينَةِ) وَجَاءَهُ الْمَنَافِقُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ لِتَخْلُفِهِمْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤١١٩) . عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضيَ اللهُ عنه .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤١٢٧) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنه . وَتَمَّتَتْهُ : «وَالْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ» .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٣١/٢٤٠٤) . عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رضيَ اللهُ عنه .

عنه ، وقد سمّاهُ اللهُ : جيشَ العُسرةِ ، وحلّفوا له بالكذب ، فقبلَ عذرَهُمْ وَوَكَلَ سرائِرَهُمْ إلى اللهِ تعالى ، ففَضَحَهُمُ اللهُ تعالى بما أنزلهُ في سورة براءة ، كقولِهِ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ * فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿ [سورة التوبة ٧٥-٧٧] وغير ذلك ، فسَمَّيتِ الفاضحة .

وأما الثلاثة الذين خَلَفُوا وَصَدَقُوهُ ، وأَعترفوا بأنَّهُمْ لا عذرَ لَهُمْ فخلَّفَ أمرَهُمْ إلى قضاء الله تعالى فيهم ، وَهُمْ : كعبُ بنُ مالكٍ ، وهلالُ بنُ أمية ، ومُرارةٌ - بالضم - ابنُ الربيع ، فتَابَ اللهُ عليهم ، فسَمَّيتِ سورة التوبة .

وفيها - [أي : السَّنة التاسعة] - في رجبٍ : نعى لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ النَّجَاشِي^(١) ، وَصَلَّى عَلَيْهِ فِي الْمُصَلَّى جَمَاعَةً .

وفي خاتمة هذه السَّنة : - [أي : السَّنة التاسعة] - أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يُحْجَّ بِالنَّاسِ ، فَسَارَ بِهِمْ ، ثُمَّ بَعَثَ بَعْدَهُ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِيَبْرَأَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِصَدْرِ سُورَةِ بَرَاءَةِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ، فَنَبَذَ إِلَى كُلِّ مُشْرِكٍ عَهْدَهُ .

وفي السَّنة العاشرة : حَجَّ ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ ، وَحَجَّ بِأَزْوَاجِهِ كُلِّهِنَّ ، وَبَخَلَقِي كَثِيرٍ ، فَحَضَرَهَا مِنَ الصَّحَابَةِ أَرْبَعُونَ أَلْفًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، فَوَدَّعَ ﷺ النَّاسَ وَحَذَّرَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ ، وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي

(١) وَأَسْمَهُ : أَصْحَمَةُ .

شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » ثُمَّ قَالَ : « أَلَا هَلْ بَلَغْتُ » قَالُوا :
نَعَمْ . قَالَ : « اللَّهُمَّ أَشْهَدُ » ^(١) .

ثُمَّ قَفَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى (الْمَدِينَةِ) فَدَخَلَهَا فِي أَوَاخِرِ ذِي الْحِجَّةِ ،
فَلَبِثَ بِهَا الْمَحْرَمَ وَصَفَرَ .

ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ فِي أَوَّلِ ربيعٍ بِالْجِهَادِ إِلَى (الشَّامِ) ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ
أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَأَخَذُوا فِي جَهَازِهِمْ ؟
فَمَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ وَثَقُلَ مَرَضُهُ ، فَأَقَامُوا يَنْتَظِرُونَ أَمْرَهُ ،
فَتُوفِيَ ﷺ لِتَمَامِ عَشْرِ سِنِينَ مِنْ هِجْرَتِهِ ، فِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ ،
ضَحَى يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ ، ثَانِي عَشَرَ مِنْ ربيعِ الْأَوَّلِ ، فِي الْوَقْتِ وَالْيَوْمِ
وَالشَّهْرِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ (الْمَدِينَةَ) ^(٢) ، وَدُفِنَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ بَعْدَ الْعَصْرِ
[٢١ق] / صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَيْهِ ، وَزَادَهُ فَضْلاً وَشَرْفاً لَدِيهِ .

فَهَذَا جُمْلَةٌ مَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُنَا هَذَا مُلَخَّصاً مِنْ سِيرَتِهِ ﷺ ، مِنْ
مَوْلِدِهِ إِلَى وَفَاتِهِ ، وَسَيَاتِي ذَلِكَ مَفْصَلاً فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى ، مَعَ ذِكْرِ مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ مِمَّا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ أَيْضاً ،
كَالْخُطْبَةِ الْبَلِيغَةِ السَّابِقَةِ ، وَخُطْبَةِ الْجِهَادِ الْلَّاحِقَةِ ، وَالْأَحَادِيثِ
الْوَارِدَةِ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ ، وَشَرَفِ (مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ) بِلَدَيْ مَوْلِدِهِ
وَوَفَاتِهِ ﷺ ، وَشَرَفِ نَسَبِهِ ، وَمَآثِرِ آبَائِهِ وَحَسَبِهِ ، وَمَنْ بَشَّرَ بِهِ قَبْلَ
ظَهْوَرِهِ ، إِلَى مَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ الْكُلِّيَّةِ ، كَنَسْخِ دِينِهِ ﷺ
لِكُلِّ دِينٍ ، وَتَفْضِيلِهِ عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَجُمْلَةٍ مِنْ
مُعْجَزَاتِهِ الْبَاهِرَةِ ، وَفَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ذِكْرُ
مَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ أَيْضاً مِنْ عِبَادَاتِهِ ﷺ لِرَبِّهِ ، وَشُكْرِهِ لَهُ بِلِسَانِهِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٦٥٤) . عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) انْظُرْ تَعْلِيقَنَا عَلَى ذَلِكَ ، ص ٣٩٠ .

وَقَلْبِهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ وَمَجَّدَ وَعَظَّمَ .

وَلِي مِنْ قَصِيدَةٍ مُسَمَّطَةٍ^(١) هَذِهِ الْآيَاتُ ، [مِنْ الْوَافِر] :

أَلَا يَا أَيُّهَا الْحَادِي إِذَا مَا أَتَيْتَ قِبَابَ طَيِّبَةٍ وَالْخِيَامَا^(٢)
فَخَيْمٍ وَأَقْرِ سَاكِنَهَا السَّلَامَا
وَقَبْلَ مَنْ مَنَازِلِهِ الْعِتَابَا^(٣)
هُنَاكَ فَهَنْ نَفْسَكَ بِالْوَصُولِ وَقُلْ يَا نَفْسُ مَأْمُولِي وَسُؤْلِي
رَسُولُ اللهِ يَا لَكَ مِنْ رَسُولٍ
قَفِي وَرِدِّي مَنَاهِلُهُ الْعِذَابَا^(٤)
وَمَرِّغْ حَوْلَ ذَاكَ الْقَبْرِ خَدًّا وَقُدَّ مَرَائِرَ الْأَشْوَاقِ قَدًّا^(٥)
وَنَحْ مِمَّا أَقْتَرَفْتَ أَسَى وَوَجَدَا
لِمَا أَجْتَرَحْتَ جَوَارِحُكَ أَكْتَسَبَا^(٦)

(١) الْمُسَمَّطُ مِنَ الشَّعْرِ : آيَاتٌ مَشْطُورَةٌ تَجْمَعُهَا قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ . وَأَشْهَرُ أَنْوَاعِهِ : الْمَرْبَعُ ؛ وَهُوَ أَنْ يَبْتَدِئَ الشَّاعِرُ قَصِيدَتَهُ بَيْتٍ مُصَرَّعٍ ، ثُمَّ يَأْتِي بِثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ عَلَى رَوْيٍّ وَاحِدٍ ، ثُمَّ يُعِيدُ قِسْمًا وَاحِدًا مِنْ مِثْلِ مَا أَبْتَدَأَ بِهِ مَقْفًى .

(٢) الْحَادِي : الَّذِي يَسُوقُ الْإِبِلَ بِالْحُدَاءِ . طَيِّبَةٌ : أَسْمٌ لِمَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ ، يُقَالُ لَهَا : طَيِّبَةٌ وَطَابَةٌ ؛ مِنْ الطَّيِّبِ . وَهِيَ الرَّائِحَةُ الْحَسَنَةُ لِحُسْنِ رَائِحَةِ ثُرْبَتِهَا فِيمَا قِيلَ . وَالطَّابُ وَالطَّيِّبُ لُغَتَانِ . وَقِيلَ : مِنَ الشَّيْءِ الطَّيِّبِ ، وَهُوَ الطَّاهِرُ الْخَالِصُ بِخُلُوصِهَا مِنَ الشُّرْكِ وَتَطْهِيرِهَا مِنْهُ . وَقِيلَ : لَطِيبُهَا لِسَاكِنِهَا وَلَأَمْنُهَا مِنْهُمْ وَدِعَتُهُمْ فِيهَا . وَقِيلَ : مِنْ طِيبِ الْعِيشِ بِهَا ، مِنْ طَابِ الشَّيْءِ ؛ إِذَا وَافَقَ [مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٥٣/٤ (أَنْصَارِي)] .

(٣) الْعَتَبَةُ : خَشْبَةُ الْبَابِ الَّتِي يُوطَأُ عَلَيْهَا ، وَكُلُّ مِرْقَاةٍ .

(٤) الْمَنَاهِلُ : مَفْرَدُهَا : مَنَهْلٌ ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ الْمَشْرَبُ . وَالْوَرْدُ : الْإِشْرَافُ عَلَى الْمَاءِ وَغَيْرِهِ . وَأَيْضًا : الْمَاءُ الَّذِي يُؤْتَى إِلَيْهِ .

(٥) مَرِّغْ : قَلْبَ وَنَزَهَ خَدَّكَ كَيْ يَكُونَ لَوَجْهِكَ بَرِيقٌ وَضِيَاءٌ . الْمُرَّةُ : مُؤْنِثُ الْمُرِّ ، ضِدُّ الْحُلُوةِ . (ج) مَرَائِرُ ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ .

(٦) أَجْتَرَحْتَ : أَكْتَسَبْتَ .

وَقُلْ يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْبُرَاقَا^(١) وَأَكْرَمَ مَنْ عَلَى السَّيْعِ الطَّبَاقَا
أَتَيْتُكَ كَيْ تَحُلَّ لِي الْوِثَاقَا
ذُنُوبًا قَدْ دَهَتْ قَلْبِي الْمُصَابَا
فَأَنْتَ الشَّافِعُ الْمَقْبُولُ حَقًّا وَكَمْ لَكَ مُعْجَزَاتٍ لَيْسَ تُرْقَى
قَدْ أَتَضَحَّتْ لَنَا غَرْبًا وَشَرْقَا
وَأَعَيْتَ كُلَّ ذِي فَهْمٍ حِسَابَا
أَكْتَنَّا فِي وَلَادِكَ كُلِّ بُشْرَى غَدَاةٌ تَسَاقُطُ الْأَصْنَامُ قَسْرَا^(٢)
/ وَزُلْزِلَ هَيْئَةً إِيوَانُ كِسْرَى
وَأَضْحَى عَرْشُ دَوْلَتِهِ خَرَابَا
وَفِي بَضْعِ السَّنِينَ شُرِحتَ صَدْرًا وَظَلَلَتِ الْغَمَامَةُ مِنْكَ حَرَا
وَجَاءَتْ مُعْجَزَاتٌ مِنْكَ تَتْرَى
رَأَى الرُّهْبَانُ مِنْهُمْ الْعُجَابَا
إِلَى أَنْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْيَقِينِ تَمَامَ الْأَرْبَعِينَ مِنَ السَّنِينَ
وَأَزْهَرَ كَوْكَبُ الْحَقِّ الْمُبِينِ
وَنَجَّمَ الشُّرُكُ وَالْبُهْتَانُ غَابَا^(٣)
أَتَاكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّ الْعِبَادِ فَقُمْتَ مُشْمِرًا سَاقَ الْجِهَادِ
تُبَيِّنُ لِلْوَرَى طُرُقَ الرَّشَادِ
وَتَتْلُو الْوَحْيَ فِيهِمْ وَالْكِتَابَا
بِحَقِّكَ سَلْ إِلَهَكَ أَنْ يَكُونَا لَنَا عَوْنًا عَلَى الْأَعْدَا مُعِينَا
وَمِنْ كُلِّ الْأَذَى حِصْنًا حَصِينَا
وَيَكْفِينَا بِرَحْمَتِهِ الْعَذَابَا

[ق ٢٢]

(١) البراق : دابة ركبها رسول الله ﷺ ليلة المعراج .

(٢) قسراً : قهراً .

(٣) البهتان : كذب يُبْهَتُ سامعه لفظاعته . (أنصاري) .

البَابُ الثَّانِي

في شرف مكة والمدينة بلدي مولده ونشأته ووفاته ، وهجرته صلى الله عليه وسلم

وشرف قومه ونسبه ، وماثر آباءه وحسبه

أما شرف (مكة والمدينة) اللتين هما مهبط الوحي والتَّزْوِيل :
فَاعْلَمْ - طَهَّرَ اللهُ قَلْبِي وَقَلْبَكَ ، وَوَفَّرَ فِي هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ حَبِّي
وَحَبَّكَ - أَنَّ اللهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَكْرَمَ هَذَا النَّبِيَّ الْكَرِيمَ بِأَصْنَافِ
الْكَرَامَةِ ، وَوَفَّرَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَقْسَامَهُ ، وَأَخْتَارَ لَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خِيَارَهُ ،
وَأَعْلَى عَلَى جَمِيعِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مَنَارَهُ ، فَجَعَلَهُ خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ ،
وَأُمَمَتَهُ خَيْرَ الْأُمَمِ ، وَلِغَتَهُ خَيْرَ اللُّغَاتِ ، وَكُتَابَتَهُ خَيْرَ الْكُتُبِ ، وَقَبِيلَتَهُ
خَيْرَ الْقَبَائِلِ ، وَبِلَادَهُ أَفْضَلَ بِلَادِ اللهِ وَأَكْرَمَهَا عَلَيْهِ وَعَلَى عِبَادِهِ .

أما (مكة) البلد الحرام ، فقالَ اللهُ تَعَالَى فِي فَضْلِهَا : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ
بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ
إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ الآية [سورة آل عمران 96-97] .

وَمِنْ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ فِيهِ : (الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ) ، وَ(الْحَطِيمُ)^(١) ،
وَانْفِجَارُ مَاءِ زَمْزَمَ بِعَقِبِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّ شُرْبَهُ شِفَاءٌ
لِلْأَسْقَامِ ، وَغِذَاءٌ لِلْأَجْسَامِ ، بِحَيْثُ يُغْنِي عَنِ الْمَاءِ وَالطَّعَامِ .
وَمِنْ فَضْلِهَا : مَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : أَنَّ الصَّلَاةَ

(١) الْحَطِيمُ : وَهُوَ حَجَرُ الْكَعْبَةِ ؛ سُمِّيَ الْحَطِيمَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْبَيْتَ رُبُّعٌ وَتَرَكَ
مَحْطُومًا . وَمَكَانُهُ بَيْنَ الْقَوْسِ الدَّائِرِيِّ وَجِدَارِ الْكَعْبَةِ مِنْ جِهَةِ الْمِيزَابِ .

[ق ٢٣] / الواحدة فيها - بل في سائر الحرم - بمئة ألف صلاة في غيرها سوى (المدينة) (١) .

فَاتِلَةٌ

فضل الصلاة في مكة
على الصلاة في غيرها

حَسَبَ العلماءُ ذَلِكَ فَبَلَغَتْ صَلَوَاتُ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ بِ (مَكَّةَ) فِي مَدَّةٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَهِيَ خَمْسَ عَشْرَةَ صَلَاةً ، بِأَلْفِ أَلْفِ صَلَاةٍ ، وَخَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهَا ، وَذَلِكَ كَصَلَوَاتِ نَحْوِ أَلْفِ سَنَةٍ ، فَمَنْ أَقَامَ بِ (مَكَّةَ) ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَهِيَ أَقَلُّ مَا يُقِيمُهُ الْحَاجُّ ، يَعْبُدُ اللَّهَ ، فَكَأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي غَيْرِهَا أَلْفَ سَنَةٍ ، وَكَأَنَّهُ عُمَرُ عُمَرَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

وهذه إحدى المنافع التي في قوله تعالى : ﴿ لِشَهِدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ [سورة الحج ٢٢/٢٨] بصيغة الجمع ، فما ظنُّكَ بالوقوف والطَّواف وغير ذلك ، ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة الحديد ٥٧/٢١] .

وَقَالَ ﷺ عِنْدَ أَنْصَرَفِهِ مِنْ (مَكَّةَ) بَعْدَ فَتْحِهَا : « وَاللَّهِ إِنَّا لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ [الله] ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ » ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ [حَسَنٌ غَرِيبٌ] صَحِيحٌ (٢) .

وَكَانَتِ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَرِمُ (الْحَرَمَ) بِحَيْثُ يَمْشِي الْقَاتِلُ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو نَجَّارٍ فِي «سُنَنِهِ» ، بِرَقْم (١٤٠٦) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي سِوَاهُ ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ . وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي سِوَاهُ » .

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٣٩٢٥) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فيه مع وليِّ المقتول ، وَيَقِفُ السَّبْعُ عَنِ الطَّيِّ ونحوه مِنَ الصَّيْدِ إِذَا دَخَلَ (الْحَرَمَ) ، وَذَلِكَ بِدَعَاءِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، إِذْ قَالَ : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [سورة البقرة ١٢٦/٢] .

وَمِنْ فَضْلِهَا : أَنَّهَا مَوْلِدُ الْمُصْطَفَى ﷺ ، وَمَسْقَطُ رَأْسِهِ ، وَمَنْشُؤُهُ ، وَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ سَنَةً قَبْلَ هِجْرَتِهِ .

وَمِنْ فَضْلِهَا : تَحْرِيمُهَا الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُنْخَفُفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [سورة العنكبوت ٦٧/٢٩] وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة القصص ٥٧/٢٨] . وَقَوْلُهُ ﷺ : « إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَا يُغْضَدُ شَوْكُهُ وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ » الْحَدِيثُ ، مَتَّقٍ عَلَيْهِ ^(١) .

وَأَمَّا (الْمَدِينَةُ) الشَّرِيفَةُ : فَهِيَ دَارُ الْهَجْرَةِ ، وَذَاتُ الرَّوَضَةِ فَضْلُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَالْحُجْرَةِ .

وَبُثِّبَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَأْرِزُ - أَي : يَنْضُمُ ، بِتَقْدِيمِ الرَّاءِ عَلَى الزَّاي - إِلَى (الْمَدِينَةِ) ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا » ، مَتَّقٍ عَلَيْهِ ^(٢) / .

[ق٢٤]

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « (الْمَدِينَةُ) حَرَّمٌ مِنْ كَذَا إِلَى كَذَا - وَلِمُسْلِمٍ : « مِنْ غَيْرِ إِلَى ثَوْرِ » - لَا يَقْطَعُ شَجْرُهَا ، وَلَا يُحَدِّثُ فِيهَا حَدَثٌ ، مَنْ أَحْدَثَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٥١٠) . عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

لَا يُغْضَدُ شَوْكُهُ : لَا يَقْطَعُ . لَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ : يُرْعَجُ مِنْ مَكَانِهِ أَوْ يُصَادُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٧٧٧) . وَمُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٣٣/١٤٧) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . لِيَأْرِزُ : يَنْضُمُ أَهْلَهُ وَيَجْتَمِعُونَ .

فيها حَدَّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ « مَتَّقْ عَلَيْهِ ^(١) .
وَتَوَرَّ : جَبَلٌ صَغِيرٌ خَلْفَ (أَحَدٍ) مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ . ^(٢) .
ولأحمد : « مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى أَحَدٍ » ^(٣) وَعَيْرٌ مُقَابِلٌ لِأَحَدٍ .
وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « (الْمَدِينَةُ) تَنْفِي النَّاسَ كَمَا تَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ
الْحَدِيدِ » ، مَتَّقْ عَلَيْهِ ^(٤) .

- (١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٧٦٨) . عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَرَوَاةُ مُسْلِمَ ، بِرَقْم (٤٦٧/١٣٧٠) ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ .
- (٢) إِنَّ تَعْرِيفَ الْمُؤَلَّفِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - جَبَلٌ تَوَرَّ عَلَى هَذَا النَّحْوِ يَتَّقُ مَعَ الْحَقِيقَةِ الْوَاقِعِيَّةِ ، وَهُوَ مَا يَتَّقُ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ فِي تَحْدِيدِ حَرَمِ الْمَدِينَةِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ : « الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ وَتَوَرٍّ » . وَلَقَدْ وَهَمَ أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ فِي كِتَابِهِ « مَعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَم » ، وَابْنُ الْأَثِيرِ فِي كِتَابِهِ « النَّهْأَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ » ، وَيَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ فِي كِتَابِهِ « مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ » بَنَكَرَانَ وَجُودَ جَبَلٍ بِهَذَا الْاسْمِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَتَأَكِيدُ وَجُودَهُ فِي مَكَّةَ ، وَهُوَ الْجَبَلُ الَّذِي يَحْتَوِي عَلَى غَارِ تَوَرٍّ الَّذِي أَوَّلَى إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ فِي طَرِيقِ هَجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَالْحَقِيقَةُ الَّتِي لَا لَبْسَ فِيهَا ؛ أَنَّ فِي حُدُودِ حَرَمِ مَكَّةَ جَبَلًا بِهَذَا الْاسْمِ ، وَفِي حُدُودِ حَرَمِ الْمَدِينَةِ جَبَلٌ بِالتَّسْمِيَةِ ذَاتَهَا ، وَلِذَلِكَ لَا لَزُومَ لِكُلِّ التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي أَخَذَ بِهَا بَعْضُهُمْ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ . وَقَدْ أَوَّلَى الْمَرْحُومَ مُحَمَّدُ فَوَّادُ عَبْدِ الْبَاقِيِّ هَذَا الْمَوْضُوعَ كُلَّ الْعَنَاءِ فِي الْبَحْثِ لِدَفْعِ هَذَا الْخَطَأِ ، وَجَاءَ بِشَتَّى الْأَدَلَّةِ وَالْأَقْوَالِ الَّتِي تَزِيلُ الْارْتِيَابَ وَتُثَبِّتُ الْحَقِيقَةَ مُعْتَمِدًا عَلَى مَا أَوْرَدَهُ الْقَدَامِيُّ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ ، وَمَا أَخَذَ بِهِ الْمُحَدِّثُونَ فِي دَرَسَاتِهِمُ الطَّبُوغَرَفِيَّةَ لِحَرَمِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، مِمَّا يَصَحُّ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ . (أَنْصَارِي) .
- (٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» ، بِرَقْم (٦١٦) . عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَلَيْسَ عِنْدَهُ : « إِلَى أَحَدٍ » .
- (٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٧٧٢) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٤٨٨/١٣٨٢) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَا يَكِيدُ أَهْلَ (الْمَدِينَةِ) أَحَدٌ إِلَّا أَنْمَاعٌ - أَي :
أَنْدَابٌ - كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ » ، مَتَّقُ عَلَيْهِ ^(١) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونَ
وَلَا الدَّجَالُ » ، مَتَّقُ عَلَيْهِ ^(٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا
سِوَاهُ ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » ، مَتَّقُ عَلَيْهِ ^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ،
وَمَنْبَرِي عَلَى حَوْضِي » ، مَتَّقُ عَلَيْهِ ^(٤) .

ولا خلاف بين العلماء في أَنَّ هَذَيْنِ الْبَلَدَيْنِ أَفْضَلُ بِلَادِ اللَّهِ عَلَى
الإِطْلَاقِ ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي أَيِّهِمَا أَفْضَلُ . وَالْجُمْهُورُ عَلَى تَفْضِيلِ
(مَكَّةَ) عَلَى (الْمَدِينَةِ) ، إِلَّا مَوْضِعَ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ ، فَأَجْمَعُوا أَنَّهُ أَفْضَلُ
تُرْبَةٍ فِي الْأَرْضِ ، لِمَا وَرَدَ أَنَّ كَلًّا يُدْفَنُ فِي تُرْبَتِهِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا ^(٥) ،
وَهُوَ ﷺ أَفْضَلُ الْخَلْقِ ، فَتُرْبَتُهُ أَفْضَلُ تُرْبَةٍ فِي الْأَرْضِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٧٧٨) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣٨٧/٤٩٤) . عَنْ
سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٧٨١) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣٧٩/٤٨٥) . عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . أَنْقَابُ : (جَمْعُ تَلَّةٍ لِلنَّقَبِ) ؛ وَهُوَ الطَّرِيقُ بَيْنَ
الْجَبَلَيْنِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١١٣٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣٩٤/٥٠٥) . عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١١٣٨) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣٩١/٥٠٢) . عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) وَالَّذِي وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ » .
أَخْرَجَهُ أَبُو مَاجَةَ بِرَقْم (١٦٢٨) . عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وأفضل موضع في (مكة) : (الكعبة) ، ثم (المسجد) ، ثم (دار خديجة) رضي الله عنها ، لأنه أقام فيها نحو ثمانية وعشرين عاماً .

وما أحسن قول القاضي عياض - رحمه الله تعالى - في وصف تلك الرياض - أعني (مكة والمدينة) - : (وجدير بمواطن عُمِّرت بالوحي والتَّزِيلُ ، وتردَّد في عَرَصاتِها^(١) جبريلُ ، وعرجت منها الملائكةُ والروحُ ، وضجَّت فيها بالتَّقديس والتَّسبيح ، [وانتشر عنها مِنْ دين الله وسنة رسوله ما انتشر] ، مدارس وآيات ، ومشاهدُ الفضل والخيرات ، ومعاهدُ البراهين والمعجزات ، ومناسكُ الدِّين ، ومواقفُ سيِّد المرسلين ، حيثُ أنفجرت النبوة [ق٢٥] / والرَّسالة ، وفاضَ عُبابُها^(٢) ، وأوَّل أرضٍ مسَّ جِلْدَ الْمُصْطَفَى ترايُها ؛ أَنْ تُعْظَمَ عَرَصاتُها ، وتُنَسَّمَ^(٣) نفحاتُها ، وتُقَبَّلَ ربوعُها وجدرانها^(٤) .

وقال القاضي عياض - رحمه الله تعالى - في معنى ذلك شعراً ، [مِنَ الْكامل]^(٥) :

يَا دَارَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ بِهِ
هُدْيِ الْأَنَامِ وَخُصَّ بِالْآيَاتِ

(١) العَرَصات: (جمع عَرَصَة)؛ وهي كلُّ موضعٍ واسعٍ لا بناءَ فيه. (أنصاري).

(٢) العُباب : كثرة الماء والسَّيل .

(٣) تنسَّم : طلب النَّسيم واستنشقه . (أنصاري) .

(٤) الشُّفا ، ج ٢/ ١٣٢-١٣٣ .

(٥) وروي أَنَّ القاضي عياض - رحمه الله تعالى - لم يحج ولم يزره ﷺ ، فقال هذه الأبيات متحسراً .

عُنْدِي لِأَجْلِكَ لَوْعَةٌ وَصَبَابَةٌ
وَتَشَوُّقٌ مُتَوَقِّدٌ أَلْجَمَرَاتِ^(١)
وَعَلَيَّ عَهْدٌ إِنْ مَلَأْتُ مَحَاجِرِي
مِنْ تِلْكَ الْجُدُرَانِ وَالْعَرَصَاتِ^(٢)
لَأَعْفِرَنَّ مَصُونَ شَيْبِي بِالثَّرَى
مِنْ كَثْرَةِ التَّقْبِيلِ وَالرَّشَفَاتِ^(٣)
لَكِنْ سَأَهْدِي مِنْ حَفِيلِ تَحِيَّتِي
لِقَطِيبِ تِلْكَ الدَّارِ وَالْحُجُرَاتِ^(٤)
أَذْكَى مِنْ أَلَمِ السَّكَنِ الْمُعْتَبِرِ نَفْحَةً
تَغْشَاهُ بِالْأَصَالِ وَالْبُكْرَاتِ^(٥)
وَأَمَّا شَرَفُ قَوْمِهِ وَنَسَبُهُ ، وَمَآثِرُ آبَائِهِ وَحَسَبُهُ ﷺ فَهِيَ دَوْحَةٌ
شَرَفٍ ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، وَعَمُودُ نَبْوَةٍ يَصْدَعُ بِنُورِهِ
حِجَابُ الظُّلَمَاءِ .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾
[سورة التوبة ١٢٨/٩] . ومعنى : ﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ - بضم الفاء - أي :
مِنْكُمْ ، و ﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ - بفتحها - أي : مِنْ خِيَارِكُمْ .

-
- (١) اللَّوْعَةُ : حُرْقَةٌ فِي الْقَلْبِ ، وَالْمُ يَجِدُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ حُبٍّ أَوْ هَمٍّ أَوْ حُزْنٍ .
الصَّبَابَةُ : رَفَّةُ الشَّوْقِ وَحَرَارَتُهُ .
(٢) الْمَخَجَرُ : مَا أَحَاطَ بِالْعَيْنِ .
(٣) التَّعْفِيرُ : التَّمْرِغُ بِالْعَيْنِ . الرَّشَفَاتُ : جَمْعُ رَشْفَةٍ - وَهِيَ مَصُّ الرِّيقِ .
وَقُسِّرَ هُنَا بِالتَّقْبِيلِ .
(٤) الْحَفِيلُ : بِمَعْنَى كَثِيرٍ .
(٥) فِي « الشِّفَا » : (الْمُفْتَقُّ) بَدَلُ (الْمُعْتَبِرِ) .

قَالَ الْعَجَلَاءُ : لَمْ تَكُن قَبِيلَةً مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا وَلَهَا وَصْلَةٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ ،
إِمَّا وَلَادَةً أَوْ قَرَابَةً .

وقال ﷺ : « بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ ، قَرْنَا فَقَرْنَا ، حَتَّى
كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ » ، رواه البخاري (١) .

وقال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ،
وَأَصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَأَصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ
قُرَيْشًا ، وَأَصْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ ، وَأَصْطَفَانِي مِنْ بَنِي
هَاشِمٍ » ، رواه الترمذي ، وقال : حديث [حسن] صحيح (٢) .

النَّسَبُ الْأَكْبَرُ لِنَبِيِّنا ﷺ قَالَ الْبُخَارِيُّ : (وَهُوَ ﷺ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ - أَي : بفتح الميم - بْنِ فُصَيٍّ
- أَي : بضم القاف مُصْغَرًا - ابْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ
- أَي : مُصْغَرًا - ابْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرٍ - أَي : بكسر الفاء - ابْنِ مَالِكٍ بْنِ
النَّضْرِ - أَي : بضادٍ مُعْجَمَةٍ - ابْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ - أَي : مُصْغَرًا
بِالْمُعْجَمَتَيْنِ - ابْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ
[٢٦٦] عَدْنَانَ (٣) / .

قُلْتُ : وَهَذَا النَّسَبُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ، وَفِيمَا بَعْدَهُ - مِنْ
عَدْنَانَ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، ثُمَّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى نُوحٍ ، ثُمَّ مِنْ
نُوحٍ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - اخْتِلَافٌ وَزِيَادَةٌ وَنَقْصَانٌ .

-
- (١) أخرجه البخاري ، برقم (٣٣٦٤) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) أخرجه الترمذي ، برقم (٣٦٠٥) . عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه .
(٣) ذكره البخاري في « الصحيح » ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : مبعث
النبي ﷺ ، (٥٧) .

وروى ابن سعد في « طبقاته » : أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا أُنْتَسَبَ لَمْ يُجَاوِزْ فِي نَسَبِهِ مَعَدَّ بْنَ عَدْنَانَ بْنِ أَدِّ ثُمَّ يُمْسِكُ وَيَقُولُ : « كَذَبَ النَّسَابُونَ » وَيَقُولُ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الفرقان ٣٨/٢٥] (١) .

قَالَ الْعَجَلَاءُ : وَبَطُونُ قُرَيْشٍ هُمْ وَلَدُ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ ، وَهُمْ قَوْمُهُ الَّذِينَ شَرَّفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [سورة الزخرف ٤٣/٤٤] - أَي : ثَنَاءٌ وَشَرَفٌ - وَهُمْ عَشِيرَتُهُ الْأَقْرَبُونَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [سورة الشعراء ٢٦/٢١٤] لِمَا فِي « صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ » أَنَّهُ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ صَعِدَ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي : « يَا بَنِي فَهْرٍ ، يَا بَنِي عَدِيٍّ ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ - لِبَطُونِ قُرَيْشٍ - : أَشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » الْحَدِيثُ (٢) .

وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ عَلَى أَنَّ قُرَيْشًا أَفْضَلُ الْعَرَبِ ، وَأَنَّ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَفْضَلُ قُرَيْشٍ ، وَأَنَّ بَنِي هَاشِمٍ أَفْضَلُ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأَنَّهُ ﷺ أَفْضَلُ بَنِي هَاشِمٍ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عُمُّهُ أَبُو طَالِبٍ ، [مِنَ الطَّوِيلِ] (٣) :

إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ
فَعَبْدُ مَنَافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا (٤)

-
- (١) ابن سعد ، ج ١/ ٥٦ .
(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٢٦٠٢) . ومسلم برقم (٢٠٦) . عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه .
(٣) ابن هشام ، ج ١/ ٢٦٩ .
(٤) سِرُّهَا : وسطها . صَمِيمُهَا : خالصها .

وَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عَبْدٍ مَنَافِهَا

فَفِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا

وَإِنْ فَخَرْتُ يَوْمًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا

هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمُهَا

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي السَّيِّدِ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَالِدُ النَّبِيِّ ﷺ

صفة عبد الله بن عبد
المطلب واليد
رسول الله ﷺ

أَنهَدَ فَتَى فِي بَنِي هَاشِمٍ - أَي : أَرْفَعَهُمْ وَأَصْبَحَهُمْ - وَجْهًا ،
وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا وَخُلُقًا ، وَكَانَ نُورُ النَّبِيِّ ﷺ يَلُوحُ فِي وَجْهِهِ ، وَهُوَ
أَوَّلُ مَنْ فِدِيَ بِمَتْنَةٍ مِنَ الْإِبِلِ كَمَا سَيَأْتِي .

وَأَمَّا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ : فَاسْمُهُ : شَيْبَةُ الْحَمْدِ (١) ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ

صفة عبد المطلب جد
رسول الله ﷺ

عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لِأَنَّ عَمَّهُ الْمُطَّلِبَ بْنَ عَبْدِ مَنَافٍ أَخَذَهُ مِنْ أُمِّهِ سَلْمَى

[ق٢٧] الْأَنْصَارِيَّةَ النَّجَارِيَّةَ ، فَقَدِمَ بِهِ (مَكَّةَ) يُرِدْفُهُ خَلْفُهُ ، وَكَانَ / أَسْمَرَ

الَّلَّونَ ، فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ عَبْدٌ اشْتَرَاهُ الْمُطَّلِبُ ، فَقَالُوا : قَدِمَ الْمُطَّلِبُ

بَعِيدٍ ، فَلَزِمَهُ ذَلِكَ الْأِسْمُ ، وَكَانَ شَرِيفًا فِي قَوْمِهِ ، مُبْجَلًا عِنْدَهُمْ ،

مُعْظَمًا ، يَوْضَعُ لَهُ بِسَاطٌ فِي ظِلِّ (الْكَعْبَةِ) ، لَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ،

وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ : الْفَيَاضَ ؛ لِسَمَاحَتِهِ وَكَرَمِهِ ، وَلَهُ مَنَقَبَتَانِ

عَظِيمَتَانِ ، وَهُمَا : حَفْرُ بَثْرِ زَمْزَمَ ، وَإِهْلَاكُ أَصْحَابِ الْفِيلِ .

أَمَّا بَثْرُ زَمْزَمَ : فَإِنَّهَا كَانَتْ قَدْ دَفَنْتَهَا السَّيُولُ ، وَأَنْدَرَسَ أَثَرُهَا ،

حفر بئر زمزم ، ونذر
عبد المطلب بذبح ولده
عبد الله

فَرَأَى عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي نَوْمِهِ مَنَ نَبَّهَهُ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أَرَادَ حَفْرَهَا حَسَدَتْهُ

بَطُونُ قُرَيْشٍ ، وَهَمُّوا أَنْ يَمْنَعُوهُ ، فَكَفَاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ ، فَنَذَرَ لِنِ رِزْقِهِ

اللَّهُ عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ يَمْنَعُونَهُ ؛ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِذَبْحِ أَحَدِهِمْ ،

فَلَمَّا تَمَّ الْعَدْدُ عَشْرَةً أَعْلَمَهُمْ بِنَذَرِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : أَقْضِ فِينَا أَمْرَكَ

(١) سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ فِي رَأْسِهِ شَيْبَةٌ . [تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٢/٢٤٦ .

(أَنْصَارِيٍّ) .

وَأَوْفٍ بِنْدَرِكَ ، فَأَسْهَمَ بَيْنَهُمْ ، فَخَرَجَ السَّهْمُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَذْبَحَهُ مَنَعَتْهُ قُرَيْشٌ ، لَثَلًا يَكُونُ فِيهِمْ سُنَّةٌ ، فَأَفْتَاهُ كَاهِنٌ أَنْ يُسْهِمَ عَلَيْهِ وَعَلَى عَشْرِ مِنَ الْإِبِلِ - وَكَانَتْ الْعَشْرُ عِنْدَهُمْ دِيَّةَ الرَّجُلِ - فَفَعَلَ ، فَخَرَجَ السَّهْمُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ الْكَاهِنُ : زِدْ عَشْرًا ، فَإِنَّ رَبَّكَ لَمْ يَرْضَ ، فزَادَ عَشْرًا ، فَخَرَجَ السَّهْمُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ : زِدْ عَشْرًا ، فزَادَ عَشْرًا ، فَلَمْ يَزَلْ يَخْرُجُ السَّهْمُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ حَتَّى بَلَغَ الْعَدَدُ مِئَةً ، فَخَرَجَ السَّهْمُ عَلَى الْإِبِلِ ، فَقَالَ لَهُ : أَعِدِ الْقِرْعَةَ ، فَأَعَادَهَا ، فَخَرَجَ السَّهْمُ عَلَى الْإِبِلِ ، ثُمَّ أَعَادَهَا فَخَرَجَ عَلَى الْإِبِلِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ رَضِيَ رَبُّكَ ، فَأَنَحَرَهَا فِدَاءً عَنْ أَبْنِكَ ، فَفَعَلَ ، فَاسْتَمَرَّتِ الدِّيَّةُ فِي قُرَيْشٍ مِئَةً مِنَ الْإِبِلِ ، ثُمَّ جَاءَ الشَّرْعُ فَفَرَّرَهَا دِيَّةً لِكُلِّ مُسْلِمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَأَمَّا أَصْحَابُ الْفِيلِ : فَإِنَّ الْحَبْشَةَ لَمَّا مَلَكَتِ (الْيَمَنَ) وَعَلَيْهِمْ أَبْرَهُةُ الْأَشْرَمُ ، وَكَانُوا بَنَوْا كَنِيسَةً بـ (صِنْعَاء) كَالْكَعْبَةِ ، وَصَرَفُوا حَجَّاجَ (الْكَعْبَةِ) إِلَيْهَا ، فَدَخَلَهَا لَيْلًا رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ وَلَطَّخُوهَا بِالْعَذْرَةِ^(١) وَهَرَبُوا ، فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ أَبْرَهُةُ عَزَمَ عَلَى هَذَمِ (الْكَعْبَةِ) ، فَتَجَهَّزَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ ، فَلَمَّا شَارَفَ (مَكَّةَ) أَغَارَ عَلَى سَرْحِهَا^(٢) ، فَاسْتَأَقَ أَمْوَالَ قُرَيْشٍ ، وَنَزَلَ بـ (عَرْفَةَ) ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبْرَهُةُ نَزَلَ لَهُ / عَنْ سَرِيرِ مُلْكِهِ إِجْلَالًا لَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ [ق٢٨] حَاجَتِهِ ، فَذَكَرَ أَنَّ لَهُ نَحْوَ مِئَةٍ مِنَ الْإِبِلِ فَرَدَّهَا عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ : هَلَّا كَلِمَتُهُ فِي الْإِنْصِرَافِ عَنْ (الْكَعْبَةِ) ؟ فَقَالَ : أَنَا رَبُّ إِبِلِي ، وَالْكَعْبَةُ لَهَا رَبٌّ يَحْمِيهَا .

(١) الْعَذْرَةُ : الْغَائِطُ .

(٢) السَّرْحُ : الْمَاشِيَةُ مِنَ الْغَنَمِ وَالْإِبِلِ .

وأَمْتَازَ بقریشِ إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ ، وَجَعَلَ يَدْعُو اللَّهَ وَيَقُولُ ،
[مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ] (١) :

لَا هُمْ إِنْ أَلْمَرَّ يَمْدُ نَعُ رَحْلَهُ فَأَمْنَعُ حِلَالِكَ (٢)

لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيَّتُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَوًا مِحَالِكَ (٣)

أَي : مَكْرَك ، وَمِنْهُ : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [سورة الرعد ١٣/١٣] .

ثُمَّ سَارَ أَبْرَهُةٌ إِلَى (مَكَّةَ) ، فَلَمَّا كَانُوا بِ (مُحَسَّرٍ) (٤)
- بِمَهْمَلَاتٍ ، وَهُوَ وَادٍ بَيْنَ (عَرَفَةَ وَمُزْدَلِفَةَ) - نَكَصَ الْفِيلُ عَلَى
عَقْبِيهِ ، فَرَدَّوهُ فَأَبَى ، فَأَدْخَلُوا الْحَدِيدَ فِي أَنْفِهِ حَتَّى خَرَمُوهُ ، فَلَمْ
يُسَاعِدْهُمْ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَى (مَكَّةَ) .

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طِيْرًا ، يَحْمِلُ كُلُّ طَيْرٍ مِنْهَا
ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ صِغَارٍ ؛ حَجَرَيْنِ بَيْنَ رَجْلَيْهِ ، وَحَجْرًا فِي مَنْقَارِهِ ، إِذَا
وَقَعَتِ الْحَجَارَةُ عَلَى رَأْسِ أَحَدِهِمْ خَرَجَتْ مِنْ دُبُرِهِ ، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ
جَمِيعًا .

(١) ابن هشام ، ج ١/ ٥٠ .

(٢) لَا هُمْ : أَصْلُهَا اللَّهُمَّ . حِلَالِكَ : جَمْعُ حَلَةٍ : وَهِيَ جَمَاعَةُ الْبُيُوتِ ،
وَالْمُرَادُ هُنَا : الْقَوْمُ الْحُلُولُ . وَالْحِلَالُ أَيْضًا : مَتَاعُ الْبَيْتِ ، وَجَائِزٌ أَنْ
يَكُونَ هَذَا الْمَعْنَى الثَّانِي مُرَادًا هُنَا . (ابن هشام ، ج ١/ ٥١) .

(٣) غَدَوًا : غَدَاً . وَهِيَ الْيَوْمُ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَ يَوْمِكَ ، فَحُذِفَتْ لَامُهُ ، وَلَمْ
يَسْتَعْمَلْ تَامًّا إِلَّا فِي الشَّعْرِ . (ابن هشام ، ج ١/ ٥١) .

(٤) مُحَسَّرٌ : وَادٍ صَغِيرٌ يَأْتِي مِنَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ لِثَبِيرِ الْأَعْظَمِ مِنْ طَرَفِ ثَقَبَةٍ ،
وَيَذْهَبُ إِلَى وَادِي عُرْنَةٍ ، فَإِذَا مَرَّ بَيْنَ مَنَى وَمُزْدَلِفَةَ كَانَ الْحَدَّ بَيْنَهُمَا .
(معالم مَكَّةَ ص ٢٤٨) .

وفي ذلك أنزل الله على نبيه ﷺ مذكراً له بنعمته عليه وعلى قومه ، لأنه كان يومئذ حملاً^(١) ، وولد بعد الفيل بخمسين ليلة : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ - أي : إبطال - ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ - أي : عصباً عصباً - ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ - أي : من قعر جهنم ، وهو أيضاً سجين - ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ - أي : كزرع أكلته البهائم - [سورة الفيل] .

ومن يومئذ أحترمت الناس قريشاً ، وقالوا : هم جيران الله ، يُدافع عنهم .

وأما هاشم : فأسمه عمرو ، وإنما سمي هاشماً لكثرة إطعامه خبز هاشم الثريد في المجاعة ، وفيه يقول الشاعر ، [من الكامل]^(٢) :

عَمْرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَتُونَ عِجَافُ^(٣)
وبلغ في الكرم مبلغاً عظيماً حتى إنه كان يُطعم الوحش والطير ، فينحر لها في رؤوس الجبال ، وكان إذا وقع القحط جمع أهل (مكة) وأمر المؤسرين منهم / بالإنفاق على فقرائهم ، حتى يأتي الله بالغيث . [ق ٢٩]

ثم إنه وقد (الشام) على قيصر فأخذ منه كتاباً بالأمان لقريش ، وأرسل أخاه المطلب إلى (اليمن) ، فأخذ من ملوكهم كتاباً أيضاً ، ثم أمر تجار قريش برحلتهم الشتاء والصيف ، فكانوا يرحلون في

(١) أي : عندما كان حملاً في بطن أمه .

(٢) من قول عبد الله بن الزبيري .

(٣) المستنون : الذين أصابهم السنة ، وهي الجوع والقحط . العجاف :

الضعف والهزال . (ابن هشام ، ج ١/ ١٣٦) .

الصَّيْفِ إِلَى (الشَّام) لَشَدَّةِ بَرْدِهَا ، وفي الشَّتَاءِ إِلَى (الْيَمَنِ) ،
فَاتَّسَعَتْ مِنْ يَوْمِئِذٍ مَعِيشَتُهُمْ بِالتَّجَارَةِ ، وَأَنْقَذَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْخَوْفِ
وَالْجُوعِ بِبَرَكَةِ هَاشِمٍ .

وفي ذلكَ أَيْضاً أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ : ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾
- أَيِ : لِإِنْعَامِ اللَّهِ عَلَى قُرَيْشٍ بِإِيْلَافِهِمْ - ﴿إِلْفِهِمْ﴾ - أَيِ :
أَعْتِيَادِهِمْ - ﴿رِحْلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾
- أَيِ : الْكَعْبَةِ - ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾
[سورة قريش] .

وَأَمَّا عَبْدُ مَنْفٍ : فَكَانَ يُسَمَّى قَمَرَ الْبَطْحَاءِ لَصَبَاحَتِهِ ، وَهُوَ
الَّذِي قَامَ مَقَامَ أَبِيهِ قُصَيٍّ بِالسِّيَادَةِ وَسَقَايَةِ الْحَاجِّ ، وَقَامَ أَخُوهُ عَبْدُ
الدَّارِ بِسِدَانَةِ الْبَيْتِ وَالرِّفَادَةِ - أَيِ : إِطْعَامِ الْحَاجِّ فِي (دَارِ النَّدْوَةِ)
الَّتِي بَنَاهَا قُصَيٌّ - وَأَخُوهُ عَبْدُ الْعُزَّى بِآلَاتِ الْحَرْبِ مِنَ السَّلَاحِ
وَالْكُرَاعِ^(١) ، بِوَصِيَّةِ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبِيهِمْ قُصَيٍّ .

خبرُ عبدِ مَنْفٍ

وَأَمَّا قُصَيٌّ : فَكَانَ يُسَمَّى مُجْمَعاً ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ قُرَيْشاً مِنَ
الْبُوَادِي إِلَى سُكْنَى (مَكَّةَ) ، وَأَخْرَجَ خُرَاعَةً مِنْهَا ، وَفِيهِ يَقُولُ
الشَّاعِرُ ، [مِنَ الطَّوِيلِ] ^(٢) :

خبرُ قُصَيٍّ

أَبُوكُمْ قُصَيٌّ كَانَ يُدْعَى مُجْمَعاً
بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فَهْرٍ
وَذَلِكَ أَنَّ سَيِّدَ خُرَاعَةِ شَرِبَ لَيْلَةً مَعَ جَمَاعَةٍ فَنَفِدَ شَرَابُهُ ، فَقَالَ :
مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي سِدَانَةَ الْبَيْتِ بَزَقٌ خَمْرٍ^(٣) ، فَأَشْتَرَاهَا قُصَيٌّ وَأَشْهَدَ

(١) الْكُرَاعُ : اسْمٌ يَجْمَعُ الْخَيْلَ وَالسَّلَاحَ .

(٢) هُوَ مِنْ قَوْلِ حِذَاقَةَ بْنِ جَمْحٍ . (ابن هشام ، ج ١/١٢٦) .

(٣) الزَّقُّ : وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ يُجَزُّ شَعْرُهُ وَلَا يَتِفَفُ ، لِلشَّرَابِ وَغَيْرِهِ .

عليه^(١) ، وفي ذلك يقول الشاعر ، [من البسيط] :

بَاعَتْ خُرَاعَةً بَيْنَ اللَّهِ إِذْ سَكِرَتْ

بِرِزْقٍ خَمِرٍ فَيُسَّتْ صَفْقَةُ الْبَادِي

بَاعَتْ سِدَانَتَهَا لِلْبَيْتِ وَأَنْتَقَلَتْ

عَنِ الْمَقَامِ وَظِلَّ الْبَيْتِ وَالنَّادِي

وَأَبَاؤُهُ صِفَةُ آبَائِهِ عَلَيْهِ كُلُّهُمْ سَادَاتٌ ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ سَيِّدُ قَوْمِهِ فِي

عصره، مِنْ أَبِيهِ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا قِيلَ ، [من الكامل]^(٢) :

فَأُولَئِكَ السَّادَاتُ لَمْ تَرِ مِثْلَهُمْ

عَيْنٌ عَلَى مُتَابِعِ الْأَحْقَابِ

زُهِرَ الْوَجْهِ كَرِيمَةً أَحْسَابُهُمْ

يُعْطُونَ سَائِلَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابِ

/ لَمْ يَعْرِفُوا رَدَّ الْعُفَاةِ وَطَالَمَا [ق ٣٠]

رَدُّوا أَعَادِيَهُمْ عَلَى الْأَعْقَابِ

حَلَمُوا إِلَى أَنْ لَا تَكَادَ تَرَاهُمْ

يَوْمًا عَلَى ذِي هَفْوَةٍ بِغَضَابِ

وَتَكَرَّمُوا حَتَّى أَبَوْا أَنْ يَجْعَلُوا

بَيْنَ الْعُفَاةِ وَبَيْنَهُمْ مِنْ بَابِ

كَانَتْ تَعِيشُ الطَّيْرُ فِي أَكْنَافِهِمْ

وَالْوَحْشُ حِينَ يَشِخُّ كُلُّ سَحَابِ

وَكَفَاهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا

مِنْهُمْ فَمَذَحَهُمْ بِكُلِّ كِتَابِ

(١) الرِّوَضُ الْأَنْفُ ، ج ٢ / ٣٢ .

(٢) سَبِيلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ ، ج ١ / ٢٨١ .

البَابُ الثَّالِثُ

فِي ذِكْرِ مَنْ بَشَّرَ بِقَبْلِ ظُهورِهِ ، وَمَا أُسْفِرَ قَبْلُ بُرُوعِ شَمْسِ نُبُوئِهِ
مِنْ صُبْحِ نَوْرِهِ ﷺ

قَالَ عُلَمَاءُ السِّيَرِ : وَقَدْ بَشَّرَ بِهِ ﷺ جَمِيعُ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عُمُومًا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ
كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ
وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ [سورة آل عمران ٨١ / ٣] .

رَوَى عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ فِي مَعْنَاهَا ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ : (الرَّسُولُ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا مِنْ
لَدُنْ آدَمَ إِلَّا أَخَذَ لَهُ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ لِنَبِيِّ يُبْعَثُ مُحَمَّدٌ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ
وَلِيَنْصُرَنَّهُ)^(١) ؛ إِعْلَامًا لَهُمْ بَعْلُو قَدْرِهِ ، مَعَ عِلْمِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ آخِرُهُمْ
بَعَثًا .

وَذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَقَى آدَمُ مِنْ
رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة ٣٧ / ٢] . أَنَّ آدَمَ تَوَسَّلَ
بِمُحَمَّدٍ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إِلَى رَبِّهِ فِي غُفْرَانِ ذَنْبِهِ ، فَغُفِرَ
لَهُ^(٢) .

(١) تفسیر الطبري ، ج ٦ / ٥٥٥ .

(٢) انظر تفسیر الآیة فی «تفسیر القرطبي» ج ١ / ٣٢٣-٣٢٥ .

وَبَشَّرَ بِهِ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خُصُوصاً ، قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعِ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا
 بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾
 [سورة الصف ٦١/٦] (١) .

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ مِنْ غَيْرِ النَّبِيِّينَ جَدُّهُ كَعْبُ بْنُ لُؤْيٍ .
قَالَ كَلْبَاءُ السَّيِّدِ : كَانَ كَعْبُ بْنُ لُؤْيٍ مَتَمَسِّكاً بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، مُصَدِّقاً بِبِعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَهُوَ الَّذِي سَمِيَ يَوْمَ
 الْجُمُعَةِ جُمُعَةً ، وَكَانَتْ تُسَمِّيهِ الْعَرَبُ ؛ الْعَرُوبَةَ - بَعِينَ وَرَاءَ مُهْمَلَتَيْنِ -
 لِأَنَّهُ كَانَ يُجْمَعُ النَّاسُ فِي يَوْمِهَا بَعْدَ الزَّوَالِ ، يَخْطُبُهُمْ ، وَيَعْظُمُهُمْ ،
 وَيُبَشِّرُهُمْ بِبِعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيهِمْ ، وَيَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، الدَّارُ وَاللَّهُ
 أَمَامَكُمْ ، وَالظَّنُّ خِلَافُ ظَنِّكُمْ ، فَرِّتُوا حَرَمَكُمْ وَعَظْمُوهُ / ، [ق ٣١]
 وَتَمَسَّكُوا بِهِ وَلَا تَفَارِقُوهُ ، فَسَيَأْتِي لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، وَسَيَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيٌّ
 كَرِيمٌ ، ثُمَّ يُنْشَدُ ، [مِنَ الطَّوِيلِ] (٢) :

نَهَارٌ وَلَيْلٌ وَأَخْتِلَافُ حَوَادِثٍ
 سَوَاءٌ عَلَيْنَا حُلُوهَا وَمَرِيرُهَا
 عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
 فَيُخْبِرُ أَخْبَاراً صَدُوقاً خَيْرُهَا
 وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ ﷺ تَبَعُ أَسْعَدُ الْكَامِلِ الْمَلِكِ الْحِمِيرِيِّ .

تَبَعُ يَبَشِّرُهُ ﷺ

(١) أَخْرَجَ أَبُو سَعْدٍ ، ج ١/٣٦٣ ، بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ،
 قَالَتْ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ لَا فِظٌ وَلَا غَلِيظٌ ،
 وَلَا صَحَابٌ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا ، وَلَكِنْ يَعْفُو
 وَيَصْفَحُ .

(٢) دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ ، ج ١/١٠٦ .

قَالَ الْقَلْبُ السَّيِّئُ : كَانَ تَبِعَ أَسْعَدُ الْكَامِلُ أَرَادَ أَهْلَ (الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ) بسوءٍ ، مَكِيدَةً كَادَهُ بِهَا بَعْضُ أَعْدَائِهِ لِيُهْلِكَهُ ، فَأَخْبَرَهُ الْأَحْبَارُ أَنَّهَا دَارُ هِجْرَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَأَنْصَرَفَ عَنْهُمْ ، ثُمَّ قَرَأَ التَّوْرَةَ وَتَعَرَّفَ فِيهَا صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَصَدَّقَ بِمَبْعَثِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ ، [مِنَ الْمُتَقَارِبِ] (١) :

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدٍ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ بَارِي النَّسَمِ
فَلَوْ مُدَّ عُمْرِي إِلَى عُمْرِهِ لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ وَابْنَ عَمٍّ
وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ ﷺ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ .

عبد المطلب يبشر
به ﷺ

قَالَ الْكَلْبَاءُ السَّيِّئُ : إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ كَانَ قَدْ أُطْلِعَ عَلَى عَجَائِبَ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَرَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ خَرَجَتْ مِنْ ظَهْرِهِ ، لَهَا طَرَفٌ فِي السَّمَاءِ وَطَرَفٌ فِي الْأَرْضِ ، وَطَرَفٌ بِالْمَشْرِقِ وَطَرَفٌ بِالْمَغْرِبِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ مُتَعَجِّبٌ مِنَ الْأَمْرِ الْمُغْرِبِ (٢) ، إِذْ بِهَا قَدْ عَادَتْ كَأَنَّهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ مَوْرِقَةٌ ، وَعَلَى كُلِّ وَرْقَةٍ مِنْهَا نُورٌ مُشْرِقٌ ، وَقَدْ تَعَلَّقَ بِهَا أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ ، فَأَوَّلَتْ لَهُ بِمَوْلُودٍ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ يَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ فِي كُلِّ صَنِيعٍ ، وَيَنْقَادُ لَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ أَنْفِيَادَ مُطِيعٍ .

وَذَكَرُوا أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ رَأَاهُ مَرَّةً حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ فِي أَحَدٍ مِنْ خَرِيكَ لِمُلْكًا ، وَفِي الْآخِرِ نَبْوَةٌ (٣) .

وَمِنَ الْمُبَشِّرَاتِ بِهِ ﷺ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ : أَنَّ الشَّيَاطِينَ مُنِعَتْ قَبِيلَ مَوْلَاهُ مِنْ أَسْتِرَاقِ السَّمْعِ .

حجبُ الشياطين عن
استراق السمع عند
قرب مبعثه ﷺ

(١) البداية والنهاية ، ج ٢ / ١٣٠ .

(٢) الخبر المغرب : الذي جاء غريباً حادثاً طريفاً .

(٣) دلائل النبوة ، ج ٢ / ٧٨٠ .

وما ظهر ليلة مولده من أرتجاس^(١) إيوان كسرى ، وسقوط أربع
عشرة شرفة من شرفاته ، وخمود نار فارس التي يعبدونها ،
وما خمدت منذ ألف عام .

ورؤيا المؤبدان - بفتح الموحدة وبذال معجمة - وهو عالم
الفرس^(٢) / : رأى إبلاً صعباً^(٣) تقود خيلاً عراباً^(٤) ، قد قطعت [ق ٣٢]
(دجلة) وانتشرت في بلادها ، فخاف [كسرى] أن يكون ذلك لفساد
دولته وخرابها .

فأرسل عبد المسيح إلى خاله سطيح الكاهن بـ (الشام) فوجده
قد أشفى على الموت ، فلما أحسَّ به سطيح ، قال : عبد المسيح ،
على جمل مُشيع - أي : ضامر ، بشين معجمة - : أرسلك ملك بني
ساسان ، ليسأل عن أرتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا
المؤبدان ؟ يا عبد المسيح : إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب
الهرابة ، وفاض وادي سماوة ، فليست (الشام) لسطيح شاماً ،
ولا مُقام (العراق) لكسرى وقومه مُقاماً ، يملك منهم ملوك
وملكات ، على عدد الساقط من الشرفات ، وكل ما هو آت آت .

ثم قضى سطيح مكانه ، بعد ما أبان من أمر ظهور رسول الله ﷺ
ما أبانه^(٥) .

-
- (١) في الأصل : ارتجاج ، وهو تصحيف . أرتجس : اضطرب وتحرك
حركة سَمِعَ لها صوت . [النهاية ، ج ٢ / ٢٠١ (أنصاري)] .
(٢) المؤبدان : هو للمجوس كقاضي القضاة للمسلمين .
(٣) صعباً : شديدة .
(٤) عراباً : خيل عربية .
(٥) دلائل النبوة ، ج ١ / ١٢٦ .

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ مَا ذَكَرَهُ عِلْمَاءُ السَّيَرِ : أَنَّهُ كَانَ حَوْلَ (مَكَّةَ) رَاهِبٌ يَقَالُ لَهُ : عِصَا - بِمَهْمَلَتَيْنِ بَيْنَهُمَا تَحْتِيَّةٌ - وَكَانَ قَدْ أَحْرَزَ عِلْمًا كَثِيرًا ، وَأَنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ (مَكَّةَ) كُلَّ مَوْسِمٍ ، فَيَقُومُ مَبْشِرًا بِظُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فيقولُ : (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّهُ سَيَظْهَرُ فِيكُمْ نَبِيٌّ تَدِينُ لَهُ الْعَجَمُ وَالْعَرَبُ ، وَهَذَا وَقْتُ ظُهُورِهِ قَدْ أَقْتَرَبَ) .

فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ طَائِفًا بِ(الْكَعْبَةِ) ، فَرَأَى إِسَافًا وَنَائِلَةً^(١) - وَهُمَا صَنْمَانٌ عَظِيمَانِ - قَدْ سَقَطَا ، فَأَذْهَلَهُ ذَلِكَ الشَّأْنُ ، وَجَعَلَ يَمَسْحُ عَيْنَيْهِ ، وَيَقُولُ : أَنَا نَائِمٌ أَنَا أَمْ يَقْظَانِ ؟ فَلَمَّا أُخْبِرَ بِالْمَوْلُودِ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِهِ ، لِمَا كَانَ قَدْ رَأَى مِنَ الدَّلَائِلِ مِنْ قَبْلِهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الْغَدِ ، فَوَقَفَ تَحْتَ صَوْمَعَةٍ عِصَا وَنَادَاهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَكْرَمَهُ وَفَدَّاهُ^(٢) ، وَقَالَ لَهُ : (كُنْ أَبَاهُ ، كُنْ أَبَاهُ ، قَدْ طَلَعَ نَجْمُهُ الْبَارِحَةَ ، وَظَهَرَ سَنَاهُ ، وَقَدْ كُنْتُ أَحْبُّ أَنْ يَكُونَ مِنْكُمْ ، وَقَدْ كَانَ ، وَعَلَامَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ يَشْتَكِي مِنْ بَطْنِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ يُعَافَى مِنْ كُلِّ الْأَسْقَامِ ، فَأَحْفَظْهُ مِنَ الْيَهُودِ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاؤُهُ ، وَقَدْ تَحَقَّقْتُ عِنْدَهُمْ صِفَاتُهُ)^(٣) .

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ ﷺ بَعْدَ مَوْلِدِهِ : سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ ، الْمَلِكُ الْحِمَيْرِيُّ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ وَفَدَّ عَلَيْهِ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ مَوْلِدِ / النَّبِيِّ ﷺ إِلَى (صَنْعَاءَ) يُهْنِتُهُ بِظَفَرِهِ بِ(الْحَبَشَةِ) لَمَّا أَرَاَهُمُ اللَّهَ مِنْ (الْيَمَنِ) ، فَأَكْرَمَهُ وَأَجْلَسَهُ عَلَى سُرِيرٍ مُلْكِهِ ، وَأَعْطَاهُ عَطَايَا

سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ يُبَشِّرُ بِهِ ﷺ

(١) إِسَافٌ وَنَائِلَةٌ : صَنْمَانٌ كَانَا لِقُرَيْشٍ ، وَضَعَهُمَا عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ عَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَكَانَ يُذْبِحُ عَلَيْهِمَا تَجَاهَ الْكَعْبَةِ .

(٢) أَيُّ قَالَ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ .

(٣) مُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ، ج ٢ / ٥٠ - ٥١ .

جزيلة ، وأخبره أَنَّهُ يَجِدُ في الكتب القديمة أَنَّ هذا أَوَانٌ وجود النَّبِيِّ
الْأُمِّيِّ الْعَرَبِيِّ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ ، وَأَنَّ صِفَتَهُ كَذَا وَكَذَا ، فَأَخْبَرَهُ
عَبْدُ الْمُطَّلَبِ أَنَّ عِنْدَهُ غُلَامًا بِتِلْكَ الصِّفَةِ ، فَأَوْصَاهُ بِهِ ، وَحَذَّرَهُ مِنْ
كَيْدِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى . فَمَاتَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ .

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ ﷺ : بَحِيرَا الرَّاهِبِ - بَفَتْحِ الْمَوْحَدَةِ وَكَسْرِ
الرَّاهِبِ بَحِيرَا يُبَشِّرُ
بِهِ ﷺ الْمُهْمَلَةَ مَمْدُودًا - وَذَلِكَ أَنَّ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ خَرَجَ بِهِ إِلَى (الشَّامِ) فِي
السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ وَلَادَتِهِ ﷺ ، فَلَمَّا بَلَّغُوا (بُصْرَى) مِنْ أَرْضِ
(الشَّامِ) رَأَى الرَّاهِبُ الْمَذْكُورُ مَعَهُمْ ، فَعَرَفَهُ بِصِفَاتِهِ الْمَذْكُورَةِ عِنْدَهُ
فِي الْإِنْجِيلِ ، فَأَمَرَ أَبَا طَالِبٍ أَنْ يَرُدَّهُ ، وَنَاشَدَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ خَوْفًا
عَلَيْهِ مِنْ كَيْدِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فَرَجَعَ بِهِ ، وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ شَيْئًا مِنْ
الْكَعْكِ وَالزَّبِيبِ .

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي « جَامِعِهِ » أَنَّ نَفَرًا مِنَ النَّصَارَى أَتَوْا بَحِيرَا
الرَّاهِبَ بَعْدَ رَجُوعِ أَبِي طَالِبٍ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا : إِنَّا خَرَجْنَا فِي طَلَبِ
النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ، وَإِنَّا وَجَدْنَا فِي كُتُبِنَا أَنَّهُ يَمُرُّ بِطَرِيقِكَ هَذِهِ فِي هَذَا
الشَّهْرِ ، وَإِنَّا نُرِيدُ قَتْلَهُ ، فَذَكَرَهُمُ اللَّهُ وَقَالَ : (أَرَأَيْتُمْ أَمْرًا يُرِيدُ اللَّهُ
أَنْ يَقْضِيَهُ أَيْقِدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّهُ ؟ قَالُوا : لَا ، وَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ) (١) .

ثُمَّ بَشَّرَ بِهِ ﷺ : نَسْطُورُ الرَّاهِبِ - بِمَهْمَلَاتٍ مَعَ فَتْحِ النُّونِ -
الرَّاهِبِ نَسْطُورِ يُبَشِّرُ
بِهِ ﷺ وَذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ خَرَجَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ مِنْ مَوْلَدِهِ مَعَ مَيْسَرَةَ غُلَامٍ
خَدِيجَةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فِي تِجَارَةٍ لَهَا ، فَلَمَّا نَزَلَ الرِّكْبُ بِقَرَبِ
صَوْمَعَةٍ (٢) الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ ، نَزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا ، وَكَانَ لَا يَنْزِلُ
لِأَحَدٍ ، وَطَافَ فِيهِمْ حَتَّى رَأَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَعَرَفَ فِيهِ عِلَامَاتِ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْمِ (٣٦٢٠) . عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) الصَّوْمَعَةُ : بَيْتٌ لِلنَّصَارَى ، كَالصَّوْمَعِ ؛ لِدَقَّةٍ فِي رَأْسِهَا . (أَنْصَارِي) .

النُّبُوَّةُ ، فَأَكْرَمَهُ ، وَأَضَافَهُمْ لِأَجْلِهِ ، وَعَرَفَهُمْ أَنَّهُ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ ،
وَأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَقَالَ لَهُ : إِحْذَرِ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ كَيْدِ الْيَهُودِ
وَالنَّصَارَى ، وَأَوْصِي مَيْسِرَةَ بِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّهُ فِينَا ؟
قَالَ : إِنَّكُمْ لَمَّا أَقْبَلْتُمْ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا وَسَجَدَ إِلَى جِهَتِكُمْ
[ق ٣٤] / ، وَكَانَ مَيْسِرَةُ يَقُولُ : (كَانَ إِذَا أَشْتَدَّ الْحَرُّ ظَلَّلْتُهُ غِمَامَةً ، تَسِيرُ
مَعَهُ أَيْنَمَا سَارَ) . فَلَمَّا رَجَعَا مِنَ (الشَّامِ) أَخْبَرَ مَيْسِرَةَ خَدِيجَةَ بِمَا رَأَهُ
مِنْ كِرَامَتِهِ ﷺ ، وَصِدْقِهِ ، وَأَمَانَتِهِ ﷺ ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّاهِبُ ،
وَمَا رَأَهُ مِنْ تَظْلِيلِ الْغِمَامَةِ لَهُ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَرَغِبَتْ خَدِيجَةُ فِي
نِكَاحِهِ ، فَخَطَبَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا ، وَكَانَ كُلُّ مَنْ أَشْرَفَ قَوْمَهَا حَرِيصاً
عَلَى ذَلِكَ ، فَتَزَوَّجَ بِهَا ﷺ (١) .

ثُمَّ بَشَّرَ بِهِ ﷺ : قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ .

قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ الْيَادِي
يُبَشِّرُ بِهِ ﷺ

وَقَدْ رَوَى النَّبِيُّ ﷺ قِصَّتَهُ ؛ أَنَّهُ كَانَ يَقُومُ بِسُوقِ عُكَازٍ خَطِيئاً ،
فَقَامَ مَرَّةً وَالنَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حَاضِرَانِ ، فَقَالَ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ
لِلَّهِ دِيناً هُوَ خَيْرٌ مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ لِلَّهِ نَبِيّاً قَدْ حَانَ
[حِينُهُ ، وَأَظْلَكُكُمْ] (٢)) أَوَانُهُ ، [فَطُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِهِ فَهَدَاهُ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ
خَالَفَهُ وَعَصَاهُ] (٢) ، فَبَادَرُوا إِلَيْهِ .

فَعَمَّا قَلِيلٍ ، وَقَدْ ظَهَرَ النُّورُ ، وَبَطَلَ الزَّوْرُ ، وَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا
بِالْحُبُورِ ، صَاحِبَ النَّجِيبِ الْأَحْمَرِ (٣) ، وَالتَّاجِ وَالْمِغْفَرِ (٤) ،
وَالْوَجْهِ الْأَزْهَرِ ، [وَالْحِجَابِ الْأَنْوَرِ ، وَالطَّرْفِ الْأَحْوَرِ] ، وَصَاحِبِ

(١) ابن هشام ، ج ١ / ١٨٨ .

(٢) التكملة عن «عيون الأثر» ، ج ١ / ٨٨ . (أنصاري) .

(٣) النَّجِيبُ : مفردُ النَّجَائِبِ ؛ وهي خيارُ الإبل .

(٤) الْمِغْفَرُ : الخوذة التي توضعُ على الرَّأْسِ لتقي من الضربات .

شهادة أن لا إله إلا الله ، فذليكم مُحَمَّدُ المبعوثُ إلى الأسود والأحمر^(١) ؛ [أهل المدر والوبر] .

ثُمَّ بَشَّرَ بِهِ ﷺ قَبِيلَ مَبْعَثِهِ : زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ ، وَكَانَ خَرَجَ يَلْتَمِسُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ - كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي « صَحِيحِهِ » - فَأَخْبَرَهُ آخِرُ الْأَحْبَارِ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُ خُرُوجِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ بـ (مَكَّة) . فَرَجَعَ وَاجْتَمَعَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِرَاراً ، وَكَانَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْبُدُكَ وَحْدَكَ ، وَأَدِينُ لَكَ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ ، وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَعْبُدُكَ !؟) .

وَلَهُ أَشْعَارٌ فِي التَّوْحِيدِ . وَمَاتَ شَهِيداً رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٢) .

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ ، وَيَقُولُ : « إِنَّهُ يُنْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ »^(٣) .

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ ﷺ قَبْلَ مَبْعَثِهِ : سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ يَتَنَقَّلُ مِنْ حَبْرٍ إِلَى حَبْرٍ ، حَتَّى قَالَ لَهُ آخِرُهُمْ عِنْدَ مَوْتِهِ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ عَلَى دِينِ الْحَقِّ ، وَلَكِنْ قَدْ آتَى خُرُوجُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ : بـ (مَكَّة) ، وَعَرَفَهُ بِصِفَاتِهِ . فَخَرَجَ مَعَ رَكْبٍ إِلَيْهَا ، فَأَخَذَهُ قُطَاعُ الطَّرِيقِ ، فَبَاعُوهُ إِلَى يَهُودِ (الْمَدِينَةِ) ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ هَاجَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ ، فَعَرَفَ الصِّفَاتَ الَّتِي فِيهِ فَأَمَّنَ / رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهِ ، وَصَدَّقَهُ ، إِلَى أَنْ سَعَى [٣٥] النَّبِيُّ ﷺ فِي مَكَاتِبِهِ بِمَا سَيَأْتِي فِي مُعْجَزَاتِهِ ﷺ^(٤) .

وَمِمَّنْ عَرَفَهُ بِصِفَاتِهِ : وَرَقَةُ بْنُ نُوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ ، ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ وَرَقَةُ بْنُ نُوْفَلٍ بْنِ نُوْفَلٍ بِشَرِّ

(١) عيون الأثر ، ج ١ / ٦٩ .

(٢) دلائل النبوة ، ج ٢ / ١٢٢ .

(٣) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » ، ج ٢ / ١٢٥-١٢٦ . عن زيد بن حارثة رضي الله عنهما .

(٤) ابن هشام ، ج ١ / ٢١٩ . المستدرک ، ج ٣ / ٦٠١-٦٠٣ .

رضيَ اللهُ عنها ، على ما في أوَّل «صحيح البخاري» ، وكان قد
 تنصَّرَ وقرأ الإنجيل ، فلما نزلَ جبريلُ على مُحَمَّدٍ ﷺ بالوحي ،
 ذهبَ به خديجةُ إلى ورقة ، فتحقَّقَ أَنَّهُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي بَشَّرَ به
 عيسى عليه السَّلامُ ، فأمنَ به وصدَّقَهُ ، وأخبرَهُ أَنَّ قَوْمَهُ سيُخرجونه
 مِنْ (مَكَّة) ، وتمنَّى أَنْ يَكُونَ حاضِراً يَوْمَئِذٍ لينصُرَهُ نصراً مؤزَّراً .
 وَمِنْ شِعْرِهِ فِي ذَلِكَ ، [مِنْ الْوَافِرِ] (١) :

لَجِجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ لَجُوجَا
 لَهُمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا (٢)
 وَوَصَفِ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَصَفِ
 فَقَدْ طَالَ أَنْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
 بِأَنْ مُحَمَّداً سَيَسُودُ فِينَا
 وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَاجِجَا
 فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارَا
 وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا (٣)
 فَيَا لَيْتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ
 [شَهِدْتُ] فَكُنْتُ أَوَّلَهُمْ وَلُوجَا
 وَلُوجَا فِي الَّذِي كَرِهْتُ قُرَيْشُ
 وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيجَا (٤)
 ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - .

(١) ابن هشام ، ج ١ / ١٩١-١٩٢ .

(٢) النَّشِيجُ : بكاءٌ مع صوت .

(٣) الْفُلُوجُ : الغلبةُ على الخصم .

(٤) عَجَّتْ عَجِيجاً : أرتفعت أصواتُها .

البَابُ السَّابِعُ

في ذكر مولده الشريف ، ورضاعته ونشأته

إلى حين أو ان بعثته ﷺ

قَالَ عُلَمَاءُ السِّيَرِ : وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ربيعِ الأوَّل ، يَوْمَ الإِثْنَيْنِ بِلَا
خِلَافٍ . ثُمَّ قَالَ الْأَكْثَرُونَ : لَيْلَةَ الثَّانِي عَشَرَ مِنْهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
العَاشِرُ . وَقَالَ آخَرُونَ : الثَّامِنُ .

وَذَلِكَ بِـ (مَكَّة) الْمَشْرِفَةِ ، فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ ^(١) ، وَهُوَ
الْمَكَانُ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ أَهْلُ (مَكَّة) لَيْلَةَ الْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ ، لِلذِّكْرِ
وَالدُّعَاءِ وَالتَّبَرُّكِ بِمَسْقَطِ رَأْسِهِ ﷺ ^(٢) .

وَأَفْتَى جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَتَأَخِّرِينَ بِأَنَّ عَمَلَ الْمَوْلِدِ عَلَى هَذَا الْقَصْدِ
حَسَنٌ مَحْمُودٌ .

قَالَ عُلَمَاءُ السِّيَرِ : وَوَضَعَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةِ ، وَاضِعاً يَدَيْهِ
عَلَى الْأَرْضِ ، رَافِعاً رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، مَخْتُوناً ، مَسْرُوراً - أَي :

(١) الشَّعْبُ : مَا انْفَرَجَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَهُوَ شِعْبٌ .

(٢) قُلْتُ : قَالَ مُحَمَّدٌ أَبُو شَهْبَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : قَدْ صَارَتْ هَذِهِ الدَّارُ إِلَى
مُحَمَّدَ بْنِ يَوْسُفَ الثَّقَفِيِّ ، أَخِي الْحِجَّاجِ . وَذَلِكَ أَنَّ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ
بَاعَ دُورَ مَنْ هَاجَرَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، وَمِنْهَا هَذِهِ الدَّارُ ، وَقَدْ أَدْخَلَهَا مُحَمَّدٌ
بَنَ يَوْسُفَ فِي دَارِهِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا : الْبَيْضَاءُ ، وَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى حَجَّتْ
الْخِزْرَانُ أُمُّ الرَّشِيدِ ، فَأَفْرَدَتْ ذَلِكَ الْبَيْتَ وَجَعَلَتْهُ مَسْجِداً ، وَقِيلَ : إِنَّ
الَّتِي بَنَتْهُ هِيَ زَيْبَةُ زَوْجَةُ الرَّشِيدِ حِينَ حَجَّتْ . (السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ ،
ج ١/ ١٧٤-١٧٥) .

مَقْطُوعَ الشُّرَّةِ - ، لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ قَدَرِ الْوِلَادَةِ .

[ق٣٦] رَوَى / ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ الشَّفَاءِ - بِالتَّشْدِيدِ - : أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَهِيَ الَّتِي تَوَلَّتْ وَلَادَتَهُ ، أَنَّهَا قَالَتْ : لَمَّا سَقَطَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى يَدَيَّ ، سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ : يَرْحُمُكَ اللَّهُ ، وَأَضَاءَ لِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى قُصُورِ (الشَّامِ) .

الآيَاتُ الَّتِي وَقَعَتْ لَيْلَةَ مَوْلِدِهِ ﷺ

وليلة ولادته ﷺ خمدت نارُ فارس التي يعبدونها ، وكان وقودها مستمراً من عهد موسى عليه الصلاة والسلام ، وأرتجس إيوان كسرى ، وسقطت منه أربع عشرة شُرَّةً ، وغاضت بحيرة ساوة^(١) ، وتنگست جميع الأصنام في جميع الآفاق ، وسقط عرش إبليس ، ورُميت الشياطين بالشُّهب ، فمُنِعَتْ مِنْ أَسْتِرَاقِ السَّمْعِ .

فَاتَعَلَّاهُ

في رمي الشياطين بالشُّهب

التحقيق أَنَّ الشَّيَاطِينَ كَانَتْ تُرْمَى بِالشُّهْبِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ﴾ [سورة الحجر ١٥/١٨] ؛ لَكِنَّهُ رَمَى لَا يَكْثُرُ فِيهِ إِصَابَتُهُمْ بِالرُّجُومِ^(٢) ، وَلَا يَمْنَعُهُمْ عَنْ مَقَاعِدِهِمُ لِلسَّمْعِ . فَلَمَّا وُلِدَ ﷺ كَانَ الرَّمْيُ بِالرُّجُومِ أَشَدَّ رَجْمًا ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ أَسْتَمَرَ مِنْعُهُمْ عَنْ مَقَاعِدِهِمْ ، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ فِيمَا حَكَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ :

- (١) غَاضَتْ : غَارَ مَاوْهَا وَذَهَبَ . وَهِيَ بَحِيرَةٌ كَبِيرَةٌ بَيْنَ هَمْدَانَ وَقُمْ مِنْ إِيرَانَ . وَقَدْ جَعَلَتْ ، وَمَكَانَهَا فِي إِيرَانَ مَعْرُوفٌ .
- (٢) الرُّجُومُ : وَهِيَ الشُّهْبُ الَّتِي تَنْقُضُ فِي اللَّيْلِ ، مَنْفَصَلَةٌ مِنْ نَارِ الْكَوَاكِبِ وَنُورِهَا ، لَا أَنَّهَا يَرْجُمُونَ بِالْكَوَاكِبِ أَنْفُسَهَا ، لِأَنَّهَا ثَابِتَةٌ لَا تَزُولُ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا كَقَبَسٍ يُوْخَذُ مِنْ نَارٍ ، وَالنَّارُ ثَابِتَةٌ فِي مَكَانِهَا [النَّهَاجِة] ، ج٢/٢٠٥ (أَنْصَارِيٌّ) .

﴿ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِلْسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا ﴾
[سورة الجن ٩/٧٢] . وذلك لئلا يلتبس الوحي بالكهانة^(١) .

وفي «الصحيحين» أيضاً ، أنهم قالوا : قد حيل بيننا وبين خبر السماء^(٢) . والله أعلم .

وأوّل مَنْ أَرْضَعَتْهُ ﷺ ثُوَيْبَةُ - بمثلثة ، مصغرة - مولاة عمّه رضاعته ﷺ
أبي لهب ، وأرضعت معه عمّه حمزة وأبا سلمة عبد الله بن
عبد الأسد المخزومي بلبن ابنها مسروح - بمهملات - .

وفي «صحيح البخاري» أنه ﷺ قال : « أَرْضَعْتَنِي أَنَا وَأَبَا سَلَمَةَ
ثُوَيْبَةُ » قال عروة بن الزبير : وثوبية مولاة لأبي لهب ، كان أبو لهب
أعتقها ، فأرضعت النبي ﷺ ، فلما مات أبو لهب أريته العباس في
أسوء حالة ، فقال له : ماذا لقيت ؟ قال : لم ألق بعدكم خيراً ، غير
أنّي خُفِّفَ عَنِّي العذاب بعثاقي / ثوبية^(٣) .

[ق٣٧]

قُلْتُ : فتخفيف العذاب عنه إنما هو كرامة للنبي ﷺ كما
خُفِّفَ عن أبي طالب ، لا لأجل مجرد العتق لقوله تعالى :
﴿ وَحِطْ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة هود ١١/١٦] .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي السَّيِّدِ : ثمّ أحتملته حلیمة السَّعْدِيَّة بنتُ أَبِي ذُوَيْبٍ
- مصغرة ذئب - من بني سعد بن بكر بن هوازن ، ثمّ قيس بن عيلان
- بمهملة - ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ؛ حين قدّمت
مع قومها يلتسون الرضعاء ، لما يرجونه من المعروف من أهلهم .

(١) الكهانة : هي تعاطي الإخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان ، وأدعاء
معرفة الأسرار . [النهاية ، ج ٤/ ٢١٤ (أنصاري)] .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٤٦٣٧) . عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٤٨١٣) . عن أم حبيبة رضي الله عنها .

وكانَ أَهْلُ (مَكَّة) يَسْتَرْضِعُونَ أَوْلَادَهُمْ فِيهِمْ لِفَصَاحَتِهِمْ ، وَلِصَحَّةِ
هَوَاءِ الْبَادِيَةِ ، فَأَقَامَ ﷺ فِيهِمْ نَحْوَ خَمْسِ سِنِينَ ، وَظَهَرَ لَهُمْ مِنْ يَمِينِهِ
وَبَرَكَتِهِ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ .

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا قَالَ : قَالَتْ حَلِيمَةُ : خَرَجْتُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ نَلْتَمِسُ
الرُّضْعَاءَ ، عَلَى أَتَانٍ لِي قَمَرَاءٌ ^(١) ، فِي سَنَةِ شَهْبَاءَ ^(٢) ، وَمَعِيَ زَوْجِي
الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، وَمَعَنَا شَارِفٌ لَنَا
- أَيْ : نَاقَةٌ مُسِنَّةٌ - مَا تَبَضُّ ^(٣) بِقَطْرَةٍ ، وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَعَ مِنْ بَكَاءِ
صَبِيئِنَا ، مَا فِي ثَدْيِي مَا يُغْنِيهِ ، وَلَا فِي شَارِفِنَا مَا يُغْذِيهِ ، فَخَرَجْتُ
عَلَى أَتَانِي تِلْكَ ، وَلَقَدْ أَذْمَتُ ^(٤) بِالرَّكَبِ - أَيْ : وَلَقَدْ أَزَرْتُ بِهِمْ ^(٥) -
ضَعْفًا وَعَجْفًا ^(٦) ، حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى قَدَمْنَا (مَكَّةَ) ، فَوَاللَّهِ
مَا مِنَّا أَمْرَأَةٌ إِلَّا عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَأَبَاهُ إِذَا قِيلَ لَهَا : إِنَّهُ
يَتِيمٌ ، [وَذَلِكَ أَنَا إِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ ، فَكُنَّا
نَقُولُ : يَتِيمٌ ! وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ ؟ ، فَكُنَّا نَكْرَهُهُ
لِذَلِكَ] ، فَمَا بَقِيَتْ أَمْرَأَةٌ مِمَّنْ قَدِمَتْ مَعِيَ إِلَّا أَخَذْتُ رَضِيعًا غَيْرِي ،
[فَلَمَّا أَجْمَعْنَا الْإِنْطِلَاقَ قُلْتُ لِصَاحِبِي : وَاللَّهِ إِنِّي لَا كُرُهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ
بَيْنِ صَوَاحِبِي ، وَلَمْ أَخُذْ رَضِيعًا ، وَاللَّهِ لَا أَذْهَبَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ

(١) الْقَمَرَاءُ : شِدَّةُ الْبَيَاضِ أَوْ بَيَاضٌ إِلَى الْخُضْرَةِ .

(٢) سَنَةُ شَهْبَاءَ : ذَاتُ جَدَبٍ وَقَحْطٍ .

(٣) تَبَضُّ : تَدْرُّ .

(٤) أَذْمَتُ الرِّكَابَ : أَعْيَتْ وَتَخَلَّفَتْ عَنْ جَمَاعَةِ الْإِبِلِ ، وَلَمْ تَلْحَقْ بِهَا ، تَرِيدُ
أَنَّهَا تَأَخَّرَتْ بِالرَّكَبِ ، أَيْ : تَأَخَّرَ الرِّكَبُ بِسَبَبِهَا .

(٥) أَزَرْتُ : قَصَّرْتُ وَتَهَاوَنْتُ .

(٦) الْعَجْفُ : الْهُزَالُ .

فَلَاخُذْنَهُ ، قال : لا عليكِ أَنْ تفعلِي ، عسى اللهُ أَنْ يجعلَ لنا فيه بركةً . قالت] : فذهبتُ إليه فَأَخَذْتُهُ ، وما حَمَلَنِي على أَخْذِهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ .

قالت : فَلَمَّا أَخَذْتُهُ رَجَعْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي ، أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنَ اللَّبَنِ ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ ، وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ ضَمْرَةً حَتَّى رَوِيَ ، ثُمَّ نَامَا ، وَمَا كُنَّا نَنَامُ مَعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَقَامَ زَوْجِي إِلَى شَارَفِي فَإِذَا بِهَا حَافِلٌ^(١) ، فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ ، وَشَرِبْتُ ، حَتَّى أَنْتَهَيْنَا شَبْعًا وَرِيًّا / [فَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ] . [ق ٣٨]

قالت : يَقُولُ صَاحِبِي حِينَ أَصْبَحْنَا : تَعَلَّمِي^(٢) يَا حَلِيمَةُ ، وَاللهُ إِنِّي لَأَرَاكَ قَدْ أَخَذْتَ نَسَمَةً مَبَارَكَةً ، أَلَمْ تَرَيِ إِلَيَّ مَا بِتْنَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ ؟ فَلَمْ يَزَلِ اللهُ يُرِينَا خَيْرًا .

قالت : ثُمَّ خَرَجْنَا وَرَكِبْتُ أَتَانِي تِلْكَ ، وَحَمَلْتُهُ عَلَيْهَا مَعِيَ ، فَوَاللهُ لَقَدْ قَطَعْتُ بِالرَّكَبِ ، [مَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ حُمْرِهِمْ] . حَتَّى إِنَّ صَوَاحِبِي لَيَقْلُنَ لِي : يَا بِنْتَ أَبِي ذُوَيْبٍ ، وَيَحِكُ !! إِرْبَعِي عَلَيْنَا - أَي : أَرْفُقِي - أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانُكَ الَّتِي كُنْتَ خَرَجْتَ عَلَيْهَا ؟ فَأَقُولُ لَهُنَّ : بَلَى ، وَاللهُ إِنَّهَا لَهِيَ هِيَ !! فَيَقْلُنَ : وَاللهُ إِنَّ لَهَا لَشَأْنًا .

قالت : ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا [مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدِ] ، وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللهِ أَجَدَبَ مِنْهَا ، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ [حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا] شِبَاعًا لُبْنًا^(٣) ، فَحَلَبْتُ وَنَشَرْتُ ، وَمَا يَحَلَبُ إِنْسَانٌ غَيْرَنَا مِنْهُمْ قَطْرَةَ لَبَنٍ ، [وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ] ، حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا

(١) ضَرْعٌ حَافِلٌ : مَمْتَلِئٌ لَبْنًا .

(٢) أَي : أَعْلَمِي .

(٣) أَلْبَنَتِ النَّاقَةُ : إِذَا نَزَلَ لَبْنُهَا فِي ضَرْعِهَا .

يقولونَ لِرُعَاتِهِمْ : ويحكم !! اسرحوا حيثُ يسرحُ راعي بنتِ
أبي ذؤيب ، فيسرحونَ ، فتروحُ أغانمُهُم جِيعاً هُزْلاً ما تبضُّ بقطرةٍ
لبنٍ ، وتروح غنمي شُبْعاً لُبْناً ، فلم نَزَلْ نتعرَّفُ مِن الله الزيادةَ والبركةَ
حتى مضتُ سنتاهُ ، ففصلتهُ عن الرِّضاعةِ .

قالتُ : وكنتُ لا أدخلُ عليه بالليلِ إلاَّ وجدتُ السَّقْفَ قد
أنفرجَ ، وقد نزلَ عليه القمرُ يُناغيه - أي : يُحدثُهُ - .

وكانَ ﷺ يَشِبُّ شباباً لا يَشِبُّهُ الغِلْمَانُ ، [فلم يبلغْ] سنتيهِ حتى
كانَ غلاماً جَفراً - أي : مُمتلئاً الجنين - (١) .

قالتُ : فقَدِمنا به على أمِّه ، ونحنُ أحرصُ شيءٍ على مُكثِهِ
فيها ، لما كُنَّا نتعرَّفُ مِنْ بركته ، فقلتُ لأمِّه : دعينا نرجعُ به ، فإنَّا
نخشى عليه وباءَ (مَكَّة) ، ولم نزل بها حتى رَدَّتْهُ معنا . أنتهى كلامُ
ابنِ إسحاق (٢) .

قالَ غيرهُ : وبعدَ حولينِ مِنْ مَرَجِعِها به - أي : في العام
الخامسِ مِنْ مولِدِهِ ﷺ - أَنَاهُ مَلَكان فشَقَّ صدرَهُ ، وأستخرجَا قلبَهُ
فشَقَّاهُ ، وأستخرجَا مِنْهُ عِلْقَةً سوداءَ ، وقالَا : هَذَا حِطُّ الشَّيْطَانِ
مِنْكَ ، ثُمَّ مَلَّاهُ حِكْمَةً وإيماناً ، ثُمَّ لَأَمَّاهُ ، فَأَلْتَمَّ [الشَّقُّ] بِإِذْنِ الله
تعالى ، ثُمَّ خَتَمَاهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ كَالطَّابِعِ ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا
[ق٣٩] لصاحبه : زِنُهُ بِعَشْرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، ففَعَلَ فوزَنَهُمْ / ، ثُمَّ قَالَ : زِنُهُ بِمِئَةٍ
[مِنْ أُمَّتِهِ] ، ففَعَلَ فوزَنَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنُهُ بِأَلْفٍ [مِنْ أُمَّتِهِ] ، ففَعَلَ
فوزَنَهُمْ ، حتى قَالَ : والله لو وزنتُهُ بأُمَّتِهِ كُلِّها لوزَنَهُمْ ، ثُمَّ قَبَّلَا رَأْسَهُ

حَادِثَةُ شَقِّ صَدْرِهِ ﷺ

(١) استجفر الصَّبِيُّ : إِذَا قَوِيَ عَلَى الْأَكْلِ ، وَكَتَرَ لَحْمُهُ .

(٢) ابن هشام ، ج ١/ ١٦٢-١٦٤ .

وما بين عينيه ، وقالوا : يا حبيب ، لم تُرْع ، إِنَّكَ لو تدري ما يُرَادُّ بك [مِنَ الخير] لقرَّت عيناك .

وروي عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « فما هو إِلَّا أَن وَلِيَا عَنِّي ، وَكَأَنَّمَا الْأَمْرُ مُعَايَنَةً » (١) .

وفي «صحيح البخاري» عن السائب بن يزيد قال : قمت خلف ظهره ﷺ فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه (٢) . ولمسلم : أَنَّ الْخَاتَمَ كَانَ إِلَى جِهَةِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى (٣) .

قال ابن إسحاق : فتخوفت عليه حليلة بعد ذلك ، فردته إلى خوف حليلة علي النبي ﷺ ورده إلى أمه

(١) أخرجه الطبري ، ج ٢ / ١٦٠ ، عن شداد بن أوس رضي الله عنه .

قلت : وقد تكرّر شق الصدر الشريف غير هذه المرة ، فقد حصل مرة ثانية عند المبعث ، ومرة ثالثة عند الإسراء والمعراج . أما الأولى : فقد كانت لنزع العلقة السوداء ، التي هي حظ الشيطان من كل بشر . وأما الثانية : فليتلقى ما يوحى إليه من أمور الرسالة بقلب قوي وهو على أكمل الأحوال وأتم الاستعداد . وأما الثالثة : فكانت استعداداً لما يلقي إليه في هذه الليلة من أنواع الفيوضات الربانية ، وما سيره ربّه فيها من الآيات البينات ، وإدراك المثل الرائعة التي ضربت له في مسراه وفي معراجه ، وكلّها تحتاج إلى شرح الصدر وثبات القلب . وقد تناول بعض المستشرقين في التشكيك في حادثة شق الصدر ، وقد تأثر بهذا الرأي بعض الكاتبين في السيرة من المسلمين !! وقد قام الشيخ محمد بن محمد أبو شهبه بالرد عليهم ، فليراجع . (أنظر السيرة النبوية ، ج ١ / ١٩٩-٢٠٣) .

وما أحسن ما قيل :

وما أخرج الأملاك من صدره أذى ولكنهم زادوه طهراً على طهر (٢) أخرجه البخاري ، برقم (٣٣٤٨) .

(٣) أخرجه مسلم ، برقم (١١٢ / ٢٣٤٦) . عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه .

أُمُّهُ ، فَقَالَتْ لَهَا : مَا أَقْدَمَكَ بِهِ يَا ظَنُرُ^(١) وَقَدْ كُنْتَ حَرِيصَةً عَلَيْهِ ؟
فَأَخْبَرَتْهَا ، قَالَتْ : أَفْتَخَوَفْتُ عَلَيْهِ ؟ وَاللَّهِ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَى ابْنِي هَذَا
مِنْ سَبِيلٍ ، وَإِنَّ لَهُ لَشَأْنًا ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي
نُورٌ أَضَاءَ لِي قُصُورَ (بُصْرَى) مِنْ أَرْضِ (الشَّامِ)^(٢) .

وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنْ مَوْلِدِهِ ﷺ خَرَجَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى (الْمَدِينَةِ)
لِتَزِيرَهُ أَخْوََالَ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَهُمْ بَنُو عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ مِنْ
الْخَزَرَجِ ، وَأَقَامَتْ بِهِ شَهْرًا .

وَرُوي عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « أَحْسَنْتُ السَّبَّاحَةَ فِي بَثْرِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ
النَّجَّارِ مِنْ يَوْمِئِذٍ »^(٣) .

وَكَانَ يَهُودُ (الْمَدِينَةِ) يَوْمِئِذٍ يَخْتَلِفُونَ إِلَيْهِ^(٤) ، وَيَتَعَرَّفُونَ فِيهِ
عَلَامَاتِ النَّبُوءَةِ .

ثُمَّ رَجَعَتْ بِهِ ، فَمَاتَتْ بِ (الْأَبْوَاءِ)^(٥) - بِالْمَوْحِدَةِ - وَهُوَ مَكَانٌ
بَيْنَ (مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ) .

وَبَقِيَ بِ (الْأَبْوَاءِ) حَتَّى أَنْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى (مَكَّةَ) ، فَجَاءَتْهُ حَاضِنَتُهُ
أُمُّ أَيْمَنَ^(٦) - مَوْلَاةُ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأُمُّ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ -
فَأَحْتَمَلَتْهُ .

أُمُّ أَيْمَنَ تَحْتَضِنُ
النَّبِيَّ ﷺ

(١) الظنر : العاطفة على ولد غيرها ، المُرْضعة له .

(٢) ابن هشام ، ج ١ / ١٦٥ .

(٣) ابن سعد ، ج ١ / ١١٦ .

(٤) أي : يأتون واحداً بعد آخر ينظرون إليه .

(٥) يُقَالُ : إِنَّهَا مَاتَتْ فِي حَدُودِ الْعَشْرِينَ عَامًا تَقْرِيًّا . (شرح المواهب

اللَّدْنِيَّة ، ج ١ / ١٦٦) .

(٦) وَأَسْمَاهَا : بَرَكَةُ الْحَبِشِيَّةِ .

وَالصَّحِيحُ أَنَّ أَبَاهُ عَبْدَ اللَّهِ مَاتَ وَهُوَ حَمْلٌ^(١) .

وَأَمَّا أُمُّهُ : فَهِيَ أَمْنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ
كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ [ابنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ] ، وَكَانَتْ سَيِّدَةً
قَوْمِهَا بَنِي زُهْرَةَ ، وَكَانَ أَبُوهَا سَيِّدَهُمْ وَلَمْ يَلِدَا - أَعْنِي أَبُوهُ -
غَيْرَهُ ﷺ .

فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي « تَذَكُّرَتِهِ »^(٢) : خَرَجَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ
فِي كِتَابِهِ « السَّابِقُ وَاللَّاحِقُ » وَالْحَافِظُ أَبُو حَفْصٍ / عُمَرُ بْنُ شَاهِينَ [ق ٤٠]
فِي كِتَابِهِ « النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ » أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : « ذَهَبْتُ
لِقَبْرِ أُمِّي ، فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُحْيِيَهَا لِي ، فَأَحْيَاهَا ، فَأَمَنْتُ بِهَا »^(٣) .

وَكَذَا ذَكَرَهُ الشَّهْلِيُّ فِي « الرِّوَضِ الْأَنْفِ » : أَنَّ مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ
فِي إِحْيَاءِ وَالِدَيْهِ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحْيَا لَهُ أَبُوهُ فَأَمَّنَا بِهِ^(٤) .

(١) قلت : ذهب ابن إسحاق إلى أَنَّ عبد الله توفي والنبي ﷺ لا يزال حَمْلًا
في بطن أمه ، وقد تابعه عليه ابن هشام ، وهو الرأي المشهور بين كُتَّابِ
السِّيَرِ والمؤرخين ، وكان عمر عبد الله حينذاك ثمانين سنة ، وقد
صَحَّحَهُ الْحَافِظُ الْعَلَائِيُّ ، وَابْنُ حَجَرٍ . وَيَرَى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ وَالِدَ النَّبِيِّ
تُوفِّيَ بَعْدَ مِيلَادِهِ وَهُوَ لَا يَزَالُ فِي الْمَهْدِ ، قِيلَ : ابْنُ شَهْرَيْنَ ، وَقِيلَ :
أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ . وَالْأَوَّلُ هُوَ الرَّاجِحُ ، وَإِنْ قَالَ الشَّهْلِيُّ : إِنَّ الرَّأْيَ الثَّانِي
قَوْلُ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . (انظر السيرة النبوية ، ١/ ١٦٦) .

(٢) التذكرة ، ص ١٥ .

(٣) قال الزُّرْقَانِيُّ فِي « شَرْحِ الْمَوَاهِبِ اللَّدْنِيَّةِ » لِلْقُسْطَلَانِيِّ ، ج ١/ ١٦٧ :
أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَقَالَ : بَاطِلٌ . وَابْنُ عَسَاكَرٍ ،
وَقَالَ : مُنْكَرٌ . وَذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمَوْضُوعِ .

(٤) الرِّوَضُ الْأَنْفِ ، ج ١/ ١٩٥ . قَالَ الشَّهْلِيُّ : (حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَعَلَّهُ أَنْ =

قال القرطبي : فهذا ناسخٌ لما في صحيح مسلم أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ زَارَ قَبْرَ أُمِّهِ وَقَالَ : « أَسْتَأْذِنُ رَبِّي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي ، فَاسْتَأْذَنَتْهُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يَأْذَنْ لِي » (١) .

= يصح ، وجدته بخط جدي أبي عمران أحمد بن أبي الحسن القاضي - رحمه الله - بسند فيه مجهولون ، ذكر أنه نقله من كتاب ، أنتسخ من كتاب مُعَوِّذِ بْنِ دَاوُدَ الزَّاهِدِ ، يرفعه إلى ابن أبي الزناد عن عروة) . وأنكر ابن كثير في « البداية والنهاية » ، ج ٢/ ٢٨١ ما رواه السُّهيلي ، وقال : (حديثٌ منكراً جداً ، وإن كان مُمكنًا بالنظر إلى قدرة الله تعالى ، لكنَّ الذي ثبت في الصحيح يعارضُهُ ، والله أعلم) . وقال السيوطي : ذكر كثيرٌ من الحفاظ أَنَّ الحديث ضعيف ، تجوز روايته في الفضائل والمناقب ، لا موضوع ، كالخطيب وابن عساكر وابن شاهين والسُّهيلي والمحب الطبري والعلامة ناصر الدين ابن المنير وابن سيد الناس ، ونقله عن بعض أهل العلم . . . وقد جعل هؤلاء الأئمة هذا الحديث ناسخاً للأحاديث الواردة بما يُخالفه ، ونصّوا على أَنَّهُ متأخّرٌ عنها ، فلا تعارضٌ بينه وبينها . وقال في « الدرج المنيفة » : جعلوه ناسخاً ، ولم يبالوا بضعفه ، لأنَّ الحديث الضَّعيف يُعمل به في الفضائل والمناقب ، وهذه منقبة ، ولذلك جزم بعض العلماء بأنَّ أبويه ﷺ ناجيان وليسا في النار تمسكاً بهذا الحديث وغيره . (انظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، ج ١/ ١٦٨-١٦٩) .

وبصرف النظر عما تقدّم فأبواه ناجيان نجاة أهل الفترة ؛ وأهل الفترة ناجون إلّا من أسثنى ، كما حقّق ذلك العلماء .

(١) أخرجه مسلم ، برقم (١٠٨/٩٧٦) . عن أبي هريرة رضي الله عنه . قلت : إنَّ عدم الإذن في الاستغفار لا يلزم منه الكفر ، بدليل أَنَّهُ ﷺ كان ممنوعاً في أوّل الإسلام من الصَّلَاة على من عليه دين لم يترك له وفاء ، ومن الاستغفار له وهو من المسلمين ، وتعليقه أَنَّ استغفار النَّبِيِّ ﷺ مجابٌّ على الفور ، فمن استغفر له وصَلَّ عقب دعائه إلى منزله في الجنة ، والمديونُ محبوسٌ عن مقامه حتّى يقضي دينه كما في الحديث ، =

قال القرطبي: فإيمانُهُما به بعد الرجعة ينفعُهُما كرامةٌ لَهُ ﷺ، كما وقعت صلاة سليمان عليه السلام أداءً، لَمَّا رَدَّ اللهُ عليه الشَّمْسَ بعد غروبها كرامةً لَهُ، والله يُختصُّ برحمته مَنْ يشاء، ويُكرِّمُ بكرامته مَنْ يشاء^(١).

وفي السَّنة السَّابعة: وَفَدَ جَدُّهُ عبد المُطَّلِبِ على سَيْفِ بنِ ذِي يَزَنَ الحِمَيْرِيَّ، لِتَهْنِئَتِهِ بِأَخْذِهِ (صنعاء) وبظفرِهِ بـ (الحبشة)، فأكرَّمَهُ وأخبرَهُ هوَ والكُهَّانُ الوافدونَ عليه بنبوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وأَنَّهُ أبوه، وَأَنَّهُ سيكونُ لَهُ شأنٌ عظيمٌ.

وفي السَّنة الثَّامنة: توفِّيَ جَدُّهُ عبد المُطَّلِبِ، فكفَّلَهُ عُمُّهُ أبو طالبٍ، وأسمُهُ: عبدُ منافٍ؛ لأنَّهُ شقيقُ عبد الله، فأحسنَ كفالتَهُ، وتعرَّفَ مِنْهُ اليَمَنَ والبركةَ، ودافعَ عَنْهُ بعدَ مبعثِهِ بيده ولسانه، وكانَ إِذا أَكَلَ هوَ وأولادُهُ فأكلَ مَعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ شَبِيعوا، وإِذا لم يَأْكُلْ مَعَهُمْ لم يَشْبِعوا.

وفي السَّنة الثالثة عشرة: خرجَ به عُمُّهُ أبو طالبٍ في تجارةٍ إلى (الشَّام)، فلَمَّا بَلَغُوا (بُصْرَى)، رَأَى الرَّاهِبُ بَحِيرَا - بفتح الموحدة وكسر المَهْمَلَةِ ممدوداً - فتَحَقَّقَ فِيهِ صفاتُ النُّبُوَّةِ، فأمرَ أبا طالبٍ أَنْ يَرُدَّهُ إلى (مَكَّة) خوفاً عَلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ والنَّصَارَى، فَرَجَعَ بِهِ.

وروى التِّرْمِذِيُّ في «جامعه» أَنَّ نَفْراً مِنَ الرُّومِ أَرَادُوا بِهِ سَوْءاً، فَمَنَعَهُمْ بَحِيرَا وَذَكَرَهُمُ اللهُ، وقالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمِراً أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَهُ، أَيْقِدِرُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَرُدَّهُ؟ فقالوا: لا، وأنصروا^(٢).

= فقد تكون أُمَّهُ ﷺ مع كونها متحنفةً كانت محبوسةً في البرزخ عن الجنة لأمرٍ أُخرى غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له في الاستغفار. (أنظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، ج ١/ ١٧٨).

(١) التذكرة، ص ١٦.

(٢) أخرجه التِّرْمِذِيُّ، برقم (٣٦٢٠). عن أبي موسى رضي الله عنه.

[٤١ق]

شُهُودُ النَّبِيِّ ﷺ حَرْبُ
الْفَجَارِ

وفي السَّنةِ الرَّابِعةَ عَشْرَةَ / : كانت حَرْبُ الْفَجَارِ - بكسر الفاءِ وجيمٍ - بين قُرَيْشٍ وَهَوَازِنَ ، وسمَّيتْ بِذلِكَ لوقوعِها في الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وتطاولتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ، وَكَانَتِ الدَّائِرَةُ لِهَوَازِنَ عَلَى قُرَيْشٍ ، حَتَّى شَهِدَهَا ﷺ يَوْمًا مَعَ قَوْمِهِ ، فَأَنْقَلَبَتِ الدَّائِرَةُ لَهُمْ عَلَى هَوَازِنَ .

شُهُودُ النَّبِيِّ ﷺ حِلْفُ
الْفُضُولِ

ثُمَّ عَقَدْتُ قُرَيْشٌ حِلْفَ الْفُضُولِ لِنُصْرَةِ الْمَظْلُومِ ^(١) ، فَشَهِدَهُمْ ﷺ . وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ (مَكَّةَ) بِمَتَاعٍ ، فَأَتْبَاعَهُ مِنْهُ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ ، وَظَلَمَهُ الثَّمَنَ ، فَشَكَاهُ ، فَلَمْ يُنْصِفْهُ أَحَدٌ ، فَأَوْفَى عَلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ وَأَنْشَدَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ ، [مِنْ الْبَسِيطِ] ^(٢) :

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ بِيْطُنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ
وَمُحْرِمٍ أَشْعَثَ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ يَا لِرَجَالٍ وَبَيْنَ الْحَجَرِ وَالْحَجَرِ

فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ : وَاللَّهِ لَا صَبَرَ لِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ، فَجَمَعَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَبَنِي زُهْرَةَ وَبَنِي أَسَدٍ وَتِيْمًا فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ جُدْعَانَ التَّيْمِيِّ ، وَقَدْ صَنَعَ لَهُمْ ابْنُ جُدْعَانَ طَعَامًا ، فَتَحَالَفُوا لِيَكُونُنَّ عَوْنًا لِلْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ ، ثُمَّ أَتَوُا الْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ فَأَنْتَزَعُوا سِلْعَةَ الرَّجُلِ مِنْهُ قَهْرًا .

وفي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ مِنْ حِلْفِ الْفُضُولِ مَا لَوْ دُعِيتُ إِلَيْهِ الْيَوْمَ لَأَجَبْتُ » ^(٣) .

خُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى
الشَّامِ فِي تِجَارَةٍ
لِخَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وفي السَّنةِ الْخَامِسةِ وَالْعِشْرِينَ : خَرَجَ ﷺ مَعَ مَيْسَرَةَ غَلَامٍ

(١) قِيلَ : إِنَّمَا سُمِّيَ حِلْفُ الْفُضُولِ لِأَنَّهُمْ أَخْرَجُوا فُضُولَ أَمْوَالِهِمْ لِلْأَضْيَافِ . (أَنْصَارِي) .

(٢) ابْنُ هِشَامٍ ، ج ١ / ١٣٣ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « السُّنَنِ الْكُبْرَى » ، ج ٦ / ٣٦٧ . عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

خديجة في تجارة لها بأجرة ، فربحا أضعاف ما يربح الناس ، فلما رجعا أضعفت له خديجة الأجرة ، وشاهد منه ميسرة في تلك السفرة أنواعاً من علامات النبوة ، منها : أنه كان إذا اشتد الحر ظلّته غمامة ، تسير بسيره ، وتقف في وقوفه .

فَاعِلَةٌ

الظاهر أن تظليله بالغمام كان قبل البعثة ، ففي حديث الهجرة أن أبا بكر ظلّله بثوب . وفي قصة غورث كنا إذا رأينا شجرة ظليّة تركناها لرسول الله ﷺ .

ومنها - [أي : من علامات النبوة] - : أنهم مروا براهب / يقال [٤٢]

له نسطور - بفتح النون - فقال لميسرة : من هذا الفتى ؟ فقال : هو من أهل (مكة) ، من أهل الحرم ، فقال : أشهد أنه نبي ، وأنه آخر الأنبياء .

ومنها : ما شاهده من صدقه وأمانته وخلقه العظيم ، فأخبر ميسرة خديجة بما شاهده من معجزاته ﷺ وخلقه وبركته ، فخطبته إلى نفسها .

وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي .

وكانت خديجة من أفضل نساء قريش حسباً ونسباً وجمالاً ومالاً ، وقد كان كل من قومها حريصاً على نكاحها ، فأكرمها الله بأكرم الخلق على الله ، لما سبق في الأزل من الكرامة ، فنكحها ، وبقيت معه خمساً وعشرين سنة ، عشراً بعد المبعث وخمسة عشرة قبله ، وكانت له عوناً على الحق ، وهي أول من أسلم على يديه من النساء ، وهي أم أولاده كلهم : القاسم وعبد الله الطاهر ، ورقية ، وزينب وأم كلثوم ، وفاطمة ، إلا إبراهيم فإن أمه مارية القبطية .

وفي « الصَّحَّيْحِينَ » أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « خَيْرُ نِسَائِهَا مَرِيَمُ [أُبْنَةُ عِمْرَانَ] ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ »^(١) - أَي : مَرِيَمُ خَيْرُ نِسَاءِ زَمَانِهَا ، وَخَدِيجَةُ خَيْرُ نِسَاءِ زَمَانِهَا - .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « أَتَانِي جَبْرِيلُ فَقَالَ : هَذِهِ خَدِيجَةُ ، فَإِذَا أَتَتْكَ فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ - أَي : لَوْلُو مُجَوِّفٍ - لَا نَصَبَ فِيهِ - أَي : تَعِبٍ - وَلَا صَخَبَ - أَي : صُرَاخٍ - »^(٢) . زَادَ الطَّبْرَانِيُّ أَنَّهَا قَالَتْ : هُوَ السَّلَامُ ، وَمِنْهُ السَّلَامُ ، وَعَلَى جَبْرِيلَ السَّلَامُ .

فَاعِشَةُ

أَحْتَجَّ بَعْضُ الْأَثَمَةِ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى تَفْضِيلِ خَدِيجَةَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ حَيْثُ أَنَّ جَبْرِيلَ أَقْرَأَ خَدِيجَةَ السَّلَامَ عَنْ اللَّهِ وَعَنْ نَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا أَقْرَأَ عَائِشَةَ السَّلَامَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَبِقَوْلِهِ ﷺ - لَمَّا قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا - : « مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا ، آمَنْتُ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ »^(٣) .

فِي التَّمَاضُلِ بَيْنِ
خَدِيجَةَ وَعَائِشَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

وَأُجِيبَ عَنِ الْأَوَّلِ : بِأَنَّ تَسْلِيمَ اللَّهِ عَلَى خَدِيجَةَ لَا يَقْتَضِي [ق٤٣] تَفْضِيلَهَا ، / كَمَا لَا يَقْتَضِي تَسْلِيمُهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَفْضِيلَهُمْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ أُمَّتَهُ بِالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ . وَعَنِ الثَّانِي : بِأَنَّ مُرَادَ عَائِشَةَ خَيْرًا مِنْهَا فِي السَّنِّ - كَمَا فِي الْحَدِيثِ - فَقَابِلَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٢٤٩) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٤٣٠/٦٩) ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٦١٠) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي « الْمُسْنَدِ » ، بِرَقْم (٢٤٣٤٣) ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

ذَلِكَ ﷺ بِخَيْرِيَّةٍ خَدِيجَةٍ فِي الدِّينِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ مِنْ حَدَاثَةِ السَّنِّ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وفي السَّنة الخامسة والثلاثين : بَنَتْ قُرَيْشُ (الكعبة) ^{بُيَانُ الكعبة ومشاركة النبي ﷺ} وتقاسمتها أرباعاً^(١) ، فَلَمَّا أَنْتَهَوْا إِلَى مَوْضِعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، تَنَازَعَتِ الْقَبَائِلُ أَيُّهَا يَضَعُهُ مَوْضِعُهُ ، حَتَّى كَادُوا يَقْتَتِلُونَ ، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يُحَكِّمُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ . فَكَانَ ﷺ هُوَ أَوَّلَ دَاخِلٍ ، فَقَالُوا : هَذَا مُحَمَّدٌ ، هَذَا الصَّادِقُ الْأَمِينُ ، رَضِينَا بِهِ ، فَحَكَّمُوهُ ، فَبَسَطَ ﷺ رِداءَهُ وَوَضَعَ الْحَجَرَ فِيهِ ، وَأَمَرَ أَرْبَعَةً مِنْ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ الْأَرْبَعِ ، أَنْ يَأْخُذُوا بِأَرْبَاعِ الثَّوْبِ ، فَرَفَعُوهُ إِلَى مَوْضِعِهِ ، فَتَنَاوَلَهُ ﷺ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ ، فَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ .

وفي «الصَّحِيحِينَ» : أَنَّهُ ﷺ حَضَرَهُمْ يَوْمًا فِي بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فَذَهَبَ هُوَ وَعُمُّهُ الْعَبَّاسُ يَنْقُلَانِ الْحِجَارَةَ ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ : أَجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى عَاتِقِكَ كَمَا يَفْعَلُونَ ، ففَعَلَ ، فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ : « أَرْنِي إِزَارِي » ، فَشَدَّهُ عَلَيْهِ^(٢) .

وفي الثَّامِنَةِ وَالثَّلَاثِينَ : تَرَادَفَتْ عَلَامَاتُ نَبَوِّتِهِ ﷺ ، وَتَحَدَّثَتْ بِهَا الرُّهْبَانُ وَالْكُهَّانُ .

(١) قُلْتُ : فَكَانَ جَانِبُ الْبَابِ لِبَنِي عَبْدِ مَنْفٍ وَزَهْرَةَ . وَكَانَ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ وَالْيَمَانِيِّ لِبَنِي مَخْزُومٍ وَقَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ أَنْضَمُوا إِلَيْهِمْ . وَكَانَ ظَهَرُ الْكَعْبَةِ لِبَنِي جَمَحٍ وَسَهْمٍ . وَكَانَ جَانِبُ الْحِجْرِ لِبَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَلِبَنِي أَسَدِ ابْنِ عَبْدِ الْعُزَّى وَلِبَنِي عَدِيٍّ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٥٠٥) ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . طَمَحَتْ : شَخَصَتْ وَأَرْتَفَعَتْ . أَرْنِي : أَعْطِنِي .

حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ لِلْخَلْوَةِ

وفي التاسعة والثلاثين : حُبِّتْ إِلَيْهِ الْخَلْوَةُ ، فَكَانَ يَخْلُو
بَغَارَ (حِرَاءَ) أَيَّاماً بَعْدَ أَيَّامٍ ، يَنْزَوِدُ لَهَا . وَكَانَ فِي تِلْكَ الْمَدَّةِ
يَرَى أَنْوَاراً ، وَيَسْمَعُ أَصْوَاتاً .

الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ

وفي السَّنةِ الْأَرْبَعِينَ قَبْلَ مَبْعَثِهِ بِسَنَةِ أَشْهَرٍ : كَانَ وَحْيُهُ ﷺ
مَنَاماً ، وَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ . أَي : مِثْلَ
الصُّبْحِ الْمَفْلُوقِ ، أَي : الْمُنَشَقِّ . وَمِنْهُ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾
[سورة الفلق ١/١١٣] .

تَسْلِيمُ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ
عَلَيْهِ ﷺ

وكانت الأحجار والأشجار تُسَلِّمُ عليه بالرسالة .
وفي الحديث الصَّحِيح أَنَّهُ / ﷺ قَالَ : « إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا
بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ » (١) .

وفي « الصَّحِيحِينَ » أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ
سَنَّتِهِ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبَوَةِ » (٢) .

قَالَ الْعَلَمَاءُ : لِأَنَّ مُدَّةَ النَّبَوَةِ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَنِصْفُ
السَّنةِ مِنْهَا ، جُزْءٌ مِنْ سَنَّتِهِ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا .

وما أَحْسَنَ قَوْلَ صَاحِبِ الْبُرْدَةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِيهَا ، [مِنْ
الْبَسِيطِ] (٣) :

أَبَانَ مَوْلَدُهُ عَنْ طَيْبِ عُنْصَرِهِ يَا طَيْبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَمَمٍ
يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمْ قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنَّقَمِ

-
- (١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْمِ (٢٢٧٧) ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْمِ (٦٥٨٦) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ (٢٢٦٤) ، عَنْ عُبَادَةَ
بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٣) الْبُرْدَةُ ، ص ١٩-٢٠ .

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ
كَشَمَلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرِ مُلْتَمِعِ
وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفِ
عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ^(١)
وَسَاءَ سَاوَةٌ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا
وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِي^(٢)
كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالمَاءِ مِنْ بَلَلٍ
حُزْنًا وَبِالمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ^(٣)
وَالجِسْمُ تَهْتِفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ
وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمِ
عَمُوا وَصَمُوا فَأِعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ
تُسْمَعْ وَبَارِقَةٌ الْإِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ
مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ
بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْجَجَ لَمْ يَقُمْ
وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الْأَفْقِ مِنْ شُهْبِ
مُنْقَضَةٍ وَفَقَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنْمِ
حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمِ
مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ
لَا تُتَكَبَّرِ الْوَحْيِ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ
قَلْبًا مَتَى نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنْمِ^(٤)

(١) سَاهِي : ساكن عن الجريان . السَدَم : الحزن .

(٢) سَاوَةٌ : مدينةٌ في بلاد فارس بين همدان وُقْم .

(٣) الضَّرَم : اللَّهَب .

(٤) الرُّؤْيَا : المنام .

وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوتِهِ^(١)
 فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالٌ مُخْتَلِمٌ
 تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحِيٌّ بِمُكْتَسَبٍ^(٢)
 وَلَا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهِمٍ^(٣)

-
- (١) يعني : أَنَّ الوحيَ ثابِتٌ في المنام للأنبياء بعد إدراك النبوة .
 (٢) ما وَحِيٌّ بِمُكْتَسَبٍ : أي لا تُدْرِك النبوة باجتهاد صاحبها وسعيه ، وإنَّما فضلُ الله عزَّ وجلَّ يختصُّ به من يشاء .
 (٣) أي : غير متَّهم بالكذب فيما يخبر به من الأمور الغيبية .

البَابُ الْخَامِسُ

فِي إِثْبَاتِ أَنَّ دِينَهُ ﷺ نَاسَخٌ لِّكُلِّ دِينٍ ، وَأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ
وَعُمُومِ رِسَالَتِهِ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ
وَتَفْضِيلِهِ عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ

اعلم أَنَّ إِثْبَاتَ النُّبُوَّةِ هُوَ الشَّطْرُ الثَّانِي مِنَ التَّوْحِيدِ ، فَإِنَّهُ ﷺ
قال : «مَبْنَى الْإِيمَانِ عَلَى قَوْلٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ / ، وَهُوَ شَطْرٌ - أَي : [٤٥هـ]
نِصْفٌ - وَالشَّطْرُ الثَّانِي : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» .

وقد ذكرنا نُبْذاً مِنْ مَبَادِئِ نُبُوَّتِهِ ﷺ قَبْلَ الْبَعْثَةِ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ ،
الَّتِي يَتَذَكَّرُ بِهَا مَنْ يَخْشَى ، وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى .

وسنذكرُ أَيْضاً فِي الْبَابِ السَّادِسِ بَعْدَ هَذَا مِنْ مُعْجَزَاتِهِ ﷺ ،
الْبَالِغَةِ مَبْلَغِ التَّوَاتُرِ مَا يَسْتَيْقِنُ بِهِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ، وَيَزِدَادَ الَّذِينَ
آمَنُوا إِيْمَاناً .

وَلَكِنَّ التَّذَكِيرَ وَالتَّبَشِيرَ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ تَقَرَّرَ فِي قَلْبِهِ التَّصَدِيقُ
وَالْإِيْمَانُ بِرِسَالَتِهِ ﷺ .

وَأَمَّا الْمُنْكَرُ الْجَا حِدُ لَهَا : فَلَا يَدْخُضُ حُجَّتُهُ وَلَا يُبْطِلُ شَبَهَتُهُ إِلَّا
الْبَرَاهِينُ الْعَقْلِيَّةُ الْقَاطِعَةُ لِحُجَّتِهِ ، الْمُبْطِلَةُ لَشَبَهَتِهِ .

فنقولُ وبالله التَّوْفِيقُ ، عَلَى سَبِيلِ التَّمْهِيدِ وَالتَّحْقِيقِ ، فِي إِدْرَاكِ النُّبُوَّةِ
بَطَرِيقِ الذَّوْقِ ، ثُمَّ بَيَانِ أَصْلِهَا ، ثُمَّ إِمْكَانِهَا ، ثُمَّ وَجُودِهَا ، ثُمَّ صَحَّتِهَا .

أَمَّا طَرِيقُ الذَّوْقِ : فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ بِالذَّوْقِ شَيْئاً مِنَ الْمَعْرِفَةِ

بحقيقة النبوة مَنْ لَمْ يَذُقْ شَيْئاً مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى ،
وأولياء الله تعالى ، برياضة الأنفس وتركيبها ، وتصفية القلوب ،
وتهذيب الأخلاق .

لأنَّ كراماتِ الأولياءِ على التَّحْقِيقِ بداياتُ الأنبياءِ ، وقد كانَ
ذَلِكَ أَوَّلَ حَالِ نَبِيِّنَا ﷺ ، حَيْثُ كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي (حِرَاء) ، وَكَانَ يُؤَثِّرُ
العُزْلَةَ للخُلُوةِ بِرَبِّهِ ، وَالتَّجَرُّدَ وَالتَّبَتُّلَ ؛ وَهُوَ الانْقِطَاعُ عَنِ الْخَلَائِقِ
إِلَى الْخَالِقِ ، وَهُوَ الذَّهَابُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْخَلِيلُ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾
[سورة الصافات ٣٧/٩٩] .

فَمَنْ مَارَسَ تِلْكَ الطَّرِيقَ ، أَتَضَحَّ لَهُ طَرَفٌ مِنَ حَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ ،
مَا هِيَ وَخَاصِّيَّتُهَا بِالْكَشْفِ وَالْعَيَانِ ، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ هَذِهِ الرُّتْبَةَ فَلَا بَدَّ
لَهُ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى أَصْلِهَا وَإِمَّاكِنِهَا ، ثُمَّ وَجُودِهَا عُمُوماً ، ثُمَّ لِشَخْصٍ
مَعِيْنٍ ، بِإِقَامَةِ الْبُرْهَانِ ، لَشِدَّةِ مَسِيسِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا .

وَأَمَّا دَلِيلُ أَصْلِهَا : فَكُلُّ عَاقِلٍ قَاطِعٌ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ أَوَّلَ مَا يُدْرِكُ مِنْ
[ق٤٦] مَرَاتِبِ الْعِلْمِ فِي صِغَرِهِ / وَطُفُولِيَّتِهِ الْعِلْمَ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ ، الَّتِي
هِيَ : السَّمْعُ ، وَالْبَصَرُ ، وَالشَّمُّ ، وَالذَّوْقُ ، وَاللَّمْسُ .

فَيُدْرِكُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ عَالِماً لَا يُدْرِكُهُ بِالْأُخْرَى ، وَمَنْ
تَعَطَّلَ عَلَيْهِ حَاسَّةٌ مِنْهَا - كَالْبَصَرِ مَثَلاً - لَمْ يُدْرِكْ مَا حَقِيقَةُ الْأَلْوَانِ ،
إِلَّا بِسَمَاعِهَا بِالتَّوَاتُرِ ، فَإِنْكَارُهُ لَهَا مَكَابِرَةٌ جَاهِلٍ بِمَا لَمْ يَعْلَمْ ،
وَتَكْذِيبٌ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِعِلْمِهِ ، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ غَيْرُهُ ، فَيَحْتَجُّ عَلَيْهِ الْمُبْصِرُ
بِأَنَّ عِنْدَكَ حَاسَّةَ الشَّمِّ وَزَيْدٌ أَخْشَمٌ^(١) لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ رَائِحَةِ الْمِسْكِ
وَالْجِيْفَةِ ، فَمَاذَا نَقُولُ لَهُ لَوْ زَعَمَ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ الْمِسْكِ وَالْجِيْفَةِ؟

(١) الْأَخْشَمُ : مَنْ أَصَابَهُ دَاءٌ فِي أَنْفِهِ فَأَفْسَدَهُ ، فَصَارَ لَا يَشْمُ .

فإن زعمتَ أَنَّهُ مُكَذِّبٌ بما لَمْ يُحِطْ بعلمه مِنَ المَشْمُومَاتِ ، فهوَ
أَيْضاً يَزْعُمُ أَنَّكَ مُكَذِّبٌ بما لَمْ تُحِطْ به مِنَ الأَلْوَانِ المُبْصِرَاتِ ، ولا يَسْعُكَ
إِلَّا أَنْ تُؤْمِنَ لَهُ بوجودِ الأَلْوَانِ وتنوُّعِها ، ويُؤْمِنَ لك بوجودِ المَشْمُومَاتِ
وتنوُّعِها . وهكذا في المَطْعُومَاتِ والمَلْمُوسَاتِ والمَسْمُوعَاتِ .

وهذا الإدراكُ حَاصِلٌ لِلطِّفْلِ ، لا يُدْرِكُ غَيْرَهُ مِنَ العوَالِمِ إِلَى سَنِّ
التَّمْيِيزِ ، فإذا بَلَغَ سَنُّ التَّمْيِيزِ خَلَقَ اللهُ فِيهِ أُمُوراً عَقْلِيَّةً زَائِدَةً عَلَى تِلْكَ
الحَسِّيَّةِ ؛ كالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الجَائِزَاتِ والمُسْتَحِيلَاتِ والوَاجِبَاتِ .

فإذا قُلْتَ مثلاً لِلطِّفْلِ : رُشُّ هَذَا الحَجَرِ لِيَصِيرَ لِيَنَّا كَالطِّينِ ، اِعْتَقَدْ
جَوَازَ ذَلِكَ دُونَ المُمَيِّزِ ، ولو قُلْتَ لِلْمُمَيِّزِ الَّذِي سَقَطَ مِنْ يَدِهِ القَدَحُ
الَّذِي فِيهِ الشَّرَابُ : هَذَا القَدَحُ اُنْكَسَرَ والشَّرَابُ لَمْ يَتَبَدَّدْ ، لَعَلِمَ أَنَّكَ
تَهْزَأُ بِهِ ، إِذْ مِنْ لَوَازِمِ اُنْكَسَارِ القَدَحِ تَبَدُّدُ الشَّرَابِ الَّذِي هُوَ فِيهِ .
وهكذا لو قُلْتَ لَهُ غَيْرَ ذَلِكَ . وهو فِي هَذَا العَالَمِ إِلَى بُلُوغِ سَنِّ التَّكْلِيفِ
الَّذِي يَتَحَمَّلُ بِهِ الأَمَانَةَ الشَّرْعِيَّةَ فَيَكْمُلُ تَمْيِيزُهُ ، فَيَخْلُقُ اللهُ فِيهِ طَوَراً
آخَرَ مِنَ العَقْلِ ، بَحِثْ يُوَثِّقُ بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَتَطْمِئِنُّ النَّفْسُ لِمَعْظَمِ
أَحْوَالِهِ ، ولا يَزَالُ يَزْدَادُ بِالتَّجَرُّبَةِ عَقْلاً . فَكُلُّ عَاقِلٍ يَقْطَعُ بِأَنَّ سَنَّ
التَّمْيِيزِ طَوَراً وَرَاءَ سَنِّ الطُّفُولِيَّةِ ، وَسَنُّ العَقْلِ طَوَراً وَرَاءَ سَنِّ التَّمْيِيزِ .

وَإِذَا قَطَعَ العَاقِلُ / بِذَلِكَ قُلْنَا لَهُ : لَيْسَ فِي العَقْلِ أَيْضاً مَا يُحِيلُ [ق٤٧]
أَنَّ فَوْقَ طَوَرِهِ طَوَراً آخَرَ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ الطَّوَرِ طَوَراً آخَرَ ، وَهَلَمْ جَرّاً .

فَكَمَا أَنَّ قُدْرَةَ اللهِ صَالِحَةٌ لِأَنَّهُ يَخْلُقُ فِي المُمَيِّزِ مَا لَمْ يُدْرِكْهُ
الطِّفْلُ مِنَ العِلْمِ ، وَفِي العَاقِلِ مَا لَمْ يُدْرِكْهُ المُمَيِّزُ ؛ فَهُوَ سَبْحَانَهُ
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ فِي بَعْضِ العُقْلَاءِ طَوَراً لا يُدْرِكُهُ العُقْلَاءُ ؛ مِنْ
الاطِّلاعِ عَلَى الغَيْبِ ، وَفَتْحِ عَيْنٍ فِي القَلْبِ تَسْمَى : البَصِيرَةُ
البَاطِنَةُ ، بِمَثَابَةِ البَصَرِ لِعَيْنِ الرَّأْسِ الظَّاهِرَةِ ، وَالْعَقْلُ عَنْ هَذَا الطَّوَرِ
مَعزُولٌ ، كَعِزْلِ قُوَّةِ الحَوَاسِّ عَنِ التَّمْيِيزِ ، وَعِزْلِ التَّمْيِيزِ عَنِ المَعْقُولَاتِ ،

فإنكارُ بعضِ العقلاء لطورِ النبوة ، كإنكارِ المُمَيِّز لطورِ العقل ، وإنكارِ الأعمى للمُبصرات ، والأخشم للمشمومات ، وذلك عينُ الجهل ، إذ لا مُستندَ لَهُ إِلَّا أَنَّ هَذَا طَوْرٌ لَمْ يَبْلُغْهُ عقلُهُ إدراكاً .

فَنَقُولُ لَهُ : إِنْ لَمْ يُدْرِكْهُ عقلُكَ بمباشرةٍ فلا تُحِلْ جَوَازَهُ ، كما لا يُحِيلُ الأعمى وجودَ المُبصرات ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ الحَاسَّةَ الَّتِي تُدْرِكُ بِهَا المُبصراتُ وَجِدَتْ فِي غَيْرِي فَأَدْرَكْهَا ، وَلَمْ تَوْجَدْ فِيَّ فَلَمْ أَدْرِكْهَا .

فحينئذِ الشكُّ في النبوة إما أَنْ يَكُونَ فِي إمكانِها ، أو في وجودِها في العالم ، أو في وقوعِها مُطلقاً ، أو في إثباتِها لشخصٍ معينٍ .

أَمَّا دَلِيلُ إمكانِها : فظَاهِرٌ مِمَّا تَقَرَّرَ مِنْ أَنَّ العقلَ لَا يُحِيلُ مِنْ أَنْ يَتَرَقَّى الإنسانُ الكَامِلُ إِلَى طَوْرٍ فَوْقَ طَوْرِ العقلِ ، يَفْتَحُ اللهُ لِقَلْبِهِ عَيْناً يُدْرِكُ بنورها ما لَمْ يُدْرِكْهُ العقلُ ، كما تَرَقَّى المُمَيِّزُ إِلَى طَوْرِ العقلِ ، وَالطِّفْلُ إِلَى طَوْرِ التَّمْيِيزِ ، وَكَمَا أَنَّ اللهَ سَبَّحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ المَعْرِفَةَ بِهِ ، وَبِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى ، وَصِفَاتِهِ العُلَى ، وَجَمِيعَ تَكْلِيفَاتِهِ الشَّرْعِيَّةِ ، ابْتِدَاءً بغيرِ واسِطَةٍ ، كقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ [سورة البقرة ٣١/٢] وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً ﴾ [سورة الكهف ٦٥/١٨] . وَآدَمُ نَبِيٌّ ، وَالْعَبْدُ وَلِيٌّ ، وَكِلَاهُمَا اشْتَرَكَا فِي تَعْلِيمِ الْعِلْمِ اللَّدُنِّيِّ بغيرِ واسِطَةٍ .

[ق٤٨] وَطَوْرُ النُّبُوَّةِ / أَيْضاً فَوْقَ طَوْرِ الْوَلَايَةِ ، يَعْلَمُهُ الْوَلِيُّ وَيُؤْمِنُ بِهِ ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ طَوْرَ الْوَلَايَةِ فَوْقَ طَوْرِ الْعَقْلِ ذَوْقاً وَمُبَاشَرَةً ، وَكَذَلِكَ الْعَقْلُ لَا يَمْنَعُ أَنْ يُوصَلَ اللهُ إِلَى مَنْ أَرْتَضَاهُ مِنْ رُسُلِهِ الْعِلْمَ بِمَا سَبَقَ

مِنَ المعرفة به وبأحكامه ، بواسطة بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، يُبَلِّغُهُمْ عَنْهُ سبحانه وتعالى ، سواءً كَانَ ذَلِكَ الْوَاسِطَةُ مِنْ جِنْسِهِمْ - كَالْأَنْبِيَاءِ فِي حَقِّ سَائِرِ الْبَشَرِ - أَمْ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِمْ - كَالْمَلَائِكَةِ فِي حَقِّ الرُّسُلِ - وَإِذَا جَوَّزَ الْعَقْلُ ذَلِكَ ، وَجَاءَتِ الرُّسُلُ بِمَا تُثَبِّتُ بِأَمْثَالِهِ الرِّسَالَةُ ، مِنَ الْمُعْجَزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ ، وَجَبَ تَصْدِيقُهُمْ ، وَالْإِيمَانُ بِهِمْ ، وَبِجَمِيعِ مَا أَتَوْا بِهِ .

[وَأَمَّا دَلِيلُ وَجُودِهَا] : فَإِذَا وَقَعَ الشَّكُّ فِي شَخْصٍ مُعَيَّنٍ ، هَلْ هُوَ نَبِيٌّ أَمْ لَا ؟ فَسَبِيلُ تَحْصِيلِ الْيَقِينِ بِمَا يَدَّعِيهِ مِنَ النُّبُوَّةِ ، بِأَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا : مُشَاهَدَةُ مَا أَقَامَهُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَاتِ ، كَمَا سَنَذْكُرُهُ ، وَهَذَا خَاصٌّ بِمَنْ عَاصِرُهُ .

وِثَانِيَهُمَا : مَعْرِفَةُ خَاصِّيَّةِ النُّبُوَّةِ أَوَّلًا ، مِنْ إِدْرَاكِ الْأَنْبِيَاءِ مَا لَا يُدْرِكُهُ الْعُقْلَاءُ ، ثُمَّ التَّسَامُعُ بِالتَّوَاتُرِ .

كَمَا أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ مِثْلًا أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَفَقِيهُ أَمْ لَا ؟ فَسَبِيلُهُ أَنْ يَعْرِفَ أَوَّلًا حَقِيقَةَ الْفِقْهِ مَا هُوَ ؟ وَهُوَ اسْتِنْبَاطُ الْأَحْكَامِ الْفَرَاعِيَّةِ مِنَ الْأَدَلَّةِ الْأَصْلِيَّةِ ، ثُمَّ يَنْظُرُ ثَانِيًا فِيمَا نُقِلَ عَنْهُ ، مِمَّا اسْتَنْبَطَهُ مِنَ الْفِقْهِ ، مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَإِنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ الْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ بِأَنَّهُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الْفِقْهِ .

وَكَذَلِكَ مَنْ عَلِمَ خَاصِّيَّةَ النُّبُوَّةِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى مَا قَرَّرَهُ نَبِيُّنَا ﷺ مِنَ الشَّرْعِ ، حَصَلَ لَهُ لَا مَحَالَةَ الْعِلْمُ الْقَطْعِيُّ ، وَالْإِيمَانُ الْقَوِيُّ بِكَوْنِهِ ﷺ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ النُّبُوَّةِ .

هَذَا كُلُّهُ لِمَنْ أَرَادَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَقْوِيَةَ الْيَقِينِ .

وَأَمَّا الْجَاهِدُ الْمُطْلَحُ : فَيُقَرَّرُ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنْ دَلِيلِ الْعَقْلِ عَدَمُ اسْتِحَالَةِ وَقُوعِ النُّبُوَّةِ - كَمَا سَبَقَ - ثُمَّ يُقَرَّرُ حَقِيقَةُ الْمَعْجَزَةِ / الَّتِي بِهَا [ق ٤٩] تَثَبَّتْ النُّبُوَّةُ لِمُدَّعِيهَا . فَنَقُولُ : الْمَعْجَزَةُ عِبَارَةٌ عَنْ إِجَادِ اللَّهِ تَعَالَى أَمْرًا

خارقاً للعادة على يدي مُدَّعي الرِّسالة ، للدِّلالة على تصديق الله له .

فكلُّ ما أظهره الله سبحانه وتعالى على أيدي الأنبياء عليهم الصَّلَاة والسَّلَام مِمَّا يَعْجُزُ البَشَرُ عن الإتيان بمثله ؛ فهو مِنْ مُعْجَزَاتِهِم الدَّالَّةِ على نُبُوَّتِهِمْ ، لَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُوْجِدَ ذَلِكَ الْفِعْلَ إِلَّا اللهُ تعالى ، كَانَ إِيجَادُهُ على أَيْدِيهِمْ قائماً بلسان الحال ، مقامَ التَّصْدِيقِ بلسان المَقَالِ : صدقَ عبدي في ما ادَّعاهُ^(١) .

كما لو قالَ شخصٌ عاقلٌ بحضرة المَلِكِ : معاشرَ المُسلمينَ !! إِنَّ السُّلْطَانَ قد نَصَبَ فلاناً عليكم حاكِماً ، فأسمعوا له ، وأطيعوا ، ولم يُنْكِرْ عليه المَلِكُ ، عَلِمَ الحاضرونَ بتقرير المَلِكِ صدقَ ذلكَ القائل .

فالمعجزةُ مع التَّحْدِي قائمةٌ مقامَ قولِ الله تعالى : صدقَ عبدي فأتبعوه ، وذلكَ عندَ عجزِهِم عن مُعارضته تلكَ المُعْجِزة ، وأُعْتِرِفُ أَعْلَمَ أَهْلَ ذَلِكَ العَصْرِ أَنَّ مِثْلَ هَذَا غَيْرُ دَاخِلٍ فِي طَوْقِ البَشَرِ .

ولهذا فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ زَمَنُ مُوسَى عليه السَّلَامُ غَايَةُ عِلْمِ أَهْلِ التَّقْنُنِ فِي السِّحْرِ ، بعثَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ بِمُعْجِزَةٍ تُشَبِّهُ ما يَدَّعُونَ كِمَالَ المَعْرِفَةِ فِيهِ ، ثُمَّ جَاءَهُمْ بِما خَرَقَ به عَادَتَهُمْ ، وَأَبْطَلَ سِحْرَهُمْ .

ولَمَّا كَانَ زَمَنُ عِيسَى عليه السَّلَامُ غَايَةُ عِلْمِ أَهْلِ التَّقْنُنِ فِي الطَّبِّ ، جَاءَهُمْ بِما لَا يَقْدِرُونَ عليه ، من إِحْيَاءِ المَوْتَى ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ ، دُونَ مَعَالِجَتِهِ .

وهكذا سائرُ معجزاتِ الأنبياء عليهم السَّلَامُ ، إِنَّمَا تَكُونُ بِأَمْرِ شَائِعٍ بَيْنَ أَهْلِ ذَلِكَ العَصْرِ . العِلْمُ به والتَّقْنُنُ فِي المَعْرِفَةِ به ، على أَقْصَى درجَاتِ الكِمَالِ عندهُمْ ، لِتَقْوَى عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ ، وَيَعْتَرِفُونَ

(١) أَي : إِيجَادُ اللهِ تعالى المُعْجِزَةَ على أَيْدِي الأنبياء صلوات الله عليهم أَجْمَعِينَ قائمةٌ مقامَ قولِ الله تعالى فِي الحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ : (صدقَ عبدي فيما ادَّعاهُ) .

بِعَجْزِهِمْ وَعَجَزٍ مَنْ سِوَاهُمْ عَنْ مُقَاوَمَتِهِ .

[وَأَمَّا صَحَّتْهَا] : وَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ مُنْتَهَى عِلْمِ أَهْلِ عَصْرِهِ ، وَغَايَةِ الْمَعْرِفَةِ وَالْكَمَالِ عِنْدَهُمْ أَمْرَان :

أَحَدُهُمَا : فَصَاحَةُ الْمَنْطِقِ ، وَبِلَاغَةُ الْكَلَامِ ، وَالتَّقَنُّنُ فِيهِ نَثْرًا وَنِظْمًا ، فِي خُطْبِهِمْ / وَأَشْعَارِهِمْ . [ق ٥٠]

وِثَانِيَهُمَا : عِلْمُ الْكِهَانَةِ وَالزَّجَرِ^(١) ، وَالْإِخْبَارُ عَنِ الْحَوَادِثِ .

فَجَعَلَ اللَّهُ مَعْجَزَتَهُ الْعُظْمَى مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ، عَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ الْغَرِيبِ ، الَّذِي لَمْ يَهْتَدُوا إِلَى طَرِيقِهِ ، وَلَا سَلَكَوا سَبِيلَهُ ، وَتَحَدَّاهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ، ثُمَّ بَعَثَ سُوْرٍ مِنْهُ ، ثُمَّ بِسُوْرَةٍ ، فَعَجَزُوا ، وَجَعَلَهُ مُسْتِمْلًا عَلَى الْإِخْبَارِ بِالْمَغِيْبَاتِ ، وَكَشَفَ الْمَخْبَيَّاتِ الَّتِي أَعْتَرَفَ بِصِحَّتِهَا وَأَذْعَنَ لَصَدِيقِهَا أَعْدَى الْأَعْدَاءِ لَهُ ، وَأَبْطَلَ بِذَلِكَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكِهَانَةِ ، الَّتِي تَصْدُقُ مَرَّةً وَتَكْذِبُ أَلْفًا . فَلَمَّا أَدْعَى ﷺ النُّبُوَّةَ وَالرَّسَالََةَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأَظْهَرَ الْمُعْجَزَاتِ ، وَعَظِيمَ الْآيَاتِ ، الَّتِي لَمْ تُعَارِضْ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ ؛ دَلَّ ذَلِكَ قَطْعًا عَلَى صِدْقِ مَا أَدَّعَاهُ .

أَمَّا دَعْوَاهُ النُّبُوَّةَ وَالرَّسَالََةَ : فَمَعْلُومٌ بِالتَّوَاتُرِ بَيْنَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ ، لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ .

وَأَمَّا إِقَامَتُهُ عَلَى ذَلِكَ الدَّلَائِلِ الظَّاهِرَةِ ، وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ ؛ فَلَمَّا نَقَلَ الْخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ ، مِنْ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ - كَانَشِقَاقِ الْقَمَرِ ، وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ ، وَإِجَابَةِ الشَّجَرِ ، وَحَنِينِ الْجَذَعِ ، وَتَسْيِيحِ الْحَصَى ، وَتَفْجِيرِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ بِبَرَكَتِهِ - وَغَيْرِ ذَلِكَ

(١) الزَّجَرُ : النَّهْيُ . وَإِنَّمَا سَمَّى الْكَاهِنَ زَاجِرًا لِأَنَّهُ إِذَا رَأَى مَا يَظُنُّ أَنَّهُ يَشَاءُ بِهِ زَجَرَ بِالنَّهْيِ عَنِ الْمُضِيِّ فِي تِلْكَ الْحَاجَةِ .

مِمَّا سَتَّانِي الإِشَارَةُ إِلَى بَعْضِهِ تَصْرِيحاً وَتَلْوِيحاً ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ
الْآيَاتِ الْمَعْلُومَةِ بِالْقَطْعِ بَيْنَ عُلَمَاءِ السَّيْرِ ، وَنَقْلَةِ الْأَخْبَارِ ، وَرَوَاهَا
الْعَدَدُ الْكَثِيرُ فِي جَمِيعِ الْأَعْصَارِ ، مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، فَمَنْ
بَعْدَهُمْ ، وَلَمْ تَزِدْ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ إِلَّا ظُهُوراً . وَمَجْمُوعُ مَعْنَاهَا بِالْغُ مَبْلُغُ
التَّوَاتُرِ بَيْنَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ ، كَمَا يُعْلَمُ جَوْدُ حَاتِمٍ ، وَشَجَاعَةُ عَلِيٍّ
بِالضَّرُورَةِ . وَإِنْ لَمْ تَبْلُغْ كُلَّ وَاقِعَةٍ مِنْهَا بَعِينَهَا مَبْلُغُ التَّوَاتُرِ ، بَلْ وَأَكْثَرُهَا
كَانَ فِي الْمَجَامِعِ الْحَفَلَةِ ، وَالْعَسَاكِرِ الْجَمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ ، ثُمَّ رَوَاهَا عَنْهُمْ الْكَافَّةُ ، وَلَمْ يُرَوْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ مُخَالَفَةً لِلرَّائِي
فِي مَرَاوَاهُ ، وَالْإِنْكَارِ لِمَا نَسَبَهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُشَاهَدَةِ لَهَا وَحِكَاةً .

[٥١] فَسَكُوتُ السَّائِكِ مِنْهُمْ / كُنْطِقِ النَّاطِقِ ، وَكَثِيرٌ أَمَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ
الضَّرُورِيُّ بِشَيْءٍ لِإِنْسَانٍ دُونَ آخَرَ ، كَمَنْ يَعْلَمُ جَمَلَةً مِنْ أَخْبَارِ
الْمُلُوكِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْبُلْدَانِ النَّائِيَةِ ، وَآخَرَ لَا يَعْرِفُ وَجُودَهَا ، فَضْلاً
عَنْ تَحْقِيقِ أَخْبَارِهَا .

ثُمَّ إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مُعْجَزَاتِهِ ﷺ الْبَاهِرَةِ ، وَآيَاتِ نُبُوَّتِهِ الظَّاهِرَةِ ،
وَدَلَائِلِ صِدْقِهِ : مُعْجَزَةُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، الْمُسْتَمَرَّةَ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ
وَالْأَزْمَانِ ، الْمُشَاهَدَةَ لِجَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ ، وَقَدْ أَنْطَوَى عَلَى
وَجْهِهِ مِنَ الْإِعْجَازِ - سَتَّانِي الإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي الْبَابِ السَّادِسِ -
لَا يَحْصُرُهَا عَدٌّ ، وَلَا يُحِيطُ بِهَا حَدٌّ .

فَلَمَّا أَظْهَرَ ﷺ هَذَا الْكَلَامَ الْبَلِيعَ ، الَّذِي أَعْجَزَ بِهِ الْبُلْغَاءَ ،
وَاللُّدَّ^(١) الْفُصَحَاءَ ، مَعَ مَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ نَبَأِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ ،
وَالشَّرَائِعِ الدَّائِرَةِ ، مِمَّا كَانَ لَا يَوْجَدُ فِي الْقِصَّةِ الْوَاحِدَةِ ، إِلَّا
عِنْدَ الْفَدِّ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ ، وَلَا يَنَالُهَا بِالتَّعَلُّمِ إِلَّا مَنْ قَطَعَ

(١) اللُّدُّ : الْمُجَادِلِينَ .

الْعُمُرَ ، وَأَفْنَى فِي طَلِبِهَا الْأَزْمَانَ .

[قَالَ تَعَالَى] : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [سورة

آل عمران ٤٤/٣ .

[وَقَالَ تَعَالَى] : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ * وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النمل ٢٧/٧٦-٧٧] .

هَذَا مَعَ مَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَغِيَّاتِ ، وَالْإِخْبَارِ بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ آتٍ ، وَمَعَ مَا أَحْتَوَى عَلَيْهِ مِنْ بَلِغِ الْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ ، وَكَرِيمِ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيَمِ ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَإِثْبَاتِ النَّبَوَاتِ وَالتَّوْحِيدِ ، وَتَحْدَاهُمْ بَأَن يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، فَعَجَزُوا بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ لَنْ يَفْعَلُوا ، ﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء ١٧/٨٨] .

فَلَمَّا عَجَزُوا كُلُّهُمْ عَنْ مُعَارَضَتِهِ ، مَعَ كَمَالِ بِلَاغَتِهِمْ ، وَشِدَّةِ حِرْصِهِمْ ، وَتَوَقُّرِ دَوَاعِيهِمْ ، وَتَهَالِكِهِمْ عَلَىٰ إِفْحَامِهِ ، وَأَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ مُدْعِنِينَ ، وَأَحْجَمُوا عَنْ مُعَارَضَتِهِ صَاغِرِينَ ، دَلَّ ذَٰلِكَ عَلَىٰ / صِدْقِهِ قَطْعًا فِيمَا أَدْعَاهُ ، وَأَنَّ كِتَابَهُ نَزَّلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، هُذَامَعَ مَا قَدْ [ق٥٢] تَوَاتَرَ عَنْهُ قَبْلَ دَعْوَى النَّبَوَّةِ وَبَعْدَهَا ، مِنْ مُلَازِمَةِ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ ، وَالْعِفَّةِ وَالصِّيَانَةِ ، وَالْأَحْوَالِ الْكَرِيمَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الْعَظِيمَةِ ، وَالسَّيَرَةِ الْحَسَنَةِ ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا ، وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْجَدِّ وَالتَّشْمِيرِ لِلْآخِرَى ، إِلَى أَنْ تَوْفَاهُ اللَّهُ .

إِذَا الْعَقْلُ يَقْطَعُ بِامْتِنَاعِ اجْتِمَاعِ هَذِهِ الْأُمُورِ ، إِلَّا فِي الْأَنْبِيَاءِ الْمُؤَيَّدِينَ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرِهِ ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ هَذِهِ الْكَمَالَاتِ فِيمَنْ يَفْتَرِي عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَالبُهْتَانَ ، ثُمَّ يُظْهِرُ دِينَهُ ،

كما أَخْبَرَ به على سائر الأديان .

وهل للنُّبُوَّة والرَّسَالَة معنى غيرُ هذا في الاستدلال ؟ وماذا بعدَ الحقِّ إِلَّا الضَّلَال ؟

ثمَّ إِذَا ثَبَتَتْ نُبُوَّتُهُ ﷺ - وقد دَلَّ كلامُ ربِّه المنزلُ على أَنَّهُ خاتمُ النَّبِيِّينَ ، وَأَنَّهُ مبعوثٌ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ - ثَبَتَ بِذلكَ عمومُ رسالته ، ونسخُ شريعته لسائر الشَّرَائِعِ ، لوجوب طاعته وأتباعه على الكلِّ : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران ٨٥/٣] .

وفي « صحيحِي البخاريِّ ومُسلمٍ » : « مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ ، كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا ، فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ فِيهَا ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ : لَوْلَا مَوْضِعُ هَذِهِ اللَّبَنَةِ ، فَأَنَا اللَّبَنَةُ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ » (١) .

فَإِنْ أَدْعَى مَدْعٍ خِصُوصَ رِسَالَتِهِ إِلَى الْعَرَبِ فَقَطْ ، فَقَدْ أَعْتَرَفَ بِنُبُوَّتِهِ ، وَالْكَذِبُ مُمْتَنِعٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ اتِّفَاقًا .

وقد حصلَ الْعِلْمُ الْقَطْعِيُّ أَنَّهُ ﷺ جاءَ بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، نَاطِقٍ بِعَومِ رِسالته إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ يَتَّيْنُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [سورة الأعراف ١٥٨/٧] . وَبِأَنَّهُ أَدْعَى عَومَ الرِّسَالَةِ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ ، وَالْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ : ﴿ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهْدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [سورة الأنعام ١٩/٦] - أَيْ : مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ - .

[ق٥٣] / وَتَوَاتَرَ الثَّقَلُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ دَعَا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَغَيْرَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ ، وَأَرْسَلَ كُتُبَهُ إِلَى مُلُوكِ الْفُرْسِ وَالرُّومِ وَغَيْرِهِمْ ، وَأَلْزَمَهُمْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٣٤١-٣٣٤٢) . وَمُسلم بِرَقْم (٢٢٨٧) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وجوب طاعته ، وأتباعه على وفق ما يجدونه في كتبهم :
﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ [سورة الأعراف
١٥٧/٧] ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ ﴾ [سورة البقرة ١٤٦/٢] ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة ٨٩/٢] .

فكيف يعترف هذا بنبوته ثم يناقض وجوب عصمته بتكذيبه ؟
[قَالَ تَعَالَى] : ﴿ وَيَقُولُونَ نُوْمَنٌ وَكَفَرُ بَعْضُ وَنَكَفَرُ بَعْضٌ وَيُرِيدُونَ أَنْ
يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ
عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [سورة النساء ١٥٠/٤-١٥١] .

فهذا القدر كافٍ في تحقيق نبوته ، وعموم رسالته ﷺ ، ونسخ
دينه لكل دين .

وأما تفضيله ﷺ على جميع النبيين والمرسلين ؛ فلما صح من
قوله ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرٌ » (١) .

فتحدث بنعمة ربه أمثالاً لأمره ، نافياً للفخر والخلاء ، وبلغ
ذلك إلى أتمته ليعرفوه ويعتقدوه ، ولقوله سبحانه وتعالى : ﴿ كُنْتُمْ
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران ١١٠/٣] .

ولا شك أن خيرية الأمة بحسب كمالها ، وذلك تابع لكمال نبينا ،
لأن كمال التابع من كمال المتبوع . هذا إلى ما ورد في الأخبار
الصحيحة من اختصاصه ﷺ بالشفاعة العظمى في أهل الموقف يوم
الدين ، وهو المقام المحمود الذي يحمد فيه الأولون والآخرون ، بعد
رجوع الخلائق إليه في الشفاعة العظمى ، وأعترفهم له بالمزية .

وفي « الصحيحين » : « أُعْطِيَ خَمْسًا ، لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي :
نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا ،

(١) أخرجه ابن ماجه ، برقم (٤٣٠٨) . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وَأَحَلَّتْ لِيِ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ،
وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ^(١) .

[ق ٥٤] وقال بعضُ العارفينَ / بالله : لَمَّا أَخْرَجَ اللهُ : ﴿ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ قَالُوا بَلَى ﴿ [سورة الأعراف ١٧٢/٧] تَفَاوَتُوا فِي الْإِجَابَةِ ، فَأَوَّلُهُمُ الرُّسُلُ ، وَأَوَّلُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

هَذَا مَعَ أَنَّهُ لَا تَفَاضُلَ بَيْنَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ فِي دَرَجَةِ النَّبَوَّةِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ التَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِأُمُورٍ أُخَرَ زَائِدَةٍ عَلَى ذَلِكَ ؛ كَأَن تَكُونَ مُعْجَزَاتُ أَحَدِهِمْ أَشْهَرَ وَأَظْهَرَ ، أَوْ تَكُونَ أُمَّتُهُ أَكْثَرَ وَأَظْهَرَ ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَخْصُهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الْكِرَامَةِ .

فَمِنْهُمْ : أُولُوا الْعِزِّ ^(٢) ، وَمِنْهُمْ : أُولُوا الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ^(٣) ، وَمِنْهُمْ : الْمُصْطَفُونَ الْأَخْيَارُ ^(٤) ، وَمِنْهُمْ : مَنْ رَفَعَهُ اللهُ مَكَانًا عَلِيًّا ^(٥) ، وَمِنْهُمْ : مَنْ آتَاهُ اللهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ^(٦) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٢٨) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٣/٥٢١) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أُولُوا الْعِزِّ : ذَوُو الْحِزْمِ وَالصَّبْرِ . وَفِيهِمْ عَشْرَةُ أَقْوَالٍ ؛ أَحَدُهَا : أَنَّهُمْ (نُوحٌ ، وَإِبْرَاهِيمُ ، وَمُوسَى ، وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ ﷺ) . [زَادَ الْمَسِيرُ ، ج ٧/٣٩٢ (أَنْصَارِي)] وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْمَعْتَمَدُ الْمَشْهُورُ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ .

(٣) أُولِي الْأَيْدِي : الْقُوَّةُ فِي الطَّاعَةِ . وَالْأَبْصَارُ : الْبَصَائِرُ فِي الدِّينِ وَالْعِلْمِ . قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : وَذَكَرُ الْأَيْدِي مِثْلُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ بَالِدَ الْبَطْشِ ، وَبِالْبَطْشِ تُعْرَفُ قُوَّةُ الْقَوِيِّ ، فَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْقَوِيِّ : ذُو يَدٍ . وَعَنِيَ بِالْبَصَرِ : بَصَرُ الْقَلْبِ ، وَبِهِ تُنَالُ مَعْرِفَةُ الْأَشْيَاءِ . [زَادَ الْمَسِيرُ ، ج ٧/١٤٦ (أَنْصَارِي)] .

(٤) وَهُمْ : إِبْرَاهِيمُ ، وَإِسْحَاقُ ، وَيَعْقُوبُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . (أَنْصَارِي) .

(٥) وَهُوَ : إِدْرِيسُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

(٦) وَهُوَ : يَحْيَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

[قَالَ اللَّهُ تَعَالَى] : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٥٣] .

[وَقَالَ تَعَالَى] : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [سورة النساء

. [١٦٤/٤]

ثُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ أَدْنَى مُمَارَسَةٍ بِالْعِلْمِ أَنَّ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَشْهُرُ وَأَكْثَرُ مِنْ مُعْجَزَاتِ سَائِرِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَجْمَعِينَ - كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُ بَعْضِهَا - وَإِنَّهَا أَبْلَغُ وَأَتَمُّ فِي بَابِ الْإِعْجَازِ .

إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ أَنْفِجَارَ الْأَصَابِعِ بِالْمَاءِ الْغَزِيرِ أَبْلَغُ فِي بَابِ الْإِعْجَازِ مِنْ أَنْفِجَارِهِ مِنَ الْحَجَرِ ، لِأَنَّهُ شَيْءٌ مَا شُوهِدَ مِثْلُهُ قَطُّ وَلَا عُهْدٌ ، بخلاف أَنْفِجَارِ الْحَجَرِ بِالْمَاءِ ، فَإِنَّهُ بِالْجُمْلَةِ مَعْهُودٌ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي شُوهِدَ فِي عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وكَذَلِكَ إِشْبَاعُ الْجَيْشِ الْكَثِيرِ مِنْ أَقْرَاصٍ مِنْ شَعِيرٍ ، أَتَمُّ فِي بَابِ الْإِعْجَازِ مِنْ إِنْزَالِ الْمَنِّْ وَالسَّلْوَى ، وَالْمَائِدَةِ عَلَى عِيسَى [عَلَيْهِ السَّلَامُ] مِنَ السَّمَاءِ .

وكَذَلِكَ رَدُّ الْعَيْنِ السَّائِلَةِ وَإِعَادَتُهَا فِي الْحَالِ إِلَى صِحَّتِهَا حَتَّى كَانَتْ أَحْسَنَ مِنَ الْأُخْرَى الصَّحِيحَةِ ، أَعْجَبُ مِنْ إِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ .

وكَذَلِكَ نُطْقُ مَا لَمْ يُعْهَدْ نُطْقُهُ أَصْلًا - كَالْجَذَعِ ، وَالْحَجَرِ ، وَالشَّجَرِ ، وَالضَّبِّ ، وَالذَّنْبِ ، وَالذَّرَاعِ - أَغْرَبُ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، فَإِنَّ الْمَيِّتَ قَدْ كَانَ يَنْطِقُ / ، فَقَدْ عُهْدَ مِنْهُ الْحَيَاةُ وَالنُّطْقُ فِي الْجُمْلَةِ ، وَلَمْ يُعْهَدْ [ق٥٥] فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ نُطْقُ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَجْنَاسِ .

عَلَى أَنَّ جَمِيعَ مُعْجَزَاتِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ

معجزةً لنبيِّنا ﷺ ، لأنَّ حقيقةَ المعجزةِ ما دلَّ على صِدْقِ الرِّسُولِ ،
وكلُّ مِنَ المرسلينَ قد بَشَّرَ به ، فمُعْجَزَاتُهُمُ الدَّالَّةُ على صِدْقِهِمْ ،
معجراتٌ دالَّةٌ على صِدْقِهِ ، وبراهينُ شاهدةٌ بصحَّةِ نبوِّته .

ثمَّ إِنَّ مُعْجَزَاتِ سائرِ المرسلينَ عليهم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْقَرَضَتْ
بأنقراضِهِمْ ، وَأَنْعَدَمَتْ بِمَوْتِهِمْ .

وَأَمَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَأَعْظَمُ مُعْجَزَاتِهِ : الْقُرْآنُ ، وَهُوَ مُعْجَزَةٌ
مُسْتَمِرَّةٌ عَلَى مَرِّ الْأَزْمَانِ ، لَا تَبِيدُ وَلَا تَنْقَطِعُ ، وَلَا تَذْهَبُ
وَلَا تَضْمِحِلُ ، بَلْ هِيَ ثَابِتَةٌ إِلَى الْأَبَدِ ، وَاضِحَةٌ الْحُجَّةُ لِكُلِّ قَرْنٍ ،
فَلَا يَمُرُّ عَصْرٌ ، وَلَا يَظْهَرُ قَرْنٌ ، إِلَّا وَهُمْ مُسْتَدَلُّونَ عَلَى الْخَصْمِ
بِوَجْهِهِ إِعْجَازُهُ ، مُحْتَجُّونَ عَلَيْهِ بِمَا أَحْتَجُّ مَنْ قَبْلَهُمْ عَلَى الْخَصْمِ مِنْ
قَبْلِهِ ، قَائِلِينَ : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٣] .

فَائِدَةٌ

أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ كِرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ حَقٌّ .

قَالَ الشَّيْخُ الرَّبَّانِيُّ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي
« شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ » ، فِي الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ جُرَيْجِ الرَّاهِبِ :
(فِيهِ إِثْبَاتُ كِرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَأَنَّهَا تَكُونُ بِجَمِيعِ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ ،
وَأَنَّ كُلَّ مَا جَازَ أَنْ يَكُونَ مُعْجَزَةً لِلْأَنْبِيَاءِ ، جَازَ أَنْ يَكُونَ كِرَامَةً
لِلْأَوْلِيَاءِ ، وَأَنَّ كِرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ يَجُوزُ أَنْ تَقَعَ بِأَخْتِيَارِهِمْ وَطَلِبِهِمْ
وَبغَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ ، لِأَنَّ جُرَيْجًا تَوْضَأً ، وَصَلَّى ، وَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى ،
وَقَالَ لِلْغَلَامِ : مَنْ أَبُوكَ ؟ فَقَالَ : فَلَانَ الرَّاعِي)^(١) . أَنْتَهَى .

في الفرق بين المعجزة
والكرامة والسحر

(١) شرح صحيح مسلم ، للنَّوَوِيِّ ، ج ١٦ / ٨٨ ، بِتَصْرِفٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِ .

قُلْتِ : وجميع ما ذكره - رحمه الله تعالى - هو مذهب أهل السنة ، لأنَّ خرق العادة لا يحيله العقل ، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة ، والأخبار والآثار ، التي ملأت الآفاق ، وضائق عن حصرها الأوراق ؛ على وقوع / كرامات الأولياء في كلِّ عصرٍ وزمانٍ ، كقوله [٥٦] تعالى في مريم : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنُورِمُ أَتَىٰ لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران ٣/٣٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَهَزَيَ إِلَيْكَ جِبْجَبُ النَّخْلَةِ ﴾ [سورة مريم ١٩/٢٥] ، وقوله تعالى : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [سورة مريم ١٩/١٧] ، وقوله تعالى : ﴿ قَالَ عَفَرْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَايَتُكَ بِهِ ﴾ [سورة النمل ٢٧/٣٩] .

وكحديث جريج ، وأصحاب الغار الثلاثة ، وكذا حديث بركة قصعة الصديق^(١) ، وحديث نداء الفاروق : يا سارية الجبل ، ومشى العلاء بن الحضرمي على الماء ، وتسبيح قصعة أبي الدرداء وسلمان^(٢) ، وتسليم الملائكة على عمران [بن حصين] .

(١) وذلك أنَّ ثلاثة من أهل الصفة نزلوا عنده ليتعشوا ، فأمر أبو بكر ابنه عبد الرحمن ، وقال له : دُونَكَ أَضْيَافَكَ ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فأفرغ من قِراهِم قبل أن أَجِيءَ ، ثُمَّ ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَمْرِهِ وَعَادَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ . فوجدهم ينتظرونه ولم يأكلوا شيئاً ، فأحضر القدر ، فأكلوا ، فكان كلما أكلوا لقمة زاد من أسفلها أكثر منها ، فأكلوا وهي تزداد ، حتى شبعوا ، وإذا بالطعام في القدر قد زاد ثلاث مرَّات ، فأرسل أبو بكر القدر إلى النبي ﷺ ، فأكل منها ، وأكل معه جمع كبير من الناس ، الله أعلم بعددهم «رياض الصالحين» ، رقم (١٥٠١) .

(٢) وذلك أنَّه بينما أبو الدرداء يوقد تحت قدر له ، وسلمان - رضي الله عنهما - عنده ، إذ سمع أبو الدرداء في القدر صوتاً ، ثُمَّ أَرْتَفَعَ الصَّوْتُ بِتَسْبِيحٍ كَهَيْئَةِ صَوْتِ الصَّبِيِّ ، قَالَ : ثُمَّ نَدَرْتُ فَأُنْكَفَأْتُ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى =

ولو لم يكن إلا قوله ﷺ : « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ »^(١) - أي : لأكرمه - لكفى .

وسُئِلَ الإمامُ أحمد - رحمه الله تعالى - : ما بَالُ الصَّحَابَةِ لَمْ يُنْقَلَ عَنْهُمْ مِنَ الْكَرَامَاتِ مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِهِمْ ؟ فقال : لِقُوَّةِ إِيْمَانِهِمْ .

وسُئِلَ النَّوَوِيُّ - رحمه الله تعالى - : ما بَالُ الْعُلَمَاءِ لَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مَا يَظْهَرُ عَلَى الْعُبَادِ ؟ فقال : لِعِزَّةِ الْإِخْلَاصِ فِي الْعِلْمِ دُونَ الْعِبَادَةِ .

ولافرقَ بَيْنَ الْكَرَامَةِ وَالْمُعْجِزَةِ إِلَّا اقْتِرَانُ الْمُعْجِزَةِ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ .
نعم ، قد تَلَبَّسَ الْكَرَامَةُ بِالسَّحَرِ ، فَإِنَّهُ أَيْضاً أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ،
وإنَّمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْكَرَامَةِ وَالسَّحَرِ بِاتِّبَاعِ الْوَلِيِّ لِلرَّسُولِ ، وَمُخَالَفَةِ السَّاحِرِ لَهُ .

فَالْكَرَامَةُ الَّتِي لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا تَلْيِيسٌ^(٢) هِيَ الْإِسْتِقَامَةُ .

قَالَ الْعَجَلَاءُ : وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَظْهَرَ الْخَارِقُ مَعَ دَعْوَى النُّبُوَّةِ عَلَى يَدِ الْكَاذِبِ ، وَكُلُّ كَرَامَةٍ لَوْلِيٍّ مُعْجِزَةٌ لِنَبِيِّهِ ، لِدَلَالَةِ صِدْقِ التَّابِعِ عَلَى صِدْقِ الْمَتَّبِعِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

= مكانها لم ينصب منها شيء ، فجعل أبو الدرداء ينادي : يا سلمان ؛ أنظر إلى العجب ! أنظر إلى ما لم تنظر مثله أنت ولا أبوك !! فقال سلمان : أما إنك لو سكت لسمعت منا آيات الله الكبرى
وكان أبو الدرداء إذا كتب إلى سلمان ، أو سلمان كتب إلى أبي الدرداء ؛ كتب إليه يذكره بآية القصعة . « حلية الأولياء » ، ج ١ / ٢٢٤ .

(١) أخرجه البخاري ، رقم (٢٥٥٦) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) تلييس : اختلاط أو شبهة .

البَابُ السَّادِسُ

في ذكر بعض ما اشتهر من معجزاته ، وظهر من علاماته نبوته

في حياته صلى الله عليه وسلم

من أنشقاق القمر ، ورد الشمس وحسبها له ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وتكثير الطعام اليسير ببركته ، وكلام الشجر والحجر ، وشهادتها له بالنبوة ، وشهادة الحيوانات له بالرسالة ، وشفاء العليل بريقه وكفه المباركة ، وإجابة دعائه لمن دعا له ، وصلاح ما كان فاسداً بلمسه ، وما أخبر به من المغيبات ، مما كان ، ومما هو آتٍ / .

[ق ٧٣]

وأعظمها معجزة: القرآن العظيم، والذكر الحكيم.

فهذه عشرة أنواع من المعجزات الباهرة ، والآيات الظاهرة ، كل نوع منها منطوق على ما لا يحصره عد ، ولا يحيط به حد ، ولكننا نشير من كل نوع منها إلى شيء منه : ﴿ لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ وَزَادُوا الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [سورة المائدة ٧٤ / ٣١] . فنقول :

أما النوع الأول : وهو أنشقاق القمر ، ورد الشمس وحسبها له ﷺ ، فقد قال الله تعالى : ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ﴾

[سورة القمر ١ / ٥٤] .

وروى البخاري في « صحيحه » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : أنشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين : فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه ، فقال رسول الله ﷺ - أي لمن معه من

المُسْلِمِينَ - : « اشْهَدُوا »^(١) . وفي رواية - : « حَتَّى رَأَيْتُ الْجَبَلَ
بَيْنَ فِرْقَتَيْ الْقَمَرِ »^(٢) .

فَقَالَ كِفَّارُ قُرَيْشٍ : سَحَرَكُمُ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : إِنَّ
مُحَمَّدًا إِنْ كَانَ سَحَرَكُم ، فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُ مِنْ سِحْرِهِ أَنْ يَسَحَرَ أَهْلَ
الْأَرْضِ كُلِّهَا ، فَاسْأَلُوا مَنْ يَأْتِيكُمْ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ ، هَلْ رَأَوْا مِثْلَ هَذَا ؟
فَاتَّوْا فَسَأَلُوهُمْ ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ رَأَوْا مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ :
هَذَا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ .

وخرَجَ الطَّحَاوِيُّ فِي « مُشْكَلِ الْحَدِيثِ » بِإِسْنَادَيْنِ صَحِيحَيْنِ ،
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُوْحَى إِلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ الْعَصْرَ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« أَصَلَيْتَ الْعَصْرَ يَا عَلِيٌّ ؟ » قَالَ : لَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ
إِنَّهُ كَانَ فِي طَاعَتِكَ ، وَطَاعَةِ رَسُولِكَ ، فَأَرَدْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسَ »^(٣)
فَطَلَعَتْ بَعْدَمَا غَرَبَتْ ، وَأَشْرَقَتْ عَلَى الْجِبَالِ ، وَكَانَ ذَلِكَ
بِ (الصَّهْبَاءِ) فِي غَزْوَةِ (خَيْبَرَ) .

رَدَّ الشَّمْسُ وَجْهَهَا
لَهُ ﷺ

وَرَوَى الْحَافِظُ يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ لَيْلَةَ
الْإِثْنَيْنِ ، وَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِالرَّفْقَةِ الَّتِي وَجَدَهُمْ فِي طَرِيقِ (الشَّامِ) ، فِي
[٧٤ق] الْعِيرِ الْآتِيَةِ إِلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لَهُ : مَتَى تَجِيءُ الْعِيرُ ؟ فَقَالَ : / « يَوْمَ
الْأَرْبَعَاءِ » فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ أَحْتَبَسَتِ الْعِيرُ ، وَأَشْرَفَتْ قُرَيْشٌ
يَنْتَظِرُونَ ، وَدَنَتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ ، فَحَبَسَ اللَّهُ الشَّمْسَ سَاعَةً ،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٥٨٣) .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ، بِرَقْم (٤٣٤٧) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّحَاوِيُّ فِي « مُشْكَلِ الْآثَارِ » ، ج ٩ / ٢ .

حَتَّى قَدِمَتِ الْعِيرُ ، بَعْدَ أَنْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ أَنْ يَحْبِسَهَا لَهُ^(١) .

وَأَمَّا النَّوعُ الثَّانِي : وَهُوَ نَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ ،
نَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ
فَالْأَحَادِيثُ فِيهِ كَثِيرَةٌ .

ففي « الصَّحِيحِينَ » ، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ حَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ ، فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوُضُوءَ^(٢) ، فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوُضُوءٍ - وفي رواية : بِإِنَاءٍ لَا يَكَادُ يَغْمُرُ أَصَابِعَهُ - فَوَضَعَ [رَسُولُ اللَّهِ ﷺ] يَدَهُ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّعُوا مِنْهُ .

قَالَ : فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، حَتَّى تَوَضَّعُوا عَنْ آخِرِهِمْ^(٣) .

وفي « الصَّحِيحِينَ » أَيْضاً ، عن أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :
بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ ، فَقَالَ [لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ] : « أَطْلُبُوا مِنْ مَعَهُ فَضْلُ مَاءٍ » ، فَأَتَى بِقَلِيلِ مَاءٍ فَصَبَّهُ فِي إِنَاءٍ ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ^(٤) .

فَائِدَةٌ

قَالَ الْعَجَمَاءُ : وَإِنَّمَا طَلَبَ فَضْلَ الْمَاءِ لِيَكُونَ مِنْ بَابِ تَكْثِيرِ الْقَلِيلِ ، فِي طَلَبِهِ ﷺ فَضْلَ مَاءٍ لَا مِنْ بَابِ الْإِيجَادِ مِنَ الْعَدَمِ ، لِثَلَا يَتَوَهَّمُ أَحَدٌ أَنَّهُ الْمُوجِدُ لِلْمَاءِ .

(١) ذكره الزُّبَيْدِيُّ في «الإتحاف» ، ج ٧/ ١٩٢ ، وعزاه لابن بُكَيْرٍ في «زيادة المغازي» ، عن أَبِي إِسْحَاقَ .

(٢) الْوُضُوءَ : (بفتح الواو) : الْمَاءُ الَّذِي يُتَوَضَّأُ بِهِ (أَنْصَارِي) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٣٨٠) .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٣٨٦) .

وفي « الصَّحِيحِينَ » أيضاً ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ (الحُدَيْبِيَّةِ) ، ورسولُ الله ﷺ بينَ يديه رَكْوَةٌ ، فتوضَّأَ منها ، وأَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ ، فقالوا : ليسَ لنا ماءٌ إِلَّا ما في رَكْوَتِكَ هَذِهِ ، فوضعَ يَدَهُ في الرِّكْوَةِ ، فجعلَ الماءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ ، كَأَمْثَالِ الْعَيُونِ^(١) .

وفي « الصَّحِيحِينَ » عن البراء بن عازبٍ ، وسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنهما ، أَنَّهُمْ نَزَحُوا بِئْرَ (الحُدَيْبِيَّةِ) فلم يَتْرَكُوا فِيهَا قِطْرَةً ، وكانت قليلةَ الماءِ ، لا تروي خمسينَ شاةً ، فنزَحَ ﷺ منها دلوًّا [ق٧٥] وَبَصَقَ فِيهِ ، وَأَعَادَهُ إِلَيْهَا / ، فجاشت بالماء الغزير ، حتَّى أَرَوَى الْجَيْشَ أَنْفُسَهُمْ وَرِكَابَهُمْ^(٢) .

وفي « الصَّحِيحِينَ » عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه ، قال : أَصَابَ النَّاسَ عَطَشٌ شَدِيدٌ ، وَهُمْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فوجَّهَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَهُمَا : عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنهما ، وَأَعْلَمَهُمَا أَنَّهُمَا يَجِدَانِ أَمْرَأَةً بِمَكَانٍ كَذَا ، مَعَهَا بَعِيرٌ عَلَيْهِ مَزَادَتَانِ ، فوجداهما ، فَأَتَيَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، [فجعلَ في إِنْاءٍ مِنْ مَزَادَتَيْهَا ، وَقَالَ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ، ثُمَّ أَعَادَ الْمَاءَ فِي الْمَزَادَتَيْنِ ، ثُمَّ فَتَحَتْ عَزَالِيَهُمَا]^(٣) فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْ مَزَادَتَيْهَا ، فملؤوا أَسْقِيَتَهُمْ حتَّى لَمْ يَدَعُوا سِقَاءً إِلَّا مَلُؤُوهُ ، قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ : ثُمَّ أَوْكَيْتُهُمَا ، وَتَخَيَّلَ لِي أَنَّهُمَا لَمْ يَزِدَادَا إِلَّا أَمْتَلَاءً ، ثُمَّ أَمَرَ فجمعَ لَهَا مِنَ الْأَزْوَادِ حتَّى مَلَأَ ثَوْبَهَا ،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٩٢١) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٨٥٦) . الرِّكْوَةُ : إِنْاءٌ مِنْ جِلْدٍ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٩٢٠) .

(٣) الْعَزَالَى - مَفْرُودَا عَزْلَاءَ - وَهِيَ : مُصَبُّ الْمَاءِ مِنَ الْقُرْبَةِ وَنَحْوِهَا . [الْأَنْصَارِيُّ] .

وقال : « اِذْهَبِي فَإِنَّا لَمْ نَأْخُذْ مِنْ مَائِكَ شَيْئاً - أَي : لم نُنْقِصْهُ - وَلَكِنَّ اللَّهَ سَقَانَا » (١) .

وفي « الصَّحِيحِينَ » ، عن عُمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنه ، قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ ، فَعَطِشَ النَّاسُ عَطْشاً شَدِيداً ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مَنَّا لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ ، فَيَعَصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرِبُهُ ، فَرِغَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّعَاءِ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ ، فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتِ السَّمَاءُ ، فَأَنْسَكَبَتْ ، فَمَلَّؤُوا مَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَسْقِيَةِ ، وَلَمْ يُجَاوِزِ الْمَطَرُ الْعَسْكَرَ (٢) .

وفي « صحيح مُسلم » عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنه ، قال : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ ، فَقَالَ : « يَا جَابِرُ نَادِ الْوَضُوءَ » ، فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً إِلَّا قَطْرَةً فِي فَمِ مَزَادَةٍ ، فَقَالَ : « أَتَيْتَنِي بِجَفْنَةِ الرَّاكِبِ » ، فَأَتَيْتُهُ بِهَا ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ كَفَّهُ فِيهَا ، وَصَبَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمَاءُ ، فَقَالَ : « بِأَسْمِ اللَّهِ » ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، حَتَّى أُمْتَلَأَتِ الْجَفْنَةُ ، وَأَسْتَدَارَتْ ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالِاسْتِقَاءِ مِنْهَا ، فَأَسْتَقَوْا ، وَأَسْقَوْا رِكَابَهُمْ ، فَرَفَعَ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ ، وَإِنِّهَا لَمَلَأَتْ (٣) .

(١) أخرجه البخاريُّ، برقم (٣٣٧) و(٣٣٧٨). ومُسلم برقم (٦٨٢/٣١٢).

المزادة: إناءً من جلدٍ كالزَّاوية لها فَمٌ، تُمَلَأُ مَاءً لِلشُّرْبِ، فالمزادة والزَّاوية والقِرْبَةُ كُلُّهَا تُصْنَعُ مِنَ الْجِلْدِ، لَكِنَّ بَعْضَهَا أَكْبَرُ مِنْ بَعْضٍ، وأَكْبَرُهَا الزَّاوية. العزلاء: مصبُّ الماء من القِرْبَةِ ونحوها. أوكأ: ربط. أو شدَّ بالوكاء، وهو ما يشدُّ به رأسُ القِرْبَةِ ونحوها.

(٢) أخرجه البزار في «المُسند»، ج٦/١٩٥. فَرْثُهُ : ما في كرشه . قَالَتْ

السَّمَاءُ : غَيِّمَتْ وَظَهَرَ فِيهَا سَحَابٌ . الْأَسْقِيَةُ : مفردُها : سِقَاءٌ ؛ وعاءٌ من جلدٍ يَكُونُ لِلْمَاءِ وَاللِّبَنِ .

(٣) أخرجه مُسلم ، برقم (٣٠١٣) . الْجَفْنَةُ : الإِنَاءُ لِلْمَاءِ وَالطَّعَامِ .

وروى الإمام مالك في «الموطأ» ، / عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ
اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ (تَبُوكَ) ، فَوَرَدْنَا الْعَيْنَ ،
فَوَجَدْنَاهَا تَبَضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ مِثْلَ الشَّرَاكِ ، فَغَرَفُوا مِنْهَا شَيْئًا فِي
إِنَاءٍ ، فَغَسَلَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ، وَأَعَادَهُ فِيهَا ، فَجَرَتْ بِمَاءٍ
كَثِيرٍ ، لَهُ حِسٌّ كَحِسِّ الصَّوَاعِقِ ، ثُمَّ قَالَ : « يَوْشِكُ أَنْ يَكُونَ
مَا هَاهُنَا جَنَانًا » - أَي : بِسَاتِينَ - فَكَانَ كَذَلِكَ ^(١) .

إِكْتَارُ الطَّعَامِ

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّالِثُ : وَهُوَ تَكْثِيرُ الطَّعَامِ الْيَسِيرِ بِبِرْكَةِ ﷺ فَكَثِيرٌ
أَيْضًا . فَمِنْ ذَلِكَ :

حَدِيثُ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ بَعَثَهُ بِأَقْرَاصٍ مِنْ شَعِيرٍ
تَحْتَ إِبْطِهِ ، فَفَتَّهَا ﷺ وَأَشْبَعَ مِنْهَا ثَمَانِينَ رَجُلًا . مَتَّقُ عَلَيْهِ ^(٢) .

وَحَدِيثُ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ صَنَعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ
وَعَنَاقًا ، وَطَلَبَ خَامِسَ خَمْسَةٍ ، فَنَادَى فِي أَهْلِ (الْحَنْدَقِ) ، وَكَانُوا
أَلْفًا جِيَاعًا ، فَأَكَلُوا مِنْ ذَلِكَ كُلُّهُمْ ، حَتَّى أَنْصَرَفُوا ، قَالَ جَابِرٌ :
وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ إِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبِرُ ، وَكَانَ
النَّبِيُّ ﷺ بَصَقَ فِي الْبُرْمَةِ وَالْعَجِينِ . مَتَّقُ عَلَيْهِ ^(٣) .

(١) أَخْرَجَهُ مَالِكُ فِي «الْمَوْطَأِ» ، كِتَابُ : قَصْرِ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ ، رَقْم (٢) .
وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٠/٧٠٦) . تَبَضُّ : تَسِيلُ . الشَّرَاكُ : سِيرُ النَّعْلِ ،
وَمَعْنَاهُ : مَاءٌ قَلِيلٌ جَدًّا .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٦٣١٠) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٠٤٠) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٨٧٦) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٠٣٩/١٤١) .
عَنَاقُ : الْأَنْثَى مِنْ وَلَدِ الْمَعَزِ . الْبُرْمَةُ : الْقِدْرُ . بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ : إِنَّ قِدْرَنَا
لَيَغْلِي وَيَفُورُ مِنَ الْإِمْتِلَاءِ ، فَيُسْمَعُ غَطِيطُهَا ، أَي : صَوْتُ غَلِيَانِهَا .
الْغَطِيطُ : صَوْتُ النَّائِمِ أَيْضًا .

وحديث جابر أيضاً المتفق عليه ، أنه حين مات أبوه أبي غرماؤه أن يقبلوا ثمرة نخيله بدينه ، فجاء النبي ﷺ وجلس على بيدرٍ واحدٍ منها ، فقال لهم حتى أوفاهم منه ، وسلمت له منه بقيّة مع سائر البيادر^(١) .

وحديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، أنه صنع لرسول الله ﷺ ولأبي بكرٍ عند قدومهما في الهجرة ما يكفيهما ، فقال له النبي ﷺ : « ادعُ ثلاثين من أشراف الأنصار » ، فدعاهم ، فأكلوا حتى تركوه ، فقال : « ادعُ ستين » ، فدعاهم ، فأكلوا حتى تركوه ، فقال : « ادعُ سبعين » ، فدعاهم ، فأكلوا حتى تركوه ، قال أبو أيوب : فأكل من طعامي ثمانون ومئة رجل ، وما خرج رجلٌ منهم حتى أسلم وباع^(٢) . / متفق عليه .

[٥٧ق]

وحديث أنس أن النبي ﷺ حين أبتنى بزينب رضي الله عنها ، أمره أن يدعو له كل من لقي ، حتى أمتلأ البيت ، فقدم إليهم مدام تمرٍ ، قد جعل حيساً ، فجعل القوم يتغدّون ويخرجون ، وبقي التمر كما هو . متفق عليه^(٣) .

وحديث عبد الرحمن بن أبي بكرٍ رضي الله عنهما ، قال : كنّا

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٣٨٢٧) . الغريم : صاحب الدّين . قلت : والحديث وإن كان معجزةً للنبي ﷺ فهو يدل على صدق المؤمنين مع فقرهم ، ويدل على شدة رحمته ﷺ بهم ومواساته إياهم .

(٢) أخرجه الأصفهاني في «الدلائل» ، ص ١٥٢-١٥٣ .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٢٧٣٦) . ومسلم برقم (١٣٦٥) . حيساً : تمرٌ خلطَ بسمنٍ أو دقيقٍ . قلت : إن من المعروف أن هذه القصة اتفقت في بنائه ﷺ بصفية ، وفي «شرح مسلم» ، للخفاجي : أن الراوي أدخل قصةً في قصة . وقال بعضهم : يُحتمل أنه اتفق الشَّيْثَان - يعني : الشاة والحيس - .

مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثِينَ وَمِئَةً ، فُعِجِنَ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ ، وَذُبِحَتْ شَاةٌ ، فَشَوِيَ سَوَادٌ بَطْنُهَا - أَيْ : كَبِدُهَا - وَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَحْزَرَ لَهُمْ مِنْهَا ، قَالَ : وَائِمْ اللَّهُ مَا مِنَ الثَّلَاثِينَ وَالْمِئَةِ إِلَّا وَقَدْ حَزَّ لَهُ حُزَّةٌ مِنْ كَبِدِهَا ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا الطَّعَامَ وَاللَّحْمَ قَصْعَتَيْنِ ، فَأَكَلْنَا مِنْهُمَا أَجْمَعُونَ ، وَفَضَلَ مِنْهُمَا فَضْلَةٌ ، فَحَمَلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ . مَتَّقُ عَلَيْهِ (١) .

وَحَدِيثُ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : أَصَابَتِ النَّاسَ مَخْمَصَةٌ شَدِيدَةٌ فِي بَعْضِ مَغَازِي النَّبِيِّ ﷺ ، فَدَعَا بِبَقِيَّةِ الْأَزْوَادِ ، فَجَاءَ الرَّجُلُ بِالْحَيْثِ مِنَ الطَّعَامِ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ وَأَعْلَاهُمْ الَّذِي أَتَى بِالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ ، فَجَمَعُوهُ عَلَى نِطْعٍ - زَادَ مُسْلِمٌ : قَالَ سَلْمَةُ : فَحَزَرْتُهُ كَرَبِضَةِ الْعَنْزِ - قَالَ : ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ ، فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وَعَاءٌ إِلَّا مَلُؤُوهُ ، وَبَقِيَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ . مَتَّقُ عَلَيْهِ (٢) .

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : أَصَابَنِي جَوْعٌ شَدِيدٌ ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ تَبِعْتُهُ ، فَوَجَدَ عِنْدَ أَهْلِهِ قَدَحَ لَبَنٍ قَدْ أَهْدَى لَهُ ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَدْعُو لَهُ أَهْلَ الصَّفَةِ ، وَكَانُوا سَبْعِينَ ، فَدَعَوْتُهُمْ ، فَأَمَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَسْقِيَهُمْ مِنْهُ ، فَجَعَلْتُ أُعْطِي الرَّجُلَ الْقَدَحَ ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوْى ، حَتَّى رَوُوا جَمِيعُهُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ ، فَأَشْرَبْ » ، فَشَرِبْتُ حَتَّى رَوَيْتُ ، فَقَالَ : « إِشْرَبْ » فَشَرِبْتُ ، فَمَا زَالَ يَقُولُ : « إِشْرَبْ » ، حَتَّى قُلْتُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٠٦٧) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٧٥/٢٠٥٦) الْحُزَّةُ : قِطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ قُطِعَتْ طَوْلًا .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٨٢٠) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٩/١٧٢٩) . حَزَرْتُهُ : قَدَّرْتُهُ بِطَرِيقِ التَّخْمِينِ وَالْحَدَسِ . رَبِضَةُ الْعَنْزِ : مَبْرَكُهَا .

تكليم الحجر والشجر
لَهُ ﷺ

وَأَمَّا النَّوْعُ الرَّابِعُ : وَهُوَ كَلَامُ الشَّجَرِ وَالْحَجَرِ ، وَشَهَادَتُهُمَا لَهُ
بِالنَّبُوءَةِ ﷺ . فَمِنْ ذَلِكَ :

حَدِيثُ أَبِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَدَنَا مِنْهُ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ [لَهُ رَسُولُ اللَّهِ] : « يَا أَعْرَابِيُّ ، أَيْنَ تُرِيدُ ؟ » ، قَالَ : إِلَى أَهْلِي ، قَالَ ﷺ : « هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ ؟ » ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : « تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » قَالَ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : « هَذِهِ السَّمُرَةُ » وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي ، فَأَقْبَلْتُ تَخْذُ الْأَرْضَ حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَسْتَشْهَدَهَا ، فَشَهِدَتِ الشَّهَادَتَيْنِ ، ثُمَّ أَمَرَهَا فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا^(٢) .

وَفِي « الصَّحِيحِينَ » ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَقْضِيَ حَاجَتَهُ ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ ، فَإِذَا بِشَجَرَتَيْنِ بِشَاطِئِ الْوَادِي مُتَبَاعِدَتَيْنِ ، فَأَخَذَ بَغْصِنٍ مِنْ أَغْصَانِ أَحَدِهِمَا ، فَأَنْقَادَتْ لَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ - أَيِ : الْمَجْعُولِ فِي أَنْفِهِ حَلَقَةٌ فِيهَا الْخِطَامُ - حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِالْمَنْصَفِ^(٣) ، وَفَعَلَ بِالْأُخْرَى كَذَلِكَ ، فَالْتَأَمَتَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ أَفْتَرَقَتَا ، وَعَادَتِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا إِلَى مَنْبَتِهَا^(٤) .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ - مُصَغَّرَيْنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٦٠٨٧) .

(٢) أَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ ، بِرَقْم (١٦) . تَخَذُ الْأَرْضَ : تَشَقُّهَا .

(٣) الْمَنْصَفُ : نِصْفُ الْمَسَافَةِ أَوْ نِصْفُ الطَّرِيقِ .

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِرَقْم (٣٠١٢) .

سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً - أَي : علامةً على نبوّته - فَقَالَ لَهُ : « قُلْ لِّتِلْكَ الشَّجَرَةِ ؛ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوكِ » فَمَالَتِ الشَّجَرَةُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَتَقَطَّعَتْ عُرُوقُهَا ، ثُمَّ جَاءَتْ تَجِرُّ عُرُوقَهَا ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : أَتُذِنُ لِي أَسْجُدَ لَكَ ، قَالَ : « لَا يَنْبَغِي السُّجُودُ إِلَّا لِلَّهِ » قَالَ : أَتُذِنُ لِي أَقْبَلَ يَدَيْكَ وَرَجْلَيْكَ ، فَأَذِنَ لَهُ^(١) .

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدًا / [٥٩ق] ، فَأَتَتْ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَأَطَافَتْ بِهِ ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهَا أَسْتَأْذَنَتْ رَبَّهَا أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيَّ »^(٢) .

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ فُورَكٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسِيرُ لَيْلًا فِي غَزْوَةِ (الطَّائِفِ) وَهُوَ وَاسِنٌ - أَي : بِهِ سِنَةٌ نَوْمٍ - فَأَعْتَزَّضَتْهُ شَجَرَةٌ سِدْرٍ ، فَأَنْفَرَجَتْ لَهُ نَصْفَيْنِ حَتَّى مَرَّ بَيْنَهُمَا ، قَالَ : وَبَقِيَتْ عَلَى سَاقَيْنِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا ، قَالَ : وَهِيَ هُنَاكَ مَعْرُوفَةٌ مُعْظَمَةٌ^(٣) .

وَمِنْ ذَلِكَ : حَدِيثُ الْجَذَعِ الْمَشْهُورِ فِي « الصَّحِيحَيْنِ » ، عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، قَالُوا : كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا بِجَذْوَعِ النَّخْلِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جَذَعِ مِنْهَا ، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ سَمِعْنَا لَهُ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ مِنَ الْإِبِلِ^(٤) - وَفِي

(١) أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ ، انْظُرْ « كَشَفُ الْأَسْتَارِ » ، بِرَقْم (٢٤٠٩) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَغَوِيُّ فِي « شَرْحِ السُّنَّةِ » ، بِرَقْم (٣٧١٨) . وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي « الدَّلَائِلِ » ، (١٣٦ - ١٣٩) .

(٣) الشُّفَا ، ج ١ / ٥٧٨ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٨٧٦) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . الْعِشَارُ : النَّاقَةُ الَّتِي أَتَى عَلَيْهَا الْفَحْلُ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ وَزَالَ عَنْهَا أَسْمُ =

رواية : حتى أرتجَّ المسجِدَ لِشِدَّةِ خُوارِهِ^(١) .

وفي رواية سهل بن سعد : وكثُرَ بكاءُ الناسِ^(٢) .

وفي رواية المُطَّلِبِ بنِ أَبِي وَدَّاعَةَ : حتَّى أنشَقَّ الجِدْعُ وجاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ فوضعَ يدهُ عليه فسكَتَ^(٣) .

زادَ غيرهُ : فقالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ هَذَا بكى لِمَا فَقَدَهُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تعالى »^(٤) ، وقال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ لَمْ يَزَلْ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَذُفِنَ تَحْتَ الْمِنْبَرِ^(٥) .

وفي رواية بُريدة : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ : « إِنْ شِئْتَ أَنْ أُرْدَكَ إِلَى الْبُسْتَانِ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ ، تَنْبُتُ لَكَ عُروْقُكَ ، وَيَكْمُلُ خَلْقُكَ ، وَيُجَدِّدُ لَكَ خوصَ وَثْمَرٍ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَغْرِسَكَ فِي الْجَنَّةِ لِيَأْكَلَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ ثَمَرِكَ » ، فقالَ : بل تغرِسني في الجنة ، لأكونَ في مكانٍ لا أبلَى فيه ، فسمِعَهُ الحاضرونَ ، فقالَ النَّبِيُّ ﷺ : « قَدْ فَعَلْتُ » ثُمَّ قَالَ : « إِنَّهُ اخْتَارَ دَارَ الْبَقَاءِ عَلَى دَارِ الْفَنَاءِ »^(٦) .

وكان الحسنُ البصريُّ - رحمهُ الله - إِذَا حَدَّثَ بهذا الحديثِ

= المخاض ، ثُمَّ لَا يَزَالُ ذَلِكَ أَسْمَهَا حتَّى تَضَعَ ، وبعدَ وضعِها أيضاً .
والمُرَادُ هنا : خوارها عندَ وضعِها أو عقبه .

(١) أخرجه الدَّارِمِيُّ ، برقم (٤١) . الخُوار : صوت البقر ، ثُمَّ توسَّعت العرب فيه على أصوات جميع البهائم .

(٢) الشَّفا ، ج ١/ ٥٨٣ .

(٣) أخرجه ابنُ ماجة ، برقم (١٤١٤) .

(٤) أخرجه أحمد ، برقم (١٣٧٩٤) . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما .

(٥) أخرجه الدَّارِمِيُّ ، برقم (٤١) .

(٦) أخرجه الدَّارِمِيُّ ، برقم (٣٢) . بنحوه . الخوصُ : واحده خوصة ؛ وهي ورق النَّخل .

[ق ٦٠] بكى ، وقال : يا عبادَ الله / ، الخشبَةُ تَحِنُّ شَوْقاً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا فَارَقَهَا ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ (١) .

وفي « صحيح البخاري » عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُؤْكَلُ (٢) .

وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه ، قال : صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ جَبَلَ (أَحَدٍ) وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ رضي الله عنهم ، فَجَفَّ بِهِمُ الْجَبَلُ ، فَقَالَ : « أَتُبْتُ أَحَدًا ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ ، وَشَهِيدَانِ » (٣) .

وفيهما - [أي : الصحيحين] - عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كَانَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ لُقْرِيشٌ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَسِتُونَ صَنَمًا ، مُثَبَّتَةً عَلَى الرُّخَامِ بِالرَّصَاصِ ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ ، جَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْهَا بِقَضِيبٍ كَانَ فِي يَدِهِ ، وَيَقُولُ : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ - أي : ذَاهِبًا - [سورة الإسراء ١٧/٨١] فَمَا أَشَارَ لَوَجْهَ صَنَمٍ إِلَّا وَقَعَ لَقْفَاهُ ، وَلَا لَقْفَاهُ إِلَّا وَقَعَ لَوَجْهَهُ ، حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهَا صَنَمٌ ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهَا (٤) .

وَأَمَّا النَّوعُ الْخَامِسُ : وَهُوَ شَهَادَةُ الْحَيَوَانَاتِ لَهُ بِالرَّسَالَةِ ﷺ .

شهادةُ الحيواناتِ لَهُ ﷺ

فَمِنْ ذَلِكَ : حَدِيثُ الضَّبِّ .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ جَالِسًا فِي مَحْفَلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ مَعَهُ ضَبٌّ قَدْ صَادَهُ ،

شهادةُ الضَّبِّ

(١) الشُّفَا ، ج ١/ ٥٨٤-٥٨٥ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٣٨٦) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٤٧٢) .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٣٤٦) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٧٨١/ ٨٧) .

فعرضَ عليه النَّبِيُّ ﷺ الإسلامَ ، فقالَ : واللَّاتِ والعُزَّى لا آمَنْتُ بِكَ إِلَّا أَنْ يُمْنَ بِكَ هَذَا الضُّبُّ ، فقالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يا ضَبُّ » ، فأجابَهُ بلسانٍ فصيحٍ سَمِعَهُ القَوْمُ جميعاً : لِيَبْكَ وسعديك يا زَيْنَ مَنْ وافى القيامةَ ، قالَ : « مَنْ تَعَبُدُ ؟ » قالَ : اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ ، وفي الأرضِ سُلْطَانُهُ ، وفي الجَنَّةِ رَحْمَتُهُ ، وفي النَّارِ عَذَابُهُ ، قالَ : « فَمَنْ أَنَا ؟ » قالَ : أَنْتَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، قد أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ ، وخَابَ مَنْ كَذَّبَكَ ^(١) [فأسلمَ الأعرابيُّ] .

ومن ذلك : حديثُ الذُّبِّ / ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ وأبي [ق٦١] هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قالا : بينما راعٍ يرعى غنماً لَهُ ، إِذْ عَرَضَ الذُّبُّ لَشَاةٍ مِنْهَا فَأَخَذَهَا ، فَأَدْرَكَهُ الرَّاعِي ، فَأَسْتَرَدَّهَا مِنْهُ ، فَأَقْعَى الذُّبُّ ^(٢) ، فقالَ : أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ تَعَالَى ، حُلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقِي ؟ فقالَ الرَّاعِي : عَجَبٌ !! لِذُبِّ يَتَكَلَّمُ ؟ فقالَ الذُّبُّ : أَنْتَ أَعْجَبُ مِنِّي ، واقِفٌ عَلَى غَنَمِكَ وترَكْتَ نَبِيًّا لَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِيًّا قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهُ قَدْرًا عِنْدَهُ ، قد فُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ الجَنَّةِ ، وَأَشْرَفَتْ الحُورُ العِينُ عَلَى أَصْحَابِهِ ، يَنْظُرُونَ قِتَالَهُمْ ، وما بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلَّا هَذَا الشَّعْبُ ، فتصيرُ في جنودِ اللهِ تَعَالَى - وكانَ ذَلِكَ يَوْمَ (أُحُدٍ) - قالَ الرَّاعِي : فَمَنْ لِي بِغَنَمِي ؟ قالَ الذُّبُّ : أَنَا أَرَعَاها حَتَّى تَرْجِعَ ، فمَضَى الرَّجُلُ وَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ يُقَاتِلُ ، فَأَسْلَمَ ، وأخْبَرَهُ الخَبَرَ ، فقالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « قُمْ فَحَدِّثْهُمْ » ، ثُمَّ قالَ لَهُ : « عُدْ إِلَى غَنَمِكَ تَجِدْهَا بِوَفْرِها » ، فَرَجَعَ فوجدَها كَذَلِكَ ، فذَبَحَ لِلذُّبِّ شاةً ^(٣) .

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل» ، ج٦/٣٦ .

(٢) أفعى : جلسَ على إيتيه ونصبَ ساقيه وفخذه .

(٣) أخرجه البيهقي في «الدلائل» ، ج٦/٤١-٤٣ . عن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ : حَدِيثُ الْغَنَمِ ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :
دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَائِطًا لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَفِي
الْحَائِطِ غَنَمٌ ، فَسَجَدَتْ لَهُ ﷺ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : نَحْنُ أَحَقُّ بِالسُّجُودِ
لَكَ مِنْهَا ، فَقَالَ : « إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي السُّجُودُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى » (١) .

وَمِنْ ذَلِكَ : حَدِيثُ الْبَعِيرِ ، عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ ، قَالُوا : دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَائِطًا وَكَانَ فِيهِ جَمَلٌ لَا يَدْعُ أَحَدًا
يَدْخُلُ الْحَائِطَ إِلَّا صَالَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ دَعَاهُ فَجَاءَهُ ،
وَوَضَعَ مِشْفَرَهُ فِي الْأَرْضِ ، وَبَرَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَخَطَمَهُ ، وَقَالَ
لِلْحَاضِرِينَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا مِنْ شَيْءٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِلَّا يَعْلَمُ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ ، مَا خَلَا عُصَاةَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ » (٢) . فَسَأَلَهُمْ
عَنْ شَأْنِ الْجَمَلِ ؟ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا ذَبْحَهُ .

وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّهُ ﷺ قَالَ لَهُمْ : « إِنَّهُ شَكَا / كَثْرَةَ الْعَمَلِ ، وَقِلَّةَ
الْعَلْفِ ، وَأَنَّكُمْ أَرَدْتُمْ ذَبْحَهُ بَعْدَ أَنْ أَسْتَعْمَلْتُمُوهُ فِي الْعَمَلِ الشَّاقِّ مِنْ
صِغَرِهِ » فَقَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ (٣) .

وَمِنْ ذَلِكَ : حَدِيثُ الظَّبْيَةِ ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا ، قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الصَّحَرَاءِ ، فَنَادَتْهُ ظَبْيَةٌ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، قَالَ : « مَا حَاجَتُكَ ؟ » قَالَتْ : صَادَنِي هَذَا الْأَعْرَابِيُّ ، وَلِي خِشْفَانٍ فِي

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» ، ج ٦/ ٢٨ . وَالْبَزَارُ كَمَا فِي «كَشَفِ
الْأَسْتَارِ» ، بِرَقْم (٢٤٥١) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . الْحَائِطُ :
بِسْتَانٌ مِنَ النَّخْلِ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ، بِرَقْم (١٣٩٢٣) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
الْمِشْفَرُ : كَالشِّفَةِ فِي الْإِنْسَانِ .

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ، بِرَقْم (١٧١١٥) . عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ذلك الجبل، وكان الأعرابي نائماً، فأطلقها النبي ﷺ، فذهبت ورجعت، فأنتبه الأعرابي، فقال للنبي ﷺ: ألك حاجة؟ قال: «نعم، تُطلِقُ هذه الظبية»، فأطلقها، فذهبت تعدو في الصحراء، وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك محمد رسول الله^(١).

ومن ذلك: حديث الذراع المشهور في «الصحيحين»، عن جماعة ذراع الشاة المسمومة من الصحابة رضي الله عنهم: أن يهودية^(٢) أيام فتح (خيبر) أهدت للنبي ﷺ شاة مصلية - أي: مشوية - سمّتها، فأكل منها النبي ﷺ، ثم قال للقوم: «إزفَعُوا أَيْدِيَكُمْ، فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ»^(٣).

وفي رواية جابر: «أخبرتني هذه الذراع»، وقال لليهودية: «ما حملك على ما صنعت؟»، فقالت: «إن كنت نبياً لم تضرك، وإن كنت ملكاً أرحت الناس منك، فعفا عنها. فمات بشر بن البراء من السم، فقتلها به قصاصاً»^(٤).

وفي رواية أنس: فما زلتُ أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ^(٥). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي مات فيه: «ما زالت أكلة (خيبر) تُعَادُنِي - أي: تعاودني -

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل»، ج ٦/ ٣٤-٣٥. وأبو نعيم في «الدلائل»، برقم (٢٧٣). عن زيد بن أرقم رضي الله عنه. خشفان - الخشف - : الظبي الصغير أول ما يولد.

(٢) وهي: زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم.

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٤٥١٢). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود، برقم (٤٥١٢).

(٥) أخرجه البخاري، برقم (٢٤٧٤). فما زلتُ أعرفها: أي العلامة. كأنه بقي للسم علامة وأكثر من سواد أو غيره. لهوات: اللحمة المعلقة في أعلى الحنك.

فَالآنَ قَطَعْتُ أَبْهَرِي - أَي: عرق الظهر المتعلق بالقلب -»^(١).

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « كُلُوا بِأَسْمِ اللَّهِ » ، فَأَكَلْنَا^(٢) .

وعند ابنِ إِسْحَاقَ : إِنْ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَيَرَوْنَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَاتَ شَهِيداً ، مَعَ مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ / النَّبُوءَةِ^(٣) .

وَمِنْ ذَلِكَ : حَدِيثُ الْأَسَدِ ، مَعَ سَفِينَةِ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَانَ أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِرِسَالَةٍ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ إِلَى (الْيَمَنِ) ، فَضَلَّ الطَّرِيقَ ، فَأَعْتَرَضَهُ الْأَسَدُ فَقَالَ لَهُ سَفِينَةُ : يَا أَبَا الْحَارِثِ ، أَنَا مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ، وَمَعِيَ كِتَابُهُ ، فَهَمَّهِمْ وَتَنَحَّى عَنْ طَرِيقِهِ ، وَجَعَلَ يَغْمِزُهُ بِمَنْكِبِيهِ حَتَّى أَدْلَّهُ الطَّرِيقَ^(٤) .

الأسد يدنو رسول
النبي ﷺ على الطريق

وَأَمَّا النَّوعُ السَّادِسُ : وَهُوَ شِفَاءُ الْعِلَلِ بِرِيقِهِ وَكَفِّهِ الْمُبَارَكَةِ ﷺ .

إبراء المرضى وذوي
العاهات

فَمِنْ ذَلِكَ : مَا رَوَاهُ أَبُو إِسْحَاقَ ، أَنَّ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانَ أُصِيبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ (أُحُدٍ) حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ ، فَرَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِهِ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبْنَهُ ، [مِنْ الطَّوِيلِ] ^(٥) :

رُدُّ عَيْنٍ بَعْدَ قَلْعِهَا

أَنَا أَبْنُ الَّذِي سَأَلْتُ عَلَى الْخَدِّ عَيْنُهُ

فَرُدَّتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ

(١) أخرجه أبو داوود ، برقم (٤٥١٢) ، بنحوه .

(٢) أخرجه الهيثمي في «كشف الأستار» ، برقم (٢٤٢٤) .

(٣) الشُّفَا ، ج ١ / ٦٠٩ .

(٤) أخرجه البيهقي في «الدلائل» ، ج ٦ / ٤٥ . وأبو الحارث : اسمٌ من أسماء الأسد .

(٥) دلائل النبوة ، ج ٣ / ٢٥٢ .

وفي «الصَّحِيحِينَ»، أَنَّهُ ﷺ تَفَلَّ فِي عَيْنِي عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ شَفَاءُ عَيْنِي عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ (خَيْبَرَ) وَكَانَ رَمِدًا، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَن لَّمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ^(١).

وروى أَبُو وَهْبٍ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَطَعَ يَدَ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ يَوْمَ (بَدْرٍ)، فَجَاءَ يَحْمِلُ يَدَهُ، فَبَصَقَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَلَصَقَهَا، فَلَصِقَتْ^(٢).
وَأَتَتْهُ أَمْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ بَصْبِيٍّ لَا يَتَكَلَّمُ، فَتَمَضَّمَصَ بِمَاءٍ وَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَنَطَقَ وَعَقَلَ عَقْلًا يَفْضُلُ عَقُولَ الرِّجَالِ^(٣).

وسألتُهُ جاريةً وَهُوَ يَأْكُلُ طَعَامًا - وَكَانَتْ قَلِيلَةَ الْحَيَاءِ - أَنْ يُطْعِمَهَا مِنَ الَّذِي فِي فِيهِ، فَنَاولَهَا الَّذِي فِي فِيهِ - وَلَمْ يَكُنْ يَمْنَعُ شَيْئًا يُسْأَلُهُ - فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي جَوْفِهَا، أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهَا الْحَيَاءَ، حَتَّى لَمْ يَكُنْ بِ(الْمَدِينَةِ) أَشَدُّ حَيَاءً مِنْهَا^(٤).

وَأَمَّا النَّوعُ السَّابِعُ: وَهُوَ إِجَابَةُ دَعَائِهِ ﷺ لِمَنْ دَعَاهُ. فَمِنْهُ: مَا رَوَاهُ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَعَا لِرَجُلٍ، أَدْرَكَتِ الدَّعْوَةُ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ^(٥).

وفي «الصَّحِيحِينَ»، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَاؤُهُ ﷺ لِلْمَدِينَةِ / قَدِمَ (الْمَدِينَةَ) وَهِيَ أَوْبًا أَرْضِ اللَّهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا [ق ٦٤] الْمَدِينَةَ، كَحُبِّنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَاهَا إِلَيَّ الْجُحْفَةَ»^(٦).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، بِرَقْم (٢٨٤٧). وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٤٠٦/٣٤). عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) الشُّفَا، ج ١/ ٦٢٢.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ»، ج ٣/ ٦١.

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، بِرَقْم (٢٢٧٦٦).

(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، بِرَقْم (١٧٩٠). وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣٧٦/٤٨٠).

وروى البخاري في « صحيحه » ، عن أنس رضي الله عنه ،
 قال : قالت أُمِّي : يا رسول الله ، خادِمُكَ أنسٌ أدعُ اللهَ له ، فقال :
 « اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَتْهُ » (١) .

قال أنس : (فوالله إنَّ مالي لكثيرٌ ، وما أعلمُ أنَّ أحداً أصابَ
 من رِخاءِ العيشِ ما أصبْتُ ، وإنَّ ولدي وولدَ ولدي لَيَتَعَادُونَ اليَوْمَ
 على نحوِ المِئَةِ ، وَلَقَدْ دَفَنْتُ إلى اليَوْمِ مِئَةً مِنْ وَلَدِي ، لا أَقُولُ
 سِقْطاً ، ولا وَلَدَ وَلَدٍ) (٢) .

ودعا ﷺ لعبد الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ [رضي الله عنه] بالبركة ، فقال
 عبدُ الرَّحْمَنِ : فلو رَفَعْتُ حجراً لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ تحتهُ ذهباً .

البركةُ في مالِ عبدِ
 الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ

ولا يخفى كثرةُ أمواله وصدقاته الجزيلة ، حتَّى إنَّه أعتق في يومٍ
 واحدٍ ثلاثينَ عبداً ، وتصدَّقَ مرَّةً بَعِيرٍ (٣) قَدِمَتْ مِنْ (الشَّامِ) تحمِلُ
 كلَّ شيءٍ ، وكانَ النَّاسُ في مجاعةٍ ، فأرتَجَّتِ (المَدِينَةُ) لِقُدومِها ،
 فتصدَّقَ بها وبما عليها ، حتَّى بأَقْتَابِها (٤) وأَحْلَسِها (٥) ، وكانت سبعُ
 مئةٍ جملٍ ، عليها سبعُ مئةٍ حِمْلٍ ، ولَمَّا ماتَ أخذت كلُّ زوجةٍ ثمانينَ
 ألفاً ، وكُنَّ أربعاً ، بعد أن أوصى بخمسينَ ألفاً (٦) .

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٥٩٨٤) .

(٢) أخرجه مُسلم مختصراً ، برقم (١٤٣/٢٤٨١) . وذكرها القاضي عياض
 في « الشُّفا » ، ج ١/ ٦٢٥-٦٢٦ .

(٣) البعيرُ : القافلة .

(٤) القتبُ : رحلٌ صغيرٌ على قدر سنام البعير .

(٥) الحِلْسُ : كساءٌ يلي ظهر البعير تحت القتب .

(٦) الشُّفا ، ج ١/ ٦٢٦ .

وفي « الصَّحِيحِينَ » ، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَعَاؤُهُ ﷺ بِالشُّقْيَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْقَحْطَ ، فَدَعَا اللَّهَ ، فَسُقُوا ، وَلَمْ يَرَوْا الشَّمْسَ إِلَى الْجُمُعَةِ الْآخِرَى ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَخْطُبُ ، فَشَكَا كَثْرَةَ الْمَطَرِ ، فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى فَانْكَشَفَ السَّحَابُ ^(١) .

وفيهما - [أَي : الصَّحِيحِينَ] ، أَنَّهُ دَعَا ﷺ لَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، حِينَ حَنَكَهُ ، وَهُوَ مَوْلُودٌ : أَنَّ يُفَقِّهَهُ اللَّهُ فِي الدِّينِ ، وَيُعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ ^(٢) ، فَكَانَ يُسَمَّى الْحَبْرَ ^(٣) وَالْبَحْرَ لِسَعَةِ عِلْمِهِ .

ودعا ﷺ [لَعَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ يَكْفِيَهُ اللَّهُ الْحَرَّ وَالْقَرَّ . فَكَانَ فِي الشِّتَاءِ يَلْبَسُ ثِيَابَ الصَّيْفِ ، وَفِي الصَّيْفِ يَلْبَسُ ثِيَابَ الشِّتَاءِ ، وَلَا يُصِيبُهُ حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ] ^(٤) .

ودعا ﷺ [لِفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ابْنَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّ لَا يُجْعِلَهَا اللَّهُ ، فَمَا وَجَدَتْ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْجُوعِ أَلْمًا] ^(٥) / .

دَعَاؤُهُ ﷺ لِلنَّابِغَةِ وَأَشَدُّهُ النَّابِغَةُ أَبْيَاتًا ، فَقَالَ لَهُ [ﷺ] : « لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكَ » فَمَا سَقَطَتْ لَهُ سِنَّ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا ، وَعَاشَ مِئَةً

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٨٩١) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٨/٨٩٧) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٤٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣٨/٢٤٧٧) : بِلَفْظٍ : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . وَلَفْظُهُ : « وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ » ، أَخْرَجَهَا أَحْمَدُ بِرَقْم (٢٣٩٣) .

(٣) الْحَبْرُ : الْعَالِمُ .

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو مَاجَةَ ، بِرَقْم (١١٧) . عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) الشُّفَا ، ج ١/ ٦٣٠ .

وعشرين سنة ، وقيل : كَانَ إِذَا سَقَطَتْ لَهُ سِنٌّ نَبَتَ فِي مَكَانِهَا سِنٌّ أُخْرَى^(١) .

دَعَاؤُهُ ﷺ عَلَى كِسْرَى وَأَمَّا دَعَاؤُهُ ﷺ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، فَمِنْهُ : مَا فِي « الصَّحِيحِينَ » ، أَنَّهُ ﷺ دَعَا عَلَى كِسْرَى حِينَ مَزَقَ كِتَابَهُ : « أَنْ يُمَزَّقَ اللَّهُ مُلْكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ »^(٢) . فتمزَّقوا حتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُمْ بَاقِيَةٌ ، وَلَا بَقِيَتْ لِلْفُرْسِ رِئَاسَةٌ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الدُّنْيَا .

دَعَاؤُهُ ﷺ عَلَى عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ ، أَنْ يُسَلِّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِهِ ، فَجَاءَهُ الْأَسَدُ ، وَأَخَذَهُ مِنْ وَسْطِ أَصْحَابِهِ^(٣) .

دَعَاؤُهُ ﷺ عَلَى مُحَلَمِ بْنِ جَنَامَةَ [ودعا] ﷺ عَلَى رَجُلٍ آخَرَ فَأَصْبَحَ مَيِّتًا ، فَدَفَنُوهُ ، فَلَفَظَتْهُ الْأَرْضُ ، فَدَفَنُوهُ مِرَارًا ، فَلَفَظَتْهُ الْأَرْضُ ، فَتَرَكُوهُ^(٤) .

وهذا الباب أكثر من أن يُحصَرَ .

وَقَالَ لِرَجُلٍ آخَرَ يَا كُلُّ بِشْمَالِهِ : « كُلِّ يَمِينِكَ » ، قَالَ : لَا أَسْتَطِيعُ ، قَالَ : « لَا أَسْتَطَعْتَ مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ » فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٥) .

وَأَمَّا النَّوعُ الثَّامِنُ : وَهُوَ صَلَاحُ مَا كَانَ فَاسِدًا بِلَمْسِهِ ﷺ . كِرَامَاتُهُ وَبَرَكَاتُهُ فِيمَا لَمَسَهُ وَبَاشَرَهُ ﷺ فَرَسُ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَرَعَوْا مَرَّةً ، فَرَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ ، بَطِيءَ السَّيْرِ ، فَلَمَّا

(١) الشُّفَا ، ج ١/٦٢٨-٦٢٩ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٦٤) . عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٣) الشُّفَا ، ج ١/٦٣٢ .

(٤) الشُّفَا ، ج ١/٦٣٤ . وَتَمَّتْهُ الْخَبَرُ : أَنَّهُمْ أَلْقَوْهُ بَيْنَ جُبَيْنِ وَكَوَّمُوا عَلَيْهِ بِالْحِجَارَةِ .

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٠٧/٢٠٢١) .

رَجَعَ ، قَالَ : وَجَدْنَاهُ بَحْرًا ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يُجَارِيهِ فَرَسٌ^(١) .

وفي « الصَّحِيحِينَ » ، أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَخَسَ جَمَلًا لَجَابِرٍ ، قَدْ أَعْيَا ،
فَنَشِطَ حَتَّى كَانَ مَا يُمْلِكُ زِمَامُهُ^(٢) .
نشاطُ جمل جابر رضي الله عنه

وكانت في دارِ أنسٍ رضي الله عنه بِئْرٌ مِلْحَةٌ ، [فَبَزَقَ] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فيها ، فَلَمْ يَكُنْ فِي (الْمَدِينَةِ) أَعَذَبَ مِنْهَا^(٣) .
بئرُ دارِ أنسٍ رضي الله عنه

ومَجَّ في دَلْوٍ مِنْ بئرٍ ، ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَيْهَا ، فَكَانَتْ أَبَدًا يَفُوحُ مِنْهَا
رَائِحَةُ الْمِسْكِ^(٤) .
بئرُ رائحةِ المسك

وَكَاتَبَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ مَوَالِيَهُ عَلَى ثَلَاثِ مِئَةِ وَدِيَّةٍ - أَيِ : وَلِدٍ
مِنْ أَوْلَادِ النَّخْلِ - يَغْرِسُهَا لَهُمْ كُلُّهَا حَتَّى تَعْلَقَ وَتُثْمِرَ ، وَعَلَى أَرْبَعِينَ
أُوقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ ، كُلُّ أُوقِيَّةٍ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، فَقَامَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَرَسَهَا لَهُ
بِيَدِهِ ، فَعَلَقَتْ كُلُّهَا ، وَأَثْمَرَتْ لِعَامِهَا . وَأَعْطَاهُ / مِثْلَ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ [ق٦٦]
مِنْ ذَهَبٍ بَعْدَ أَنْ أَدَارَهَا عَلَى لِسَانِهِ ، فَوَزَنَ مِنْهَا لِمَوَالِيهِ أَرْبَعِينَ
أُوقِيَّةً ، وَبَقِيَ لَهُ مِثْلُ مَا أَعْطَاهُمْ^(٥) .
غرسُ النخيل لِسلمان رضي الله عنه

فَاتَعَلَّاهُ

الأُوقِيَّةُ : أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، وَالْدَّرْهَمُ : قَفْلَةٌ ، وَقَدْرٌ بَيْضَةٌ
في وزن القطعة التي أعطاهَا النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسلمان

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٤٨٤) . عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . بَحْرًا :
وَاسِعَ الْجَرِيِّ ، سَرِيعَ الْعَدْوِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٧٩١) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا . نَخَسَ الدَّابَّةَ : طَعَنَ مُؤَخَّرَهَا أَوْ جَنْبَهَا بَعِزَّةً لَتَنْشِطَ وَتَتَهَيَّجَ .
وَالْعِزَّةُ : رِمَحٌ قَصِيرٌ ، أَطْوَلُ مِنَ الْعَصَا .

(٣) الشُّفَا ، ج ١ / ٦٣٩ .

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو نَجْمَةَ ، بِرَقْم (٦٥٩) . عَنْ وَائِلِ الْحَضْرَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) الشُّفَا ، ج ١ / ٦٤٠-٦٤١ .

الدَّجَاجَةُ لَا يَكَادُ يَبْلُغُ ثَمَانِينَ دِرْهَمًا ، وَقَدْ وَزَنَ مِنْهَا أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً ،
وَهِيَ مِثْلُهَا عَنْ ثَمَانِينَ أُوقِيَّةً ، كُلُّ أُوقِيَّةٍ أَرْبَعُونَ قَفْلَةً ، فَذَلِكَ عَنْ
مِئَتِي قَفْلَةٍ وَثَلَاثَةِ آلَافِ قَفْلَةٍ^(١) .

سَيْفٌ عُكَّاشَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَأُنْكَسَرَ سَيْفُ عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنِ يَوْمَ (بَدْرٍ) ، فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ
عُودًا مِنْ حَطَبٍ ، فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا صَارِمًا ، يَشْهَدُ بِهِ الْمَوَاقِفَ ،
وَكَانَ هَذَا السَّيْفُ يُسَمَّى : الْعَوْنُ^(٢) .

مَاءٌ يَتَحَوَّلُ إِلَى لَبَنِ زُبْدَةٍ
وَبَعَثَ ﷺ سَرِيَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ زَادًا ،
فَأَعْطَاهُمْ سِقَاءً مِنْ مَاءٍ أَوْكَاهُ بِيَدِهِ ، فَلَمَّا فَتَحُوهُ وَجَدُوهُ لَبْنًا خَالِصًا ،
وَزُبْدَةً فِي فَمِ السَّقَاءِ^(٣) .

غُرَّةُ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَسَلَّتْ ﷺ الدَّمَ عَنْ وَجْهِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، فَكَانَتْ لَهُ غُرَّةٌ فِي
وَجْهِهِ كَغُرَّةِ الْفَرَسِ ، فَكَانَ يُدْعَى الْأَغْرَ^(٤) .

بَرِيقٌ وَجْهِ قَتَادَةَ بْنِ مِلْحَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَمَسَحَ ﷺ وَجْهَ آخَرَ ، فَمَا زَالَ عَلَى وَجْهِهِ نَوْرٌ ، حَتَّى كَانَ
يُنْظَرُ فِي وَجْهِهِ كَمَا يُنْظَرُ فِي الْمِرَاةِ الصَّقِيلَةِ^(٥) .

سَاقُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَمَسَحَ ﷺ عَلَى سَاقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ لَمَّا أَنْكَسَرَتْ عِنْدَ قَتْلِ
أَبِي رَافِعٍ فَقَامَ وَمَا بِهِ قَلْبَةٌ^(٦) .

(١) درهم قفلة : درهم وازن .

(٢) الشفا ، ج ١/٦٤٢ . العون : للمبالغة ، أي بمعنى المعين أو المُعان والمُستعان .

(٣) الشفا ، ج ١/٦٤٤ . أوكاه : ربطه بيده ، وهو خيطٌ يُشَدُّ بِهِ الوعاء .

(٤) الشفا ، ج ١/٦٤٥ . سلَّت : مسح ما على وجهه من الدَّم . الغُرَّةُ : بياضٌ منتشرٌ طويلاً وعرضاً في الوجه .

(٥) الشفا ، ج ١/٦٤٦ . والرَّجُلُ هُوَ : قَتَادَةُ بْنُ مِلْحَانَ .

(٦) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٣٨١٣) . القَلْبَةُ : الإصَابَةُ .

وَأَخَذَ [ﷺ] الْمِعْوَلَ فَضْرَبَ بِهِ الْكُذْيَةَ الَّتِي أُعْتَرِضَتْ لَهُمْ فِي أَمْرِ الْكُذْيَةِ حَفْرِ الْخَنْدَقِ ، وَقَالَ : « بِأَسْمِ اللَّهِ » ، فَأَنْهَالَتْ ^(١) .

وَمَسَحَ ﷺ عَلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْمَرْضَى وَالْمَجَانِينِ ، فَشَفَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَخَذَ يَوْمَ (بَذَرٍ) وَيَوْمَ (حُنَيْنٍ) قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ ، وَرَمَى بِهَا فِي وَجْهِ يَوْمِ حُنَيْنٍ الْكَفَّارِ ، فَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَدَخَلَ فِي عَيْنِهِ مِنْهَا الْقَذَى ، وَأَنْهَزَمُوا ^(٢) .

وَكَانَتْ شَعْرَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ ﷺ فِي قُلْنَسُوَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا قِتَالًا إِلَّا رُزِقَ النَّصْرَ ، فَسَقَطَتْ مِنْهُ فِي بَعْضِ الْمَعَارِكِ ، فَشَدَّ عَلَيْهَا شِدَّةً وَقَعَ بِسَبَبِهَا مَقْتَلُهُ عَظِيمَةٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ، فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ / : خِفْتُ أَنْ يَفُوتَنِي النَّصْرُ ، وَأَنْ تَقَعَ فِي [ق٦٧] أَيْدِي الْكَفَّارِ ، وَفِيهَا جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ^(٣) .

وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذَا النَّوعَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ .

وَأَمَّا النَّوعُ التَّاسِعُ : وَهُوَ مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ ، مِمَّا مَا أَطَّلَعَ عَلَيْهِ ﷺ مِنَ الْغُيُوبِ وَمَا سَيَكُونُ كَانَ ، وَمِمَّا هُوَ آتٍ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ سُنَّتِهِ ﷺ .

أَمَّا مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ .

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ، بِرَقْم (١٣٧٩٩) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . الْكُذْيَةُ : الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ أَوْ الصُّلْبَةُ الَّتِي لَا تَعْمَلُ فِيهَا الْفَأْسُ ، أَوْ الْحَجَرُ الْكَبِيرُ الْقَاسِي .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ، بِرَقْم (٣٤٧٥) . عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٣) الشَّفَا ، ج ١/ ٦٣٧ . الْقُلْنَسُوَةُ : لِبَاسٌ لِلرَّأْسِ مُخْتَلِفُ الْأَنْوَاعِ وَالْأَشْكَالِ .

[فَمِنْ] ذَلِكَ : إِخْبَارُهُ بِعَجْزِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَنْ : ﴿ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء ٨٨/١٧] ، ثُمَّ إِخْبَارُهُمْ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَفْعَلُوا ، بِقَوْلِهِ [تعالى] : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ [سورة البقرة ٢٤/٢] .

وإِخْبَارُهُ : أَنَّهُ مَحْفُوظٌ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ ، بِقَوْلِهِ [تعالى] : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر ٩/١٥] ، مَعَ كَثْرَةِ الْمَلَا حِدَةِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى تَشْكِيكِ الْمُسْلِمِينَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ حُرُوفِهِ ، بِخِلَافِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَغَيْرِهِمَا ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّى حِفْظَ الْقُرْآنِ بِنَفْسِهِ ، وَوَكَّلَ حِفْظَ غَيْرِهِ مِنْ كُتُبِهِ إِلَى أَهْلِهَا ، بِقَوْلِهِ [تعالى] : ﴿ بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [سورة المائدة ٤٤/٥] ، بَل : ﴿ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ٧٥/٢] .

وَمِنْ ذَلِكَ : وَقُوعُ مَا وَعَدَهُ اللَّهُ فِيهِ ؛ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [سورة المائدة ٦٧/٥] .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ يَعِذُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [سورة الأنفال ٧/٨] .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [سورة التوبة ٣٣/٩] .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [سورة النور ٥٥/٢٤] .

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾
[سورة الفتح ٢٧/٤٨] .

وقوله تعالى: ﴿سَيَهْرِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ [سورة القمر ٤٥/٥٤] .

وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [سورة النصر ١١٠/١-٢] .

فوقع جميع ذلك ، ونصر الله عبده ، وصدق وعده ، وأعز
جُنْدَهُ ، وهزم الأحزاب وحده .

هذا مع ما كشف فيه من أسرار المنافقين وإضممار المعاندين ؛ كقوله
تعالى: ﴿يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [سورة آل عمران ٣/١٥٤] .

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [سورة
المجادلة ٨/٨] .

وقوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا
تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ [سورة التوبة ٩/٩٤] .

وَأَمَّا مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ مِنَ الْمَغِيبَاتِ فِي سُنَّتِهِ :

فَمِنْ ذَلِكَ : ما هو في « الصَّحِيحِينَ » ، أو في أحدهما ، أو في
غيرهما ، صحيحاً وحسناً .

[فمنها] قوله ﷺ : « زُيِّنَتْ لِي الْأَرْضُ - أي : جُمِعَتْ فِي زَاوِيَةٍ - جَمْعُ الْأَرْضِ لَهُ ﷺ
فَأَرَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيَّلْتُ مَلِكُ أُمَّتِي مَا زُيِّنَ لِي مِنْهَا » (١) .

وَإِخْبَارُهُ ﷺ أَنَّ الطَّاعُونَ لَا يَدْخُلُ (الْمَدِينَةَ) ، وَلَا يَدْخُلُهَا رُعْبٌ

لا يدخل المدينة من
أرادها بسوء
ولا الدجال
ولا الطاعون

(١) أخرجه مسلم ، برقم (٢٨٨٩/١٩) . عن ثوبان رضي الله عنه .

الدَّجَال ، وَأَنَّهَا لَا يُرِيدُهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ ذُوبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ ^(١) .

ظهور الأمن والفتوح
وإخباره ﷺ بفتح (بيت المقدس والشام والعراق) ، وظهور الأمن ،
حتى تظعن المرأة من (الحيرة ^(٢)) إلى مكة (لاتخاف إلا الله ^(٣)) .

ذهاب دولة الفرس
وإخباره ﷺ بذهاب فارس حتى لا فارس بعده ، وذهاب قيصر
حتى لا قيصر بعده ، وإن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر ^(٤) .

فتح الله على الأمة
وإخباره ﷺ بما يفتح الله على أمته من الدنيا وزهرتها ،
وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر ، حتى يروح أحدهم في حلة ، ويغدو
في حلة أخرى ، ويوضع بين يديه قصعة وترفع أخرى ^(٥) .

اختلاف الأمة من بعده
وإخباره ﷺ بما يحدث بينهم من الاختلاف والفتن ، وأفراقهم
على ثلاث وسبعين فرقة ، وسلوك سبيل من قبلهم من أهل
الكتاب ^(٦) .

استحلال الزنا والزنا
وإخباره ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ إِذَا فُشَا فِيهِمُ الزَّنا وَالرِّبَا وَشَرِبُوا الْخَمْرَ رَدَّ
اللهُ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ / ، وسلط عليهم أعداءهم ^(٧) . [ق٦٩]

- (١) أخرجه أحمد ، برقم (١٥٩٦) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .
- (٢) تبعد ثلاثة أميال عن الكوفة ، على موضع يقال له : النجف . (الزهر المعطار ، ص ٢٠٧)
- (٣) الشفا ، ج ١ / ٦٥١ . وأخرجه البخاري ، برقم (٣٤٠٠) . عن عدي بن حاتم رضي الله عنه ، بنحوه .
- (٤) الشفا ، ج ١ / ٦٥٢-٦٥٣ . القرون : جمع قرن ؛ وهم الجماعة في عصر واحد ، أي : كلما مضى قرن خلفه قرن مكانه .
- (٥) أخرجه الترمذي ، برقم (٢٤٧٦) . عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
- (٦) أخرجه الترمذي ، برقم (٢٦٤٠) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .
- (٧) أخرجه مالك في «الموطأ» ، رقم (٩٩٨) . عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه .

وَإِخْبَارُهُ ﷺ بظهورِ الْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، وَكَثْرَةِ الْهَرَجِ - وَهُوَ الْفِتْنُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ الْقَتْلُ - وَقَبْضِ الْعِلْمِ ، وَظُهُورِ الْجَهْلِ ، وَمَوْتِ الْأَمَثِلِ فَلَا مَثَلَ ، وَأَنَّهُ لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِهِ دَجَالُونَ ، كُلُّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، آخِرُهُمُ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ .

وَإِخْبَارُهُ ﷺ بِأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ^(١) .

وَبخروجِ الْمَهْدِيِّ ، وَنَزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
إِلَى مَا لَا يُحْصَى وَلَا يُسْتَقْصَى .

حَتَّى قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَهُ ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ ، وَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيْتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ، ثُمَّ إِذَا رَأَاهُ عَرَفَهُ . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(٢) .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْهُ ، قَالَ : وَاللَّهِ ، مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقُضِيَ الدُّنْيَا ، إِلَّا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَأَسَمَ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِهِ ^(٣) .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٦٦٠٤) ، وَمُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٩٢٥/١٧٧) .

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٨٩١/٢٣) .

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٤٢٤٣) . عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحِهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْماً . قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ
الْحَقُّ ﴾ [سورة فُصِّلَتْ ٥٣/٤١] .

نزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام
وفي « الصَّحِيحِينَ » ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ
ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ ، وَيَضَعَ
الْجَزْيَةَ - أَي : فلا يَقْبَلُ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ - ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى
لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ، وَحَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا
وَمَا فِيهَا » (١) .

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : إِقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾
[سورة النِّسَاء ١٥٩/٤] .

[ق٧٠] وفي « مسند / الإمام أحمد » ، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، عن
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « يَخْرُجُ الدَّجَالُ ، فَيَنْزِلُ عِيسَى فَيَقْتُلُهُ ، ثُمَّ يَمُكْتُ
عِيسَى أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَادِلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا » (٢) .

ووردَ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ أَنَّ الْمَهْدِيَّ يَخْرُجُ قَبْلَ الدَّجَالِ بِسَبْعِ
سِنِينَ ، وَيَخْرُجُ الدَّجَالُ عَلَى رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ - أَي : رَأْسِ قَرْنٍ -

لَكِنَّ التَّحْقِيقَ : أَنَّ قُرُونَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَبْتَدَاؤُهَا مِنْ مَوْلِدِ نَبِيِّهَا كَأَلْفِ
نُوحٍ ، وَبَيْنَ مَوْلَدِهِ وَهَجْرَتِهِ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً ، فَيَكُونُ تَمَامُ الْأَلْفِ
لِسَبْعِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بَعْدَ تِسْعِ مِئَةٍ مِنْ هَجْرَتِهِ ﷺ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَوَقَّعُ

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٣٢٦٤) . ومُسلم برقم (٢٤٢/١٥٥) .

(٢) أخرجه أحمد ، برقم (٢٣٩٤٦) .

خروج الدَّجَالِ إِنْ كَانَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١) .

وَأَمَّا النَّوعُ الْعَاشِرُ مِنْهُ : وَهُوَ الْمُعْجَزَةُ الْعُظْمَى ، وَالْآيَةُ الْكُبْرَى ، مُعْجَزَةُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، الْمُسْتَمِرَّةُ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ، الْمُسْتَمْلَةُ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْإِعْجَازِ .

فمنها : البلاغةُ الَّتِي أَعْجَزَ بِهَا الْجَنِّ وَالْإِنْسَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [سورة الإسراء ١٧/٨٨] .

قال القاضي عياض - رحمه الله تعالى - : (ووجهُ إعجازه بحُسنِ نظمه ، وفصاحةِ كَلِمِهِ الْخَارِقَةِ عَادَةَ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ ، وَهُمْ الْقَوْمُ اللَّذُ الْفُصَحَاءُ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَابَ هَذَا الشَّانِ ، وَفُرْسَانَ هَذَا الْمِيدَانِ ، جَعَلَ اللَّهُ الْبَلَاغَةَ لَهُمْ طَبْعاً وَخِلَقَةً ، وَرَكَّبَهَا فِيهِمْ جِبِلَّةً وَقُوَّةً ، يَأْتُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْبَدِيهِةِ بِالْعَجَبِ ، وَيَرْتَجِلُونَ فِي الْمَحَافِلِ الْقَصَائِدَ وَالْخُطَبَ ، وَيَرْتَجِزُونَ بِهِ فِي الْحَرْبِ ، بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ، فِيرْفَعُونَ مَنْ مَدَحُوهُ ، وَيَضَعُونَ مَنْ قَدَحُوهُ ، وَيَجْعَلُونَ النَّاقِصَ كَامِلاً ، وَالنَّبِيَّةَ خَامِلاً ، وَيَتَغَزَّلُونَ فَيَأْتُونَ بِالسَّحَرِ الْحَلَالِ ، وَيَتَمَثَّلُونَ بِمَا يُزِرِّي عَلَى عِقْدِ اللَّالِ^(٢) ، وَيَخْدَعُونَ الْأَلْبَابَ إِنْ سَأَلُوا ، وَيُذَلِّلُونَ الصَّعَابَ إِنْ شَفَعُوا ، لَهُمْ فِي فَنُونِ الْبَلَاغَةِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ، وَالْقُوَّةُ الدَّامِغَةُ ، لَا يَشْكُونَ أَنَّ الْكَلَامَ طَوْعٌ مُرَادِهِمْ / ، وَأَنَّ [٧١ق] الْبَلَاغَةَ مِلْكٌ قِيَادِهِمْ ، قَدْ حَوَّوْا فَنُونَهَا ، وَأَسْتَنْبَطُوا عِيُونَهَا ، وَدَخَلُوا فِيهَا مِنْ كُلِّ بَابٍ ، وَتَمَسَّكُوا فِيهَا بِأَوْتِقِ الْأَسْبَابِ ، فَمَا رَاعَهُمْ إِلَّا رَسُولٌ كَرِيمٌ ، قَدْ جَاءَهُمْ بَكْتَابٍ حَكِيمٍ : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

(١) قُلْتُ : لَمْ يَصَحَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٢) عِقْدُ اللَّالِ : اللَّالِيُّ .

وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿ [سورة فصلت ٤١/٤٢] ، قد أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ، وَفُصِّلَتْ كَلِمَاتُهُ ، وَبَهَرَتْ بِلَاغَتُهُ الْعُقُولَ ، وَظَهَرَتْ فَصَاحَتُهُ عَلَى كُلِّ مَقُولٍ ، صَارِخاً بِهِمْ فِي كُلِّ حِينٍ ، وَمَقْرَعاً لَهُمْ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ ، قَائِلاً لَهُمْ : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٣] .

وَلَمْ يَزَلْ يُقَرِّعُهُمْ بِهِ أَشَدَّ التَّقْرِيعِ ، وَيُوبِّخُهُمْ بِهِ غَايَةَ التَّوْبِيخِ ، وَيُسَفِّهُ أَحْلَامَهُمْ ، وَيَحْطُطُ أَعْلَامَهُمْ ، وَهُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ نَاكِصُونَ عَنْ مَعَارِضَتِهِ ، مُعْتَرِفُونَ بِالْعِجْزِ عَنْ مُمَائِلَتِهِ ، حَتَّىٰ أَعْرَضُوا عَنْ الْمُعَارِضَةِ بِالْحُرُوفِ ، إِلَى الْمَقَارَعَةِ بِالسُّيُوفِ ، وَقَالُوا عَلَى سَبِيلِ الْمُبَاهَاةِ^(١) وَالرَّضَىٰ بِالذَّنْيَةِ : ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ ﴾ [سورة فصلت ٤١/٥] ، وَ : ﴿ لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة فصلت ٤١/٢٦] .

وَلَمَّا سَمِعَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل ١٦/٩٠] ، قَالَ : وَاللَّهِ ، إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً^(٢) ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُعْدِقٌ^(٣) ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُورِقٌ ، وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ^(٤) .

(١) الْمُبَاهَاةُ : الْقَذْفُ بِالْبَاطِلِ .

(٢) الطَّلَاوَةُ : الرُّوْنُقُ وَالْحُسْنُ الْفَائِقُ .

(٣) الْمُعْدِقُ : كَثِيرُ الْمَاءِ .

(٤) الشُّفَا ، ج ١/ ٥٠٠-٥٠٧ . بِتَصْرِفٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِ .

فَاعْتَرَفَ بِعَجْزِ الْبَشَرِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ ، وَقَصُورِهِمْ عَنْ مُمِائِلَتِهِ ،
وَأَصْرََّ مَعَ ذَلِكَ عَلَى الْعِنَادِ ، وَأَضْلَلَهُ اللَّهُ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، وَكَانَ يَقُولُ
لِقُرَيْشٍ إِذَا قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّهُ كَاهِنٌ ، أَوْ شَاعِرٌ ، أَوْ سَاحِرٌ : وَاللَّهِ ،
مَا أَنْتُمْ بِعَاقِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئاً . إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لِبَاطِلٌ ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ
قَوْلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ ، وَلَا يَقُولُهُ بَشَرٌ .

وَمِنْ وَجْهِهِ إِعْجَازُهُ مَا أَنْبَأَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ ، وَالْأَمَمِ
الْخَالِيَةِ ، مِمَّا كَانَ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ / الْقِصَّةَ الْوَاحِدَةَ إِلَّا الْفُضُّ مِنْ أَخْبَارِ أَهْلِ
الْكِتَابِ ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ ﷺ أُمِّيٌّ ، لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ ، حَتَّى كَانَ
عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ يَسْأَلُونَهُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَيُورِدُهُ لَهُمْ
عَلَى وَجْهِهِ ، وَيَأْتِي بِهِ عَلَى نَصِّهِ ، فَيَعْتَرِفُ الْعَالَمُ مِنْهُمْ بِذَلِكَ لَهُ
بِصَدْقِهِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي
هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة النمل ٢٧/٧٦] .

وَيَقْطَعُ الْمَوَافِقُ وَالْمُخَالَفُ أَنَّهُ لَمْ يَنْلِ ذَلِكَ بِتَعْلِيمٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ
بِإِعْلَامِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، حَتَّى لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنَ أَخْبَارِ الْيَهُودِ مَعَ شِدَّةِ
عِدَاوَتِهِمْ لَهُ عَلَى تَكْذِيبِهِ فِيمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ قِصَّةِ يُوْسُفَ وَإِخْوَتِهِ ،
وَذِي الْقَرْنَيْنِ ، وَمُوسَى وَالْخَضِرِ ، وَلُقْمَانَ وَابْنِهِ ، وَأَصْحَابِ
الْكَهْفِ ، مَعَ أَنَّ أَقْرَبَ قِصَّةٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛
قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ فِيهَا ، كَمَا قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ
كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ، فَقَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، وَقَالَ :
﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف ١٨/٢٢] .

فَاعْتَرَفُوا لَهُ بِالصِّدْقِ ، وَأَقْرَبُوا لَهُ بِالْحَقِّ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُهُمْ
 فِي أَقْرَبِ الْقَصَصِ إِلَى عَصَرِهِمْ ، فَمَا ظَنُّكَ بِقِصَّةِ آدَمَ وَإِبْلِيسَ ،
 وَأَبْنَى آدَمَ ، وَإِدْرِيسَ ، وَنُوحٍ وَأَصْحَابِ السَّفِينَةِ ، وَعَادٍ وَثَمُودَ ،
 وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ، وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ . وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَا يَعْلَمُهُمْ
 إِلَّا اللَّهُ ؟

وكانوا إذا نازعوه في شيء مما أخبرهم به - كحكم الرِّجَمِ ،
 وما حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ - أُحْتِجَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
 عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، وَقَالَ : ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ * فَمِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الظَّالِمُونَ ﴿ [سورة آل عمران ٩٣-٩٤] ، ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا
 بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة ٨٩/٢] .

وما أحسن قول صاحب البردة - رحمه الله تعالى - [من البسيط] ^(١) :

دَعْنِي وَوَصْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ

ظُهُورَ نَارِ الْقِرْئِ لَيْلًا عَلَى عِلْمٍ ^(٢)

[ق٧٧] / فَالْدُرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ

وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظَمٍ ^(٣)

فَمَا تَطَاوَلُ آمَالُ الْمَدِيحِ إِلَى

مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ ^(٤)

(١) البردة ، ص ٢٦ - ٢٩ . في شرف القرآن ومدحه .

(٢) آيَاتٌ : مُعْجَزَاتٌ . نَارِ الْقِرْئِ : النَّارُ الَّتِي كَانَتْ تَوَقَّدُ لِلضِّيَافَةِ . الْعِلْمُ :
 الْجِبِل .

(٣) مُنْتَظَمٌ : مَرْتَّبٌ وَمُنَسَّقٌ فِي الْعَقْدِ .

(٤) الشِّيمُ : الْغَرِيزَةُ وَالطَّبِيعَةُ وَالْجِبَلَةُ ، وَهِيَ الَّتِي خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَلَيْهَا .

آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ
 قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقَدَمِ^(١)
 لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا
 عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ^(٢)
 دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ
 مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ^(٣)
 مُحْكَمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبِّهِ
 لَذي شِقَاقٍ وَمَا تَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ^(٤)
 مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبٍ
 أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلَامِ
 رَدَّتْ بِلَاغَتُهَا دَعَايَ مُعَارِضِهَا
 رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ^(٥)
 لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ
 وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ

-
- (١) مُحَدَّثَةٌ : حديثة النزول عليه ﷺ . قَدِيمَةٌ : قديمة الوجود ، بِقَدَمِ الله تعالى ، لِأَنَّ الصِّفَةَ تَتَّبِعُ الْمَوْصُوفَ .
 (٢) عَادٍ وَإِرَمَ : مِنَ الْأَقْوَامِ الَّتِي أَهْلَكَهَا اللهُ تَعَالَى . وَهُمْ قَوْمٌ هُودٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .
 (٣) تَتَمَيَّزُ مُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ عَنْ كُلِّ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ السَّابِقِينَ بِبَقَائِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، بِخِلَافِ مُعْجِزَاتِهِمُ الَّتِي لَمْ تَدُمِ .
 (٤) مُحْكَمَاتٌ : مُتَقَنَاتٌ وَبَيِّنَاتٌ لَيْسَ فِيهِنَّ شَكٌّ . شُبِّهِ : لَمْ يَبْقَ لِمَنْ تَتَّبَعُهَا مَجَالٌ لِلشُّبْهِةِ فِي تَوْجِيهَاتِهَا وَأَحْكَامِهَا .
 (٥) إِذْ تَحَدَّثَى اللهُ فَصَحَاءَ الْعَرَبِ وَبَلْغَاءَهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ، أَوْ بِمِثْلِ سُورَةٍ مِنْهُ . أَوْ بِمِثْلِ آيَةٍ .

فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا
 وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ^(١)
 قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ
 لَقَدْ ظَفَرْتَ بِحَبْلِ اللَّهِ فَأَعْتَصِمِ
 إِنَّ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارٍ لَظَى
 أَطْفَأَتْ حَرَّ لَظَى مِنْ وَرْدِهَا الشَّبِيمِ^(٢)
 كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيِضُ الْوَجْهَ بِهِ
 مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاوَوْهُ كَالْحُمَمِ
 وَكَالصُّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدِلَةً
 فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمْ
 لَا تَعْجَبَنَّ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا
 تَجَاهُلًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهْمِ^(٣)
 قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
 وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ^(٤)

(١) تُسَامُ بِالسَّامِ : تصاب بالملل لكثرة قراءتها .

(٢) نَارَ لَظَى : نار جهنم . الشَّبِيمُ : البارد .

(٣) الْحَاذِقُ : العارفُ الخبير . وهو عُتْبَةُ بن ربيعة ، الَّذِي جَادَلَ النَّبِيَّ ﷺ

فَأَسْمَعُهُ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ ، فَعَادَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ : وَاللَّهِ يَا قَوْمَ ، مَا هُوَ

بِالشَّعْرِ وَلَا بِالسُّحْرِ وَلَا بِالْكِهَانَةِ ؛ إِنَّ أَعْلَاهُ لِمُثَمَّرٌ ، وَإِنَّ أَدْنَاهُ لِمُعْدِقٌ ،

وَإِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ بَشَرٍ .

(٤) الرَّمَدُ : مرض يُصِيبُ الْعَيْنَ يَتَأَذَّى مِنَ الضَّوْءِ . السَّقَمُ : المرض .

البَابُ السَّابِعُ

في بعض سيرته ﷺ ، مما لاقاه من حين بعث الله
إلى أن هاجر إلى الله تعالى

روى البخاري في « صحيحه » ، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال : فترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ست مئة سنة (١) .
قال علماء السيرة : وكانت رسالته ﷺ على رأس الأربعين من مولده .
الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام
زمن الرسالة

ففي « صحيح البخاري ومسلم » ، عن محمد بن شهاب الزهري ، عن عروة بن الزبير / ، عن عائشة رضي الله عنها ، [ق ٧٨] قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي : الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبَّ إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار (حراء) ، فيتحنَّت فيه - (أي : بحاء مهملة ثم نون ثم مثلثة ، قال الزهري : وهو التَّعبُّد) - الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ، ويتزوَّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها فيتزوَّد لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار (حراء) ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : « ما أنا بقارئ » ، قال : « فأخذني فغطني - أي : حبس نفسي - حتى بلغ مني الجهد - أي : المشقة - ثم أرسلني » ، فقال : اقرأ ، قلت : « ما أنا

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٣٧٣٢) . الفترة : هي المدة التي لا يبعث فيها رسول من الله تعالى .

بقارى ، فأخذني وغطّني الثانية حتّى بلغ منّي الجهد ، ثمّ أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلت : « ما أنا بقارى ، فأخذني فغطّني الثالثة حتّى بلغ منّي الجهد ، ثمّ أرسلني » ، فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ [سورة العلق ١/٣-١/٩٦] ، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده^(١) ، فدخل على خديجة ، فقال : « زملوني زملوني » - أي : غطوني - فزملوه حتّى ذهب منه الرّوع - أي : الفزع - فقال لخديجة وأخبرها الخبر : « أي خديجة ؛ لقد خشيت على نفسي »^(٢) ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً - أي : لا يهينك بل يُكرّمك - ، إنّك لتصل الرّحم ، وتحمل الكل - أي : المنقطع - ، وتكسب المعدوم - أي : تُعطي الشّيء مع قلته وفقره - ، وتقرّي الضيف - أي : تُطعمه الطّعام - ، وتعين على نوائب الحق - أي : الحوادث المحمودة -^(٣) .

فأنطلقت به خديجة حتّى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، ابن عمّ خديجة ، وكان أمراً - أي : رجلاً - قد تنصّر في الجاهليّة ، وكان يكتب الكتاب [العربي] ، فيكتب من الإنجيل

تحفّ خديجة
رضي الله عنها من
الوحي

- (١) يرجف فؤاده : يضطرب من الخوف .
- (٢) أي : المرض أو الموت من شدّة الضّغط والضمّ . وقد كان ذلك قبل أن يحصل له العلم الضّروري بأنّ الذي جاءه ملك من الله . ولا يصحّ تفسير الخشية هنا بغير هذا . (انظر السيرة النبويّة ، لأبي شهبه ، ج ١/ ٢٦٢) .
- (٣) قلت : وفي ذكر هذه الأوصاف ما يدلّ على كمال خلق النّبيّ في الجاهليّة ، وأنّ صنائع المعروف تقي مصارع السّوء ، كما يدلّ على كمال عقل السيّدة خديجة ، ووفور شفقتها ، ومحبتها للنّبيّ ﷺ . (انظر السيرة النبويّة ، لأبي شهبه ، ج ١/ ٢٦٣) .

[بالعربية] ما شاء الله أَنْ يَكْتُبَ ، وكان / شيخاً كبيراً قد عَمِيَ ، [ق٧٩] فقالت لَهُ خديجةُ : يا بَنَ عَمِّ ، أَسْمَعُ مِنْ أَبْنِ أَخِيكَ ، فقال لَهُ وَرَقَةُ : يا بَنَ أَخِي ماذا ترى ؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ خبراً ما رَأَى ، فقال لَهُ وَرَقَةُ : هَذَا هُوَ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُوسَى^(١) ، يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً^(٢) ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيّاً إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوْ مُخْرِجِي هُمْ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي ، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصراً مُؤَزَّراً - أَي : مُعَاناً - .

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ - أَي : لَمْ يَلْبَثْ - أَنْ تَوَفَّى ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ^(٣) .

(حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ ﷺ [فِيما بَلَّغْنَا] حُزناً شديداً ، غدا مِنْهُ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ ، فَكَلَّمَا أَرَادَ أَنْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقّاً)^(٤) .

(١) النَّامُوسُ : رسول الخير ، والمُرَادُ بِهِ : جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَخَصَّ مُوسَى لِأَنَّ شَرِيعَتَهُ كَانَتْ أَعَمَّ وَأَوْفَى مِنْ شَرِيعَةِ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

(٢) الْجَذَعُ : الشَّابُّ الْحَدِثُ الْقَوِيُّ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٦٥٨١) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٥٢/١٦٠) .

(٤) مَا بَيْنَ قَوْسَيْنِ زِيَادَةٌ لَيْسَتْ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ ، لِأَنَّهَا مِنْ بِلَاغَاتِ الزُّهْرِيِّ . وَقَدْ ذَكَرَهَا الْبُخَارِيُّ لِيُنَبِّهَنَا إِلَى مُخَالَفَتِهَا لِمَا صَحَّ عَنْهُ مِنْ حَدِيثِ بَدَأِ الْوَحْيِ ، الَّذِي لَمْ تُذَكَّرْ فِيهِ هَذِهِ الزِّيَادَةُ ، وَهِيَ مِنْ قَبِيلِ الْمَنْقُطِ ، وَالْمَنْقُطُ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّعِيفِ . (فَتْحُ الْبَارِيِّ ، ج ١٦/١٢) . قُلْتُ : إِنَّ مَا أَشْتَهَرُ مِنْ سِيرَتِهِ ﷺ يَرُدُّ ذَلِكَ ، فَقَدْ حَدَّثَ لَهُ أَثْنَاءَ دَعْوَتِهِ النَّاسَ أَشَدَّ وَأَقْسَى مِنْ هَذِهِ الْحَالَةِ ، وَلَمْ يُفَكِّرْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْإِنْتِحَارِ ، بَأَن يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْ شَاهِقِ جَبَلٍ . وَسَنَرَى فِيما يَأْتِي مِنَ الْكِتَابِ أَنَّهُ لَمَّا =

قَالَ أَبُو شِهَابٍ : وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
عَوْفٍ ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ
النَّبِيَّ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ ، قَالَ : « ثُمَّ فُتِرَ الْوَحْيُ عَنِّي
فِتْرَةً ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي
قَبْلَ السَّمَاءِ - أَي : فِي جِهَتِهَا - فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِ (حِرَاءِ)
قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ - أَي : فَرَعْتُ -
حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ - أَي : سَقَطْتُ - فَجِئْتُ أَهْلِي ، فَقُلْتُ :
دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي ، - أَي : غَطُّونِي - فَدَثَّرُونِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَذِّبْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ ﴾ - أَي :
النَّجَسَ - ﴿ فَاهْجُرْ ﴾ - أَي : فَاتْرُكْ - ^(١) [سورة الْمُدَّثِّرُ ٧٤/١-٥] .

وفي رواية : أَنَّهُ لَمَّا فُتِرَ الْوَحْيُ عَنْهُ ، قَالَتْ قُرَيْشٌ : قَلَاهُ رَبُّهُ .
شكوى النبي ﷺ ونزول الضحى

= عرضَ عليه عُمَةُ أَبُو طَالِبٍ أَنْ يَكْفَ عَنْ قُرَيْشٍ ، وَيَبْقَى عَلَيْهِ وَعَلَى
نَفْسِهِ ، قَالَ قَوْلُهُ الْمَشْهُورُ : « وَاللَّهِ يَا أَعْمَى ، لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي
يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي ، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ
أَهْلِكَ دُونَهُ ، مَا تَرَكْتُهُ » . وَلَيْسَ أَدَلُّ عَلَى ضَعْفِ هَذِهِ الزِّيَادَةِ مِنْ أَنَّ
جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ لَهُ كُلَّمَا أَشْرَفَ عَلَى ذِرْوَةِ جَبَلٍ :
(يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا) ، وَأَنَّهُ كَرَّرَ ذَلِكَ مَرَارًا . وَلَوْ صَحَّ هَذَا
لَكَانَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً تَكْفِي فِي تَثْبِيثِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَرْفِهِ عَمَّا حَدَّثَتْهُ بِهِ نَفْسُهُ
كَمَا زَعَمُوا . وَقَدْ ذَهَبَ جُلُّ الْعُلَمَاءِ وَكُتَّابُ السِّيَرِ الْمُحَدِّثُونَ إِلَى هَذَا ، بَلْ
ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ مَجْرَدَ سُؤَالِ وَرَقَةٍ إِنَّمَا هُوَ مِنْ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَكُونُ رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ أَجَلَ مَنْ أَنْ يَعْرِفَ
نَبَوْتَهُ وَرِسَالَتَهُ مِنْ حَبْرٍ نَصْرَانِيٍّ ، أَوْ مَمَّنْ قَرَأَ كُتُبَ النَّصَارَى .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٦٧١) .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالصَّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾
إِلَى آخِرِ السُّورَةِ (١) .

حجبُ الشَّيَاطِينِ عَنْ
أَسْرَاقِ السَّمْعِ عِنْدَ
مَبْعَثِهِ ﷺ

وفي « الصَّحِيحِينَ » ، عن أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ
أَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، عَامِدِينَ إِلَى سَوَاقِ
عُكَاظٍ ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ
الشُّهُبُ / ، فَارْجَعَتِ الشَّيَاطِينُ ، فَقَالُوا : مَا لَكُمْ ؟ قَالُوا : حِيلَ بَيْنَنَا [ق ٨٠]
وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ ، فَقَالُوا : مَا حَالُ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا أَمْرٌ حَدَثَ ، فَأَضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ
وَمَغَارِبَهَا ، فَأَنْطَلَقَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا مِنْهُمْ نَحْوَ (تِهَامَةٍ) ، فَإِذَا رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ بِ(نَخْلَةٍ) (٢) ، يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ ، فَلَمَّا سَمِعُوا
الْقُرْآنَ عَجِبُوا لَهُ ، وَقَالُوا : هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ ،
وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ ، فَقَالُوا : يَا قَوْمَنَا ، ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا
* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [سورة الجن ١/٧٢-٢] فَأَنْزَلَ اللَّهُ
تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ : ﴿ قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ آلِجِنِّ ﴾ [سورة الجن
١/٧٢] (٣) .

دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ قَوْمَهُ
إِلَى الْإِسْلَامِ سِرًّا

وَلَمَّا بُعِثَ ﷺ أَخْفَى أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ يَدْعُو أَهْلَ (مَكَّةَ) ، وَمَنْ أَتَى
إِلَيْهَا سِرًّا ، فَأَمَنَ بِهِ نَاسٌ مِنْ ضُعَفَاءِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْمَوَالِي ، وَهُمْ
أَتْبَاعُ الرُّسُلِ ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ هِرْقَلٍ ، فَلَقُوا مِنْ
الْمُشْرِكِينَ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْوَاعَ الْأَذَى ، فَمَا أَرْتَدَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ
دِينِهِ ، وَلَا أَلْتَوَى ، وَلِذَلِكَ أَشَارَ ﷺ بِقَوْلِهِ : « إِنَّ هَذَا الدِّينَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٦٦٧) . عَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) مَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ فِيهِ نَخْلٌ وَكُرُومٌ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٧٣٩) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٤٩/٤٤٩) .

بدأ غريباً ، وسيعودُ غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء »^(١) .

نعوذ بالله من الفتن والمحن ، ما ظهر منها وما بطن .

وفي السنة الرابعة من مبعثه ﷺ : نزل قوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿ [سورة الحجر

الجهر بالدعوة

. [٩٥-٩٤/١٥]

فأمثل ﷺ أمر ربّه ، وأظهر الدعوة إلى الله تعالى ، فدخل الناس في الإسلام أرسالاً ، حتى فشا ذكر الإسلام بـ (مكة) ، ولكن كان المسلمون إذا أرادوا الصلاة ذهبوا إلى الشعاب ، وأستخفوا من قومهم بصلاتهم .

ولما أظهر ﷺ دعوة الخلق إلى الحق لم يتفاحش إنكار قوميه عليه ، حتى ذكر آلهتهم وسبها ، وضلل آباءهم ، وسفه أحلامهم ، فحينئذ اشتد ذلك عليهم ، وأجمعوا له الشر ، فحدب^(٢) عليه عمه أبو طالب ، وعرض نفسه للشرّ دونّه ، مع / بقاءه على دينه . [ق٨١]

موقف المشركين من النبي ﷺ إثر جهده بالدعوة

فلما رأت ذلك قريش ، اجتمع أشرافهم ومشوا إلى أبي طالب ، وقالوا له : إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلي بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه .

فعظم على أبي طالب فراق قوميه ، ولم تطب نفسه بخذلان ابن أخيه ، فكلم النبي ﷺ ، فظن النبي ﷺ أن عمه قد بدا له تركه ، والعجز عن نصرته ، فقال : « يا عم ! والله لو وضعوا الشمس في

أبو طالب بين نصرته للرّسول ﷺ وتخليه عنه

(١) أخرجه مسلم ، برقم (٢٣٢/١٤٥) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) حدب عليه : أنحنى عليه وعطف .

يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي ، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ ، حَتَّى يُظْهِرَهُ
 اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ ، مَا تَرَكْتُهُ « ثُمَّ أَسْتَعْبِرَ ﷺ بِأَكْيَا ^(١) ، فَقَالَ لَهُ :
 يَا ابْنَ أَخِي ، قُلْ مَا أَحْبَبْتَ ، فَوَاللَّهِ لَا أُسْلِمُكَ لَشَيْءٍ أَبَدًا ^(٢) .
 وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو طَالِبٍ ، [مِنَ الْكَامِلِ] ^(٣) :

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ
 حَتَّى أَوْسَدَ فِي الثُّرَابِ دَفِينَا
 فَأَصْدَعُ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةً
 وَأُبَشِّرُ وَقَرَّ بِذَلِكَ مِنْكَ عُيُونَا ^(٤)
 وَدَعَوْتَنِي وَعَرَفْتُ أَنَّكَ نَاصِحِي
 وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِينَا
 وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُ
 مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
 لَوْ لَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَاؤُ مَسْبَةِ
 لَوَجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِينَا

(١) أَسْتَعْبِرَ : جرت دمعته . قلتُ : يَا لِقُوَّةِ الْإِيمَانِ ، وَيَا لِعَظْمَةِ النَّفْسِ
 الْبَشَرِيَّةِ ، وَيَا لَجَلَالِ الْبَطُولَةِ !! رَجُلٌ يَظُنُّ أَنَّهُ تَخَلَّى عَنْهُ نَاصِرُهُ الْوَحِيدُ
 مِنْ أَهْلِهِ ، وَهُوَ وَأَصْحَابُهُ فِي غِمَرَاتٍ مُتَتَابِعَةٍ مِنَ الْأَذَى وَالْبَلَاءِ ، وَتَأَلَّبَ
 رُؤْسَاءَ الشُّرْكِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَقِفُ هَذَا الْمَوْقِفَ الْفَذَّ الْعَظِيمَ !! إِنَّ هَذَا فِي
 مَنْطِقِ الْعَقْلِ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مَدَّعِيًا أَوْ كَاذِبًا أَوْ بَشَرًا مِنْ عَامَّةِ الْبَشَرِ ؛
 مَا هَذَا إِلَّا نَبِيٌّ كَرِيمٌ ، وَرَجُلٌ بَالِغُ أَسْمَى دَرَجَاتِ الثِّقَةِ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 فَصَلُّوا لِلَّهِ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ » ، ج ٢ / ١٨٧ .

(٣) دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ ، ج ٢ / ١٨٨ .

(٤) أَصْدَعُ بِأَمْرِكَ : بَيَّنَّهُ وَأَجْهَرَ بِهِ . أَمْرَكَ : مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ مِنْ دَعْوَةِ
 الْمَشْرِكِينَ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ . غَضَاضَةٌ : مَنْقَصَةٌ أَوْ عَيْبٌ . قَرَّتْ
 عَيْنُ فُلَانٍ : سُرَّ وَرَضِيَ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ نَابَذَتْهُ قُرَيْشٌ وَتَرَامَوْا لِلْحَرْبِ ، وَوُثِّتَ كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ يُعَذِّبُونَهُمْ .

اشتداد قريش على الرسول ﷺ وأصحابه

وَأَخَذَ أَبُو طَالِبٍ يَحْشُدُ بَطُونَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَهُمْ أَرْبَعَةٌ : بَنُو هَاشِمٍ ، وَبَنُو الْمُطَّلَبِ ، وَبَنُو عَبْدِ شَمْسٍ ، وَبَنُو نُوْفَلٍ ، فَأَجَابَهُ : بَنُو هَاشِمٍ ، وَبَنُو الْمُطَّلَبِ ، وَخَذَلَهُ : بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ ، وَبَنُو نُوْفَلٍ ، وَأَنْسَلَخَ أَيْضاً مِنْ بَنِي هَاشِمٍ : أَبُو لَهَبٍ .

حشد أبي طالب مؤيديه من بني هاشم

وَفِي بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَبَنِي نُوْفَلٍ وَحُمَيْتُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَمَدَحَهُ لَهُ ، يَقُولُ أَبُو طَالِبٍ فِي قَصِيدَتِهِ الطَّوِيلَةِ ، [مِنَ الطَّوِيلِ] (١) :

قصيدة أبي طالب الألامية

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوْفَلًا
عُقُوبَةً شَرًّا عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللهِ تُبْزَى مُحَمَّدًا
وَلَمَّا نَطَاعِنُ دُونَهُ وَنُناضِلِ (٢)
وَنُسَلِّمُهُ حَتَّى نُصَرِّعَ حَوْلَهُ
وَنُذْهَلَ عَن أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ (٣)
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ
نُهوِضَ الرِّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ (٤)
بِكَفِّي فَتَى مِثْلَ الشَّهَابِ سَمِيدَعٍ
أَخِي ثِقَّةٍ حَامِي [الْحَقِيقَةِ] بَاسِلِ (٥)

(١) ابن هشام ، ج ١ / ٢٧٥ - ٢٧٩ .

(٢) تُبْزَى مُحَمَّدًا : نغلبه ونسلبه . نناضل : نتسابق في الرمي بالسهم .

(٣) الْحَلَائِلُ : الزَّوْجَاتُ .

(٤) الرِّوَايَا : الإبل الَّتِي تَحْمِلُ الْمَاءَ وَالْأَسْقِيَةَ . الصَّلَاصِلُ : المَزَادَاتُ لَهَا صَلَاصِلُ بِالْمَاءِ .

(٥) السَّمِيدَعُ : السَّيِّدُ . الْبَاسِلُ : الشُّجَاعُ .

وَمَا تَرَكَ قَوْمٌ ، لَا أَبَا لَكَ سَيِّدًا
 يَحُوطُ الذَّمَّارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مُوَائِلٍ ^(١)
 وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ
 ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ ^(٢)
 يَلُودُ بِهِ الْهَلَّافُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
 فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلٍ ^(٣)
 لَعَمْرِي لَقَدْ كُفِّتُ وَجَدًا بِأَحْمَدٍ
 وَإِخْوَتِهِ دَابَّ الْمُحِبِّ الْمُوَائِلِ ^(٤)
 حَدِثْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتُهُ
 وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَا وَالْكَلاكِيلِ ^(٥)
 فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمِّلٍ
 إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّقَاضِلِ ؟
 حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ
 يُوَالِي إِلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلٍ
 فَوَاللَّهِ لَوْ لَا أَنْ أَجِيءَ بِسَبَّةٍ
 تُجَرُّ عَلَيَّ أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ

-
- (١) الذَّمَّارُ : مَا يَلْزِمُكَ حِمَايَتُهُ . الذَّرْبُ : سَلِطُ اللِّسَانِ . الْمَوَائِلُ : الَّذِي يَكِلُ أُمُورَهُ إِلَى غَيْرِهِ .
 (٢) ثِمَالُ الْيَتَامَى : قَامَ بِأَمْرِهِمْ وَرَبَّاهُمْ .
 (٣) الْهَلَّافُ : الْهَلُوفُ : الشَّيْخُ الْقَدِيمُ الْهَرَمِ الْمَسْنُ .
 (٤) وَجَدًا : مُحَبَّةً .
 (٥) حَدِثْتُ : عَظَفْتُ وَمَنَعْتُ . الْكَلاكِيلُ : الْجَمَاعَاتُ . مَفْرَدُهَا : الْكَلِكَلَةُ ؛ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ . ذُرُّ الشَّيْءِ : أَعَالِيهِ ، وَالْقَوْمُ : أَعْلَاهُمْ وَأَشْرَفُهُمْ ؛ وَالْمَقْصُودُ : دَافَعَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ بَيْنَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ وَأَشْرَافِهِمْ ، وَعِنْدَ عَامَّةِ النَّاسِ .

لَكُنَّا أَتْبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
 مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ
 لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ أَبْنَاءَنَا لَا مُكَذَّبَ
 لَدَيْنَا وَلَا يُعْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ
 فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدُ فِي أَرْوَمَةٍ
 تَقَاصَرُ عَنْهَا سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ^(١)

فَائِدَةٌ

قَالَ الْعَلَمَاءُ : وَلَاجِلِ نُصْرَةِ بَنِي الْمُطَّلِبِ لَبْنِي هَاشِمٍ وَمَوَالِيهِمْ
 لَهُمْ ، شَارِكُوهُمْ فِي التَّشْرِيفِ بِتَسْمِيَّتِهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَفَضْلِ الْكَفَاءَةِ
 عَلَى سَائِرِ قُرَيْشٍ ، وَأَسْتَحْقَاقِ سَهْمِ ذَوِي الْقُرْبَى ، وَتَحْرِيمِ الزَّكَاةِ
 دُونَ الْبَطْنِينَ الْآخَرِينَ ، إِذْ لَمْ يَفْتَرِقُوا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ .

في تشریف بنی
 الْمُطَّلِبِ بِتَسْمِيَّتِهِمْ أَهْلَ
 الْبَيْتِ

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي « صَحِيحِهِ » ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، عَنْ
 جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، قَالَ :
 مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ - أَي : أَبْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ
 عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ
 [ق ٨٣] أَعْطَيْتَ / بَنِي الْمُطَّلِبِ - أَي : أَبْنِ عَبْدِ مَنَافٍ - وَتَرَكْتَنَا ، وَنَحْنُ وَهُمْ
 مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ ؟ فَقَالَ : « إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ
 وَاحِدٌ » .

وَفِي رَوَايَةٍ : أَعْطَيْتَ بَنِي الْمُطَّلِبِ مِنْ خُمْسِ خَيْبَرَ . وَفِي
 أُخْرَى : وَلَمْ يَقْسِمِ النَّبِيُّ ﷺ لَبْنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَلَا لَبْنِي نَوْفَلٍ شَيْئًا .
 قَالَ الْبُخَارِيُّ : وَقَالَ أَبْنُ إِسْحَاقَ : عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ

(١) الْأَرْوَمَةُ : الْأَصْلُ وَالنَّسَبُ وَالْحَسَبُ هُنَا . السَّوْرَةُ : الْمَنْزِلَةُ .

والمُطَلَّبُ إِخْوَةٌ لِأَبٍ وَأُمٍّ ، وَأُمُّهُمْ : عَاتِكَةُ بِنْتُ مُرَّةَ ، وَكَانَ نَوْفَلُ
أَخَاهُمْ لِأَبِيهِمْ . أَنْتَهَى^(١) .

قَالَ الْعَجَّاءُ : وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ مُرَّةً بِالتَّرْغِيبِ ،
وَمُرَّةً بِالتَّرْهِيْبِ ، وَمُرَّةً بِالْقَوْلِ اللَّيْنِ ، وَمُرَّةً بِالْخَشَنِ ، كَمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ
بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة النحل ١٦/ ١٢٥] .

وَأَمْتَنَعَ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ بَعْشَائِرُهُمْ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ ، وَبَقِيَ
قَوْمٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ ، يُعَذِّبُونَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ ؛
كَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، وَأَبِيهِ ، وَأُمِّهِ ، وَأُخْتِهِ ، وَبِلَالِ بْنِ حَمَامَةَ ،
وَحَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ ، وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

فَكَانُوا يَأْخُذُونَ عَمَّارًا وَأَبَاهُ وَأُمَّهُ وَأُخْتَهُ فَيَقْلَبُونَهُمْ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ،
فَيَمُرُّ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ : « صَبِرَ آلُ يَاسِرٍ ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ »^(٢) .

وَمَاتَتْ سُمَيَّةُ أُمُّ عَمَّارٍ بِذَلِكَ . فَكَانَتْ أَوَّلَ قَتِيلٍ فِي الْإِسْلَامِ فِي
ذَاتِ اللَّهِ^(٣) . ثُمَّ مَاتَ يَاسِرٌ وَأَبْنَتُهُ بَعْدَهَا أَيْضًا .

وَأَمَّا بِلَالٌ فَكَانَ أُمِّيَّةً بَنِي خَلْفٍ يَخْرُجُ بِهِ فَيَضَعُ الصُّخُورَ عَلَى
صَدْرِهِ ، وَيَتْرَكُهَا كَذَلِكَ حَتَّى يَكَادَ يَمُوتُ ، فَيَرْفَعُهَا ، وَبِلَالٌ يَقُولُ :
أَحَدٌ ، أَحَدٌ . فَمَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ لِأُمِّيَّةَ : أَلَا تَتَّقِي
اللَّهُ فِي هَذَا الْعَبْدِ ؟ فَقَالَ : أَنْتَ الَّذِي أَفْسَدْتَهُ عَلَيَّ ، فَقَالَ : بِعَيْنِيهِ ،
فَبَاعَهُ مِنْهُ ، فَأَعْتَقَهُ^(٤) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٩٧١) . لِأَبٍ وَأُمٍّ : أَيِ أَشْقَاءَ ، وَأَبُوهُمْ
عَبْدُ مَنْفٍ ، وَنَوْفَلُ أَخُوهُمْ لِأَبٍ ؛ وَأُمُّهُ : وَاقِدَةُ بِنْتُ عَمْرِو الْمَازِنِيَّةِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي « الْمُسْتَدْرَكِ » ، ج ٣/ ٣٨٣ .

(٣) وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ طَعَنَهَا بِحَرْبَةٍ فِي قُبْلِهَا .

(٤) ابْنُ هِشَامٍ ، ج ١/ ٣١٧ - ٣١٨ .

عُقَاءُ أَبِي بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وكان عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَقُولُ : أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا ، وَأَعْتَقَ
سَيِّدَنَا بِلَالًا^(١) . وَأَشْتَرَى أَيْضًا عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فِي سِتِّ رِقَابٍ أُخَرَ
عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ^(٢) .

[ق ٨٤]

قَالَ الْمَقْسُورُ^(٣) : وَفِي حَقِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ / نَزَلَتْ : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا
الَّذِي أَتَقَى * الَّذِي يُوَفِّي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجَرَّى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ [سورة الليل ٩٢/٢١-٢٤] ^(٣) .

فَاتَعَلَّاهُ

فِي أَنَّ الْأَتَقَى هُوَ
الْأَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ

وَلَا يَخْفَى دَلَالَةُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْأَتَقَى هُوَ الْأَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ ،
لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُ ﴾ [سورة الحجرات ٤٩/١٣] .

شَكَوَى الْمُسْلِمِينَ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ
التَّعْذِيبِ

وَأَمَّا خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ : فَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » عَنْهُ ، قَالَ :
أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً ، وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، وَلَقَدْ لَقِينَا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا ؟ فَقَعَدَ
وَهُوَ مُحَمَّرٌ وَجْهُهُ ، فَقَالَ : « لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيَمْسُطُ بِمِشَاطٍ
الْحَدِيدِ ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ
دِينِهِ ، وَيَوْضَعُ الْمِنْشَارَ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، فَيُشَقُّ بِأَثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ
ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَلَيَمْسَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّائِبُ مِنْ (صَنْعَاءَ)
إِلَى (حَضْرَمَوْتَ) ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّبُّبَ عَلَى غَنَمِهِ »^(٤) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٥٤٤) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) ابْنُ هِشَامٍ ، ج ١/٣١٨ .

(٣) أَسْبَابُ النُّزُولِ ، لِلْوَاهِدِيِّ ، ص ٣٧٠ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٦٣٩) .

فَاتَعَلَّاهُ

فضل من ثبت على
إيمانه

قَالَ الْعَجَلَاءُ : وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحْسَنِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّائِسِي مَعَ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ اَلَمْ * أَحَسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [سورة العنكبوت ٢٩/٣-١] وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ءَلَا إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [سورة البقرة ٢/٢١٤] وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَتَبْلُوَكُمْ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيْرًا وَإِنْ نَصَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [سورة آل عمران ٣/١٨٦] .

فَاعْلَمَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ مَبْنَى الدِّينِ عَلَى الصَّبْرِ ، وَأَنَّ مَنْ تَجَرَّدَ لِإِظْهَارِ دِينِ اللَّهِ أَسْتَقْبَلَتْهُ الْمِحْنُ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَعَرَضِهِ وَأَهْلِهِ .

وَأِنَّمَا أَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ أَوَّلًا لِتَتَوَطَّنَ نَفُوسُهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمَهُمُ أَنَّ هَذِهِ سُنَّةُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ / ، ثُمَّ كَانَتْ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ ، تَعْبُوا قَلِيْلًا [ق ٨٥] ثُمَّ أَسْتَرَا حُوا طَوِيْلًا ، وَبَذَلُوا حَقِيْرًا فَنَالُوا خَطِيْرًا : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة ٢/١٥٧] .

وَمَعَ شِدَّةِ حِرْصِهِمْ عَلَى أَذَاهُ ، فَقَدْ كَانَتْ عَيْنُ اللَّهِ تَرَعَاهُ .

وَفِي «الصَّحِيحِينَ» ، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ ، قَالَ : لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي لَأَطَانَّ [عَلَى] عُنُقِهِ ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ : « لَوْ فَعَلَ لَأَخَذْتَهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا » (١) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٦٧٥) . عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

زَادَ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ : أَنَّهُ لَمَّا هَمَّ بِذَلِكَ رَأَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا مِنْ نَارٍ ، وَهَوْلًا وَأَجْنَحَةً ، فَكَصَّ عَلَى عَقْبِيهِ ، وَهُوَ يَتَّقِي بِيَدَيْهِ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا رَأَى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ ، ثُمَّ تَوَعَّدَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ﴾ ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولَهُ بِالشُّجُودِ غَيْرِ مُكْتَرِثٍ بِهِ ، فَقَالَ : ﴿ كَلَّا لَا نُطِيعُهُ وَأَسْجُدُ وَاقْتَرِبَ ﴾ [سورة العلق ٩٦/٩٧-٩٩] (١) .

وفي السَّنة الخامسة من مبعثه ﷺ : رَأَى شِدَّةَ مَا بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَمَا نَالَهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ مِنَ الْأَذَى ، فَأَمَرَهُمْ بِالْمِهَاجَرَةِ إِلَى (الْحَبْشَةِ) ، وَقَالَ لَهُمْ : « إِنَّ بِهَا مَعَاشًا وَسَعَةً ، وَمَلِكًا عَادِلًا لَا يُسْلِمُ جَارُهُ » (٢) .

فهاجر إليها عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَمَعَهُ أَمْرَأَتُهُ رَقِيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (٣) .

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٧٩٧) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بِنَحْوِهِ . سَنَدُ الزَّبَانَةِ : سَنَدُهُ لِمِنْ جُنُودِ الْقَوِيِّ الْمَتِينِ ، الَّذِي لَا قِبَلَ لَهُ بِمُغَالَبَتِهِ ، فَيُهْلِكُهُ فِي الدُّنْيَا أَوْ يُزِيدُهُ فِي النَّارِ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ صَاحِبُ (أَنْصَارِي) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « سَنَنِ » ، ج ٢/٣٢٨ . بِنَحْوِهِ .
(٣) خَبَرُ هِجْرَةِ أَبِي مَسْعُودٍ فِي « الطَّبَقَاتِ » لِابْنِ سَعْدٍ ، ج ٣/١٥١ ، وَأَنَّهُ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ الْمَهْجَرَتَيْنِ جَمِيعًا فِي رِوَايَةِ أَبِي مَعْشَرٍ وَمُحَمَّدَ بْنِ عُمَرَ . وَالصَّوَابُ : أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ فِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ ، (انظر شرح المواهب اللدنية ، للزرقاني ، ج ١/٢٧٠) . قُلْتُ : وَعَدَدُ الَّذِينَ هَاجَرُوا الْهِجْرَةَ الْأُولَى حَسْبَمَا ذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ عَشْرَةَ رِجَالٍ . عُثْمَانُ بْنُ

الهجرة الثانية إلى
الحبشة

ثُمَّ تَبِعَهُمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي جَمَاعَةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، حَتَّى بَلَغُوا اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ رَجُلًا ، سَوَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى (الْحَبْشَةِ) أَكْرَمَهُمُ النَّجَاشِيُّ ، وَأَحْسَنَ جَوَارَهُمْ ، وَسَمِعَ الْقُرْآنَ مِنْ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَمَّنَ بِهِ وَصَدَّقَ ، وَأَمَرَ قَوْمَهُ بِذَلِكَ فَأَبَوْا ، فَكُتِمَ إِيْمَانُهُ عَنْهُمْ .

وفد قريش إلى الحبشة
لاسترداد المهاجرين
إليها

فَلَمَّا شَاعَتْ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ ، وَجَّهَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّجَاشِيِّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فِي جَمَاعَةٍ ، وَوَجَّهُوا مَعَهُمْ بِهَدَايَا لِلنَّجَاشِيِّ وَلِخَوَاصِّهِ ، فَقَدِمُوا عَلَى النَّجَاشِيِّ وَقَدَّمُوا مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْهَدَايَا ، وَكَلَّمُوهُ فِي شَأْنِهِمْ ، لِيُمْكِّنَهُمْ / مِنْهُمْ ، فَغَضِبَ ، وَرَدَّ هَدَايَاهُمْ [ق٨٦] عَلَيْهِمْ ، فَأَنْقَلَبُوا خَائِبِينَ .

عودة بعض مهاجري
الحبشة

ثُمَّ إِنَّ مُهَاجِرَةَ (الْحَبْشَةِ) بَلَغَهُمْ أَنَّ أَهْلَ (مَكَّةَ) أَسْلَمُوا ، فَاسْتَخَفَّ ذَلِكَ الْخَبْرُ جَمَاعَةً مِنْهُمْ ، نَحَوَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، فَأَقْبَلُوا رَاجِعِينَ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِقُرْبِ (مَكَّةَ) بَانَ لَهُمْ فَسَادُ الْخَبْرِ ، فَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ (مَكَّةَ) إِلَّا مُسْتَخْفِيًا أَوْ بِجَوَارٍ ، وَأَقَامَ بَقِيَّةُ الْمُهَاجِرِينَ بـ (الْحَبْشَةِ) إِلَى سَنَةِ [سبع] مِنَ الْهِجْرَةِ ، فَمَدَّةَ إِقَامَتِهِمْ نَحَوَ عَشْرَ سِنِينَ ^(١) .

= عَفَّانَ وَأَمْرَأَتَهُ ، وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ وَأَمْرَأَتَهُ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ وَأَمْرَأَتَهُ ، وَعُثْمَانُ بْنُ مِطْعُونٍ ، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَمْرَأَتَهُ ، وَأَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُحْمٍ ، وَسُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءٍ .

(١) قلت : أورد ابن هشام ما ذكره ابن إسحاق عن عودة مهاجري الحبشة قبل خبرِ نقض صحيفة المقاطعة وبعد إسلام عمر بن الخطاب ، وعنده - كما ورد أعلاه - أَنَّ الَّذِينَ عَادُوا إِثْرَ مَا بَلَغَهُمْ مِنْ إِسْلَامِ أَهْلِ مَكَّةَ كَانُوا ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ أَقَامَ بِمَكَّةَ إِلَى أَنْ هَاجَرَ وَشَهِدَ بَدْرًا ، =

قُدُومُ جَعْفَرِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ
الْحَبْشَةِ

فَكُتِبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى النَّجَاشِيِّ لِيُجَهِّزَهُمْ إِلَيْهِ ، فَجَهَّزَهُمْ ،
فَقَدِمُوا يَوْمَ فَتَحَ (خَيْبَرَ) ، فَأَسْهَمَ لَهُمْ ، وَقَالَ ﷺ : « لَا أَذْرِي بِأَيِّهِمَا
أَسْرُ بِفَتْحِ خَيْبَرَ ، أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ »^(١) .

فَاتِحَةُ

فِي حُكْمِ الْهَجْرَةِ

قَالَ الْعَلَمَاءُ : وَهَذِهِ الْهَجْرَةُ أَوَّلُ هَجْرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ، وَبَعْدَهَا
الْهَجْرَةُ الْكُبْرَى إِلَى (الْمَدِينَةِ) ، وَقَدْ حَازَهَا أَيْضاً مُهَاجِرُو (الْحَبْشَةِ)
كَجَعْفَرٍ وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَسُمُّوا أَهْلَ الْهِجْرَتَيْنِ .

وَحُكْمُ الْهَجْرَةِ بَاقٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِذَا وُجِدَ مَعْنَاهَا ؛ وَهُوَ الْفِرَارُ
بِالدِّينِ عِنْدَ خَوْفِ الْإِفْتِتَانِ فِيهِ ، أَوْ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ عَنِ رَدِّ الْبَدْعِ الْمُنْكَرَةِ .

أَمَّا عِنْدَ خَوْفِ الْإِفْتِتَانِ : فَمَنْ بَقِيَ فِي دَارِ الْحَرْبِ عَاجِزاً عَنِ
إِظْهَارِ دِينِ الْإِسْلَامِ عَصَى مَعْصِيَةً عَظِيمَةً ، بَلْ اخْتَلَفَ فِي صَحَّةِ

= وَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ فِيهَا ، وَالْبَاقُونَ حَبَسَهُمُ الْمُشْرِكُونَ . وَيَبْدُو أَنَّ أَبْنَ
إِسْحَاقَ لَمْ يَفْصِلْ بَيْنَ خَبَرِ مَنْ عَادُوا إِثْرَ الْهَجْرَةِ الْأُولَى إِلَى الْحَبْشَةِ وَخَبَرِ
مَنْ عَادُوا إِثْرَ الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَيْهَا . وَلَعَلَّ هَذَا رَاجِعٌ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَنْصَحْ عَلَى
حُصُولِ هِجْرَتَيْنِ ، وَالْأَرْجَحُ : أَنَّ الَّذِينَ عَادُوا إِثْرَ سَمَاعِهِمْ بِإِسْلَامِ أَهْلِ
مَكَّةَ وَإِسْلَامِ عُمَرَ هُمُ الْعَشْرَةُ الَّذِينَ هَاجَرُوا أَوَّلًا ، وَكَانَتْ عَوْدَتُهُمْ فِي
السَّنَةِ الَّتِي خَرَجُوا فِيهَا بَعْدَ أَنْ أَقَامُوا فِي الْحَبْشَةِ شَهْرَيْنِ ، وَقَدْ دَخَلُوا مَكَّةَ
مُسْتَخْفِينَ أَوْ بِجَوَارٍ ، ثُمَّ هَاجَرُوا إِلَى الْحَبْشَةِ ثَانِيَةً عَلَى الْأَرْجَحِ مَعَ جَعْفَرِ
بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابِهِ . وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ وَالثَّلَاثُونَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ أَبْنُ إِسْحَاقَ
فَهُؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ عَادُوا مِنَ الْحَبْشَةِ إِثْرَ الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ ، وَذَلِكَ حِينَ سَمِعُوا
بِمُهَاجَرِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا ذَكَرَ أَبْنُ سَعْدٍ (أَنْظَرَ الْجَامِعَ فِي السِّيَرَةِ
النَّبَوِيَّةِ ، ج ١/ ٤٢٢) .

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي « الْمُسْتَدْرَكِ » ، ج ٢/ ٦٢٤ .

إِسْلَامِهِ ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [سورة النساء ٩٧/٤] .

وكذلك يَعصِي مَنْ أَقَامَ ببلد البدع والمُنكر ، الذي لا يَقْدِرُ على تغييره فيها ، أو بَارِضٍ غَلَبَ عليها الحَرَامُ ، فَإِنَّ طَلَبَ الحلال فرضٌ على كلِّ مُسلم .

وفي السَّنة السَّادسة : أسْلَمَ سَيِّدُنَا حمزةُ بْنُ عبدِ الْمُطَّلِبِ ، عُمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ أسْلَمَ بَعْدَهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضيَ اللَّهُ عنهُما . فعزَّ بإسلامهما الإسلامُ والمُسلمون .

وفي « صحيح البخاري » ، عن / عبد الله بنِ عُمَرَ رضيَ اللَّهُ [ق٨٧] عنهُما ، قَالَ : لَمَّا أسْلَمَ عُمَرُ أَجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ دَارِهِ ، وَقَالُوا : صَبَا عُمَرُ ، وَأَنَا غُلَامٌ فَوْقَ ظَهْرِ الْبَيْتِ ، فَجَاءَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ ، وَقَالَ : أَنَا لَهُ جَارٌ . فَتَفَرَّقُوا^(١) .

وفي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ مِنَ السَّنة السَّابِعة : أَجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ ؛ وَهُوَ : (الْمُحَصَّب)^(٢) ، فَتَقَاسَمُوا^(٣) عَلَى الْكُفْرِ ، كَمَا فِي « صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ » وَذَلِكَ أَنَّهُمْ تَعَاهَدُوا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٦٥٢) . صَبَا : خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ غَيْرِهِ . أَنَا لَهُ جَارٌ : أَيِ أَجْرْتُهُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَهُ ظَالِمٌ .

(٢) خَيْفُ بَنِي كِنَانَةَ وَالْمُحَصَّبُ وَالْحَصْبَةُ وَالْأَبْطُحُ وَالْبَطْحَاءُ : اسْمٌ لشيءٍ وَاحِدٍ . وَأَصْلُ الْخَيْفِ : كُلُّ مَا أَنْحَدَرَ عَنِ الْجَبَلِ وَأَرْتَفَعَ عَنِ الْمَسِيلِ . (أَنْصَارِي) .

(٣) تَقَاسَمُوا : أَقْسَمُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ .

على قطيعة بني هاشم وبني عبد المطلب ، ومقاطعتهم في البيع
والشراء والنكاح وغير ذلك ، حتى يهلكوا عن آخرهم ، أو يُسلموا
إليهم مُحمّداً ﷺ ، وكتبوا بذلك صحيفةً وعلّقوها في سَقَفِ (الكعبة)
تأكيداً لأمرها .

مدّة الحصار وشدّته

فأنحاز البَطْنان^(١) إلى أبي طالبٍ في الشَّعب ، وبَقُوا هنالك
محصورينَ مدّة ثلاثِ سنين ، وتضوّروا بذلك جوعاً وعطشاً وعُرياً ،
ولِحقتهم مشقّةٌ عظيمةٌ بسببِ النَّبيِّ ﷺ .

وفي ذلك يقولُ أبو طالبٍ ، [من الطويل] ^(٢) :

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا
لُؤْيَاً وَخُصّاً مِنْ لُؤْيٍ بَنِي كَعْبٍ
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا
نَبِيًّا كَمَوْسَى خُطَّ فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ
وَأَنَّ الَّذِي أَلْتَفَقْتُمْ مِنْ كِتَابِكُمْ
لَكُمْ كَائِنٌ نَحْسًا كَرَاغِيَةِ السَّقْبِ^(٣)
أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ يُخْفَرَ الثَّرَى
وَيُضْبَحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا كَذِي الذَّنْبِ
وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْوُشَاةِ وَتَقْطَعُوا
أَوَاصِرَنَا بَعْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ^(٤)

(١) أي : بنو هاشم وبنو عبد المطلب .

(٢) ابن هشام ، ج ١/٣٥٢-٣٥٣ .

(٣) رَاغِيَةُ السَّقْبِ : هو من الرُّغَاءِ ، وهو أصوات الإبل ، السَّقْبُ : ولد
النَّاقَةِ . والمقصود هنا : ولد ناقة صالح عليه السَّلام .

(٤) الْأَوَاصِرُ : ما عطفك على غيرك من رَحِمٍ ، أو قرابة ، أو مُصَاهِرَةٍ .

فَلَسْنَا وَرَبَّ الْبَيْتِ نُسَلِّمُ أَحْمَدًا
لِعَزَاءٍ مِنْ عَضِّ الزَّمَانِ وَلَا كَرْبٍ ^(١)
وَلَمَّا تَبَيَّنَ مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَالِفُ
وَأَيِّدٍ أُتِرَتْ بِالْقُسَاسِيَةِ الشُّهْبِ ^(٢)
أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ
وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطَّعَانِ وَبِالضَّرْبِ
وَلَسْنَا نَمَلُ الْحَرْبَ حَتَّى تَمَلَّنَا
وَلَا نَشْكِي مَا قَدْ يَنْوُبُ مِنَ النُّكْبِ
وَلَكِنَّا أَهْلُ الْحَفَائِظِ وَالنُّهَى
إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكُفَاةِ مِنَ الرَّعْبِ ^(٣)

فلما أراد الله تعالى حلَّ ما عقده، وإبطال ما أكده، اجتمع
في أواخر السنة التاسعة سنة من سادات قريش ليلاً بأعلى (مكة) / ، [ق ٨٨]
فتعاقدوا على نقض الصحيفة، منهم : الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ النَّوْفَلِيُّ ،
وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسودِ بْنِ أَسَدِ الْأَسَدِيِّ ، فلما أصبَحُوا قَالَ قَائِلُهُمْ :
أَنَاكُلُ الطَّعَامَ ، وَنَلْبَسُ الثِّيَابَ وَبَنُو هَاشِمٍ هَلَكُوا ، وَاللَّهِ لَا أَفْعُدُ حَتَّى
تُشَقَّ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ الطَّالِمَةُ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : كَذَبْتَ وَاللَّهِ [لَا
تُشَقُّ] ، فَقَالَ [زَمْعَةُ] : أَنْتَ وَاللَّهِ الْكَاذِبُ ، وَوَثَبُوا ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ :
هَذَا أَمْرٌ قَدْ بُرِمَ بَلِيلٌ ، ثُمَّ قَامُوا إِلَى الصَّحِيفَةِ لِيَشَقُّوها ، فَأَخْبَرَهُمُ
النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْأَرْضَ ^(٤) قَدْ أَكَلَتْ جَمِيعَهَا ، إِلَّا مَا فِيهِ أَسْمُ اللَّهِ ،

- (١) عَضُّ الزَّمَانِ : شَدَّتْهُ .
(٢) السَّوَالِفُ : مَا تَقَدَّمَ مِنْ عُنُقِ الْفَرَسِ ، أُتِرَتْ : قُطِعَتْ . الْقُسَاسِيَةُ :
سَيْوْفٌ تُنْسَبُ إِلَى قُسَاسٍ ، وَهُوَ جَبَلُ بَنِي أَسَدٍ يَحْوِي عَلَى مَعْدِنِ الْحَدِيدِ .
(٣) الْحَفَائِظُ : مَفْرَدُهَا الْحَفِظَةُ ؛ وَهِيَ الْأَنْفَةُ . النَّهْيُ - جَمْعُ نَهْيَةٍ - : الْعَقْلُ .
الرَّعْبُ : الْوَعِيدُ .
(٤) الْأَرْضَةُ : دَوْبَةٌ تَأْكُلُ الْخَشَبَ وَنَحْوَهُ .

فوجدوه كما ذكر النبي ﷺ .

وخرج النبي ﷺ وبنو هاشم وبنو المطلب من الشعب ؛ في
أواخر السنة التاسعة .

وفي (١) موسم السنة التاسعة سألت قريش النبي ﷺ آية وهو
بـ (منى) ، فأراهم أنشقاق القمر شقيتين . رواه البخاري ومسلم (٢) .
وفي رواية : حتى رأوا حراء بينهما (٣) .

أنشقاق القمر

فَارْعُدَا

قَالَ الْعَلَاءُ : وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ مُعْجَزَةً عَظِيمَةً لَا يَكَادُ يَعْدِلُهَا شَيْءٌ
مِنْ مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، إِذْ لَا يَطْمَعُ أَحَدٌ بِحِيلَةٍ إِلَى
التَّصَرُّفِ فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ ، فَصَارَ الْبُرْهَانُ بِهَا أَظْهَرَ ، وَلِهَذَا نَصَّ
عَلَيْهَا الْقُرْآنُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [سورة القمر ١/٥٤] .

في أَنَّ مُعْجَزَةَ أَنْشَقَاقِ
القمر لا تعدلُها
مُعْجَزَةٌ

وفي السنة العاشرة : مات أبو طالب ، فأشتدَّ حُزنُ النبي ﷺ .

وفاة أبي طالب

وفي « صحيح البخاري » ، أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ،
دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ ، فَقَالَ : « أَيُّ عَمٍّ ، قُلْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، كَلِمَةً أَحَاجُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ » ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ
[وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ] : أَتَرِغِبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ؟ [فَلَمْ يَزَلَا
يُكَلِّمَانِهِ] ، حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ [كَلَّمَهُمْ] بِهِ هُوَ : عَلَى مِلَّةِ

حرصُ النبي ﷺ على
إسلام عمِّه

(١) قلتُ : قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ، ج ٦/ ٦٣٢ : كان - أي :

أنشقاق القمر - بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٣٤٣٧) . ومسلم برقم (٢٨٠٠/٤٣) . عن

ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٣٦٥٥) . عن أنس رضي الله عنه .

عبد المُطَّلَب . فقال النَّبِيُّ ﷺ : « لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ » ،
فَنَزَلَتْ : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ
كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١)

[سورة التوبة ٩/١١٣] - أي : فلم يزل يستغفر له حتى نزلت - / . [ق٨٩]

وفي « صحيح البخاري » أيضاً ، أَنَّ الْعَبَّاسَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ :
تخفيفُ العذاب عن
أبي طالب
مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمَّكَ ؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحْوَطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ ، فَقَالَ : « هُوَ
فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ
النَّارِ » (٢) . أي : لِأَنَّ كُفْرَهُ كُفْرٌ يُثَارِ لِلْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ ، مَعَ عِلْمِهِ
بِذَلِكَ وَتَقْيُّنِهِ بِذَلِكَ ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ .

ثُمَّ مَاتَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، بَعْدَ مَوْتِ أَبِي طَالِبٍ بِثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ . فَتَضَاعَفَ حُزْنُهُ ﷺ ، وَلَكِنْ كَانَ اللَّهُ لَهُ خَلْفًا عَنْ كُلِّ فَائِتٍ .

وَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَذَى بَعْدَ
وفاة ما لم تنله به في حياته .
أشدُّاءُ إيذاءٍ قريش
للنبي ﷺ بعد وفاته
أبي طالب

وفي « صحيح البخاري » ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : سَأَلْتُ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ أَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ
الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ ؟ فَقَالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي (الْحَجْرِ) ،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٦٧١) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٦٧٠) . يَحْوَطُهُ : يَحْفَظُهُ ، وَيَتَعَهَّدُ بِجَلْبِ
مَا يَنْفَعُهُ وَبِدْفَعِ مَا يَضُرُّهُ ، الضَّحْضَاحُ : الْمَوْضِعُ الْقَرِيبُ الْقَعْرِ ،
وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ خَفَّفَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ الْعَذَابِ . قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ : إِسْلَامُ أَبِي
طَالِبٍ مُخْتَلَفٌ فِيهِ ، كَمَا ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» ، وَأَمَّا إِيمَانُهُ
فَلَا خِلَافَ فِيهِ ؛ إِذَا عَرَفْنَا الْإِيمَانَ بِأَنَّهُ التَّصَدِيقُ بِالْقَلْبِ فَقَطْ . وَالْأَدَلَّةُ
مُتَوَاتِرَةٌ عَلَى إِيمَانِهِ الْمَجْرَدِّ عَنْ رِبْطِهِ بِالْإِسْلَامِ .

إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ - أَيِ : مَصْغَرًا بِمُهِمْلَتَيْنِ - فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ ، فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَأَخَذَ بِمَنْكِبَيْهِ ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَالَ : ﴿ أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ الْآيَةَ ، [سورة غافر ٢٨/٤٠] (١) .

وفي « صحيح البخاري ومسلم » عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ : بينما النبي ﷺ يُصَلِّي عند (الكعبة) ، وقريش في مجالسهم في المسجد ، إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي ، أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ ، فَيَجِيءُ بِسَلَاهَا فَيَضَعُهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ إِذَا سَجَدَ ؟ فَأَنْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ - وفي رواية : أَنَّهُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ أَيْضًا - ففعل ذلك ، فضحكوا حتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا ، فَأَنْطَلَقَ مُنْطَلِقًا إِلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَهِيَ يَوْمئِذٍ جَوِيرِيَّةٌ - فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ ، / ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْبِيحُهُمْ ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْنَا بِقُرَيْشٍ » ثَلَاثًا ، ثُمَّ سَمَى رِجَالًا (٢) . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرََعُوا يَوْمَ (بَدْرٍ) ، ثُمَّ سَحَبُوا إِلَى (الْقَلْبِ) - قَلْبِ بَدْرٍ - (٣) .

قُلْتِ : وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَوْلِدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مُتَقَدِّمٌ

تحقيق حول مولد
فاطمة وأخواتها

- (١) أخرجه البخاري ، برقم (٣٦٤٣) .
- (٢) وهم : عمرو بن هشام ، وعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَعُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ .
- (٣) أخرجه البخاري ، برقم (٤٩٨٢٣٧) . سلاها : الجلدة التي يكون فيها ولد البهائم ، أَيِ : المشيمة . جَوِيرِيَّةٌ : شَابَةٌ .

على ليلة الإسراء بمدة عشر سنين وأكثر ، وسبق أن أختها رقية رضي الله عنها من مهاجرة (الحبشة) ، فلعل زينب وأم كلثوم كذلك ، أو منعهن الحياء من الخروج . والله أعلم .

وفي « الصحيحين » أيضاً ، أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه ، قال لأخيه أنيس : إركب إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ، يأتيه الخبر من السماء ، وأسمع من قوله ، ثم أتتني ، فأنطلق الأخ حتى قدم (مكة) ، وسمع من قول النبي ﷺ ، ثم رجع ، فقال لأبي ذر : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وكلاماً ما هو بالشعر ، فقال : ما شفيتني مما أردت ، فتزوّد وحمل شنة^(١) له ، فيها ماء حتى قدم (مكة) ، فأتى المسجد ، فالتمس النبي ﷺ وهو لا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، فلما أدركه الليل اضطجع في المسجد ، فراه علي فعرف أنه غريب فأضافه ، فتبعه ولم يسأل واحداً منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احتمل زاده وقربته إلى المسجد ، وظل ذلك اليوم ولم يره النبي ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه ، فمرّ عليه علي فقال : أما أن للرجل أن يعرف منزله ؟ فأقامه فذهب به معه ، لا يسأل واحداً منهما صاحبه عن شيء ، حتى إذا كان يوم الثالث [فعل] علي مثل ذلك ، فأقامه علي معه ، ثم قال له : ألا تحدثني ما الذي أقدمك ؟ قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت ، ففعل ، فأخبره . قال علي : فإنه حق ، وإنه رسول الله ، فإذا أصبحت فاتبعني ، فإنني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني / أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل ، [ق٩١] فأنطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ فدخل معه ، وسمع من

(١) الشنة : قربة من جلد ، يكون الماء فيها أبرد .

قوله ، وأسلم مكانه ، فقال له النبي ﷺ : « أَرْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي » .

وفي رواية مُسلم : فقال النبي ﷺ : « إِنِّي قَدْ وُجِّهْتُ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ لَا أَرَاهَا إِلَّا يَثْرَبَ » .

فقال : والذي بعثك بالحق ، لأَصْرُخَنَّ بها بين أظهرهم ، فخرجَ حتَّى أتى المسجدَ ، فنادى بأعلى صوته : أشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله ، وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله ، فقامَ القومُ فضرَبوه حتَّى أضجعوه ، فَأَتَى العباسُ فَأَكَبَّ عليه ، ثُمَّ قَالَ : وَيَحْكُمُ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ عَلَيْهِمْ ، فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ عَادَ لِمِثْلِهَا مِنْ الغد ، فبادروا إليه فضرَبوه ، فَأَكَبَّ عليه العباسُ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ . هذا لفظ البخاري^(١) .

زاد مُسلمٌ في روايته عنه : قَالَ : فَأَتَيْتُ أَخِي أُنَيْسًا فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ ؟ قُلْتُ : إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ ، فَقَالَ : مَا بِيَ رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ ، فَإِنِّي أَيْضًا أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ . قَالَ : فَأَتَيْنَا أُمَّنَا ، فَقَالَتْ : مَا بِيَ رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ ، فَأَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ ، وَقَالَ نِصْفُهُمْ : إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (الْمَدِينَةَ) قَدِمْنَا إِلَيْهِ فَأَسْلَمْنَا ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (الْمَدِينَةَ) أَسْلَمَ نِصْفُهُمْ الْبَاقِي ، وَجَاءَتْ أَسْلَمٌ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا أَسْلَمْنَا عَلَى مَا أَسْلَمَ عَلَيْهِ إِخْوَانُنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « غِفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ، وَأَسْلَمٌ سَالَمَهَا اللَّهُ »^(٢) .

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٣٦٤٨) .

(٢) أخرجه مُسلم ، برقم (١٣٢/٢٤٧٣) .

خروج النبي ﷺ إلى
الطائف

وفي هذه السنة وهي العاشرة : خرج رسول الله ﷺ إلى
(الطائف) ، إلى ثقيف ، وأقام فيهم شهراً يدعوهم إلى الله ،
وسألهم أن يمنعوه ، فردوا عليه قوله ، وأستهزؤوا به ، فسألهم أن
يكتموا عنه لئلا تشمت به / قريش ، فلم يفعلوا . [ق ٩٢]

فلما أنصرف عنهم أغرؤا به سفهاءهم يصيحون خلفه
ويسبونهُ ، حتى اجتمعوا عليه ، وألجؤوه إلى حائط^(١) ، فاشتدَّ
كربه لذلك ﷺ ودعا حينئذ بدعاء الكرب : « لا إله إلا الله العظيم
الحليم ، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم ، لا إله إلا الله ربُّ
السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ ، ربُّ الْعَرْشِ الْكَرِيم » ، ثمَّ قال :
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي
عَلَى النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَأَنْتَ
رَبِّي ، إِلَى مَنْ تَكِلْنِي ؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي^(٢) ، أَمْ إِلَى عَدُوٍّ
مَلَكَتْهُ أُمْرِي ؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي ، وَلَكِنَّ
عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي ، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ
الظُّلُمَاتُ ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ [مِنْ] أَنْ تُنْزِلَ بِي
غَضَبَكَ ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ ، لَكَ الْعُتْبَى^(٣) حَتَّى تَرْضَى ،
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ » .

فنزَلَ عليه جبريلُ عليه السَّلَام ، وقال : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَكَ
وَسَمِعَ قَوْلَهُمْ ، وما ردُّوا عليك ، وقد بعثَ اللهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ ،
لِتَأْمُرَهُ فِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فقال : « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ

(١) الحائط : البستان .

(٢) يتجهَّمُنِي : يلْقَانِي بِالْغِلْظَةِ وَالْوَجْهِ الْكَرِيهِ .

(٣) الْعُتْبَى : الاسترضاء بالرجوع عن الذَّنْبِ وَالْإِسَاءَةِ .

مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١) .

وروى البخاري ومسلم في «صحيحهما» ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ هل أتى عليك يومٌ أشدَّ عليك من يوم (أحد) ؟ قال : «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ [ما لَقِيتُ]^(٢) ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ [يَوْمَ الْعَقَبَةِ] ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ - أَي : بِتَحْتِيَّةٍ مَكْرَرَةٍ - ابْنِ عَبْدِ كُلَالٍ - أَي : بِالضَّم - فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَأَنْطَلَقْتُ ، وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَقِ إِلَّا وَأَنَا بِـ(قَرْنِ الثَّعَالِبِ)^(٣) ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، وَإِذَا سَحَابَةٌ قَدْ أَظْلَتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَنَادَانِي وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ ، لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ بِمَا شِئْتَ ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ ؟ » أَي : جَبَلِي

(١) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ، ج ٦/ ٣٥ . وأخرج مسلم برقم (١٧٩٥/ ١١١) بعضه . عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) لقد لقيت من قومك : قال صاحب السيرة الحلبية ، ج ١/ ٣٥٧ : أَي : أهل ثقيف كما هو المتبادر . ثم رأيت الحافظ ابن حجر قال : المراد بقوم عائشة في قوله : «لقد لقيت من قومك» : قريش لا أهل الطائف الذين هم ثقيف ، لأنهم كانوا السبب الحامل على ذهابه ﷺ لثقيف ، ولأن ثقيفاً ليسوا قوم عائشة رضي الله عنها . (أنظر الجامع في السيرة النبوية ، ج ١/ ٥١٤) .

(٣) قرن الثعالب : أسم موضع قرب مكة . وأصل القرن : كل جبل صغير منقطع من جبل كبير . ولعله سمي بذلك لكثرة الثعالب فيه .

مكة^(١) فقال ﷺ : « فقلتُ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً »^(٢) .

قلتُ : وابنُ عبدِ كُلالٍ هُذا هُوَ وإِخْوَتُهُ رؤساءُ أَهلِ (الطائفِ) .

فَاعْتَدِلْ

فِي أَنَّ الاستهزاء
والسبَّ أشدُّ من الطعن
والضرب

قَالَ الْعَلَاءُ : جعلَ ﷺ ما ناله من الاستهزاء وشماتة الأعداء أشدَّ ممَّا لاقاه يومَ (أُحُدٍ) ؛ مِنْ قَتْلِ حمزةَ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، معَ ما ناله فِي نَفْسِهِ مِنَ الجِراحَةِ ، وما ذاكَ إِلَّا أَنَّ نَفْسَ الكَرِيمِ تتأذى بالأذى وبالقولِ والسبِّ أشدَّ ممَّا تتأذى بِهِ مِنَ الطَّعْنِ والضَّرْبِ .

ولهذا عفا ﷺ عن كُلِّ مَنْ تعرَّضَ لقتله ، وأهدرَ دمَ كُلِّ مَنْ تعرَّضَ لشمِّهِ .

ومعَ ذلكَ فقد كانَ ﷺ صابراً على ما ناله من الأذى فِي نَفْسِهِ أو عَرَضِهِ أو أَهْلِهِ ، لعلِّمِهِ بأنَّ الامتحانَ عنوانُ الإيمانِ الَّذِي يُتَبَيَّنُ بِهِ جواهرُ الرِّجالِ ، كما قيلَ : عندَ الامتحانِ يُكْرَمُ المرءُ أو يُهَانُ . وَأَنَّ أشدَّ الناسِ بلاءَ الأنبياءِ ثُمَّ الأمثلُ فالأمثلُ ، زيادةً فِي حسناتهم ورفع درجاتِهِمْ .

[قال تعالى] : ﴿ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة آل عمران ١٦٣/٣] .

دخولُ النَّبِيِّ ﷺ مكةَ
فِي جوارِ الْمُطْعِمِ بنِ
عَدِيٍّ

ولَمَّا بلغَ ﷺ فِي مَرَجِعِهِ مِنَ (الطائفِ) (حراءَ) ، بعثَ إِلَى الأَخْنَسِ بنِ شَرِيْقٍ لِيُجِيرَهُ فَأَعْتَذَرَ ، وَقَالَ : (إِنَّمَا أَنَا حَلِيفٌ وَالْحَلِيفُ لَا يُجِيرُ) ، فبعثَ إِلَى سُهَيْلِ بنِ عَمْرِوٍ فَأَعْتَذَرَ ، وَقَالَ :

(١) وهما : جبل أبي قُبَيْس ، ومقابله : قعيقعان .

(٢) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٣٠٥٩) ، ومُسلم برقم (١٧٩٥/١١١) .

(إِنَّ بَنِي عَامِرٍ - أَي : ابْنِ لُؤَيٍّ - لَا تُجِيرُ عَلَى بَنِي كَعْبٍ بَنِ لُؤَيٍّ بَنِ غَالِبٍ) ، فَبَعَثَ إِلَى الْمُطْعِمِ بَنِ عَدِيِّ النَّوْفَلِيِّ ، فَلَبَسَ سِلَاحَهُ ، هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، وَخَرَجُوا إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَبَعَثُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ أَدْخُلَ ، فَدَخَلَ ﷺ فِي جَوَارِهِمْ ، فَطَافَ بِ(الْكَعْبَةِ) وَأَنْصَرَفَ .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ (بَذْرِ) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بَنِ عَدِيِّ حَيًّا وَكَلَّمَنِي فِي / هَؤُلَاءِ [النَّسْبِ] - يَعْنِي : الْأَسْرَى - لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ » (١) [٩٤ق] وَكَانُوا سَبْعِينَ أَسِيرًا .

وَفِي (٢) السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ ، فِي الْمَوْسِمِ مِنْهَا : أَجْتَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي عَرْضِ نَفْسِهِ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي مَجَامِعِهِمْ بِالْمَوْسِمِ بـ (مَنَى ، وَعُرَفَاتٍ) أَيُّهُمْ يَمْنَعُهُ وَيُؤْوِيهِ .

وَأَجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ لِيَأْمُرَهُمْ بِمَا يَرْمُونَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَوْسِمِ ، لَتَكُونَ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً ، وَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَقُولُوا سَاحِرٌ أَوْ شَاعِرٌ أَوْ كَاهِنٌ أَوْ مَجْنُونٌ ، فَقَالَ : (وَاللَّهِ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ وَلَا سَاحِرٍ وَلَا كَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا مَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ ، وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ) ، قَالُوا : فَكَيْفَ نَقُولُ فِيهِ ؟ فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : (إِنَّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ فِيهِ أَنْ تَقُولُوا سَاحِرٌ ، جَاءَ بِقَوْلٍ هُوَ سِحْرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ ، فَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَجَعَلُوا يُلْقَوْنَهُ إِلَى مَنْ قَدِمَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمَوْسِمِ .

-
- (١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْمِ (٢٩٧٠) . عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 (٢) قُلْتُ : وَهَذَا بَعْدَ رَجُوعِهِ مِنَ الطَّائِفِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْبُعْثَةِ . وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ الْإِسْلَامَ عَلَى الْقَبَائِلِ مِنْذُ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِبُعْثَتِهِ .

وَكَانَ أَبُو لَهُمْ يَقْفُو أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَكَلَّمَا أَتَى قَوْمًا وَدَعَاهُمْ إِلَى
اللَّهِ كَذَبَهُ عُمُهُ وَحَذَّرَهُمْ مِنْهُ .

وفي الوليد بن المغيرة أنزل الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْدِنَا عَيْنِدَا
* سَارُهُنَّ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ * فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ
* ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سَعْرٌ يُؤْثِرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ
الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [سورة المدثر ٧٤/٢٦-١٦] (١) .

ولمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى كَرَامَةَ الْأَنْصَارِ ، وَإِعْزَازَ دِينِهِ بِهِمْ ، لَقِيَ
النَّبِيَّ ﷺ فِي ذَلِكَ الْمَوْسِمِ سِتَّةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ مَا عَرَضَ
عَلَى غَيْرِهِمْ ، فَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي تُوَاعِدُنَا بِهِ
الْيَهُودُ ، فَلَا يَسْبِقُونَا إِلَيْهِ (٢) .

وَكَانَ الْيَهُودُ يَقُولُونَ لَهُمْ : قَدْ أَظَلَّ (٣) زَمَانُ نَبِيٍّ سَوْفَ نَتَّبِعُهُ ،
وَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾
- أَي : يَسْتَنْصِرُونَ - ﴿ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا
بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة ٨٩/٢] .

وَكَانُوا قَدْ وُضِعَتْ عَلَيْهِمْ تَكَالِيفُ شَاقَّةٌ ، وَحُرِّمَتْ / عَلَيْهِمْ [ق٩٥]
طَيِّبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ ، فَوَعِدُوا بِوَضْعِ التَّكَالِيفِ وَحِلِّ الطَّيِّبَاتِ
عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :
﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدُوهُمْ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي

(١) عَيْنِدَا : مُعَانِدًا مُخَالِفًا . بَسَرَ : كَرَّةً وَجْهَهُ .

(٢) ابْنُ هِشَامٍ ، ج ١/٤٢٨ .

(٣) أَظَلَّ : قَرُبَ .

التَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴿١﴾ - أَي: حِمْلَهُمُ الثَّقِيلَ - ﴿وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الأعراف ١٥٧/٧] ؛ [وقوله تعالى]: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [سورة البقرة ٢/٢٨٦] .

إسلام النفر الذين لقبهم النبي ﷺ في الموسم
فلما عَرَضَ نَفْسَهُ^(١) عَلَى السَّيِّئَةِ النَّفَرِ مِنَ الْأَنْصَارِ^(٢) ، أَنَوَّهُ لِيلاً فَاْمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ ، وَقَالُوا : إِنَّ قَوْمَنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ ، فَإِنْ جَمَعَنَا اللَّهُ بِكَ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ عَلَيْنَا مِنْكَ .

فلما قَدِمُوا (المَدِينَةَ) أَخْبَرُوا قَوْمَهُمْ ، وَفْشا فِيهِمُ الْإِسْلَامُ ، فلم تَبَقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَكَانَ ذَلِكَ عَقِيبَ يَوْمِ (بُعَاثٍ)^(٣) - بِمَوْحَدَةٍ مَضْمُومَةٍ ، ثُمَّ مُهْمَلَةٍ وَمُثَلَّثَةٍ - وَهُوَ يَوْمٌ وَقَعَتْ فِيهِ مَقْتَلَةُ عَظِيمَةٍ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي شَوَالٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» ، كَانَ يَوْمُ (بُعَاثٍ) يَوْمًا قَدَّمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ وَقد أَفْتَرَقَ مَلَأُوهُمْ ، وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ ، وَجُرِّحُوا ، فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ^(٤) .

(١) قُلْتُ : كَانَ ذَلِكَ فِي مَوْسَمِ الْحَجِّ مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ بَعَثَتِهِ ﷺ .

(٢) وَهُمْ : أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَعُوفُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ ، وَقُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِيَابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . (ابن هشام ، ج ١/٤٢٩) .

(٣) بُعَاثٌ : مَوْضِعٌ قَرِبَ الْمَدِينَةِ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٥٦٦) . سَرَوَاتُهُمْ : خِيَارُهُمْ وَأَشْرَافُهُمْ وَعَظَمَائُهُمْ .

وفي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ^(١) : عُقِدَ نِكَاحُ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وفي « صحيح البخاري » تُوفِّيتُ خَدِيجَةُ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بثلاثِ سنينَ ، وَنَكَحَ عَائِشَةَ بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ بِسِتِّينَ أَوْ قَرِيباً مِنْ ذَلِكَ ، وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سنينَ ، وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ - أَي : بَعْدَ سَنَةٍ وَنِصْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ ، فِي شَوَّالٍ أَيْضاً^(٢) .

وفي « الصَّحَّاحِينَ » ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِعَائِشَةَ : « أُرِيْتُكَ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ ، رَأَيْتُ الْمَلَكَ يَحْمِلُكَ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ ، فَقَالَ : هَذِهِ زَوْجَتُكَ ، فَأَكْشِفُ ، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ ، فَقُلْتُ : إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضِهِ^(٣) .

وفي الْمَوْسَمِ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ : وَافَاهُ اثْنَا عَشَرَ / رَجُلًا مِنْ [ق٩٦] الْأَنْصَارِ ، فَبَايَعُوهُ عِنْدَ (الْعُقْبَةِ) بَيْعَةَ النِّسَاءِ^(٤) : ﴿ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴾ ، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، [سورة الْمُمتحنة ٦٠/١٢] . وَرَجَعُوا .

وَبَعَثَ مَعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يُقَرِّئُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَنْتَشَارَ الْإِسْلَامَ فِيهَا

(١) قُلْتُ : لَعَلَّ الصَّوَابَ فِي الْحَادِيَةِ عَشْرَةِ ؛ حَيْثُ إِنَّ زَوْاجَهُ ﷺ مِنْهَا كَانَ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةِ لِلْبُعْثَةِ . وَأَنَّ بَنَاءَهُ بِهَا كَانَ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْأُولَى لِلْهِجْرَةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . (الرِّحْقُ الْمُخْتَوِّمُ ، ص ١٥٤) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٦٨٣) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٦٨٢) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٧٩/٢٤٣٨) . سَرَقَةٌ : قِطْعَةُ حَرِيرٍ فَاخِرَةٍ .

(٤) قُلْتُ : أَيِّ عَنِي وَفَقَ مَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ بَيْعَةُ النِّسَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ عَامَ الْحَدِيدِيَّةِ . (الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ، ج ٣ / ١٥١) . وَقَدْ تَمَّتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ لَيْلَةَ الْعُقْبَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةِ لِلْبُعْثَةِ ، قَبْلَ مُهَاجَرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ بِسَنَةٍ وَثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ .

القرآن ، فأسلم على يديه السعدان : سعد بن مُعاذٍ سيّد الأوس ، وسعد بن عبادة سيّد الخزرج ، فأسلم لإسلامهما كثيرٌ من قومهما .
وفي الموسم من السنة الثالثة عشرة : خرج حُجاج الأنصار من المسلمين مع حُجاج قومهم من المشركين ، فلما قدموا (مكة) ، واعدوا رسول الله ﷺ في (العقبة) من أوسط ليالي التشريق ؛ فلما كان ليلة الميعاد باتوا مع قومهم ، فلما مضى ثلث الليل خرجوا مُستخفين ، فلما اجتمعوا بالشعب عند (العقبة) ، جاءهم رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس ، وهو يومئذ باقٍ على دينه ، لكن أراد أن يتوثق لابن أخيه ، فتكلم رسول الله ﷺ وقال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم ؟ » ، قالوا : نعم ، فقال لهم : « أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبا كفلاء على قومهم » ، فأخرجوهم .

وهم تسعة من الخزرج : أسعد بن زُرارة - بضم الزاي - ، والبراء بن معرور - بمهملات - ، ورافع بن مالك بن عجلان ، وسعد بن الربيع ، وسعد بن عبادة ، وعبادة بن الصامت ، وعبد الله بن رواحة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام - والد جابر - والمُنذر بن عمرو .

وثلاثة من الأوس ، وهم : أسيد بن حُصير - مصغرين ، وبحاء - مُهملة وضاد مُعجمة - ورفاعة بن عبد المُنذر ، وسعد بن خيشمة - بمعجمة مفتوحة وتحتية ثم مُثلثة - رضي الله عنهم أجمعين .
فقال لهم رسول الله ﷺ : « إن أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين^(١) لعيسى ابن مريم ، وأنا الكفيل على قومي ؟ » ،

(١) الحواريون : المخلصون لأنبيائهم ، المناصرون لهم .

قالوا : نعم ، فبايعوه ، ووعدهم على الوفاء : الجنة . وجُمِلَتْهُمْ :
[ق٩٧]

وروي أَنَّ جبريلَ عليه السَّلامُ كانَ إلى جنبِ النَّبيِّ ﷺ عندَ مبايعَتِهِمْ ، وهو يُشيرُ إليهم واحدًا بعدَ واحدٍ^(١) .

ولَمَّا تَمَّتِ البيعةُ صاحَ إبليسُ - لعنه اللهُ - صيحةً مُنكرةً ، مُشَبِّهاً صوتَه بصوتِ مُنبئهِ الحجاجِ السَّهميِّ : يا أَهلَ (مِنى) : هَذَا مُحَمَّدٌ وَأَهْلُ (يَثْرِبَ) قَدْ أَجْتَمَعُوا لِحَرْبِكُمْ ، فقالَ لَهُ رسولُ الله ﷺ : « أَيَّ عَدُوِّ اللهِ ، أَمَا وَاللهِ لَا فُرْغَنَ لَكَ »^(٢) ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا .

فلَمَّا أَصْبَحُوا عَدَتْ عَلَيْهِمْ رؤساءُ قُريشٍ ، وقالوا : يا معشرَ الخُزرجِ ، بَلَّغْنَا أَنتُمْ جِئْتُمْ إلى صَاحِبِنَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا ، وَتُبَايَعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا ، وَإِنَّهَ وَاللهِ مَا حَيٌّ مِنَ الْعَرَبِ أَبْغَضُ عَلَيْنَا أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْكُمْ ، فَحَلَفَ مُشْرِكُوا الْأَنْصَارِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ وَلَا عَلِمْنَاهُ ، وَصَدَقُوا ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا .

فلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ مِنْ (مِنى) فَتَشَّتْ قُريشٌ عَنِ الْخَبْرِ فوجدوه قَدْ كَانَ ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِ الْقَوْمِ ففَاتَوْهُمْ ، إِلَّا أَنَّهْمُ أَدْرَكُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، فَرَجَعُوا بِهِ أَسِيرًا يَضْرِبُونَهُ ، فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْهُمْ مُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ وَالْحَارِثُ بْنُ حَرْبٍ بْنِ أُمَيَّةَ ؛ لَصْنَائِعَ كَانَتْ لِسَعْدٍ فِي رِقَابِهِمَا ، وَخَوَّفُوا قُريشاً مِنْ تَعَرُّضِ الْأَنْصَارِ لَهُمْ عَلَى طَرِيقِ (الشَّامِ) .

ثُمَّ إِنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ بِهَا »^(٣) .

(١) دلائل النبوة ، ج ٢ / ٤٥٣ .

(٢) ابن هشام ، ج ٢ / ٤٤٧ .

(٣) ابن هشام ، ج ١ / ٤٦٨ .

وَأَمَرَهُم بِالْهَجْرَةِ إِلَى (الْمَدِينَةِ) ، فَهَاجَرُوا إِلَيْهَا ، فَلَقُوا عِنْد
الْأَنْصَارِ خَيْرَ دَارٍ وَخَيْرَ جَوَارٍ ، أَثَرُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَقَاسَمُوهُمْ فِي
أَمْوَالِهِمْ .

وبذلك أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِمْ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا
وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [سورة الحشر ٥٩/٩] ،
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ .

وفي « الصَّحَّاحِينَ » ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا
مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا ،
لَسَلَكَتُ وَادِي الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ » (١) .

ثَنَاءُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى
الْأَنْصَارِ

[ق ٩٨] وفيهما - [أي : الصَّحَّاحِينَ] - أَنَّهُ ﷺ / قَالَ قُبِيلَ مَوْتِهِ : « أُوصِيكُمْ
بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْتِي ، قَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْنَهُمْ ، وَبَقِيَ
الَّذِي لَهُمْ ، فَأَقْبِلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ » (٢) .

وَأَقَامَ ﷺ بـ (مَكَّةَ) يَنْتَظِرُ الْإِذْنَ فِي الْهَجْرَةِ ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ
إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْمُشْرِكُونَ ، وَإِلَّا أَبُو بَكْرٍ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ؛
فَإِنَّهُمَا حَبَسَا أَنْفُسَهُمَا عَلَى صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

اِنْتِظَارُ النَّبِيِّ ﷺ الْإِذْنَ
بِالْهَجْرَةِ

وفي « صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ » ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « رَأَيْتُ فِي
الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ ، فَذَهَبَ وَهَلِيَ إِلَى أَنَّهَا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٦٨١٨) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٠٦١/١٣٩) . عَنْ
عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٥٨٨) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٥١٠/١٧٦) . عَنْ
أَنْسَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . كَرِشِي : بَطَانَتِي وَمَوْضِعُ سَرِّي . عَيْتِي :
مَوْضِعُ النَّصْحِ لَهُ ، وَالْأُمْنَاءُ عَلَى سَرِّهِ .

الِيَمَامَةُ [أَوْ هَجَرُ] ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرُبُ ^(١) .

قُلْتُ : هَكَذَا سَمَّاها (يَثْرَبُ) ، ثُمَّ سَمَّاها (طَبِيبَةً) ، وَنَهَى عَنْ تَسْمِيَتِهَا (يَثْرَبُ) ^(٢) .

[وَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ »] ، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَأَبْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَكَانُوا يُقَرِّئَانِ النَّاسَ ، ثُمَّ قَدِمَ سَعْدٌ - أَبِي : ابْنُ أَبِي وَقَاصٍ - وَبِلَالٌ ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عَشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ ^(٣) .

فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ مَا لَقِيَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ طِيبِ الدَّارِ ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ ، خَافُوا خُرُوجَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَاجْتَمَعُوا فِي أَوَّلِ الْمُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ فِي (دَارِ النَّدْوَةِ) ^(٤) ، وَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِ ، وَتَصَوَّرَ لَهُمْ إِبْلِيسُ - [لَعْنَهُ اللَّهُ] - فِي صُورَةِ شَيْخٍ نَجْدِيٍّ ، مُشَارِكاً لَهُمْ فِي الرَّأْيِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٤٢٥) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٢٧٢/٢٠) . عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَهَلِي : ظَنِّي وَأَعْتَقَادِي . هَجَرُ : قَاعِدَةُ الْبَحْرَيْنِ الْمَدِينَةُ الْمَعْرُوفَةُ ، وَهِيَ مَحَافِظَةُ الْأَحْسَاءِ الْيَوْمَ ، تَقَعُ شَرْقِي الْمَنْطَقَةِ الشَّرْقِيَّةَ بِالْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ .

(٢) وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَعْنَى يَثْرَبُ : الْفَسَادُ ، وَمَعْنَى طَبِيبَةٌ : الطَّيِّبُ . وَمِنْهُ : جَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ طَبِيبَةً طَهُورًا ، أَيْ : نَظِيفَةً غَيْرَ خَبِيثَةٍ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٧١٠) .

(٤) قُلْتُ : صَارَتْ دَارُ النَّدْوَةِ بَعْدَ قِصِيِّ لَوْلَدِهِ عَبْدِ الدَّارِ ، فَبَقِيَتْ فِي نَسْلِهِ حَتَّى اشْتَرَاهَا مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ مِنْ عِكْرَمَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ، وَجَعَلَهَا دَارَ الْإِمَارَةِ ، وَقِيلَ : لَمَّا حَجَّ مَعَاوِيَةُ اشْتَرَاهَا مِنَ الزُّبَيْرِ الْعَبْدَرِيِّ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ صَارَتْ كُلُّهَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بَعْدَ تَوْسِعَتِهِ .

فَقَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ : أَرَى أَنْ تَرْبِطُوهُ فِي الْحَدِيدِ ، وَتُغْلِقُوا دُونَهُ
الْأَبْوَابَ حَتَّى يَمُوتَ ، وَقَالَ آخَرُ : أَرَى أَنْ تُخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنِ
أَظْهُرِكُمْ ، فَتَسْتَرِيحُوا مِنْهُ ، وَإِنْ قَتَلْتُمْ غَيْرَكُمْ كَفَاكُمْ شَرَّهُ ، وَإِنْ ظَفَرَ
بِالْعَرَبِ فَعِزُّهُ عَنْ عِزِّكُمْ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : الرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تُخْرِجُوا
لَهُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلًا ، فَيَقْتُلُوهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، فَيَتَفَرَّقَ دَمُهُ فِي
الْقَبَائِلِ ، فَيَعْجَزَ قَوْمُهُ عَنْ طَلَبِ الثَّارِ بِهِ . فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : هَذَا
وَاللَّهِ هُوَ الرَّأْيُ . فَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ .

الإِذْنُ بِالْهَجْرَةِ [ق ٩٩] فَأَخْبَرَ / جَبْرِيلُ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا قَصَدُوا لَهُ ، وَأَمَرَهُ بِالْهَجْرَةِ لَيْلَةً
كَذَا ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي عَلِمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ يَمْكُرُونَ بِهِ فِيهَا .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِيُبْتِلُواكَ - أَي : يَحْسِبُوكَ - ﴾ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ
اللَّهُ - أَي : يُحَارِبُهُمُ اللَّهُ - ﴾ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَمْكُرِينَ ﴾ [سورة الأنفال ٨ / ٣٠] ^(١) .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ تَجَهَّزَ لِلْهَجْرَةِ إِلَى (الْمَدِينَةِ) ،
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَلَى رِسْلِكَ - أَي : أَمِهْلْ - فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ
يُؤْذَنَ لِي فِيهَا » . فَعَلَفَ أَبُو بَكْرٍ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ التَّمْرِ ^(٢) .

الإِسْرَارُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْهَجْرَةِ

(١) قُلْتُ : قَدْ يَقُولُ قَاتِلٌ : مَا بَالُ التَّرْتِيبِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَمْ يَأْتِ عَلَى حَسَبِ
الْوَاقِعِ ، وَلَمْ وَسَّطِ اللَّهُ الْقَتْلَ مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَشَاوِرَةِ بَدَارُ النَّدْوَةِ آخِرًا ؟ .
وَالْجَوَابُ : أَنَّ هَذَا مِنْ عَجِيبِ أَسْلُوبِ الْقُرْآنِ ، وَبَدِيعِ طَرِيقَتِهِ ، ذَلِكَ أَنَّ
الرَّأْيَ الَّذِي اخْتَارُوهُ هُوَ الْقَتْلُ ، فَجَاءَتِ الْآيَةُ عَلَى هَذَا النَّسْقِ الْبَدِيعِ مِنْ
تَوْسِيطِ الْقَتْلِ بَيْنَ الْحَبْسِ وَالْإِخْرَاجِ ، لِتَدَلَّ الْآيَةُ بِوَضْعِهَا وَتَرْتِيبِهَا عَلَى
الرَّأْيِ الْوَسْطِ الْمَخْتَارِ ، وَهُوَ سَرٌّ مِنْ أَسْرَارِ الْإِعْجَازِ . فَلِلَّهِ رَبِّ التَّنْزِيلِ
مَا أَكْرَمَهُ وَمَا أَبْلَغَهُ .

(٢) قُلْتُ : كَانَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ رَاحِلَتَانِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ : خُذْ بَأْبِي =

قالت عائشة رضي الله عنها : فبينما نحنُ جلوسٌ في نحرِ الظَّهيرة - حينَ تبلغُ الشَّمْسُ مُنتهاها مِن الارتفاع ، كأنَّها وصلت إلى النحر ، وهو أعلى الصدر - إذ أقبلَ رسولُ الله ﷺ فقال أبو بكرٍ : فداهُ أبي وأُمِّي ، ما جاءنا في هذه السَّاعة التي لم يكن يأتينا فيها إلَّا لأمرٍ قد حدث ، فلمَّا دخلَ ﷺ قالَ لَهُ : « أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ » ، قالَ : فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ . قالَ : « فَإِنِّي قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ »

وواعده وقتَ السَّحر ، وأمرهُ بالتَّجهيز .

قالت عائشة : فجهَّزناهُما أحثَّ الجَهاز - بالُمثْلثة ، أي : أسرعهُ - وأستأجرا رجلاً دليلاً ماهراً^(١) ، قد دفعنا إليه راحِلَتَيْهِما ، وواعداهُ (غارِ ثَوْرٍ) بعد ثلاث لَيالٍ .

ثمَّ لحقَّا بـ(الغار) ، فمكثا فيه ثلاثاً يَبِيتُ عندهُما عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ ، وهو يومئذٍ غلامٌ فطِنٌ ، وَيَدْلِجُ^(٢) مِنْ عندهِما بِسَحَرٍ ، فيصبحُ بـ(مَكَّةَ) مع قُرَيْشٍ كَبائِتٍ فيها ، فلا يَسْمَعُ أمراً يُكادانِ به إلَّا وعاهُ ، وأتاهُما بِذلك حينَ يَخْتَلِطُ الظَّلامُ ، ويرعى عليهما عامرُ بنُ فُهيرةَ مولى أبي بكرٍ مَناعٍ مِنْ غَنَمٍ^(٣) ، فيريحُها عليهما عشيّاً^(٤) ،

= أنت يا رسول الله إحدى راحِلَتَيِ هاتين ، فقال رسول الله ﷺ : « بِالثَّمَنِ » . فأخذ إحداهما ، وهي : القِصْواءُ . وإنَّما اشترط النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يكونَ ذلك بالثَّمَنِ مع أَنَّ أبا بكرٍ أنفقَ مالَهُ في سبيلِ الله ورسولِهِ ؛ لأنَّهُ أَحَبُّ إلَّا تكونَ هِجرَتُهُ إلَّا من مالِ نَفْسِهِ . وكان ثمنُها أربع مئة درهم .

(١) وهو : عبد الله بن أُرَيْقُط . (ابن هشام ، ج ١ / ٤٨٥) .

(٢) يَدْلِجُ : يخرج وقتَ السَّحر منصرفاً إلى مَكَّةَ .

(٣) منحةٌ من غنمٍ : غنماً فيها لبنٌ .

(٤) أي : يأوي بها ليلاً .

وَيَنْعَقُ بِهَا مِنْ عِنْدِهِمْ ^(١) .

وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَبْلَ خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ دَارِهِ قَدْ قَعَدُوا لَهُ عَلَى بَابِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَعَلِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « نَمَ عَلَى فِرَاشِي ، وَتَسَجَّ بِبُرْدِي الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ فَنَمَ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ [ق ١٠٠] إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ » ^(٢) / .

وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبِيَدِهِ حَفْنَةٌ مِنَ التُّرَابِ ، وَهُوَ يَتْلُو فِيهَا صَدْرَ سُورَةِ (يَس) إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة يس ٣٦/٩] .

فَأَعْمَى اللَّهُ أَبْصَارَهُمْ عَنْهُ ، وَجَعَلَ يَنْثُرُ عَلَى رُؤُوسِهِمُ التُّرَابَ ، فَأَتَاهُمْ آتٍ ، فَقَالَ : مَا تَنْتَظِرُونَ؟ قَالُوا : مُحَمَّدًا ، قَالَ : خِيَيْكُمْ اللَّهُ!! وَاللَّهِ لَقَدْ خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ وَمَا تَرَكَ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا ، فَتَفَقَّدُوا رُؤُوسَهُمْ فَوَجَدُوا التُّرَابَ عَلَيْهَا كَمَا قَالَ .
ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى الْفِرَاشِ فَوَجَدُوا عَلِيًّا مُسَجًى بِالْبُرْدِ ، فَبَقُوا مُتَحِيرِينَ ، وَفَتَرَ حِرْصُهُمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ .

فَلَمَّا عَلِمُوا بِخُرُوجِهِمْ وَقَعُوا فِي الْأَسْفِ ، فَطَلَبُوهُمْ بِأَشَدِّ وَجْهِهِ الطَّلَبِ ، وَأَخَذُوا عَلَى الطَّرِيقَاتِ بِالرَّصَدِ ، وَجَعَلُوا دِيَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ أَسْرَهُ أَوْ قَتَلَهُ ^(٣) .

وَمَرُّوا عَلَى (غَارِهِمَا) ، فَأَعْمَى اللَّهُ أَبْصَارَهُمْ عَنْهُمَا ، وَالْهَمَّ اللَّهُ الْعَنْكَبُوتَ فَتَسَجَّتْ عَلَى فَمِ (الْغَارِ) ، وَحِمَامَتَيْنِ فَعَشَّشَتَا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٦٩٢ - ٣٦٩٤) . يَنْعَقُ الرَّاعِي بَغْنَمِهِ : يَصِيحُ بِهَا وَيَزْجُرُهَا .

(٢) ابْنُ هِشَامٍ ، ج ١ / ٤٨٢ - ٤٨٣ .

(٣) وَهِيَ مِثَّةُ نَاقَةٍ .

على فمه ، فلمّا رأوا ذلك قالوا : لو دخله أحدٌ ما كان هكذا .

وفي « الصحيحين » ، من حديث أنس بن مالك ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال : نظرتُ إلى أقدام المُشركين ونحن في الغار ، وهم على رؤوسنا ، فقلتُ : يا رسول الله ، لو أنّ أحدهم نظرَ إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ، فقال : « يا أبا بكرٍ ، ما ظنُّكَ بأنَّيْنِ اللهُ ثالثُهُما » (١) .

وفي ذلك يقولُ الله تعالى : ﴿ إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِثَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [سورة التوبة ٤٠/٩] .

وما أحسنَ قولَ صاحبِ البُرْدة - رحمه الله تعالى - فيهما ، [مِنْ البسيط] (٢) :

أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ
مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ (٣)
وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي
فَالصَّدُوقُ فِي الْغَارِ وَالصَّدِيقُ لَمْ يَرِ
وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمِ (٤)
/ ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى
خَيْرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحْمِ

[ق١٠١]

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٣٤٥٣) .

(٢) البُرْدة ، في معجزاته ﷺ ، ص ٣٤ .

(٣) يُريدُ أنّ للقمر المنشقَّ نسبةً إلى قلب النبي ﷺ ؛ فقد كان يناغيه صغيراً .

(٤) لم يَرِما : لم يبرح . من أَرَم : من أحد .

وَقَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةِ

مِنَ الدَّرْعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأُطْمِ^(١)

وبعد الثلاثِ جاءَهُمُ الدَّلِيلُ^(٢) بالراحلتين فارتحلوا ، وأردفَ النَّبِيُّ ﷺ عامرَ بنَ فُهَيْرَةَ ليخدمَهُمَا ، فأخذ بِهِم الدَّلِيلُ طريقَ السَّوَاحلِ .

مدّة إقامة النَّبِيِّ ﷺ في الغار

وفي « الصَّحِيحِينَ » ، من حديث البراءِ بنِ عازبٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا ، عن أبي بكرٍ الصَّدِّيقِ رضيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : فَأَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا كُلَّهَا ، حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهيرةِ^(٣) ، وَخَلَا الطَّرِيقُ فَلَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ ، حَتَّى رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ^(٤) طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ ، لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدُ ، فَزَلْنَا عِنْدَهَا ، فَأَتَيْتُ الصَّخْرَةَ وَسَوَّيْتُ بِيَدِي مَكَانًا يَنَامُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ بَسَطْتُ عَلَيْهِ فَرَوْهَ ، ثُمَّ قُلْتُ : نَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَنَا أَنْفَضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ^(٥) ، فَنَامَ ، وَخَرَجْتُ أَنْفَضُ مَا حَوْلَهُ - أَيِ : أَسْتَبْرِئُهُ - ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بَغْنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ ، يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَاهُ ، فَلَقَيْتُهُ ، فَقُلْتُ ، لِمَنْ أَنْتَ يَا غَلَامُ ؟ ، فَقَالَ : لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ - يَعْنِي : (مَكَّةَ) ، فَهُوَ صِفَةٌ لَا عِلْمَ - فَقُلْتُ : أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : أَفَتَحْلِبُ لِي ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ،

خروج النَّبِيِّ ﷺ إلى المدينة

(١) الْأُطْمُ : الحصن .

(٢) قُلْتُ : وهو عبد الله بن أُرَيْقِطَ ، وكان على دين كفّار قريش ، ولم يعرف له إسلام قط . وهذا يدلُّ على مروءة العرب ، ووفائهم وأمانتهم ، وإلّا فقد كان يمكنه أن يدلَّ المشركين عليهما ، ويأخذ المكافأة .

(٣) قائم الظهيرة : نصف النهار ، وهو حال استواء الشَّمْسِ . سُمِّيَ قائماً لِأَنَّ الظِّلَّ لَا يَظْهَرُ فَكَأَنَّهُ واقِفٌ قائمٌ . (أنصاري) .

(٤) رفعت لنا صخرة : ظهرت لأبصارنا ، (أنصاري) .

(٥) أَيِ : أَحْرُسُكَ وَأَنْظِرَ جَمِيعَ مَا فِي الْمَكَانِ .

فَأَخَذَ شَاةً ، فَقُلْتُ لَهُ : اِنْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ الشَّعْرِ وَالثَّرَابِ وَالْقَذَى ،
 فَحَلَبَ لِي فِي قَعْبٍ مَعَهُ - أَي : قَدَح - كُثْبَةً^(١) مِنْ لَبَنٍ ، قَالَ : وَمَعِيَ
 إِدَاوَةٌ^(٢) أَرْتَوِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ ، لِيَشْرَبَ مِنْهَا وَيَتَوَضَّأُ ، قَالَ : فَأَتَيْتُ
 النَّبِيَّ ﷺ وَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ ، فَوَقَفْتُ حَتَّى اسْتَيْقَظَ . - وَفِي
 رَوَايَةٍ : فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ - فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى بَرَدَ
 أَسْفَلُهُ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَشْرَبُ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ ، فَشَرِبَ حَتَّى
 رَضِيتُ ، ثُمَّ قَالَ : « أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ ؟ » ، قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ :
 فَأَرْتَحِلْنَا بَعْدَمَا زَالَتِ الشَّمْسُ ، فَاتَّبَعْنَا سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكٍ ، وَنَحْنُ فِي
 جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ / - أَي : مَوْضِعٍ صَلَبٍ - فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ [ق١٠٢]
 أَتَيْنَا ، فَقَالَ : « لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » ، فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ،
 قَالَ : فَأَرْتَطَمْتُ فَرْسُهُ إِلَى بَطْنِهَا^(٣) ، فَقَالَ : إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ قَدْ
 دَعَوْتُمَا عَلِيَّ ، فَادْعُوَا لِي ، فَاللَّهُ لَكُمْ أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ ، فَدَعَا لَهُ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنَجَا ، فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ : قَدْ كَفَيْتُكُمْ
 مَا هَاهُنَا ، وَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ ، فَوَفَّى لَنَا^(٤) .

فَأَقَامَ ﷺ بـ (قُبَاءٍ) ، ثُمَّ دَخَلَ (الْمَدِينَةَ) يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ أَيْضًا^(٥) .
 وصول النبي ﷺ إلى قُبَاءٍ

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَقَدِمْنَا (الْمَدِينَةَ) لَيْلًا ، فَتَنَازَعُوا
 عَلَى أَيِّهِمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ ﷺ : « أَنْزِلْ عَلَى بَنِي النَّجَارِ ، أَحْوَالُ
 دخول النبي ﷺ المدينة، ودعوة الأنصار له بالنزول عندهم

(١) الكُثْبَةُ : هِيَ قَدْرُ حَلْبَةٍ خَفِيفَةٍ .

(٢) الإِدَاوَةُ : إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ .

(٣) أَي : غَاصَتْ قَوَائِمُهَا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الْجَلْدِ . (أَنْصَارِي) .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٤١٩) .

(٥) قُلْتُ : لَقَدْ كَانَ دُخُولُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى قُبَاءٍ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ، أَمَّا وَصُولُهُ إِلَى

الْمَدِينَةِ فَكَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ . وَسَيَأْتِي ذَلِكَ فِيمَا بَعْدَ ص ٢٥٣ .

عَبْدِ الْمُطَّلَب ، أَكْرَمُهُمْ بِذَلِكَ « (١) .

فَصَعِدَ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ ، وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْحَدَمُ يُنَادُونَ : جَاءَ مُحَمَّدٌ ، جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (٢) .

وفي « صحيح البخاري » ، أَنَّ سُرَاقَةَ قَالَ : فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ (٣) .

خبرُ إسلامِ سُرَاقَةَ

زَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْهُ ، قَالَ : فَلَقِيْتَهُ بِ (الْجِعْرَانَةِ) فَرَفَعْتُ يَدِي بِالْكِتَابِ ، فَقُلْتُ : هَذَا كِتَابُكَ لِي ، فَقَالَ : « نَعَمْ ، هَذَا يَوْمٌ وَفَاءٍ وَبِرٍّ ، أُذُنٌ » (٤) فَدَنَوْتُ ، فَأَسْلَمْتُ .

قَالَ عُمَرَاءُ السَّيِّدِ : وَلَمْ تَذَرِ قُرَيْشٌ أَيْنَ تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى سَمِعُوا وَقْتَ الصُّبْحِ هَاتِفًا مِنْ مُؤْمِنِي الْجِنِّ يُنْشِدُ بِ (مَكَّةَ) فِي الْهَوَاءِ ، [مِنْ الطَّوِيلِ] (٥) :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ [الْعَرْشِ] خَيْرَ جَزَائِهِ
رَفِيقَيْنِ حَلَا خَيْمَتِي أُمِّ مَعْبَدٍ (٦)
هُمَا نَزَلَا بِالْبِرِّ ثُمَّ تَرَحَّلَا
فَيَا فَوْزَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
فِيَالِ قَصِيٍّ مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ
بِهِ مِنْ فَخَارٍ لَا يُجَارَى وَسُودِدِ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٠٠٩/٧٥) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي « الْمُسْتَدْرَكِ » ، ج ٣/ ١٢ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٦٩٣) .

(٤) أَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي « مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ » ، ج ٦/ ٥٤ .

(٥) ابْنُ هِشَامٍ ، ج ١/ ٤٨٧ .

(٦) وَأَسْمَاهَا : عَاتِكَةُ بِنْتُ خَالِدِ بْنِ مَنقَذِ الْخَزَاعِيَّةِ .

لِيَهْنَ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ
وَمَقْعُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدٍ
سَلُوا أُخْتُكُمْ عَنْ شَأْنِهَا وَإِنَّا هَا
فَإِنَّكُمْ إِن تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدُ
أَنَّه بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّيْتُ
عَلَيْهِ بِدَرٍّ ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزْبِدٍ

/ وكانوا قد مروا على خيمة أمّ معبد الخزاعيّة الكعبيّة ، فسألوها [ق ١٠٣]

مرورُ النبي ﷺ وأبي
بكر بأَمّ معبد بعد لحاق
سُرَاقَة لَهُم

الزّاد ، فلم يجدوا عندها إلّا شاةً هزيلةً ، قد تخلّفت لضعفها عن
الغنم ، فمسح ﷺ بيده المباركة على ضرّتها - أي : ضرعها - فدرّت
لَهُم بلبنٍ غزيرٍ ، شَرِبَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى ارْتَوَوْا ،
وَأَفْضَلُوا لِأَهْلِ الْخِيْمَةِ مَا يَرْوِيهِمْ .

ثُمَّ أَتَى زَوْجَهَا فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : وَاللّهِ إِنَّهُ لَصَاحِبُ قُرَيْشٍ ،
فَحِينَئِذٍ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَوَجَّهَ إِلَى (الْمَدِينَةِ) ، وَأَنَّ اللَّهَ
نَاصِرٌ عَبْدُهُ ، وَمُظْهَرٌ لَا مُحَالَةَ دِينَهُ^(١) .

(١) ابن هشام ، ج ١/ ٤٨٧ - ٤٨٨ .

البَابُ الثَّامِنُ

في ذكر ما شتم عليه حديث الإسراء من العجائب واحتوى عليه من الأسرار والغرائب

[وذلك] مِنَ الْعُرُوجِ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ ، ثُمَّ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ
أَوْ أَدْنَى ، وَمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ، وَالْمُنَاجَاةِ ، وَالرُّؤْيَا ،
وإِمَامَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، مِمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ﷺ .

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ : وَكَانَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِسَنَةِ ^(١) - أَيِ : فِي
السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ - . ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ : فِي رَمَضَانَ مِنْهَا . وَقَالَ
النَّوَوِيُّ فِي « رَوْضَتِهِ » : فِي رَجَبٍ ^(٢) .

زَمَنُ الْإِسْرَاءِ

وَالْأَصْلُ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى
بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

(١) الشُّفَا ، ج ١ / ٣٤٧ .

(٢) قُلْتُ : لَمْ يَتَّفَقِ الْعُلَمَاءُ عَلَى ضَبْطِ تَارِيخِ الْإِسْرَاءِ ، وَلَكِنَّ الثَّابِتَ الَّذِي
ظَهَرَ لَنَا بَعْدَ النَّظَرِ فِي الرُّوَايَاتِ أَنَّ حَادِثَ الْإِسْرَاءِ وَقَعَ مُتَأَخِّرًا ، لِأَنَّ
خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُوَفِّتَ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلنُّبُوَّةِ عَلَى
الصَّحِيحِ ، وَكَانَتْ وَفَاتَهَا قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَلَا خِلَافَ
أَنَّ فَرَضَ الصَّلَوَاتِ كَانَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ . وَلَكِنَّ الْعُلَمَاءَ مُتَّفَقُونَ عَلَى أَنَّ
الْإِسْرَاءَ وَالْمَعْرَاجَ كَانَ إِكْرَامًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ وَتَسْلِيَةً وَتَعْوِضًا عَمَّا
لَقِيَهِ فِي الطَّائِفِ مِنَ الْأَذَى ، وَعَمَّا أَصَابَهُ مِنَ الْحُزَنِ عَلَى وَفَاةِ خَدِيجَةَ ،
وَعَلَى وَفَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، اللَّذَيْنِ بَيْنَ وَفَاتِهِمَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، وَسَمَّاهُ ﷺ
عَامَ الْحُزَنِ . (أَنْظَرَ الْجَامِعَ فِي السَّيْرِ ، ج ١ / ٥٣١) .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿ [سورة النجم ٥٣/ ١١-١٢] ، إلى قوله : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿ [سورة النجم ٥٣/ ١٨-١٧] .

ولا خلاف بين أئمة المسلمين وعلماء الدين في صحة الإسراء به ﷺ ، إذ هو نص القرآن العظيم . ورواه جماعة من الصحابة ، كما أخرجه الحفاظ في أصول الإسلام المشهورة ، ولكن أكملها ترتيباً ووضعاً مارواه مسلم في « صحيحه » من حديث ثابت البُناني .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أُتِيَ بالبُرَاقِ - (وهو / دَابَّةٌ أبيضٌ طويلٌ ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه) - قال : فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ الَّتِي تَرِبُّ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ، فَأَخْتَرْتُ اللَّبَنَ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ : اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ^(١) .

(١) قلت : قال أبو شهبة - رحمه الله - : عبّر عن اللبن بالفطرة ؛ لأنه أول ما يدخل بطن المولود ويشق أمعائه ، وهو الغذاء الذي لم يكن يصنعه غير الله ، والغذاء الكامل المستوفي للعناصر التي يحتاج إليها الجسم في بنائه ونموه ، مع كونه طيباً سائغاً للشاربين . وقد تكرر هذا العرض مرتين ، مرة بعد الصلاة في بيت المقدس - كما في صحيح مسلم - ومرة في السماء - كما في الحديث المتفق عليه - (انظر السيرة النبوية ، ج ١/ ٤٢٦) .

ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ ، فَأَسْتَفْتَحَ^(١) جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ ، قَالَ : جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ ، قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ ، قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا . فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَأَسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ ، قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ ، قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ ، قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا . فَإِذَا أَنَا بِإِبْنِي الْخَالَةِ^(٢) : عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - فَرَحَّبَا بِي وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ - فَذَكَرَ مِثْلَ الْأَوَّلِ - فَفُتِحَ لَنَا . فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ - أَيِ : نِصْفَهُ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْطَى عُسْرُهُ أَوْ دُونُهُ أَوْ فَوْقَهُ ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ أَكْمَلَ لَهُ الْحُسْنَ ، وَيَتَعَيَّنُ أَنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ - قَالَ : فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ - وَذَكَرَ مِثْلَهُ - فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [سورة مريم ١٩/٥٧] - .

(١) استفتَحَ : طلب فتح الباب . والله ملائكة موكلون بكل ما خلق ، وله الحكمة البالغة .

(٢) قلتُ : قَالَ أَبُو شَهْبَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : وَهَذَا عَلَى أَنَّ مَرْيَمَ وَإِشَاعَ أُمُّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا أَخْتَانِ ، وَقِيلَ : إِنَّ إِشَاعَ خَالَةَ مَرْيَمَ ، فَيَكُونُ فِي الْعِبَارَةِ تَسَامُحٌ . وَلَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ عُرْفًا فِي بَعْضِ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ تُعَدُّ خَالَةَ الْأُمِّ خَالَةً لِلابْنِ . (أَنْظُرِ السَّيْرَةَ النَّبَوِيَّةَ ، ج ١/ ٤٢٤) .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ - فَذَكَرَ مِثْلَهُ - فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ - فَذَكَرَ مِثْلَهُ - فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ - فَذَكَرَ مِثْلَهُ - فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ .

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيَّ ، فَإِذَا وَرَقُهَا / كَأَذَانِ الْفِيلَةِ^(١) ، [ق ١٠٥] وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ^(٢) .

فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ - أَيِ : تَلَوْنَتْ بِالْوَانِ مُخْتَلِفَةٍ - فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا .

قَالَ : فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى . فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، فَقَالَ : مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ ؟ ، قُلْتُ : خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ وَأَسْأَلُهُ التَّخْفِيفَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ ، قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي ، فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ، خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي . فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقُلْتُ : حَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، فَقَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلُهُ التَّخْفِيفَ ، قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ مُوسَى ، حَتَّى قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ

(١) يعني في الشكل والكبر .

(٢) القِلَالُ : آتِيَةٌ مِنَ الْفَخَارِ يُشْرَبُ مِنْهَا . مفردُها : قُلَّةٌ .

وَلَيْلَةٍ ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا - وفي رواية : كُتِبَتْ حَسَنَةٌ - فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ ، قَالَ : فَزَلْتُ حَتَّى أُنْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى أَسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ « (١) » .

قُلْتُ : هَذَا مَعَ مَا قَدْ أَفْهَمَهُ ﷺ مِنَ الْإِلْزَامِ لَهُ بِقَوْلِهِ : « إِنَّهُمْ خَمْسٌ » وفي روايةٍ أَيْضًا : « لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ » .

قال القاضي عياض - رحمه الله - : (جَوَدَ ثَابِتٌ - رحمه الله - هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَنَسٍ مَا شَاءَ ، وَلَمْ يَأْتِ عَنْهُ أَحَدٌ بِأُصُوبٍ مِنْ هَذَا . وَقَدْ خَلَطَ فِيهِ غَيْرُهُ عَنْ أَنَسٍ تَخْلِيطًا كَثِيرًا ، لَا سِيَّما مِنْ رِوَايَةِ شَرِيكَ بْنِ أَبِي نَمِرٍ (٢)) . أَنْتَهَى .

قُلْتُ : وَحَدِيثُ شَرِيكَ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ ، وَإِنَّمَا لَمْ يُورِدِ الْبُخَارِيُّ حَدِيثَ ثَابِتٍ هَذَا لِأَنَّ مُسْلِمًا إِنَّمَا رَوَاهُ مِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ ، لَمْ يَرَوْهُ إِلَّا تَعْلِيقًا . [ق١٠٦] وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي / ذَرٍّ وَغَيْرِهِ .

فَاتَعَلَّ

في بعض دقائق الإسراء

وفي قوله ﷺ : « بِالْحَلَقَةِ الَّتِي تَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ » إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ رُكُوبَ الْبُرَاقِ لِلْإِسْرَاءِ غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَيُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْمِ (٢٥٩/١٦٢) .

(٢) الشُّفَا ، ج ١/ ٣٤٧ .

قوله في الرواية الآتية : « فما رَكِبَكَ عَبْدٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدٍ » ،
لكن في ظاهر قول أهل كلِّ سماءٍ : (وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ) ، إشكالٌ لعدم
علمهم ببعثه إلا بعد مُضيِّ هذه المدة ، مع كثرة تردُّد جبريلَ فيها ،
وأنْتشارها عند أهل الأرض ، فضلاً عن أهل السَّماء . وأجاب
بعضُهم : بأنَّه سؤالٌ عن البعثِ إليه للعروج المتوقَّع عندهم لقوله :
(إليه) ، وهو جوابٌ حسنٌ .

وإنَّما لم يَفْتَحْ لَهُ قَبْلَ مجيئه لِيَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا فُتِحَ مِنْ أَجْلِهِ ، كما في
قوله ﷺ : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ » (١) .

والحكمةُ في الإسراء به إلى (بيت المقدس) ما ذكره كعبُ
الأخبار : أَنَّ بَابَ السَّمَاءِ الَّذِي يُسَمَّى (مَصْعَدَ الْمَلَائِكَةِ) يُقَابِلُهُ (بَيْتُ
الْمَقْدِسِ) ، كما أَنَّ (الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ) مُقَابِلُ (الكعبة) .

وأيضاً لِيَحُوزَ ﷺ فَضْلَ شَدِّ الرَّحَالِ إِلَى الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ .

وقوله ﷺ : « يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ »
يَحْتَمِلُ أَيْضاً أَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى
سَعَتِهِ ، وعلى كثرة جنود الله تعالى ، والله أعلم بالصواب .

وعندهما - [أي : البخاري ومسلم] - أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ قَالَ : مرحباً
بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ ، إِلَّا آدَمَ وَإِبْرَاهِيمَ - عليهما السَّلامُ -
فَقَالَا لَهُ : وَالابْنِ الصَّالِحِ (٢) .

(١) أخرجه مُسلم ، برقم (٣٣١/١٩٦) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) وهذه رواية البخاري ومسلم من طريق ابن شهاب عن أنس رضي الله عنه . قلت : لقد أقصر الأنبياء الذين لقيهم ﷺ في السَّماء على وصفه
بصفة الصَّلاح ، لأنَّ فيها جماع الخير كلّهُ ، والصَّالح هو الطَّيِّب في
نفسه ، الَّذِي يقوم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد .

فَاتَعَلَّاهُ

الظَّاهِرُ أَنَّ أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ تَشَكَّلَتْ لَهُ فِي الْعَالَمِ الْأَعْلَى . وَيَجُوزُ
نَقْلُ أَجْسَادِهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ إِكْرَاماً لَهُمْ أَجْمَعِينَ .

ويؤيِّدُ الْأَوَّلَ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ : « فَصَلَّى بِأَهْلِ السَّمَاءِ ، وَفِيهِمْ
أَرْوَاحُ الْأَنْبِيَاءِ » (١) .

وَالظَّاهِرُ أَيْضاً : أَنَّ اخْتِصَاصَ مَنْ لَقِيَهِ مِنْهُمْ فِي كُلِّ سَمَاءٍ ،
وَهُمْ : آدَمُ ، وَعِيسَى ، وَيُوسُفُ ، وَإِدْرِيسُ ، وَهَارُونُ ، وَمُوسَى ،
وِإِبْرَاهِيمُ ، بِحَسَبِ تَفَاوُتِهِمْ فِي الدَّرَجَاتِ ، فَأَدَمُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا ،
لَأَنَّهُ أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ . ثُمَّ عِيسَى فِي الثَّانِيَةِ ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ الْأَنْبِيَاءِ عَهْداً
بِمُحَمَّدٍ . وَيُوسُفُ فِي الثَّالِثَةِ ، لِأَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى
صُورَتِهِ . وَإِدْرِيسُ فِي الرَّابِعَةِ / ، لِأَنَّهَا الْوَسْطَى ، وَقَدْ رَفَعَهُ اللَّهُ مَكَاناً
عَلِيّاً . وَهَارُونُ فِي الْخَامِسَةِ ، لِقُرْبِهِ مِنْ أَخِيهِ مُوسَى . وَمُوسَى فِي
السَّادَةِ ، لِفَضْلِهِ بِالتَّكْلِيمِ . وَإِبْرَاهِيمُ فِي السَّابِعَةِ ، لِأَنَّهُ أَفْضَلُ
الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

وَالظَّاهِرُ مِنْ اخْتِصَاصِ مُرَاجَعَةِ مُوسَى لَهُ كَوْنُهُ أَشْبَهَ الرُّسُلِ بِهِ فِي
كَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ وَشَرَفِ الْكِتَابِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَفِي (٢) رَوَايَةٍ : « فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ
الْجَنَّةَ » (٣) .

رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ سِدْرَةَ
الْمُنْتَهَى

(١) أوردته الهيثمي في «مجمع الزوائد» ، ج ١/ ٧١-٧٢ . عن أبي هريرة
رضي الله عنه .

(٢) قلتُ : سُمِّيَتْ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى بِذَلِكَ : لِأَنَّهَا يَنْتَهِي إِلَيْهَا عِلْمُ كُلِّ نَبِيٍّ
مُرْسَلٍ ، وَكُلِّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ ، وَلَمْ يَجَاوِزْهَا أَحَدٌ إِلَّا نَبِيًّا ﷺ .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٣٤٢) .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ إِذْ يَغْشَى
السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿ [سورة النجم ٥٣/١٦-١٤] .

وفي أخرى : « إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ ، فَيَقْبَضُ مِنْهَا . وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا ، فَيَقْبَضُ مِنْهَا » (١) .

وفي ثالثة : هذه السِّدْرَةُ المنتهى ينتهي إليها كلُّ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ ،
خَلَا عَلَى سَبِيلِكَ ، وَهِيَ السِّدْرَةُ المنتهى (٢) .

وفي رابعة : « يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَهِيَ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا سَبْعِينَ عَاماً [لَا يَقْطَعُهَا] ، وَأَنَّ وَرَقَةً مِنْهَا مُظِلَّةٌ الْخَلْقِ ، فَغَشِيَهَا نُورٌ [الْخَالِقِ] ، وَغَشِيَتْهَا الْمَلَائِكَةُ » (٣) .

وفي خامسة : « ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ » (٤) .

وفي سادسة : « أَنَّ جِبْرِيلَ لَمَّا جَاءَ بِالْبُرَاقِ فَذَهَبَ لِيَرْكَبَ ، فَأَسْتَعَصَّتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا جِبْرِيلُ : إِسْكُنِي ، فَوَاللَّهِ مَا رَكِبَكَ عَبْدٌ

مَا خُصَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ
وَأُمَّتُهُ

(١) أخرجه مُسْلِم ، برقم (١٧٣/٧٢٩) .

(٢) الشُّفَا ، ج ١/٣٤٨ .

(٣) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ، ج ١/٧١ . والبيهقي في «دلائل النبوة» ، ج ٢/٤٠٢ . عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أخرجه البخاري ، برقم (٣١٦٤) . عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . صَرِيفُ الْأَقْلَامِ : هو صوت ما تكتبه الملائكة من أفضية الله تعالى ووحيه ، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ ، أو ما شاء الله تعالى أَنْ يُكْتَبَ وَيُرْفَعَ لِمَا أَرَادَهُ مِنْ أَمْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ .

أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَرَكِبَهَا حَتَّى أَتَى بِهَا الْحِجَابَ الَّذِي يَلِي عَرْشَ الرَّحْمَنِ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ مَلَكٌ مِنَ الْحِجَابِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ » ، قَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا إِنِّي لَأَقْرَبُ الْخَلْقِ مَكَانًا ، وَإِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا رَأَيْتُهُ مُنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ ، فَأَذَّنَ الْمَلَكُ وَأَقَامَ ، وَأَخَذَ بِيَدِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدَّمَهُ فَصَلَّى بِأَهْلِ السَّمَاءِ ، وَفِيهِمْ أَرْوَاحُ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - ثُمَّ قَالَ مُحَمَّدٌ : « يَا رَبِّ ، إِنَّكَ أَتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا . وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيمًا . وَآتَيْتَ دَاوُدَ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ، وَأَلَنْتَ لَهُ الْحَدِيدَ ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ مَعَهُ وَالطَّيْرَ . وَوَهَبْتَ سُلَيْمَانَ / مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رَحَاءً - أَيِ : لِيَنَّةً - حَيْثُ أَصَابَ - أَيِ : قَصْدَ - وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ ، وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ - أَيِ : الْقِيُودِ - وَعَلَّمْتَ عِيسَى التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَأَعَدَّتْهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وَجَعَلْتَهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِكَ » ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا مُحَمَّدُ ؛ قَدْ أَتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا وَحَبِيبًا ، فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا حَبِيبُ الرَّحْمَنِ ، وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمْ الْآخِرُونَ بَعَثًا ، وَالسَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا ، وَأَعْطَيْتُكَ السَّبْعَ الْمَثَانِي - أَيِ : الْفَاتِحَةَ - وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كُنْزٍ تَحْتَ عَرْشِي ، وَلَمْ أُعْطِ ذَلِكَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِي « (١) .

(١) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ، ج ١/ ٧١-٧٢ . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فَاتِيَةٌ

في الحكمة من ركوب
البراق

الحكمة في ركوب البراق مع قدرة الله تعالى على طي المسافة له إكرامه بما جرت به العادة مع خرقها ، إذ الملوكة يبعثون لمن استدعوه بمركوب .

وجزم جماعة من المحققين بأنه لم يجاوز سدره المنتهى أحد إلا محمد ﷺ ، ويؤيده قوله ﷺ : « إليها ينتهي ما يعرج [به] من الأرض » (١) .

وقوله ﷺ : « فأتيت بإناء من لبن وإناء من خمر » (٢) . زاد في رواية في « الصحيحين » : « وإناء من عسل » (٣) وفي رواية أخرى للبزار : « وإناء من ماء » (٤) .

قلت : وبتمام الأربعة يعلم أنه أتني من كل نهر بإناء من الأنهار التي تخرج من أصل سدره المنتهى المذكورة في الحديث السابق . ثم في قوله تعالى فيها : ﴿ أَنَهَرٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنَهَرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنَهَرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنَهَرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [سورة محمد ١٥/٤٧] . والله أعلم .

وفي « الصحيحين » ، عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لما عرج بي جبريل إلى سدره المنتهى دنا الجبار رب العزة ، فتدلى ، حتى كنت منه قاب قوسين - أي : قدر قوسين - أو أدنى ،

(١) أخرجه مسلم ، برقم (١٧٣/٧٢٩) .

(٢) أخرجه مسلم ، برقم (١٦٢/٢٥٩) .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٣٦٧٤) . عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه .

(٤) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ، ج ١/٦٩ . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ بِمَا شَاءَ» (١) .

[ق ١٠٩] وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « فَارَقَنِي جَبْرِيلُ، فَأَنْقَطَعَتْ عَنِّي الْأَصْوَاتُ، فَسَمِعْتُ كَلَامَ رَبِّي جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: لِيَهْدَأْ رَوْعُكَ - أَي: لِيَسْكُنْ خَوْفُكَ - أَذُنُ يَا مُحَمَّدُ، أَذُنُ» (٢) .

روية النبي ﷺ نهر الكوثر
وفي البخاري، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: « لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا [أَنَا] بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُؤِ الْمُجَوَّفِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟، قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ مِنْكَ أَذْفَرُ» (٣) .

روية النبي ﷺ لبعض أهل النار
وفي « سنن أبي داود »، عن أنس أيضاً، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَطْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَحْمِشُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ» (٤) .

وصية إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأمة النبي ﷺ
وروى الترمذي في « جامعه »، وقال: حديث حسن، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: أَقْرَىءَ أُمَّتَكَ عَنِّي السَّلَامَ - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا السَّلَامَ -، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ الثَّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (٥) .

(١) أخرجه البخاري، برقم (٧٠٧٩). قلت: وقد خالف الراوي شريك غيره، إذ المشهور في الحديث نسبة الدنو والتدلي إلى جبريل عليه السلام.

(٢) الشفا، ج ١/ ٣٩٠ .

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٤٦٨٠-٦٢١٠). مسك أذفر: طيب الرائحة .

(٤) أخرجه أبو داود، برقم (٤٨٧٨) .

(٥) أخرجه الترمذي، برقم (٣٤٦٢). قيعان: وهو المكان المستوي =

مَا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ
لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وروى الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ ، وَالْحَاكِمُ وَقَالَ : صَحِيحٌ عَلَى
شَرِّطِ الشَّيْخَيْنِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَمَّا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ أَتَيْتُ عَلَى
قَصْرِ مِنْ ذَهَبٍ مُرَبَّعٍ مُشْرِفٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ فَقَالُوا :
لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ قَرَأَ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ
مَكْتُوبَةٍ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي
الْجَنَّةِ ، وَمَنْ قَرَأَهَا عَشْرِينَ مَرَّةً بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرَيْنِ فِي الْجَنَّةِ . » . فَقَالَ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا تَكَثَّرَ قُصُورُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟
قَالَ : « فَضَّلَ اللَّهُ أَوْسَعَ مِنْ ذَلِكَ » (١) .

وفي « الصَّحِيحَيْنِ » ، / أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَمَّا كَذَّبَنِي قُرَيْشٌ ،
قُمْتُ فِي (الْحِجْرِ) فَجَلَا اللَّهُ لِي (بَيْتَ الْمَقْدِسِ) ، فَطَفِقتُ أُخْبِرُهُمْ
عَنْ آيَاتِهِ ، وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ » (٢) .

وفي رواية : « ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةَ وَمَا تَحَوَّلْتُ عَنْ جَانِبِهَا ،
ثُمَّ أَصْبَحْتُ فَأَخْبَرْتُ قُرَيْشًا ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي (الْحِجْرِ) ، وَقُرَيْشٌ
تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ ، فَسَأَلْتُنِي عَنْ أَشْيَاءٍ مِنْ وَصْفِ (بَيْتِ الْمَقْدِسِ)
لَمْ أُثْبِتْهَا ، فَكُرِبْتُ كَرْبًا شَدِيدًا ، فَجَلَى اللَّهُ لِي (بَيْتَ الْمَقْدِسِ) » (٣)
إِلَى آخِرِهِ .

= الواسِعُ فِي وَطْأَةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، يعلوهُ مَاءُ السَّمَاءِ فَيُمْسِكُهُ وَيَسْتَوِي نَبَاتُهُ .
(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» ، ج ٣ / ٤٣٧ . عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٦٧٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٧٠ / ٢٧٦) . عَنْ
جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . طَفِقتُ : أَخَذْتُ وَشَرَعْتُ .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٧٢ / ٢٧٨) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
بَنَحْوِهِ . لَمْ أُثْبِتْهَا : لَمْ أَحْفَظْهَا وَأَضْبَطْهَا .

فَاتَعَلَّاهُ

في تعليل مجيء
المسجد الأقصى
للنبي ﷺ

وفي رواية للإمام أحمد : « فَجِيءَ بِـ (الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) وَأَنَا أَنْظُرُ ، حَتَّى وُضِعَ عِنْدَ (دَارِ عَقِيل) ، فَنَعْتُهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ » (١) .

قَالَ الْعَجَلَاءُ : وَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ كَشْفِ الْحُجُبِ الَّتِي بَيْنَ (الْحَرَمِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ) ؛ لِأَنَّهُ نَظِيرُ إِحْضَارِ عَرْشِ بَلْقَيْسَ لِسُلَيْمَانَ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ .

قُلْتُ : وَذَلِكَ بِطَرِيقِ أَنْزَوَاءِ الْأَرْضِ ، بَأَن تَنْقُبَ أَجْزَاؤُهَا حَتَّى يَصِيرَ الْمَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ (بَيْتُ الْمَقْدِسِ) بِـ (مَكَّةَ) . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ : « زُوِيَتْ لِي الْأَرْضُ » (٢) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَمِنْهُ أَنِّي قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا : بَلَّغْنِي أَنَّكَ تُصَلِّيَ أَيَّ فَرْضٍ شِئْتَ جَمَاعَةً بِـ (حَرَمِ مَكَّةَ) فَعَلَى أَيِّ كَيْفِيَّةٍ هَذَا ؟ ، فَقَالَ : بِمَجْرَدِ أَنْ يَخْطُرَ ذَلِكَ بِبَالِي ، صِرْتُ تَجَاهُ (الْكَعْبَةَ) ، ثُمَّ إِذَا خَطَرَ بِبَالِي الْعَوْدُ ، صِرْتُ بِمَكَانِي بِـ (حَضْرَمَوْتَ) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وفي رواية : فَقِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ : إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ بَلَغَ (بَيْتَ الْمَقْدِسِ) وَرَجَعَ ، فَقَالَ : إِنَّا لَنُصَدِّقُهُ فِي نَزُولِ الْوَحْيِ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ .
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَبِي بَكْرٍ : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة الزُّمَرُ ٣٩/٣٣] ، فَسَمَّاهُ اللَّهُ الصِّدِّيقَ (٣) .

تصديقُ أبي بكرٍ
رضيَ اللهُ عنه وسببُ
تسميته بالصِّدِّيقِ

وَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي تَصْدِيقِ نَبِيِّهِ ﷺ وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ وَالْهَوَى قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ *

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» ، بِرَقْم (٢٨١٥) . عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . نَعْتُهُ وَصَفْتُهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٩/٢٨٨٩) . عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» ، ج ٣/٦٢ . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * ﴿١﴾
 [سورة النجم ٥٣/٤١] ، إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾
 [سورة النجم ٥٣/١٨] .

فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِالنَّجْمِ ، وَهُوَ الثُّرَيَّا . إِذَا هُوَ - أَي : سَقَطَ
 للغروب - عَلَى نَفْيِ الضَّلَالِ عَنْهُ ﷺ وَالْغَيِّ الْمُسْتَلْزَمِ ، لِإِثْبَاتِ
 /الهُدَى وَالرُّشْدِ ، وَعَلَى صِدْقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ ، وَنَفْيِ النُّطْقِ عَنْ [ق١١١]
 الْهَوَى ، وَأَنَّ ذَلِكَ وَحْيٌ يُوحَى إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، عَلَّمَهُ إِيَّاهُ
 جَبْرِيلُ شَدِيدُ الْقُوَى .

ثُمَّ لَمَّا كَانَ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ عَظِيمِ مُلْكُوته لَا تُحِيطُ
 بِهِ الْعِبَارَةُ رَمَزَ إِلَيْهِ بِالْإِشَارَةِ ، فَقَالَ : ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾
 [سورة النجم ٥٣/١٠] ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ تَصْدِيقِ فُؤَادِهِ - وَهُوَ : قَلْبِهِ - بِمَا رَأَى
 بَصَرُهُ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى بِقَوْلِهِ : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [سورة النجم
 ٥٣/١١] - أَي : بِمَا رَأَاهُ الْبَصَرُ - ، وَعَنْ حُسْنِ أَدَبِهِ ، وَعَدَمِ الْتِفَاتِ قَلْبِهِ
 إِلَى غَيْرِ رَبِّهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [سورة النجم ٥٣/١٧] فَقَدْ
 اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ عَلَى تَرْكِيزِ لِسَانِهِ ﷺ وَبَصَرِهِ وَفُؤَادِهِ ،
 فَرَكَّى لِسَانَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ ، وَبَصَرَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ مَا زَاغَ
 الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ، وَفُؤَادَهُ ، بِقَوْلِهِ : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ .

وَصَحَّ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى :
 ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ [سورة النجم ٥٣/١٣] أَنَّهُ قَالَ : (رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ
 بَعَيْنِي رَأْسِهِ وَكَلِمَتُهُ مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ) (١) .

قَالَ الْعَلَمَاءُ : وَلَا يَقُولُ ذَلِكَ أَبُو عَبَّاسٍ إِلَّا بِتَوْقِيفٍ ، فَسَبِيلُهُ سَبِيلُ

(١) الشُّفَا ، ج ١/ ٣٧٦ . وَبِهِ قَالَ أَنَسٌ وَعُكْرَمَةُ وَالرَّبِيعُ .

المرفوع ، إذ ليس للرأي في هذا مدخل .

وعن كعب الأحبار : (أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ كَلَامَهُ وَرُؤْيَتَهُ بَيْنَ مُوسَى وَمُحَمَّدٍ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - فَكَلَّمَهُ مُوسَى مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ مَرَّتَيْنِ ، وَرَأَاهُ مُحَمَّدٌ بِعَيْنِي رَأْسَهُ مَرَّتَيْنِ) . نقله الماوردي عنه .

وقال كثير من العلماء في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ [سورة الشورى ٥١/٤٢] - أي : مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ - بل مع المشاهدة ، وَذَلِكَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّةً لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ .

قالوا : بدليل قوله [تعالى] : ﴿ أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ - أي : كمناجاته لموسى عليه السلام - ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ [سورة الشورى ٥١/٤٢] - وهو جبريل - فيُوحِي بِإِذْنِهِ إِلَى رُسُلِهِ مَا يَشَاءُ - كَأَكْثَرِ أَحْوَالِ مُحَمَّدٍ وموسى عليهما السلام - وكسائرِ أَحْوَالِ غَيْرِهِمَا مِنَ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَجْمَعِينَ .

[ق١١٢] وقال الإمام / أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري - رحمه الله - : (كُلُّ آيَةٍ أُوتِيَهَا نَبِيٌّ فَقَدْ أُوتِيَ نَبِيُّنَا مِثْلَهَا ، وَخَصَّهُ اللَّهُ بِالرُّؤْيَا ، قَالَ : فَمُحَمَّدٌ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِي رَأْسِهِ . قَالَ أَبُو عَظَاءٍ : أَيُّ شَرَحَ اللَّهُ صُدْرَهُ لِلرُّؤْيَا ، كَمَا شَرَحَ صُدْرَ مُوسَى لِلتَّكْلِيمِ) .

قَالَ الْعَجَّائِ : وَلَا يَقْدَحُ فِي ذَلِكَ إِنكَارُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَلِكَ ، لِأَنَّهَا لَمْ تَقُلْهُ إِلَّا عَنْ رَأْيِهَا ، وَأَمَّا أَحْتِجَاجُهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ [سورة الأنعام ١٠٣/٦] ؛ فَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ : (مَعْنَاهُ : لَا تُحِيطُ بِهِ) (١) .

(١) الشُّفَا ، ج ١/ ٣٨٣ . قال العلماء : إِنَّ الْإِسْرَاءَ وَقَعَ وَعَائِشَةُ كَانَتْ =

ولو قيل بإطلاقها لَزِمَ منه أمتناعُ رؤيته - سبحانه وتعالى - في
الآخرة أيضاً ، للأبرار في دار القرار ، وهو خلافُ ما أجمع عليه أهلُ
السُّنَّةِ .

قَالَ الْعَجَّاءُ : والدليلُ على جوازها في الدنيا سؤالُ موسى عليه
السَّلامُ لها ، إذ يستحيلُ أَنْ يجهلَ نبيٌّ ما يجوزُ على اللهِ عزَّ وجلَّ
وما لا يجوزُ عليه ، ومعنى : ﴿ لَنْ تَرِنِّي ﴾ : لَنْ تُطِيقَ رؤيتي كما
لا يُطِيقُها الجَبَلُ .

قُلْتُ : ومعلومُ أَنَّ الجَبَلَ وجميعَ المخلوقات جزءٌ مِنْ نورِ
مُحمَّدٍ ﷺ ، فلا عجبُ أَنْ يُطِيقَ مِنَ التَّجَلِّيِ ما لا يُطِيقُها الجَبَلُ .

وإذا لَمْ يَسْتَحِلْ شيءٌ مِنَ العقلِ ، وَلَمْ يَدَلْ دليلٌ قاطعٌ مِنَ النُّقلِ
على أمتناعِهِ وَجَبَ قبولُهُ على ظاهِرِهِ ، وَمَنْ أَهْلُهُ اللهُ لشيءٍ تَأَهَّلَ لَهُ ،
وَمَنْ لَا ، فلا .

ألا تراه يقولُ في حقِّه ﷺ عندَ رؤيته آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى : ﴿ مَا زَاغَ
الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ، ويقولُ : ﴿ لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا
وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [سورة الكهف ١٨/١٨] .

هذا وَهُمْ بَشَرٌ مِنْ أَبْنَاءِ جَنَسِهِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ خَصَّ مَنْ شَاءَ بِمَا
شَاءَ ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٥٥] .

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ قَوْلُ صَاحِبِ الْبُرْدَةِ ، [مِنْ
الْبَسِيطِ] (١) :

= صغيرة . وكذلك فَإِنَّ الإدراكَ أَخَصَّ مِنَ الرُّؤْيَةِ والرُّؤْيَةِ أَعَمُّ ، وبهذا
يتضح الأمرُ .

(١) البُرْدَةُ ، في إسرائه ومعراجِه ، ص ٤٣ .

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمُ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ
 سَعِيًّا وَفَوْقَ مُتُونِ الْأَيْتَنِ الرَّسْمِ ^(١)
 وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ
 وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُعْتَمِرٍ
 سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ
 كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
 [١١٣] / وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً
 مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُرَمِ ^(٢)
 وَقَدَّمْتُكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا
 وَالرُّسُلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمٍ
 وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ
 فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ ^(٣)
 حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعَ شَأوًا لِمُسْتَبِقٍ
 مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مَرْقَى لِمُسْتَنِمٍ ^(٤)
 خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ
 نُودِيَْتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعِلْمِ

(١) يَمَّمُ الْعَافُونَ : قصد طلاب الرِّزْق والعطاء . الْأَيْتَنِ : النِّياق ، جمع ناقة . الرَّسْم : الْمُعْلَمَةُ .

(٢) تَرْقَى : ترتفع . قَابِ قَوْسَيْنِ : القَابُ : المقدار . وقوله قَابِ قَوْسَيْنِ : أي : مقدار قَوْسَيْنِ من قِسْيِ الْعَرَب ، أي : مقدارهما في الْقَرَب . وهو كناية عن شِدَّة الْقُرْب . تُدْرِكُ : تُنَال . تُرَمِ : تُطَلَّب .

(٣) صَاحِبِ الْعِلْمِ : أمير الرُّكْب .

(٤) الْمُسْتَنِمُ : المرتفع .

كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلِ أَيِّ مُسْتَتِرٍ
 عَنِ الْعُيُونِ وَسِرِّ أَيِّ مُكْتَتِمٍ ^(١)
 فَحُزْتُ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرِ مُشْتَرَكٍ
 وَجُزْتُ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرِ مُزْدَحَمٍ
 وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا أُؤَلِّتَ مِنْ رُتَبٍ
 وَعَزَّ إِذْرَاكُ مَا أُؤَلِّتَ مِنْ نِعَمٍ ^(٢)
 بُشْرَى لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا
 مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمٍ
 لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ
 بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ

(١) أَيِّ مُسْتَتِرٍ : مبالغة في الاستتار . أَيِّ مُكْتَتِمٍ : مبالغة في الكتمان .

(٢) أُؤَلِّتَ : أُعْطِيَتْ .

القِسْمُ الثَّانِي

فَسِيرُ الْمُقَاتِلِ وَالْعَاجِزِ

وفيه خطبة بليغة في لطيف عمل الطهاة في سبيل الله بالأنفس والنفوس ، وإيراد
آيات وأحاديث صحيحة في كونه فضل الأعمال ، ثم شرح الأحوال المجاهدتين
في سبيل الله ، وهي كسيرة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين ، وفضل الصحابة
وترتيبهم في الفضل ، والرد على من قد رجع في أحد منهم بالقول الفضل .

خُطْبَةٌ

فِي الْحَثِّ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانِ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ،
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ
وَأَعْمَالِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ، تُسَبِّحُ لَهُ
السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ ، وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ
بِحَمْدِهِ ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا / عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، الَّذِي أَرْسَلَهُ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا [ق ١١٤]
وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، بِأَفْضَلِ
الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ، وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ
عَنْهُمْ الرِّجْسَ ، وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا .

وَعَلَى أَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ الَّذِينَ بَشَّرَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا .
أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ الْكَفَرُ الَّذِي وَفَّرَ اللَّهُ مِنْهُ
لِمَنْ أَحَبَّهُ الْأَقْسَامَ ، وَالْعَزُّ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ دِينَ الْإِسْلَامِ .

إِخْوَانِي : فَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ دَلَّكُمْ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْمَتَجَرِّ
الرَّابِحِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ سَامِعُونَ ؟ وَسَاوَمَكُمْ فِي شَرَاءِ أَنْفُسِكُمْ الَّتِي هِيَ
مُلْكُهُ فَهَلْ أَنْتُمْ لَهَا بَائِعُونَ ؟

فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَجَرٍّ نُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الصَّفَّ ٦١/١٠-١١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكَافَّةَ الْحِمْدَ مِنَ اللَّهِ وَالْكَافَّةَ مِنَ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة التَّوْبَةِ ٩/١١١-١١٢] .

إِخْرَاجِي : يَا لَهَا صَفَقَةٌ خَطِيرَةٌ فِي بَيْعِ هَذِهِ الْأَنْفُسِ الْحَقِيرَةِ ، الْمُشْتَرَى فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَالْوَاسِطَةُ فِيهَا سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ ، وَالثَّمَنُ : جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ .

فَأَوْجِبُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - صَفَقَةَ هَذَا الْبَيْعِ الرَّابِحِ ، بِالْثَّمَنِ الْجَزِيلِ [ق ١١٥] الرَّابِحِ ، فَلِمَثَلٍ / هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ .

فَالْجِهَادَ الْجِهَادَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، وَالْجَنَّةَ الْجَنَّةَ أَيُّهَا الْمُوقِنُونَ ، وَقَاتِلُوا دُونَ أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ أَعْدَاءَ اللَّهِ الْفَجَّارِ ، وَأَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ شَوْمَ الْعَارِ وَالنَّارِ ، فَقَدْ جَاؤُوكُمْ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِكَفْرِهِمْ ، وَيَسْتَأْصِلُونَ شَأْفَةً^(١) الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ بِمَكْرِهِمْ ،

(١) الشَّافَةُ : قَرْحَةٌ تَخْرُجُ بِبَاطِنِ الْقَدَمِ ، فَتَقْطَعُ أَوْ تَكْوِي فَتَذْهَبُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « اسْتَأْصَلَ اللَّهُ شَأْفَتَهُمْ » ، أَي : اسْتَأْصَلَ أَصْلَهُمْ ، وَاسْتَأْصَلَ اللَّهُ شَأْفَتَهُ : أَذْهَبَهُ كَمَا تَذْهَبُ تِلْكَ الْقَرْحَةُ .

﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [سورة آل عمران ١١٨/٣] ، ﴿ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة التوبة ٣٦/٩] .

وأحذروا أن تكونوا ممن : ﴿ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ [سورة التوبة ٤٦/٩] ، ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة العنكبوت ٦/٢٩] .

ولقد أبتلاكُمُ اللهُ بالجهاد كما أبتلى به أفضل أهل السماوات والأرض : ﴿ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ [سورة محمد ٤٧/٤] ، ﴿ اتَّخَشَنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة التوبة ١٣/٩] .

إِنْجُازِيٌّ : إذا كانت المنيّة محتومة ، فالشهادة في سبيل الله هي الغنيمة : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [سورة محمد ٤٧/٧] . وإن أحجمتم فلن يدفع عنكم الأجل إجمامكم .

إِنْجُازِيٌّ : ما أقبح عبداً يخلُ على سيّده ومولاه بنفسٍ هي من مواهبهِ وعطاياه ، هذا مع ما وعد - ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ [سورة النساء ١٢٢/٤] - على ذلك ثناءً جميلاً وثواباً جزيلاً .

إِنْجُازِيٌّ : ما أقبح عبداً يقول بلسانه : قد رضىتُ بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمُحمّدٍ نبياً ، ثمَّ يجبُنُ عن قتالِ كافرٍ بالله وباليوم الآخر ، ولا يرجو ما يرجوه المؤمنُ من الجنة والثواب الوافر .

أوما سمِعتم مولاكم سبحانه يقول : ﴿ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [سورة النساء ١٠٤/٤] .

إِنْجِيَالِي: أَيُّ عُذْرٍ لِمَنْ جَبُنَ عَنْ قِتَالِ أَعْدَاءِ اللَّهِ؟ وَبِأَيِّ وَجْهِ يَوْمِ

[ق١١٦] الْقِيَامَةِ يَلْقَى اللَّهُ؟ هَذَا: (وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ / مَاتَ بغيره) (١).

وَلَا جُنَّةَ مِنَ الْقَدَرِ شَرُّهُ وَخَيْرُهُ: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الأحزاب ١٦/٣٣] ،
﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [سورة آل عمران ١٥٤/٣] ، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [سورة النساء ٧٨/٤] .

إِنْجِيَالِي: فَجَرِّدُوا عَزَائِمَكُمْ فِي الْجِهَادِ ، فَقَدْ وَضَحَ لَكُمْ السَّبِيلُ ، وَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيََاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿[سورة آل عمران ١٧٣/٣-١٧٥] ، وَذُودُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيََاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [سورة النساء ٨٩/٤] ،
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ * فَحِينَ يَمَأَاءَ أَتَدُهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ

(١) صدرُ بَيْتٍ لِأَبِي نَصْرٍ بِنِيبَاتَةِ التَّمِيمِيِّ .

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ تَنَوَّعَتِ الْأَسْبَابُ وَالْمَوْتُ وَاحِدٌ

الْقَرَحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ ﴿١٧٢﴾ [سورة آل عمران ٣/ ١٦٩-١٧٢] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفَعني وإياكم بالآيات
والذكرِ الحكيم ، ووفّقنا وإياكم لاتباعِ سيّدنا مُحَمَّدٍ ﷺ [النَّبِيِّ
الكَرِيم ، آمين .

فَضْلُكَ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ

إِعْلَمَ أَنَّ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ ، وَلَكِنَّا نَوْرِدُ بَعْضًا يُشِيرُ إِلَى غَيْرِهِ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » ، فَقِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : « حَجٌّ مَبْرُورٌ » . مَتَّقُ عَلَيْهِ (١) .

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؟ قَالَ : « الْجِهَادُ / فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . مَتَّقُ عَلَيْهِ (٢) . [ق ١١٧]

قُلْتُ : وَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ بِأَنَّ اخْتِلَافَ الْجَوَابِ بِحَسَبِ حَالِ السَّائِلِ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَعْدُوَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . مَتَّقُ عَلَيْهِ (٣) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَى رَجُلٌ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٦) ، وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣٥/٨٣) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٠٤) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣٩/٨٥) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٦٣٩) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١١٢/١٨٨٠) .

الْعُدُوَّةُ : الْخُرُوجُ أَوَّلَ النَّهَارِ . الرَّوْحَةُ : الْخُرُوجُ آخِرَ النَّهَارِ .

رسول الله ﷺ فقال : أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ
بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « مُؤْمِنٌ فِي شَعْبٍ
مِنَ الشُّعَابِ يَعْبُدُ اللَّهَ رَبَّهُ ، وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ » . متفق عليه (١) .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ : « رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَمَوْضِعُ
سَوْطِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا » . متفق عليه (٢) .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، مَا مِنْ كَلِمٍ - أَيْ : جِرَاحَةٍ - يُكَلِّمُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كَلِمٍ ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ ، وَرِيحُهُ
رِيحُ مِسْكِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ لَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً
فَأَحْمِلُهُمْ ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً ، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ،
وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزَوُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ ، ثُمَّ
أَغْزَوُ فَأُقْتَلَ ، ثُمَّ أَغْزَوُ فَأُقْتَلَ » . متفق عليه (٣) .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ : دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ ، قَالَ : « لَا أَجِدُهُ » ، ثُمَّ قَالَ :
« هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ ، فَتَقُومَ

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٢٦٣٤) . ومسلم برقم (١٨٨٨/١٢٢) .
واللفظ لمسلم .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٢٧٣٥) . ومسلم برقم (١٨٨١/١٣١) .
الرباط : ملازمة الثَّغُور .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٥٢١٣) ، بنحوه . ومسلم برقم
(١٨٧٦/١٠٣) . خِلَافَ سَرِيَّةٍ : خلف وبعد . لا يجدون سَعَةً :
لا يجدون ما يُحْمَلُونَ عليه من دواب .

وَلَا تَفْتَرُ ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ ؟ » ، قَالَ : وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ؟ قَالَ :
« فَذَلِكَ مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . مَتَّقُ عَلَيْهِ ، وَهَذَا لَفْظُ
الْبُخَارِيِّ ^(١) .

[١١٨] وعن زيد / بن خالد الجُهَنِيِّ رضيَ اللهُ عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ
قَالَ : « مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا ، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي
أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا » . مَتَّقُ عَلَيْهِ ^(٢) .

وعن البراء بن عازب رضيَ اللهُ عنهما قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مَقْنَعٌ
بِالْحَدِيدِ - أَي : مَغْطِي رَأْسَهُ بِهِ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلْ ثُمَّ أَسْلِمْ ؟
فَقَالَ : « أَسْلِمْتَ ثُمَّ قَاتِلْ » ، فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَاتَلَ فُقِتِلَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا » . مَتَّقُ عَلَيْهِ ، وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ ^(٣) .

وعن أَنَسٍ رضيَ اللهُ عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ
الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ ، إِلَّا
الشَّهِيدُ ؛ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا ، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، لِمَا
يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ وَفَضْلِ الشَّهَادَةِ » . مَتَّقُ عَلَيْهِ ^(٤) .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ
فِي الْجَنَّةِ مِثَّةٌ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مَا بَيْنَ
الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » . رواه الْبُخَارِيُّ ^(٥) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٦٣٣) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٦٨٨) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٨٩٥/١٣٥) .
خَلَفَ : تَرَكَ نَائِبًا عَنْهُ فِي قِضَاءِ حَوَائِجِ أَهْلِهِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٦٥٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٩٠٠/١٤٤) .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٦٦٢) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٨٧٧/١٠٩) .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٦٣٧) .

وعن أبي عبس عبد الرحمن بن جبر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أُغْبِرَتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ » . رواه البخاري^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحْتَبَسَ فِرْسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِيْمَانًا بِاللَّهِ ، وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّتَهُ وَرَوْنَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . رواه البخاري^(٢) .

وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ أُمَّ الرُّبَيْعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ - وَهِيَ : أُمُّ حَارِثَةَ - وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ (أُحُدٍ)^(٣) ، قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ ؟ فَقَالَ : « يَا أُمُّ حَارِثَةَ : إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى » . رواه البخاري^(٤) .

وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي . . فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ / . . فَأَدْخَلَانِي [ق١١٩] دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ . . لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا . . قَالَا لِي : أَمَا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ » . رواه البخاري في حديث طويل^(٥) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ ، فَاطْلَعِ

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٢٦٥٦) .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٢٦٩٨) .

(٣) قلتُ : المعروف أَنَّ حَارِثَةَ بْنَ سَرَاةٍ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ وَهَذَا مَا صَرَّحَ بِهِ الْبُخَارِيُّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٤) أخرجه البخاري ، برقم (٢٦٥٤) .

(٥) أخرجه البخاري ، برقم (١٣٢٠) .

إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَطْلَاعَةً ، فَقَالَ : هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئاً ؟ قَالُوا : أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي ؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، يَقُولُ : هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئاً ؟ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا ، قَالُوا : يَا رَبِّ ، نَشْتَهِي أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا ، وَتُعِيدَنَا إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى . قَالَ : إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ ، قَالُوا : فَأَبْلِغْ عَنَّا إِخْوَانَنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [سورة آل عمران ١٦٩/٣] . رواه مُسْلِمٌ ^(١) .

وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ » . رواه مُسْلِمٌ ^(٢) .

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا ؛ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » ، ثُمَّ قَالَ : « وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللَّهُ الْعَبْدَ بِهَا مِئَةَ دَرَجَةٍ ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » ، [قَالَ : وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ] : « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . رواه مُسْلِمٌ ^(٣) .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا » . رواه مُسْلِمٌ ^(٤) .

(١) أخرجه مُسْلِمٌ ، برقم (١٨٨٧/١٢١) .

(٢) أخرجه مُسْلِمٌ ، برقم (١٩٠٩/١٥٧) .

(٣) أخرجه مُسْلِمٌ ، برقم (١٨٨٤/١١٦) .

(٤) أخرجه مُسْلِمٌ ، برقم (١٨٩١/١٣٠) .

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه يومَ
(بَدْر) : « قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ » . رواه [ق ١٢٠]
مُسلم^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« مَقَامُ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سِتِينَ عَامًا ، أَلَا
تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ ؟ أُغْزُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَمَنْ
قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوقَ نَاقَةٍ - أَي : قَدَرَ مَا بَيْنَ حَلْبَتَيْهَا - وَجَبَتْ لَهُ
الْجَنَّةُ » . رواه الإمام أحمدُ والترمذي ، وقال : حديثٌ حسنٌ .
والحاكمُ ، وقال : صحيحٌ على شرطِ مُسلم^(٢) .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ : « مَقَامُ الرَّجُلِ فِي الصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ
عِبَادَةِ الرَّجُلِ سِتِينَ سَنَةً » . رواه الحاكمُ ، وقال : صحيحٌ على
شرطِ البخاري^(٣) .

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا وَقَفَ
الْعِبَادُ لِلْحِسَابِ جَاءَ قَوْمٌ وَاضِعُوا سُيُوفَهُمْ عَلَى رِقَابِهِمْ تَقَطَّرُ دَمًا ،
فَازْدَحَمُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، وَالنَّاسُ فِي الْمَوْقِفِ ، فَيُقَالُ : مَنْ
هُؤُلَاءِ ؟ قِيلَ : الشُّهَدَاءُ ، كَانُوا أَحْيَاءَ مَرْزُوقِينَ » . رواه الطبراني
بإسنادٍ حسنٍ^(٤) .

(١) أخرجه مُسلم ، برقم (١٩٠١/١٤٥) .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » ، برقم (١٠٤٠٧) . والترمذي برقم
(١٦٥٠) .

(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرک » ، ج ٢/٦٨ .

(٤) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ، ج ١٠/٤١١ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ قَرْصَةِ
النَّمْلَةِ » . رواه النسائي ، وابن ماجه ، والترمذي ، وقال : حديث
حسن صحيح ، وابن حبان في « صحيحه » (١) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« يُشَقَّقُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ » . رواه أبو داود ، وابن
حبان في « صحيحه » (٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« يَعْجَبُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا مِنْ رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَنْهَزَمَ أَصْحَابُهُ
فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ ، فَرَجَعَ / حَتَّى أُرِيقَ دَمُهُ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى [١٢١ق]
لِمَلَأْنِيكَ : انظروا إلى عبدي هذا رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي ، وَشَفَقَةً مِمَّا
عِنْدِي » رواه الإمام أحمد ، وابن حبان في « صحيحه » (٣) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال
رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَدْعُو الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَتَأْتِي
بِزُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ : أَيْنَ عِبَادِي الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي
وَجَاهَدُوا ؟ أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ ، فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، فَتَأْتِي الْمَلَائِكَةُ
فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ، نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَنُقَدِّسُ لَكَ ،
مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آثَرْتَهُمْ عَلَيْنَا ؟ فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا : هَؤُلَاءِ عِبَادِي
الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي ، وَقُتِلُوا وَأُودُوا فِي سَبِيلِي ، وَجَاهَدُوا ،

(١) أخرجه الترمذي ، برقم (١٦٦٨) . وابن ماجه برقم (٢٨٠٢) .

(٢) أخرجه أبو داود ، برقم (٢٥٢٢) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في « مسنده » ، برقم (٣٩٣٩) . وأبو داود برقم
(٢٥٣٦) .

فَتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ » . رواه الأصبهاني بإسنادٍ حسنٍ (١) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِي هُوَ ضَامِنٌ عَلَيَّ ، إِنْ قَبَضْتُهُ
أَوْرَثْتُهُ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ رَجَعْتُهُ رَجَعْتُهُ بِأَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ » . رواه الترمذي ،
وقال : حديثٌ صحيحٌ (٢) .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ : « جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَابٌ مِنْ
أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، وَيُنْجِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ » . رواه الإمام أحمد
برواية ثقات ، والحاكم ، وقال : صحيحُ الإسناد (٣) .

وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« مَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً - أَيْ : طُعِنَ - فَإِنَّهَا
تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغْزَرٍ مَا كَانَتْ ، لَوْنُهَا لَوْنُ الرَّعْفَرَانِ ، وَرِيحُهَا رِيحُ
الْمِسْكِ » . رواه أصحابُ السُّنَنِ الأربعة : أَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ ،
وَأَبْنُ مَاجَةَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ / حَسَنٌ صَحِيحٌ (٤) . [ق ١٢٢]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال
رسول الله ﷺ : « غَزَوَةٌ فِي الْبَحْرِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي الْبَرِّ ،
وَمَنْ أَجَازَ الْبَحْرَ فَكَأَنَّمَا أَجَازَ الْأَوْدِيَةَ كُلَّهَا ، وَالْمَائِدُ فِي الْبَحْرِ - وَهُوَ

(١) ذكره الشَّيْطُونِي فِي «الدَّر الْمَشْهُور» ، ج ٢ / ١١٢ .

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (١٦٢٠) .

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» ، بِرَقْم (٢٢١٧٢) .

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (١٦٥٧) . وَالنَّسَائِيُّ بِرَقْم (٣١٤١) . وَأَبُو دَاوُدَ
بِرَقْم (٢٥٤١) .

الَّذِي يَدُورُ رَأْسُهُ - كَالْمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ . رواه الحاكم ، وقال :
صحيحٌ على شرط البخاري (١) .

وعن أمِّ حَرامٍ رضيَ اللهُ عنها قالتُ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ :
« المائدُ في البَحْرِ - الَّذِي يُصِيبُهُ الْقَيْءُ - لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ ، والغريقُ لَهُ
أَجْرُ شَهِيدَيْنِ » . رواه أبو داود بإسنادٍ حسنٍ (٢) .

وعن أبي أُمَامَةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ
رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ أَخْطَأَ أَوْ أَصَابَ ، كَانَ لَهُ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ
إِسْمَاعِيلَ » . رواه الطَّبْرَانِيُّ بِرِوَاةٍ ثِقَاتٍ (٣) .

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ :
« مَوْقِفُ سَاعَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ بِ (مَكَّةَ) عِنْدَ
(الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ) » . رواه البيهقي ، وأَبْنُ حَبَّانٍ فِي
« صحيحه » (٤) .

فَاعِلَةٌ

في فضل مَنْ وَقَفَ فِي
سَبِيلِ اللهِ سَاعَةً

قَالَ الْعَجَّلَاءُ : فَيَكُونُ مَوْقِفُ سَاعَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ مِئَةٍ
أَلْفِ أَلْفِ شَهْرٍ ، لِأَنَّ قِيَامَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ بِ (مَكَّةَ) بِمِئَةِ أَلْفِ أَلْفِ شَهْرٍ فِي
غَيْرِهَا .

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعْبِ» ، بِرَقْمِ (٤٢٢١) . الْمُتَشَحِّطُ فِي دَمِهِ :
الْمُضْرَجُ بِالْدَّمِ ، الْمُضْطَرَبُ فِيهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْمِ (٢٤٩٣) . الْمَائِدُ : الَّذِي يُصِيبُهُ دُورَانِ الْبَحْرِ .

(٣) أَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» ، ج ٥ / ٢٧٠ . عَنْ أَبِي أُمَامَةَ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعْبِ» ، بِرَقْمِ (٤٢٨٦) . وَأَبْنُ حَبَّانٍ بِرَقْمِ
(٤٦٠٣) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « رِبَاطُ شَهْرٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ دَهْرٍ ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمِنَ
 مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ ، وَغُدي عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ ، وَرِيحٍ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأُجْرِي
 عَلَيْهِ أَجْرُ الْمُرَابِطِ ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » . رواه الطبراني برواية
 ثقات^(١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ رَابِطٌ
 لَيْلَةً حَارِسًا مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، كَانَ لَهُ أَجْرُ مَنْ كَانَ خَلْفَهُ مِمَّنْ صَامَ
 وَصَلَّى » . رواه الطبراني بإسنادٍ جيّد^(٢) .

فَائِدَةٌ

في جزاء المرابطين في
 سبيل الله

قَالَ الْعِجَاءُ : وهذا الحديث دليلٌ على أَنَّ اللَّهَ يَكْتُبُ لِلْوَالِي مِثْلَ
 أَعْمَالِ مَنْ عَبْدَ اللَّهَ آمَنًا فِي مَحَلٍّ وَلَا يَتِيهِ بِحِمَايَتِهِ لَهُ ، وَمَا أَجَزَلَ هَذَا
 الْفَضْلُ / الْعَظِيمُ .

[ق ١٢٣]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
 « عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ
 تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . رواه الترمذي ، وقال : حديثٌ حسن^(٣) .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « مَا تَرَكَ قَوْمُ الْجِهَادِ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ » . رواه الطبراني بإسنادٍ
 حسن^(٤) .

(١) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ، ج ٥ / ٢٩٠ .

(٢) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ، ج ٥ / ٢٨٩ .

(٣) أخرجه الترمذي ، برقم (١٦٣٩) .

(٤) أورده الهيثمي ، ج ٥ / ٢٨٤ .

وعن أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ لَمْ يَغْزُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ يُجَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ يَخْلُفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ ، أَصَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَارِعَةٍ ، قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . رواه أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ (١) .

وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّتِكُمْ » . رواه أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ (٢) .

وعن عبد الله بن أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ الْعَدُوَّ فِيهَا ، انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتْ الشَّمْسُ ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا ، فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ : لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَأَسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ » ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ ، وَمُجْرِي السَّحَابِ ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ ؛ أَهْزِمْهُمْ ، وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٣) .

فهذه أربعون حديثاً ، عشرون منها في « الصَّحَّاحِينَ » . عشرةٌ مِنْ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ ، وخمسةٌ مِنْ إِفْرَادِ الْبُخَارِيِّ ، وخمسةٌ مِنْ إِفْرَادِ مُسْلِمٍ . وعشرون حديثاً مِنْ غَيْرِهِمَا مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ الْمُعْتَمَدَةِ ، صَحِيحاً وَحَسَناً .

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، . برقم (٢٥٠٣) . الْقَارِعَةُ : الْمَصِيبَةُ الْمُهْلِكَةُ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، برقم (٢٥٠٤) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، برقم (٢٨٠٤) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ (٢٠ / ١٧٤٢) .

بَاب

فِي مَا اشْتَهَرَ مِنْ سِيرَتِهِ ﷺ إِلَى وَفَاتِهِ

ولنشرع الآن في سيرته ﷺ ، وأصحابه المُجاهدين في سبيل الله حقَّ جهاده ، على ترتيب سني الهجرة .

قَالَ عُلَمَاءُ السِّيَرِ : دخل النَّبِيُّ ﷺ (المدينة) الشَّريفة ضحى يوم الاثنين ، ثاني عشر ربيع الأول ، وهو أولُ/ يومٍ من الهجرة النبويَّة^(١) .

وفي « صحيح البخاري » ، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : ما عدّوا من مبعث النَّبيِّ ﷺ ولا من وفاته ، ما عدّوا إلّا من مقدّمه (المدينة)^(٢) .

وفيه أيضاً - [أي : صحيح البخاري] - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة ، فمكث بـ (مكة) ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة ، فهاجر إلى (المدينة) ، فمكث بها عشر سنين ، ثم توفي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة^(٣) .

(١) ذكر هنا عن ابن هشام : (أن النَّبيَّ ﷺ قدِمَ (المدينة) يوم الاثنين ، فلعلّه يقصدُ بها مشارف (المدينة) . قلتُ : والذي ترجّح أن النَّبيَّ ﷺ دخل إلى (قباء) يوم الاثنين ، ووصل إلى (المدينة) يوم الجمعة ، وقد ذكر ابن هشام في موضع آخر من « سيرته » ، ج ١/ ٤٩٣ : أن النَّبيَّ ﷺ وصل إلى (قباء) يوم الاثنين ، لا تنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٣٧١٩) .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٣٦٣٨) .

وفي « الصَّحِيحِينَ » ، عن عائشة رضي الله عنها أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ
(الْمَدِينَةَ) ﷺ أَقَامَ بِـ (قُبَاءٍ) عِنْدَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ أَرْبَعَ عَشْرَةَ
لَيْلَةً ، وَبَنَى بِهَا مَسْجِدَ (قُبَاءٍ) ، وَهُوَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى
التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ، وَأَوَّلُ مَسْجِدٍ بُنِيَ فِي الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ أَرْتَحَلَ مِنْ
(قُبَاءٍ) يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ أَيْضًا ، رَاكِبًا رَا حِلَّتَهُ ، وَقَدْ أَرَخَى لَهَا الزِّمَامَ ،
وَكَانَ كُلَّمَا حَاذَى دَارًا مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ اعْتَرَضُوهُ ، وَقَالُوا : هَلُمَّ
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الْقُوَّةِ وَالْمَنْعَةِ ، وَلِزِمُوا بِزِمَامِ نَاقَتِهِ ، فَيَقُولُ لَهُمْ :
« خَلُّوا سَبِيلَهَا ، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » ، وَقَدْ أَرَخَى لَهَا زِمَامَهَا ،
وَمَا يُحَرِّكُهَا ، وَهِيَ تَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَالنَّاسُ كَفَنِيهَا - يَعْنِي :
جَانِبَيْهَا - حَتَّى بَرَكَتْ حَيْثُ بَرَكَتْ ، عَلَى مَوْضِعِ بَابِ مَسْجِدِهِ ﷺ ،
ثُمَّ ثَارَتْ وَهُوَ عَلَيْهَا^(١) ، فَسَارَتْ حَتَّى بَرَكَتْ عَلَى بَابِ أَبِي أَيُّوبَ
الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي النَّجَّارِ ، ثُمَّ ثَارَتْ وَبَرَكَتْ
فِي مَبْرِكِهَا الْأَوَّلِ ، وَأَلْقَتْ جِرَانَهَا^(٢) بِالْأَرْضِ ، وَأَرْزَمَتْ^(٣) ،
فَنَزَلَ ﷺ عَنْهَا ، وَقَالَ : « هَذَا هُوَ الْمَنْزِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى »^(٤) .

فَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ رَحْلَهُ ، وَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ ، فَنَزَلَ فِي
أَخْوَالِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ النَّجَّارِ ، وَكَانَ يُحِبُّ ذَلِكَ ، فَاخْتَارَ اللَّهُ
لَهُ مَا كَانَ يَخْتَارُهُ ، وَلَمْ يَزَلْ ﷺ فِي مَنْزِلِ أَبِي أَيُّوبَ حَتَّى بَنَى مَسْجِدَهُ
وَمَسَاكِنَهُ ، وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ عِنْدَهُ شَهْرًا .

قُلْتُ : كَذَا / فِي « الصَّحِيحِينَ » .

[١٢٥ق]

(١) ثَارَتْ : وَثَبَتْ مِنْ مَبْرِكِهَا وَتَحَوَّلَتْ عَنْهُ . (أَنْصَارِي) .

(٢) الْجِرَانُ : بَاطِنُ الْعَنْقِ .

(٣) أَرْزَمَتْ : صَوَّتَتْ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٦٩٤) .

وبنى بها مسجد (قُبَاء) ، وهو المسجد الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ، ولا يخفى أَنَّهُ مِنْ تَفْسِيرِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾ [سورة التَّوْبَةِ ٩ : ١٠٨] وَهُوَ نَكْرَةٌ ، صَادِقٌ عَلَى كُلِّ مَسْجِدٍ بُنِيَ فِي أَبْتِدَاءِ الْهَجْرَةِ ، لَكِنْ يُعَارِضُ تَفْسِيرَ عَائِشَةَ تَفْسِيرُهُ ﷺ كَمَا فِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ » ، أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : « هُوَ مَسْجِدِي هَذَا » ^(١) . وَهُوَ الصَّوَابُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وفي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ : وَلَدْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ بـ (قُبَاء) ، وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ ^(٢) .

وفيه - [أَي : صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ] - عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ بِ (الْمَدِينَةِ) : عُثْمَانُ بْنُ مِظْعُونٍ ، وَهُوَ خَالَ حَفْصَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ^(٣) .

وَلَمَّا بَنِيَ مَسْجِدَهُ ﷺ كَانَ يَنْقُلُ اللَّبْنَ ^(٤) مَعَ أَصْحَابِهِ وَيَرْتَجِزُ مَعَهُمْ .

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٥١٤ / ١٣٩٨) . وَالتِّرْمِذِيُّ بِرَقْم (٣٢٣) . عَنْ

أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٦٩٧) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٧١٤) . قُلْتُ : مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ مِظْعُونٍ - بَعْدَ

أَنْ شَهِدَ بَدْرًا - فِي شَعْبَانَ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثِينَ شَهْرًا مِنَ الْهَجْرَةِ ، أَي : بَعْدَ

سِتْنِينَ مِنْ هَجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَبِذَلِكَ لَا يَكُونُ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ . أَمَّا

أَوَّلَ مَنْ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ : كَلْثُومُ بْنُ الْهَذَمِ وَأَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٤) اللَّبْنُ : بِكَسْرِ الْبَاءِ وَتَسْكِينِهَا ، وَكَذَلِكَ اللَّبْنُ : بِفَتْحِ اللَّامِ وَكَسْرِ الْبَاءِ :

مَا يُضْرَبُ مِنَ الطِّينِ مُرَبَّعًا لِلْبِنَاءِ .

وفي « الصَّحِيحِينَ » ، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ (المدينة) ، نَزَلَ فِي أَعْلَى (المدينة) ، فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ : بنو عَمْرٍو بنِ عَوْفٍ ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ - لَمَّا أُمِرَ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ - فَقَالَ : « يَا بَنِي النَّجَّارِ ، ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا » ^(١) ، فَقَالُوا : لَا ، وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى أَتْبَاعَهُ مِنْهُمَا ، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا ، وَكَانَ فِيهِ قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ ، وَفِيهِ خَرِبٌ ، وَفِيهِ نَخْلٌ ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ ، ثُمَّ بِالْخَرِبِ فُسُوِيَتْ ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ ، فَصَفَّقُوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ ، وَجَعَلُوا عِصَادَتِيهِ الْحِجَارَةَ ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ ، وَهُوَ يَقُولُ :

« اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ »

فَأَغْفِرَ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ » ^(٢)

وفي رواية : « فَأَنْصُرِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ » ^(٣) .

[ق١٢٦] قَالَ أَبُو شَهَابٍ : وَلَمْ يَبْلُغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ / تَمَثَّلَ بَبَيْتِ شَعْرِ تَامٍّ غَيْرَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ^(٤) .

وفيهما - [أَي : الصَّحِيحِينَ] - عَنْ نَافِعٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ الْمَسْجِدَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَبْنِيًّا بِاللَّبَنِ ، وَسَقْفُهُ الْجَرِيدُ ، وَعُمْدَتُهُ الْخَشْبُ ، فَلَمْ يَزِدْ أَبُو بَكْرٍ فِيهِ شَيْئًا ،

تجديد بناء المسجد

(١) ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ : قَرُّوْا مَعِيَ ثَمَنَهُ وَبِعُونِيهِ بِالْثَمَنِ . وَالْحَائِطُ : الْبَسْتَانُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤١٨) ، وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٩/٥٢٤) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٧١٧) .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٦٩٤) .

وزادَ عُمَرُ وبناهُ على بُنيانه في عهدِ النَّبِيِّ ﷺ باللِّين والجَرِيدِ ، وأعادَ عُمَدَهُ خَشْباً ، ثمَّ غَيَّرَهُ عُثْمَانُ ، فزادَ فيه زيادةً كثيرةً ، وبنى جِدَارَهُ بالحِجَارَةِ المنقوشَةِ والقَصَّةِ - أي : النُّورَةِ ، وهي بقافٍ مفتوحةٍ ومُهْمَلَةٍ - وجعلَ عُمَدَهُ من حِجَارَةٍ منقوشَةٍ ، وسَقَفَهُ بالسَّاجِ (١) .

وفي « صحيح البخاري » ، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال : لَتَزُخْرِفْنَهَا كَمَا زُخْرِفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى (٢) .

إخباره ﷺ عماراً بقتله
على يد الفئمة الباغية

وفيه عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال : كنَّا في بناءِ المسجدِ نَحْمِلُ لَبْنَةً لَبْنَةً ، وعَمَارٌ لَبْنَتَيْنِ لَبْنَتَيْنِ ، فرآه النَّبِيُّ ﷺ فنَفَضَ الثُّرَابَ عنه ، وهو يقولُ : « وَيَحْ عَمَارٍ ، تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ » (٣) .

فضلُ المسجدِ النَّبَوِيِّ ﷺ

وفي « الصَّحيحين » ، عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى » (٤) .

(١) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٤٣٥) . الْقَصَّةُ : هي ما يسمِّيهِ أهلُ الشَّامِ : كِلْسًا ، وأهلُ مصرَ : جِيراً ، وأهلُ الحِجَازِ : جِصًّا . السَّاجُ : خَشْبٌ جيِّدٌ ذو قيمةٍ ، يؤتى به من الهند .

(٢) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٤٣٤) . قلتُ : وكان أوَّلُ من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ومن يومها والنَّاسُ شرعوا يغالون في بناء المساجد والمبالغة في زخرفتها ، حتَّى غدا بعضها كالمُتاحف ، يقصده النَّاسُ للاستمتاع بزخرفته لا للصَّلَاةِ والعبادة ، وكلُّ هذا خارجٌ عن سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ . ولوروعيت البساطة في بناء المساجد وعدم المغالاة في الزَّخرفة لكان خيراً وأولى .

(٣) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٤٣٦) .

(٤) أخرجه البخاريُّ ، برقم (١١٣٢) ، ومُسْلَمٌ برقم (١٣٩٧/٥١١) .

وفيهما - [أي : الصَّحَّاحِينَ] - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَزُورُ مَسْجِدَ
(قُبَاءٍ) رَاكِبًا وَمَاشِيًا^(١) .

مشروعية الأذان

وفي السَّنة الأولى أيضاً : شُرِعَ الْأَذَانُ وَالْإِقَامَةُ لِلصَّلَاةِ
الْخَمْسِ ، وَذَلِكَ بِرُؤْيَا مشهورةٍ أَرْتَضَاهَا النَّبِيُّ ﷺ .

وفي « الصَّحَّاحِينَ » ، عن نافع ، عن ابنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا
قَالَ : كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا (المدينة) يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ
الصَّلَاةَ^(٢) ، لَيْسَ يُنَادَى لَهَا ، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ
بَعْضُهُمْ : إِنَّا نَحْذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ
بُوقًا مِثْلَ بُوقِ الْيَهُودِ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَوَلَا تَبْعَثُونَ رَجُلًا مِنْكُمْ يُنَادِي
[ق١٢٧] بِالصَّلَاةِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يَا بِلَالُ ، قُمْ / فَنَادِ بِالصَّلَاةِ »^(٣) .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَشْفَعَ الْأَذَانَ ، وَأَنْ يُوتَرَ الْإِقَامَةُ^(٤) .

وسبقَ في حديث الإسراء أَنَّهُ ﷺ سَمِعَ الْأَذَانَ ، وَأَمَرَ بِالصَّلَاةِ
الْخَمْسِ ، وَلَمْ يُؤْمَرْ بِهِ .

والحديث رواه البزارُ بإسنادٍ حَسَنٍ ، عن عليِّ بنِ أَبِي طالبٍ
رضيَ اللهُ عَنْهُ ، عن النَّبِيِّ ﷺ : أَنَّهُ رَكِبَ الْبُرَاقَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ ، حَتَّى

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١١٣٤) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣٩٩/٥١٥) . عَنْ
ابْنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا .

(٢) يَتَحَيَّنُونَ الصَّلَاةَ : يُقَدِّرُونَ حِينَهَا وَوَقْتُهَا لِيَأْتُوا إِلَيْهَا فِيهِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٧٩) ، وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١/٣٧٧) . قُلْتُ :
وَالْحِكْمَةُ فِي تَخْصِيصِ بِلَالٍ بِالْأَذَانِ حَسَنُ صَوْتِهِ وَنِدَاوَتِهِ وَقُوَّتُهُ ، وَأَيْضًا
فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مَكَاافَةً عَلَى مَا لَقِيَ فِي اللَّهِ ، لَقَدْ كَانَ إِذَا أَشْتَدَّ بِهِ التَّعْذِيبُ
لَا يَفْتَرُ عَنْ قَوْلِهِ : (أَحَدٌ أَحَدٌ) ، فَجُوزِيَ بِالْأَذَانِ الَّذِي أَوَّلُهُ تَعْظِيمٌ
وَتَوْحِيدٌ ، وَآخِرُهُ تَعْظِيمٌ وَتَوْحِيدٌ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « سَنَنِ » ، ج ١/ ٣٩٠ .

أتى بها الحِجَابَ الَّذِي يَلِي عَرْشَ الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَلَا ، فبينما هوَ
كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ مَلَكٌ مِنَ الْحِجَابِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ هَذَا
يَا جَبْرِيلُ ؟ » ، قَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَأَقْرَبُ الْخَلْقِ مَكَانًا ،
وَإِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ مِنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ ، فَقَالَ
الْمَلَكُ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، قَالَ : فَقِيلَ لَهُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ :
صَدَقَ عَبْدِي ، أَنَا أَكْبَرُ ، أَنَا أَكْبَرُ ، ثُمَّ قَالَ الْمَلَكُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ ، فَقِيلَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ : صَدَقَ عَبْدِي ، أَنَا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ،
وَذَكَرَ مِثْلَ هَذَا فِي بَقِيَّةِ الْأَذَانِ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ (١) .

فَاتِلُهُ

في قول القُرطبي
والغزالي في الأذان

قال القُرطبي : الْأَذَانُ عَلَى قِلَّةِ أَلْفَاظِهِ مُشْتَمِلٌ عَلَى مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ .

وقال الغزالي : إِذَا سَمِعْتَ النَّدَاءَ فَأَحْضِرْ فِي قَلْبِكَ النَّدَاءَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، وَأَعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ وَجَدْتَ قَلْبَكَ عِنْدَ هَذَا النَّدَاءِ مَمْلُوءًا بِالْفَرَحِ
وَالِاسْتِبْشَارِ ، مَشْحُونًا بِالرَّغْبَةِ إِلَى الْمُسَارَعَةِ وَالْإِبْتِدَارِ ، فَأَعْلَمْ أَنَّهُ
سَيَأْتِيكَ النَّدَاءُ بِالْبُشْرَى ، وَالْفَوْزِ يَوْمَ الْقَضَاءِ (٢) .

(١) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ، ج ١/ ٣٢٨ . قلت : ذكر الحافظ
أبن حجر في « الفتح » ، ج ٢/ ٧٨ : إِلَى أَنَّهُ اخْتَلَفَ فِي السَّنَةِ الَّتِي فُرِضَ
فِيهَا الْأَذَانُ ، وَأَنَّهُ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَذَانَ شُرِعَ بِمَكَّةَ قَبْلَ
الهِجْرَةِ ، وَيَبَيِّنُ أَنَّهُ لَا يَخْلُو طَرِيقٌ مِنْ طَرُقِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مِنْ مَجْهُولٍ أَوْ
مَتْرُوكٍ ، ثُمَّ رَجَعَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ . وَالْحَدِيثُ
الَّذِي أَوْرَدَهُ الْمُؤَلِّفُ هُنَا تَفَرَّدَ بِهِ زِيَادُ بْنُ الْمُنْذِرِ أَبُو الْجَارُودِ ، وَهُوَ مِنْ
الْمُتَّهِمِينَ بِالْكَذِبِ . ثُمَّ لَوْ كَانَ قَدْ سَمِعَهُ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ لَأَوْشَكَ أَنْ
يَأْمُرَ بِهِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الصَّلَاةِ .

(٢) إحياء علوم الدين ، ج ١/ ١٥٢ .

قَالَ أَهْلُ السَّيْرِ : وَكَانَتْ (المدينة) كثيرةَ الوباءِ ، فتضرَّرَ بذلك أصحابُهُ المهاجرون ، وشقَّ ذلكَ عليه ﷺ ، وخافَ أن يكرهوها ، فدعا اللهَ أن يرفعَ الوباءَ عنها ، فرفعَهُ .

وفي « الصَّحِيحِينَ » ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت : قَدِمْنَا (المدينةَ) وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللهِ ، فَوَعِكَ أَبُو بَكْرٍ ، وَوَعِكَ بِلَالٌ ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَى يَقُولُ ، [مِنْ الرَّجَزِ] :

كُلُّ أَمْرِيءٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ
وَأَلَمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ
وكان بلالٌ إِذَا أَفْلَعَ عَنْهُ الْحُمَى يرفعُ عَقِيرَتَهُ - أَي : صَوْتَهُ -
[ق ١٢٨] يقولُ / ، [مِنْ الطَّوِيلِ] (١) :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خِرُّ وَجَلِيلٌ (٢)
وَهَلْ أَرَدَنَ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ
وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطْفِيلٌ (٣)
وهما جبلانِ بـ (مَكَّةَ) - [أَي : شامةٌ وطفيلٌ] .

قالت : فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا (المدينةَ) ، كَحُبِّنَا (مَكَّةَ) ، أَوْ أَشَدَّ ، وَصَحِّحْهَا لَنَا ، وَأَنْقُلْ حُمَاهَا فَاجْعَلْهَا بـ (الْجُحْفَةِ) ، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدَّنَا » (٤) .

(١) ابن هشام ، ج ٥٨٩ / ٢ .

(٢) الإذخرُ والجليلُ : تُسَقَّفُ بهما البيوتُ فوق الخشب .

(٣) مَجَنَّةٌ : اسم سوقٍ للعرب كان في الجاهليَّة .

(٤) أخرجه البخاريُّ ، برقم (١٧٩٠) . ومُسلم برقم (٤٨٠ / ١٣٧٦) .

فبعدَ دُعوتِهِ ﷺ طَابَ لَهُمُ الْمَقَامُ ، وَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُمْ الْأَسْقَامُ ،
عِنْدَ قَوْمٍ كَرَامٍ .

وفي ذلكَ يَقُولُ أَبُو قَيْسٍ صِرْمَةُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ ، أَحَدُ بَنِي النَّجَّارِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، [مِنْ الطَّوِيلِ] (١) :

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً
يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِياً (٢)
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ
فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرَ دَاعِياً
فَلَمَّا أَتَانَا أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ
فَأَصْبَحَ مَسْرُوراً بِطَيْبَةِ رَاضِياً
وَأَلْفَى صَدِيقاً وَأَطْمَأْنَنْتَ بِهِ النَّوَى
وَكُنَّا لَهُ عَوْناً مِنَ اللَّهِ بَادِياً
يَقْصُ لَنَا مَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ
وَمَا قَالَ مُوسَى إِذْ أَجَابَ الْمُنَادِياً
فَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِداً
قَرِيباً وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِياً (٣)
بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ كُلِّ مَالِنَا
وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعْدِ وَالتَّاسِيَا (٤)

(١) ابن هشام ، ج ٢ / ٥١٢ .

(٢) ثوى : أقام . مواتياً : موافقاً .

(٣) نائياً : بعيداً .

(٤) الوغى : الحرب . التآسي : التعاون .

نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ

جَمِيعاً وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا

الأذن بالقتال وفرض
الجهاد

وفي أَوَّلِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ : أَذِنَ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ ، بِقَوْلِهِ
تَعَالَى فِي حَقِّ الْمُهَاجِرِينَ : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ
عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا
اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفُتِنَتْ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ
يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَئِنْ صُرْتُ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿ [سورة الحج ٢٢/٣٩-٤٠] .

وبقوله تعالى في حقِّ الأنصار : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُنُكُمْ عَلَىٰ
نَجْوَةِ تُجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ﴾ * تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ ، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .
[سورة الصَّف ٦١/١٠-١١] .

ثُمَّ أَوْجَبَ اللَّهُ / ذَلِكَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ : ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ
الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية ^(١) [سورة التَّوْبَةِ ٩/٧٣] .

(١) قلتُ : قال أبو شُهبة - رحمه الله - ومن الأكاذيب التي يردُّها أعداء
الإسلام والمسلمين أَنَّ الإسلام قام على السَّيْف ، وأنَّه لم يدخل فيه
معتنقوه بطريقة الطَّوَاعِيَةِ والاختيار ، وإنَّما دخلوا فيه بالقهر والإكراه ،
وقد اتَّخذوا من تشريع الجهاد وسيلةً لهذا التَّجَنِّي الكاذب الآثم ، وشتان
ما بين تشريع الجهاد وإكراه النَّاس على الإسلام . وهذه الدَّعْوَى الباطلة
الظالمة كثيراً ما يردُّها المبشِّرون والمستشرقون ، وإنَّما الجهاد كان
لِحَكَم ساميةٍ وأغراضٍ شريفةٍ . (السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ ، ج ٢/ ٩٠-١٠٢) .
وإني أنصح القارئ بالعودة إلى كتاب أبي شُهبة حيث أفاض في الرَّدِّ على
هذه الفرية الكبرى .

فَائِدَةٌ

قَالَ الْعَلَمَاءُ : كَانَ الْجِهَادُ فِي زَمَنِهِ ﷺ فَرْضاً عَلَى الْكِفَايَةِ ، إِلَّا أَنْ
التَّخَلَّفَ عَنْهُ مُشْرَوطٌ بِإِذْنِهِ ﷺ ، وَقِيلَ : فَرْضٌ عَيْنٍ .

فِي أَيِّ وَقْتٍ يَكُونُ
الْجِهَادُ فَرْضٌ عَيْنٍ أَوْ
فَرْضٌ كِفَايَةٌ

وَأَمَّا بَعْدُهُ فَعَزَّوْنَا الْكَفَّارَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَرْضٌ كِفَايَةٌ ، وَدَفَعْنَا لِمَنْ
دَخَلَ بِلَادَنَا مِنْهُمْ فَرْضٌ عَيْنٍ ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَأَوْعَدَ عَلَى تَرْكِهِ
بِقَوْلِهِ : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ ٤١/٩] ، وَبِقَوْلِهِ :
﴿ إِنْ أَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ ٣٩/٩] .

وَعَذَرَ أُولَى الضَّرَرِ بِقَوْلِهِ : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ ﴾ [سُورَةُ
النُّورِ ٦١/٢٤] ، وَبِقَوْلِهِ : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ ﴾
[سُورَةُ النَّسَاءِ ٩٥/٤] .

فِي الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ مِنْ
سُورِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

فَائِدَةٌ أُخْرَى

قَالَ الْعَلَمَاءُ : سُورَةُ الْحَجِّ وَسُورَةُ الصَّافِّ مِنْ أَوَائِلِ السُّورِ
الْمَدَنِيَّاتِ ، وَمُعْظَمُ الْقُرْآنِ مَكِّيٌّ ، نَزَلَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَالْمَدَنِيُّ الَّذِي
نَزَلَ بَعْدَهَا ، وَهُوَ نَحْوُ ثَلَاثِينَ سُورَةً ؛ وَهِيَ : الْبَقَرَةُ ، وَآلُ عِمْرَانَ ،
وَالنِّسَاءُ ، وَالْمَائِدَةُ ، وَالْأَنْفَالُ ، وَبَرَاءَةُ ، وَالْحَجُّ ، وَالنُّورُ ،
وَالْأَحْزَابُ ، وَسُورَةُ مُحَمَّدٍ ، وَالْفَتْحُ ، وَالْحُجُرَاتُ ، وَالْحَدِيدُ إِلَى
الْمُلْكِ ، وَهِيَ عَشْرٌ مَتَوَالِيَاتٌ ، وَالْمُطَفِّفِينَ - قِيلَ : وَهِيَ أَوَّلُ سُورَةِ
مَدَنِيَّةٍ - وَلَمْ يَكُنْ ، وَالنَّصْرُ ، وَالْمَعُودَتَانِ .

فَهَذِهِ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ . وَأَخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الرَّعْدِ ، وَهَلْ أَتَى
عَلَى الْإِنْسَانِ ، وَالْكُوثَرِ . وَالرَّاجِحُ أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ السَّبْعِيُّ : فَعِنْدَ ذَلِكَ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ وَأَسْقَطَ
الْإِخَاءَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ

الإِحْنَ^(١) التي كانت بينهم ، ثُمَّ أَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ^(٢) ،
ثُمَّ وَادَعَ الْيَهُودَ^(٣) .

تجهيزه ﷺ السرايا والبعوث
ثُمَّ شَمَّرَ عَنْ سَاقِ الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ
الْجِهَادِ ، فَعَقَدَ الْأَلُويَةَ ، وَأَمَرَ الْأُمَرَاءَ ، وَجَهَّزَ السَّرَايَا وَالْبُعُوثَ
وَالْجِيُوشَ ، وَشَنَّ الْغَارَاتِ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ ، بِمَا سَيَأْتِي ذِكْرُ بَعْضِهِ
وَالْإِشَارَةُ إِلَى غَيْرِهِ مَعَ التَّرْغِيبِ فِي الْجِهَادِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ
وَفِعْلِهِ ، وَقَدْ سَبَقَ فِي صَدْرِ هَذَا الْقِسْمِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ مِنَ الْآيَاتِ
وَالْأَحَادِيثِ الْمُرْغَبَةِ فِيهِ^(٤) .

عدد غزواته ﷺ [ق ١٣٠] وفي / « صحيح البخاري » ، عن البراء بن عازب رضي الله
عنهما قال : غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً ، غَزَوْتُ مَعَهُ سَبْعَ
عَشْرَةَ غَزْوَةً^(٥) .

صَرَفَ الْقِبْلَةَ
وفي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ : حُوِّلَتِ الْقِبْلَةُ عَلَى رَأْسِ سِتَّةَ عَشَرَ
شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ .

- (١) الإِحْنَ : الْأَحْقَادُ وَالْبَغْضَاءُ .
- (٢) قُلْتُ : كَانَتْ الْمُوَاحَاةُ بَعْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ
الْأُولَى لِلْهِجْرَةِ .
- (٣) قُلْتُ : أَيْضًا كَانَتْ الْمَوَادَعَةُ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ .
- (٤) قَالَ أَبُو هِشَامٍ : ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَهَيَّأَ لِحَرْبِهِ وَقَامَ فِيهَا أَمْرُهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ
جِهَادِ عَدُوِّهِ ، وَقِتَالِ مَنْ أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ ، مِمَّنْ يَلِيهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ؛ مُشْرِكِي
الْعَرَبِ .
- (٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْمِ (٤٢٠١) . قُلْتُ : إِنَّمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ
زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ وَلَيْسَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . وَالثَّابِتُ : أَنَّ
الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ
غَزْوَةً . أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْمِ (٤٢٠٢) .

وكان ﷺ مِنْ قَبْلِ يُصَلِّي إِلَى (بَيْتِ الْمَقْدِس)، ويقول: « وَدِدْتُ لو حَوَّلَنِي رَبِّي إِلَى (الكعبة) ، فَإِنَّهَا قِبْلَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

وكانَ يَتَوَقَّعُ نَزولَ الوحي عليه في ذَلِكَ ، فيَقْلِبُ وجهَهُ في السَّمَاءِ ، فَأَخْتارَ اللهُ لَهُ ما يَخْتَارُهُ ، فَنَزَلَ قولُهُ تعالى : ﴿ قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ - أَي : جِهَتَهُ ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ .
[الآيات [سورة البقرة ١٤٤/٢] .

وفي « الصَّحِيحِينَ » عن البراءِ بنِ عازِبٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ :
كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ (بَيْتِ الْمَقْدِس) سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى (الكعبة) ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ ، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ (الكعبة) ، فَقَالَ الشُّفْهَاءُ مِنَ النَّاسِ - وَهُمْ الْيَهُودُ - : ﴿ مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة البقرة ١٤٢/٢] ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ مَا صَلَّى ، فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ يُصَلُّونَ نَحْوَ (بَيْتِ الْمَقْدِس) ، فَقَالَ : هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ (الكعبة) ، فَتَوَجَّهَ الْقَوْمُ نَحْوَ (الكعبة) ^(١) .

(١) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٣٩٠) . ومُسلم برقم (١١/٥٢٥) . قلتُ : قال أبو شُهبة - رحمه الله - (أَمَا قِبْلَتُهُ بِمَكَّةَ ، فَقِيلَ : كَانَ النَّبِيُّ يُسْتَقْبَلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يُسْتَدْبِرُ الْكَعْبَةَ ، بَلْ يَجْعَلُهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقِفَ بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ الْأَسْوَدِ وَالْيَمَانِيِّ ، فَلَمَّا هَاجَرَ ﷺ أَسْتَمَرَ عَلَى أَسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى نَسَخَ اللهُ ذَلِكَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ . وَقِيلَ : كَانَتْ قِبْلَتُهُ الْكَعْبَةُ ، فَلَمَّا هَاجَرَ أَمَرَهُ اللهُ بِأَسْتِقْبَالِ بَيْتِ =

فَاتَعَلَّاهُ

قَالَ الْعَجَلَاءُ : كَانَتْ الْقِبْلَةُ أَوَّلَ مَنْسُوخٍ فِي شَرِيعَتِنَا ^(١) .

ومعنى النَّسخ عند الأصوليين : رفعُ الحُكْمِ الشرعيِّ السَّابِقِ
بخطابٍ لاحقٍ .

النَّاسِخُ والمَنْسُوخُ

ويجوزُ النَّسخُ إِلَى بَدَلٍ ؛ كَنَسْخِ اسْتِقْبَالِ (بَيْتِ الْمَقْدِسِ) إِلَى
اسْتِقْبَالِ (الكعبة) .

وإِلَى غيرِ بَدَلٍ ؛ كَنَسْخِ وَجوبِ تَقْدِيمِ صَدَقَةٍ بَيْنَ يَدَيِ النَّجْوَى
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِذَا نَحِجُّمُ الرُّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمُ صَدَقَةً ﴾
[ق ١٣١] بقَوْلِهِ : ﴿ ءَاسْفَقْتُمْ / اَنْ تَقْدِمُوْا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمُ صَدَقَتٍ ﴾ الآية [سورة
المُجَادَلَةِ ٥٨ / ١٢ - ١٣] .

وإِلَى بَدَلٍ أَخَفٍّ ؛ كَنَسْخِ الْعِدَّةِ عَامًّا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى
الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ بقَوْلِهِ : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا
يَرَبِّصْنَ أَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [سورة البقرة ٢ / ٢٤٠ ، ٢٣٤] .

وإِلَى أَعْلَظَ كَنَسْخِ التَّخْيِيرِ بَيْنَ رَمَضَانَ وَالْفِدْيَةِ فِي قَوْلِهِ :
﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ بتعيين الصَّيَامِ فِي قَوْلِهِ :
﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [سورة البقرة ٢ / ١٨٤ - ١٨٥] .

= الْمَقْدِسُ حَتَّى نَسْخَ ذَلِكَ) . قَالَ أَبُو عَبْدِ الْبَرِّ - عَالِمُ الْمَغْرِبِ - : (وَهَذَا
أَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ عِنْدِي) . وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ إِمَامَةِ جَبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ غَدَاةَ لَيْلَةٍ
الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ ، فَقَدْ كَانَ وَقُوفَهُمَا عِنْدَ بَابِ الْكَعْبَةِ ، وَغَيْرِ مُمْكِنٍ لِمَنْ
كَانَ عِنْدَ بَابِهَا أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ مَعًا . (أَنْظُرِ السَّيْرَةَ
النَّبَوِيَّةَ ، ج ٢ / ١٠٣) .

(١) أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «سُنَنِهِ» ، ج ٢ / ١٢ . عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَأَنْكَرَتِ الْيَهُودُ جَوَازَ نَسْخِ حُكْمِ اللَّهِ السَّابِقِ بِحُكْمٍ لَاحِقٍ ،
لِيَتَوَصَّلُوا بِذَلِكَ إِلَى تَأْيِيدِ شَرَعِ مُوسَى .

وَأَحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : بِأَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنْ كَانَ زَوْجَ بَنِيهِ
بَيْنَاتِهِ ، فَقَدْ أَعْتَرَفْتُمْ إِمَّا بِالنَّسْخِ وَإِمَّا بِجَوَازِ ذَلِكَ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، وَإِنْ كَانَ زَوْجَ بَنِيهِ بَيْنَاتِ إِبْلِيسَ وَبَنَاتِهِ بِأَبْنَاءِ إِبْلِيسَ ؛ فَأَنْتُمْ مِنْ
ذُرِّيَّةِ إِبْلِيسَ . عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَلَمَّا نُسِخَ التَّوَجُّهُ إِلَى (بَيْتِ الْمَقْدِسِ) بِالتَّوَجُّهِ إِلَى
(الْكعبة) أَكْثَرَ الْيَهُودُ فِي ذَلِكَ : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ - أَيِ :
اليَهُودِ - ﴿ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ - أَيِ :
خِيَارًا - ﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ - أَيِ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِتَبْلِيغِ
الرُّسُلِ - ﴿ وَيَكُونُ الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ - أَيِ : مُزَكِّيًا - ﴿ وَمَا جَعَلْنَا
الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ - أَيِ : لِنَنْظُرَ - ﴿ مَنْ يَتَّبِعِ الرُّسُولَ
مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ ﴾ - أَيِ : قِصَّةُ التَّحْوِيلِ - ﴿ لَكِبَرَةٍ ﴾ -
أَيِ : ثَقِيلَةٍ - ﴿ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضْيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾
- أَيِ : صَلَاتَكُمْ إِلَى (بَيْتِ الْمَقْدِسِ) - ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾
[سورة البقرة ٢/١٤٢-١٤٣] .

وَفِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - [أَيِ : السَّنَةِ الثَّانِيَةِ] - : فُرِضَ صَوْمُ
رَمَضَانَ ، وَنُسِخَ صَوْمُ عَاشُورَاءَ / ، فَتَزَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ [ق ١٣٢]
ءَامِنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ الْآيَاتِ [سورة البقرة ٢/١٨٣] .

وَفِي «الصَّحِيحِينَ» عَنْ أَبِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : صَامَ النَّبِيُّ
ﷺ عَاشُورَاءَ ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ^(١) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٧٩٣) .

وفيها - [أي : السَّنة الثانية] - في رمضان : فُرِضَتْ صَدَقَةُ الْفِطْرِ .

ففي « الصَّحِيحَيْن » ، عن أَبِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ ، عَلَى كُلِّ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ ، ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى مِنْ الْمُسْلِمِينَ^(١) .

وفيها - [أي : السَّنة الثانية] - في رمضان : غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ (بَدْرٍ) الْكُبْرَى ، وَكَانَتْ الْوَقْعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ الْمَعْظَمِ ، وَهُوَ يَوْمُ الْفُرْقَانِ ، يَوْمَ أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ ، وَأَشَارَ إِلَيْهَا فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ وَقْعِهَا بِقَوْلِهِ : ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ [سورة الْفُرْقَان ٢٥ / ٧٧] ، وَبِقَوْلِهِ : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾ [سورة الدُّخَان ٤٤ / ١٦] .

وَفَضَّلَهَا أَشْهُرُ مَنْ أَنْ يُذَكَرَ .

وَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : إِنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ (بَدْرٍ) عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ ، وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ .

وَهُمْ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ ، مَعَهُمْ فَارِسٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ^(٢) .

وَعِدَّةُ الْمُشْرِكِينَ نَحْوُ الْأَلْفِ ، مِنْهُمْ ثَمَانُونَ فَارِسًا .

وَأَسْتَشْهَدُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سَبْعُونَ ، وَأُسْرَ سَبْعُونَ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٤٣٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٢/٩٨٤) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٧٤١) .

وشهدها جبريلُ الأمينُ في ألفٍ مِنَ الملائكةِ مُردِّفينَ ، وصارَ
لَهُم فضلٌ عندَ أَهلِ السَّمَاءِ كفضلِ أَهلِ (بَدْرٍ) عندَ أَهلِ الأرضِ .

وفي « صحيح البخاري » ، أَنَّ جبريلَ عليه السلامُ قالَ
لِلنَّبِيِّ ﷺ : ما تعدُّون أَهلَ (بَدْرٍ) فيكم ؟ قالَ : « مِنْ أَفْضَلِ
المُسْلِمِينَ » ، قالَ : وكذلكَ مَنْ شَهِدَ (بَدْرًا) مِنَ الملائكةِ (١) . واللهُ
أَعْلَمُ .

فَائِدَةٌ

في المزايا التي
منحها الله لأهل بَدْرٍ

وفي « الصَّحِيحِينَ » أَيضاً ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : « لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ
عَلَى أَهْلِ (بَدْرٍ) فَقَالَ : / اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » (٢) .

[ق ١٣٣]

أَي : عَلِمَ اللَّهُ أَنََّّهُم مِّنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، لِمَا سَبَقَ أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْهَا إِلَّا
مُؤْمِنٌ ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يُجَاوِزِ النَّهْرَ مَعَ طَالُوتَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ
العنايةُ لَمْ تَضُرَّهُ الجنايةُ ، وَلَمْ يَمُتْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى
أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ مَعاقبتُهُمْ عَلَى هَفَوَاتِهِمْ بَعْدَ
ذَلِكَ ؛ كحاطبٍ وسعدٍ وأبي لُبَابَةَ وَمِسطَحٍ ومُرارةَ وهلالٍ (٣) .

والمُرَادُ أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ أَنَّ ذُنُوبَهُمْ مَغْفُورَةٌ بِمَا يَنَالُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ
وَالْأَذَى فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَمْ يُغْفَرْ حِينَئِذٍ عَلَى الْقَطْعِ لِأَحَدٍ
مَا تَأَخَّرَ مِنْ ذَنْبِهِ ، إِلَّا لِمُحَمَّدٍ ﷺ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٧٧١) . عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٧٦٢) . عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) وَهُمْ : حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ ، وَسَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ ، وَأَبِي لُبَابَةَ بَشِيرُ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَمِسطَحٌ وَاسْمُهُ عَوْفُ بْنُ أَثَاثَةَ ، وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ ،
وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ .

وما وردَ في بعضِ الأخبارِ - كما ورد في حديث الشفاعة - مِنْ قَوْلِهِ : « غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » ، محمولٌ على غُفْرَانِ أَوَّلِ ذَنْبِهِ وَآخِرِهِ ، لِقَوْلِهِ : « مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ » . واللهُ أَعْلَمُ .

سببُ غزوةِ بَدْرٍ

قَالَ هَذَا السَّيِّدُ : وَسَبَبُهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ بِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي عِيرٍ لِقُرَيْشٍ أَقْبَلَتْ مِنَ (الشَّامِ) ، فَجَعَلَ الْعِيُونَ عَلَيْهَا^(١) ، فَلَمَّا جَاءَهُ عَيْنُهُ خَرَجَ بِمَنْ خَفَّ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنَّهُ يَلْقَى عَدُوًّا ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ يَتَحَسَّسُ الْأَخْبَارَ خَوْفًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَجَاءَهُ الْخَبْرُ بِمَخْرَجِهِ ، فَبَعَثَ إِلَى قُرَيْشٍ يَسْتَنْفِرُهُمْ ، فَأَوْعَبَتْ^(٢) قُرَيْشٌ فِي الْخُرُوجِ ، وَخَرَجَتْ سَائِرُ بَطُونِهَا .

استشارةُ النَّبِيِّ ﷺ
أَصْحَابَهُ بَعْدَ نَجَاةِ الْعِيرِ

فَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ، بَلَغَهُ نَفَرُ قُرَيْشٍ ، فَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي طَلَبِ الْعِيرِ أَوْ قِتَالِ النَّفِيرِ ، وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ »^(٣) .

وَكَانَتِ الْعِيرُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّوْنَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ ﴾ - أَيِ : السَّلَاحِ ، وَهِيَ الْعِيرُ - ﴿ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [سورة الأنفال ٧/٨] .

فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَتَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ يَقُولُ : « أَشِيرُوا عَلَيَّ » ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَرِيدُ / الْأَنْصَارَ [ق ١٣٤] لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَايِعَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ ، إِنَّمَا بَايَعَهُمْ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّا

(١) قُلْتُ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنَ الْجُهَنِيِّ وَعَدِيَّ بْنَ أَبِي الزَّغْبَاءِ الْجُهَنِيِّ يَتَحَسَّسَانِ لَهُ الْأَخْبَارَ .

(٢) أَوْعَبَتْ : خَرَجَتْ كُلُّهَا إِلَى الْغَزْوِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « الدَّلَائِلِ » ، ج ٣ / ٣٣ .

يمنعون منه أَنْفُسَهُمْ ، مِمَّنْ دَهَمُهُ^(١) إِلَى (المدينة) ، وَلَكِنْ كَانَ
الإِيمَانُ قَدْ تَمَكَّنَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَأَعْتَقَدُوا وَجُوبَ طَاعَتِهِ
وَنُصْرَتِهِ ﷺ ، حَتَّى لَوْ أَمَرَهُمْ بِقَتْلِ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ لَامْتَثَلُوا أَمْرَهُ .

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : إِيَّاْنَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » ، قَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ
نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى (بَرْكِ الْغِمَادِ)^(٢) - أَيِ : بِالْمُعْجَمَةِ - لَفَعَلْنَا ، وَلَوْ
أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخْضَنَاهَا .

فَسَرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، وَاللَّهِ
لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ »^(٣) .

فساروا حتى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَدْنَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ (بَدْرِ) إِلَى
عُسْكِرِهِ ، فَأَشِيرَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى أَدْنَى مَاءٍ إِلَى الْعَدُوِّ ، وَيَتْرَكَ الْمِيَاهَ
كُلَّهَا خَلْفَهُ ، ففعل . وَبُنِيَ لَهُ عَرِيشٌ يَسْتَظِلُّ فِيهِ .

وَلَمَّا أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ
بِخَيْلَانِهَا وَفَخْرِهَا ، تُحَادِّثُكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ ، اللَّهُمَّ أَحْنِهِمْ - أَيِ :
أَحْضِرْ حَيْنَهُمْ وَهُوَ هَالِكُهُمْ - الْغَدَاةَ ، اللَّهُمَّ إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ
- يَعْنِي : الْمُسْلِمِينَ - لَا تُعْبِذُ فِي الْأَرْضِ »^(٤) .

وما زالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ - أَيِ : يَدْعُوهُ - حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ ، فَأَخَذَ

(١) دَهَمُهُ : فَجَأُهُ .

(٢) بَرْكِ الْغِمَادِ : تَقَعُ فِي جَنُوبِ الْقَنْفَذَةِ بـ (١١١) كِيلُومِتْرًا . وَالْقَنْفَذَةُ : بَلَدَةٌ
وَمِينَاءُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ جَنُوبَ جَدَّةَ . وَبَرْكِ الْغِمَادِ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى
الْقَنْفَذَةِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « سَنَنِ » ، ج ٣/ ١٠٦ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « الدَّلَائِلِ » ، ج ٣/ ١١٠ .

أبو بكر بيده وقال : حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَيَّ رَبِّكَ - أَي : بالغت في سؤاله - فخرج ﷺ وعليه الدَّرْعُ وهو يقول : ﴿ سَيَرُّهُمْ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبْرَ ﴾ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴿

[سورة القمر ٥٤/٤٦٤٥] .

قُلْنِي : ينبغي نصبُ الساعة الأولى في الحديث على الظرفية لكننا رويناها بالرفع كلفظ التلاوة .

تسوية النبي ﷺ
الصفوف

ثُمَّ أَخَذَ ﷺ يُعَدِّلُ صَفُوفَهُمْ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَحْمِلُوا حَتَّى يَأْمُرَهُمْ .
ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْعَرِيشِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَخَفَقَ (١)
/ خَفَقَةً ، ثُمَّ أَنْتَبَهَ ، فَقَالَ : « أَبَشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَتَاكَ نَصْرُ اللَّهِ ، هَذَا جَبْرِيلُ أَخَذَ بِعِنَانٍ فَرَسِهِ » .

مناشدة النبي ﷺ رَبَّهُ
النَّصْرَ [ق١٣٥]

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى صَفِّ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا تَزَاخَفَ النَّاسُ أَخَذَ خَفْنَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ وَرَمَى بِهَا فِي وَجْهِ الْمُشْرِكِينَ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : « شُدُّوا بِاسْمِ اللَّهِ » ، فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ فِيهِمْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَنَصَرَ اللَّهُ عَبْدَهُ ، وَأَعَزَّ جَنْدَهُ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِسْمَةِ غَنَائِمِ (بَدْر) سُورَةَ الْأَنْفَالِ ، وَفِيهَا أَيْضًا لِيَعْلَمُوا أَنَّ النَّاصِرَ لَهُمْ : ﴿ فَلَمْ يَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [سورة الأنفال ١٧/٨] .

وفي « الصَّحَّاحِينَ » ، أَنَّهُ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ فَأَلْقَوْا فِي قَلْبِ ، ثُمَّ قَامَ عَلَى الْقَلْبِ ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ : « هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا » ، ثُمَّ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ » (٢) .

طرح بعض المشركين
في القلب، ومخاطبة
النبي ﷺ لَهُمْ

(١) خَفَقَ : نام نومة خفيفة .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٣٧٥٧) . ومسلم برقم (٢٨٧٣) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

عودة النبي ﷺ إلى
المدينة وتهته بالنصر

ثُمَّ قَفَلَ ﷺ راجعاً إلى (المدينة) ، ولقيه المسلمون إلى
(الزَّوْحَاء) ^(١) يَهْتَتُونَهُ بالنَّصْر والظَّفَر : ﴿ فَقَطَعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام ٦/٤٥] .

فَائِدَةٌ

في سبب إلحاح
النبي ﷺ على ربه
بالنصر في بدر

قوله : فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك يا رسول الله ، فقد
ألححت على ربك .

قَالَ الْعَلَمَاءُ : لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر رضي الله عنه كان
أوثق بربه من النبي ﷺ في تلك الحالة وغيرها ، بل الحامل له على
ذلك تقوية قلوب أصحابه ، لأنهم كانوا يعلمون أنه شفيع مُشَفَّعٌ ،
مُستجاب الدعوة ، وكان ذلك اليوم أول مشهد شهده ، فبالغ في
الدعاء لتسكن نفوسهم ، فلما قال أبو بكر ما قال ، علم أنه قد اعتقد
إجابة الدعاء ، ووقع النصر ، فخرج النبي ﷺ . والله أعلم .

بناؤه ﷺ بعائشة
رضي الله عنها

وفيها - [أي : السنة الثانية] - في شوال : بعد (بدر) دخل
النبي ﷺ بعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، وهي بنت تسع
سنين ^(٢) .

(١) الزَّوْحَاء : وهي من القرع ، على نحو أربعين ميلاً من المدينة ، وهو
الموضع الذي نزل به تبع حين رجع من قتال أهل المدينة يريد مكة ،
فأقام بها وأراح ، فسماها (الزَّوْحَاء) .

(٢) قلت : الرَّاجِحُ أنه ﷺ دخل بعائشة رضي الله عنها في شوال من السنة
الأولى للهجرة . وعليه أجمع المحدثون وعلماء السير . وما ذكره
المؤلف - رحمه الله - إنما روي عن جابر بن عبد الله في « تاريخ
دمشق » ، ق ١/١٦٤ . وفيه ضعف . ولا يقال إنها صغيرة لا تحتمل
الزَّفاف ؛ بل إن كثيراً من بنات العرب تكون مؤهلة لذلك وهي في هذا
السِّنِّ ، ثم إن زواجه ﷺ منها ليس لمجرد الرغبة الجنسية وإنما لتكون =

وفيهما - [أي : السَّنة الثَّانية] - بعد (بَذَر) : كَانَ قَتْلُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَأَبِي رَافِعٍ .

أَمَّا ^(١) كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَنْتَصَرَ بِ (بَذَر) أَشَدَّ حُزْنٌ عَدُوَّ اللَّهِ / كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ الطَّائِيَّ الْيَهُودِيَّ ، وَأُمُّهُ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ ، فَرَّثُوا قَتْلَ الْمُشْرِكِينَ بِقِصَائِدَ ، وَقَدِمَ (مَكَّةَ) وَحَرَّضَ قُرَيْشًا عَلَى الْأَخْذِ بِالثَّأْرِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى (يَثْرِبَ) ، وَكَانَ لَهُ حِصْنٌ مَنِيعٌ ، فَأَظْهَرَ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، وَجَعَلَ يُشَبِّبُ فِي شِعْرِهِ بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَيُؤْذِيهِمْ ^(٢) ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ » ، فَأَتَنَدَبَ لَهُ خَمْسَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ثُمَّ مِنَ الْأَوْسِ ، فَقَتَلُوهُ .

وَأَتَنَدَبَ ^(٣) أَيْضًا لِقَتْلِ أَبِي رَافِعٍ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ تَاجِرِ أَهْلِ (الْحِجَازِ) - وَكَانَ لَهُ حِصْنٌ بِ (خَيْبَرَ) ، وَكَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ - سَبْعَةٌ مِنَ الْخَزَرَجِ ، فَقَتَلُوهُ .

= - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَبْلَغَةٌ عَنْهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ . وَهَذَا مَا حَصَلَ فَعَلًا .

(١) قُلْتُ : قَالَ أَبُو سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» ، ج ٢ / ٣١ : ثُمَّ سَرِيَّةُ قَتْلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيَّ ، وَذَلِكَ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، عَلَى رَأْسِ خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ شَهْرًا مِنْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
(٢) يَشَبِّبُ : يَتَغَزَّلُ بِهِنَ وَيَذْكُرُ حُسْنَهنَّ .

(٣) قُلْتُ : أَوْرَدَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - خَبَرَ قَتْلِ سَلَامٍ فِي أَحْدَاثِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ . وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي تَحْدِيدِ سَنَةِ قَتْلِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سِتٍّ لِلْهِجْرَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ . قَالَ الطَّبْرِيُّ : إِنَّهُ قُتِلَ سَنَةَ ثَلَاثٍ لِلْهِجْرَةِ فِي النُّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْهَا . وَهُوَ الْمَرْجَحُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

تحريضُ النَّبِيِّ ﷺ
على قتلِ كعبِ بنِ
الأشرفِ

وفي « الصَّحِيحِينَ » ، عن جابرِ بنِ عبد الله رضي الله عنهما
قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى
اللَّهَ وَرَسُولَهُ » . فقال مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ : أَتَحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ ؟ قال : « نَعَمْ » ، قال : إِنْ أَذَنْ لِي فَلَأَقُلَّ ، قال : « قُلْ » ، قال
فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ الصَّدَقَةَ مِنَّا ، وقد عَنَّا - أَي :
أَتَعْبَنَا - فقال كعبٌ : وأيضاً واللهِ لَتَمْلُنَّهُ ، قال : إِنَّا قَدْ أَتَبَعْنَاهُ ،
ونكره أَنْ نَدْعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيْ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ ، وقد أَرَدْتُ أَنْ
تُسَلِّفَنِي سَلَفاً ، قال : فما تَرْهَنُنِي ؟ قال : ما تريد ؟ قال : تَرْهَنُنِي
نِسَاءَكُم ؟ قال : أَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ ، أَنْزَهْنِكَ نِسَاءَنَا ؟ قال لَهُ :
تَرْهَنُونِي أَوْلَادَكُمْ ؟ قال : يُسَبُّ ابْنُ أَحَدِنَا فَيُقَالُ : رَهْنٌ فِي وَسْقَيْنِ
مِنْ تَمْرٍ^(١) ، ولكن نَرْهَنُكَ اللَّأَمَةَ - يعني السِّلَاحَ - قال : فنعم .

فواعده أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْحَارِثِ بْنِ أَوْسٍ ، وَأَبِي نَائِلَةَ ،
وَأَبِي عَبْسٍ بْنِ جَبْرِ ، وَعَبَادِ بْنِ بَشِيرٍ ، قال : فجاءوا ، فدَعَوْهُ لَيْلاً ،
فَقَالَتْ لَهُ أَمْرَاتُهُ : واللهِ إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتاً فِيهِ الْمَوْتُ ، قال : إِنَّمَا هَذَا
مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، ورضيعُهُ أَبُو نَائِلَةَ ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ
لَأَجَابَ ، فقال مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ لِأَصْحَابِهِ : إِنِّي إِذَا جَاءَ / فسوف [١٣٧]
أَمُدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ ، فَإِذَا اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَدُونَكُمْ ، فنزلَ وهوَ مَتَوَشِّحٌ
بِالسَّيْفِ ، فقالوا لَهُ : إِنَّا نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطَّيِّبِ ، قال : نعم ، تحتي
فَلَانَةُ أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ ، قال مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ : أَفَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَشُمَّ
مِنْهُ ؟ قال : نعم ، فَشَّمَّ ، فتناولَ فَشَّمَّ ، ثُمَّ قال : أَتَأْذُنُ لِي أَنْ
أَعُودَ ؟ قال : نعم ، وتمكَّنَ مِنْهُ ، ثُمَّ قال : دُونَكُمْ ، فَقَتَلُوهُ . ثُمَّ

(١) الْوَسْقُ : حِمْلٌ بَعِيرٍ ، وهو سِتُونُ صَاعاً بِصَاعِ النَّبِيِّ ﷺ .

أَتُوا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ^(١) .

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكَ لِقَتْلِ
سَلَامَ بْنِ أَبِي الْحَقَيْنِ

وفي « صحيح البخاري » ، عن البراء بن عازب رضي الله
عنهما قال : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رجلاً مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكَ ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ ،
وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ (الْحِجَازِ) ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ ، وَقَدْ غَرَبَتِ
الشَّمْسُ ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرَحِهِمْ^(٢) ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ
لَأَصْحَابِهِ : اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ - أَي : خَارِجَ السَّوْرِ - فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ ،
وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَابِ ، لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْبَابِ ، ثُمَّ
تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ - أَي : غَطَّى بِهِ رَأْسَهُ - كَأَنَّهُ يَقْضِي الْحَاجَةَ ، وَقَدْ دَخَلَ
النَّاسُ ، فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَابُ : يَا هَذَا ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ
فَادْخُلْ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ ، قَالَ : فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ - أَي :
أَخْتَفَيْتُ - فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَوَابُ الْبَابَ ، ثُمَّ عَلَّقَ الْمِفْتَاحَ
عَلَى وَتَدٍ ، قَالَ : فَقُمْتُ إِلَى الْأَغَالِقِ فَأَخَذْتُهَا ، فَفَتَحْتُ الْبَابَ ،
وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يَسْمُرُ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي عُلْيَا^(٣) لَهُ ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ
سَمَرِهِ ، صَعِدْتُ إِلَيْهِ ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَاباً أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ
دَاخِلٍ ، وَقُلْتُ : إِنْ يَدْرِي الْقَوْمَ لَمْ يَخْلُصْ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى أَقْتُلَهُ
- أَي : وَإِنْ قَتَلُونِي بَعْدَهُ - ، فَأَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ
وَسَطَ عِيَالِهِ ، لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا رَافِعٍ ، فَقَالَ : مَنْ
هَذَا ؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ ، فَضْرَبْتَهُ بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهْشُ ، فَمَا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٨١١) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٨٠١/١١٩) .

وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ .

(٢) سَرَحُهُمْ : مَوَاشِيَهُمْ .

(٣) الْعُلْيَا : الْعُرْفَةُ .

أَغْنَيْتُ شَيْئاً^(١) ، وصاح ، فخرجتُ مِنَ الْبَيْتِ ، فمكثتُ غيرَ بعيدٍ ،
 ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا / الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ ؟ وَغَيَّرْتُ [ق١٣٨]
 صَوْتِي كَأَنِّي أُغِيثُهُ ، فَقَالَ : إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي بِالسَّيْفِ ،
 قَالَ : فَضَرَبْتُهُ ضَرْبَةً فَأَثَخْتُهُ ، ثُمَّ وَضَعْتُ طُبَّةَ السَّيْفِ^(٢) فِي بَطْنِهِ ،
 وَأَعْتَمَدْتُ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَدْ قَتَلْتُهُ ، فَجَعَلْتُ
 أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا بِأَبًا ، حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ ، فَوَضَعْتُ
 رِجْلِي ، وَأَنَا أَظُنُّ أَنِّي قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَوَقَعْتُ ، فَأَنْكَسَرَتْ
 سَاقِي فَعَصَبْتُهَا ، ثُمَّ جَلَسْتُ عَلَى الْبَابِ ، وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَخْرُجُ
 اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ أَنِّي قَتَلْتُهُ ، فَمَكَّثْتُ إِلَى أَنْ صَاحَ الدِّيكُ ، فَقَامَ
 النَّاعِي عَلَى السَّوْرِ ، وَقَالَ : أُنْعِي أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ (الْحِجَازِ) ،
 فَأَنْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي ، فَقُلْتُ : النَّجَاءُ^(٣) ، فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ ،
 فَأَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ ، فَقَالَ : « أَبْسُطْ رِجْلَكَ » ، فَبَسَطْتُهَا
 فَمَسَحَهَا بِيَدِهِ ، فَكَأَنِّي لَمْ أَشْكُهَا قَطُّ^(٤) .

وفي هذه السَّنة أيضاً - [أي : السَّنة الثَّانية] - : نَقَضَتْ غَزْوَةُ بَنِي قَيْنِقَاعَ
 بَنُو قَيْنِقَاعَ يَهُودُ (الْمَدِينَةِ) الْعَهْدَ ، فَحَاصَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى نَزَلُوا
 عَلَى حُكْمِهِ فِيهِمْ ، فَوَهَبَهُمْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ سَلُولَ ، وَكَانُوا
 حُلَفَاءَهُ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ .

وفي السَّنة الثَّالثة : كَانَتْ غَزْوَةُ (أُحُدٍ) ، وَكَانَتْ وَقَعْتُهَا يَوْمَ غَزْوَةِ أُحُدٍ
 السَّبَبُ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَالٍ .

(١) فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا : أَي لَمْ أَقْتُلْهُ .

(٢) طُبَّةُ السَّيْفِ : حَرْفٌ حَدُّ السَّيْفِ .

(٣) النَّجَاءُ : أَي أَسْرَعُوا وَأَنْجُوا بِأَنْفُسِهِمْ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٨١٣) .

وكانَ مِنْ حَدِيثِ (أُحَدِّ) أَنَّ قُرَيْشاً تَحَاشَدُوا بَعْدَ (بَذْرِ) ،
وَأَجْتَهَدُوا فِي طَلَبِ الثَّأْرِ ، وَخَرَجُوا بِظُعُنِهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ مِنْ
الْأَحَابِيشِ - أَيِ : جَمُوعِ الْعَرَبِ - حَتَّى نَزَلُوا بِ (أُحَدِّ) ، وَكَانُوا ثَلَاثَةَ
آلَافٍ ، مِنْهُمْ مِثَّتَا فَارِسٍ .

مُشَاوَرَةُ النَّبِيِّ ﷺ
أَصْحَابُهُ فِي الْخُرُوجِ

فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ أَوْ
الْإِقَامَةِ ، وَقَالَ لَهُمْ : « إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنَّ فِي سَيْفِي ثَلَمَةً ، وَأَنَّ
بَقَرًا تُذْبَحُ ، وَتَأْوَلُّنُهَا أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِي يُقْتَلُونَ ، وَأَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ
بَيْتِي يُصَابُ ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ تَقِيمُوا بِ (الْمَدِينَةِ) وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا ،
فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ ، وَإِنْ دَخَلُوهَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا » ^(١) .

فَاخْتَلَفَتْ آرَاؤُهُمْ فِي ذَلِكَ ، حَتَّى غَلَبَ رَأْيُ مَنْ أَحَبَّ الْخُرُوجَ .

[ق ١٣٩]

وكانَ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ / (بَذراً) حَصَلَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَسْفُ عَلَى
مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْفَضِيلَةِ .

تَهْيِؤَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْخُرُوجِ

فَدَخَلَ ﷺ فَلَيْسَ لِأُمَّتِهِ ^(٢) ، وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَوَجَدَهُمْ قَدْ رَجَّحُوا
رَأْيَ الْقَعُودِ ، فَقَالَ : « لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى
يُقَاتَلَ » ^(٣) . فَسَارَ بِهِمْ ، وَكَانُوا نَحْوَ الْأَلْفِ ، لَيْسَ فِيهِمْ فَرَسٌ ^(٤) .

أَتَخَذَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي
بِالْمَنَاقِفِينَ

فَأَتَخَذَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنُ سَلُولَ ، وَكَانَ مُطَاعاً بِثُلْثِ النَّاسِ .

تَعْيِيزُ النَّبِيِّ ﷺ
الْمُسْلِمِينَ لِلْقِتَالِ

فَبَقِيَ نَحْوَ سَبْعِ مِائَةِ رَجُلٍ ، فَنَزَلَ ﷺ وَجَعَلَ ظَهْرَهُ إِلَى (أُحَدِّ) ،
وَرَتَّبَ أَصْحَابَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» ، ج ٣ / ١٩٨ بنحوه .

(٢) لِأُمَّتِهِ : دِرْعُهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» ، بِرَقْم (١٤٣٧٣) .

(٤) فِي الْمَخْطُوطِ : فَارِسٍ . وَالتَّصْوِيبُ مِنْ «مُسْنَدِ أَحْمَدٍ» .

- وَكَانَ غَدَا مِنْ مَنْزِلِ عَائِشَةَ - ﴿ تَبَوَّأُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ ﴾
 الآيات [سورة آل عمران ١٢١/٣] ، وَأَقْعَدَ الرُّمَاءَ ، وَهُمْ خَمْسُونَ عَلَى جَبَلٍ
 (عنين) - مُصَغَّرًا بِمِهْمَلٍ وَنُونٍ مَكْرَرَةٍ - وَقَالَ لَهُمْ : « لَا تَبْرَحُوا
 مَكَانَكُمْ إِنْ غَلَبْنَا أَوْ غَلِبْنَا » .

انتصار المسلمين ودور
 الرُّمَاءَ فيه

وظَاهَرَ ﷺ يَوْمَئِذٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ^(١) ، وَحَمَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ عَلَى
 الْمُشْرِكِينَ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ
 صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة آل عمران ١٥٢/٣] .
 وَقُتِلَ مِنْهُمْ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا .

فَقَالَتِ الرُّمَاءُ : الْغَنِيمَةُ يَا قَوْمُ ، فَقَدْ ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا
 تَنْتَظِرُونَ ؟ فَأَبَى بَعْضُهُمْ فُتِبَتْ مَكَانَهُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :
 « لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ » ، وَخَالَفَ الْآخَرُونَ ، فَأَقْبَلُوا عَلَى الْغَنِيمَةِ ،
 كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ - أَيِ : الْغَنِيمَةِ
 ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِبَبْتَلِيكُمْ ﴾ ، لَكِنْ
 عَفَا عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾
 [سورة آل عمران ١٥٢/٣] .

فَلَمَّا رَأَتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ ظُهُورَ الْمُسْلِمِينَ خَالِيَةً عَنِ الرُّمَاءِ ، حَمَلُوا
 عَلَيْهِمْ ، فَقَتَلُوا مَنْ بَقِيَ مِنَ الرُّمَاءِ ، وَأَتَوْا الْمُسْلِمِينَ مِنْ خَلْفِهِمْ .

إِسْأَعَةُ مَقْتَلِ النَّبِيِّ ﷺ
 وَمَا لَقِيَهُ مِنَ الْأَذَى

وَصَرَخَ إِبْلِيسُ - لَعْنَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ،
 فَأَنْفَضَّتْ صَفُوفُ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَرَا جَعَتْ قُرَيْشٌ بَعْدَ هَزِيمَتِهَا ،
 وَخَلَصَ الْعَدُوُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ ، حَتَّى وَقَعَ
 لِسْقَهُ ، وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ الْيُمْنَى السُّفْلَى ، وَجُرِحَتْ شَفْتُهُ / السُّفْلَى ، [ق ١٤٠]

(١) ظَاهَرُ بَيْنَ دِرْعَيْنِ : لَيْسَ إِحْدَاهُمَا فَوْقَ الْأُخْرَى .

وضربه ابنُ قَمَيْةَ اللَّيْثِي عَلَى وَجْهِهِ ، فَدَخَلَتْ حَلَقَتَانِ مِنْ حَلَقِ الْمِغْفَرِ^(١) فِي وَجْنَتِهِ ، وَضَرِبَهُ آخَرُ عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى هَشَمَ الْبَيْضَةَ^(٢) ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى قَتْلِهِ ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ ، وَهُوَ ﷺ ثَابِتٌ يُنَادِي أَصْحَابَهُ ، فَلَمْ يَلَوْ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، إِذْ لَمْ يَعْرِفُوهُ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ ، وَهُوَ فِي الْحَدِيدِ ؛ الدَّرْعُ وَالْمِغْفَرُ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَبِكُمْ فَأَتْبَبَكُمْ ﴾ - أَي : جَزَاكُمْ - ﴿ غَمًّا يَغَمِّرُ ﴾ - أَي : بَعْدَ غَمٍّ - [سورة آل عمران ١٥٣/٣] .

ثُمَّ إِنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ فَصَاحَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَبْشِرُوا ، فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَظَفَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَنَهَضُوا إِلَى الشُّعْبِ .

أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ
بَعْدَ إِشَاعَةِ مَقْتَلِهِ

فَادْرَكَهُمْ أَبِي بْنُ خَلْفٍ فَارِسًا ، وَهُوَ يَقُولُ : أَيْنَ مُحَمَّدٌ؟ لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَا ، وَشَدَّ عَلَيْهِ ، فَأَعْتَرَضَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ دُونَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ هَكَذَا - أَي : خَلَّوْا طَرِيقَهُ - وَتَنَاوَلَ الْحَرْبَةَ فَهَزَّهَا حَتَّى تَطَايَرُوا مِنْ حَوْلِهِ لَشِدَّةِ بَاسِهِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ فِدْقُهُ فِي عُنُقِهِ بَطْعَنَةً ، تَدَادَا^(٣) لَهَا عَنْ فَرَسِهِ مِرَارًا ، وَنَفَذَتْ مِنَ الدَّرْعِ ، فَجَرَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَمَاتَ ، فَهَمَّ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَكْرُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فِي الشُّعْبِ ، فَحَمَاهُمُ اللَّهُ مِنْهُمْ .

أَبِي بْنُ خَلْفٍ يَبْحَثُ
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِيَقْتُلَهُ

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَمَّا تَرَادَفَتْ عَلَيْهِمُ الْغُمُومُ مِمَّا أَصَابَهُمْ ، وَمِنْ خَوْفِ كَرَّةِ الْعَدُوِّ عَلَيْهِمْ ، أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعَاسَ ، أَمَنَةً مِنْهُمْ لَهُمْ ، إِلَّا الْمُنَافِقِينَ

تَغْشِيَةُ النَّعَاسِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) الْمِغْفَرُ : زَرْدٌ يُنْسَجُ مِنَ الدَّرْعِ عَلَى قَدْرِ الرَّأْسِ ، يُلبَسُ تَحْتَ الْقُلَنْسُوَةِ .

(٢) الْبَيْضَةُ : الْخُوْذَةُ الَّتِي تَوْضَعُ عَلَى الرَّأْسِ .

(٣) تَدَادَا : تَدَحْرَجَ وَسَقَطَ .

فَلَمْ يَغْشَ النَّعَاسُ أَحَدًا مِنْهُمْ لَظْنَهُمُ السَّوْءَ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَعِشْنَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [سورة

آل عمران ١٥٤/٣] .

ثُمَّ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَشْرَفَ فَقَالَ : أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا تُجِيبُوهُ » ، فَقَالَ : أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ قَالَ : « لَا تُجِيبُوهُ » ، قَالَ : أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ قَالَ : « لَا تُجِيبُوهُ » ، فَقَالَ : إِنَّ هَؤُلَاءِ قُتِلُوا ، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءَ لَأَجَابُوا ، [ق١٤١] / فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَفْسَهُ ، فَقَالَ : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، قَدْ أَبْقَى اللَّهُ لَكَ مَا يُخْزِيكَ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : أُعْلُ هُبْلُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَجِيبُوهُ » ، قَالُوا : مَا نَقُولُ ؟ قَالَ : « قُولُوا : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ » ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَنَا الْعِزَّةُ وَلَا عِزَّةُ لَكُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَجِيبُوهُ » ، قَالُوا : مَا نَقُولُ ؟ قَالَ : « قُولُوا : اللَّهُ مُولَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ » ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَوْمٌ بِيَوْمٍ (بَدْرٍ) ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ ، وَتَجِدُونَ مُثْلَةً لَمْ أَمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسْؤُنِي . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ^(١) .

فَاتِحَةُ

قَالَ الْعِجْلَاءُ : وَكَانَ يَوْمٌ (أَحَدٍ) يَوْمَ بَلَاءٍ وَتَمْحِصٍ ^(٢) وَإِكْرَامٍ ، أَكْرَمَ اللَّهُ فِيهِ مَنْ أَكْرَمَ بِالشَّهَادَةِ ، فَقُتِلَ حَمْزَةٌ فِي سَبْعِينَ شَهِيدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَمَثَلَتْ بِهِمْ نِسَاءُ قُرَيْشٍ ، فَبَقَرُوا بَطْنَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْمٍ (٢٨٧٤) . سِجَالٌ : أَيَّ مَرَّةً لَنَا وَمَرَّةً عَلَيْنَا .

(٢) يَوْمٌ تَمْحِصٍ : يَوْمٌ تَطْهِيرٍ وَتَخْلِيسٍ مِنَ الْآثَامِ وَالذُّنُوبِ . (أَنْصَارِي) .

الحمزة ، وقطعوا كبده ، فلما نظر إليه ﷺ كذلك ترخّم عليه وأثنى عليه ، ثم قال : « والله ، لئن أظفرتني الله بهم لأمئلنّ بسبعين منهم مكانك »^(١) ، ثم ذكر قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ * وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴿ [سورة النحل ١٦/١٢٦-١٢٧] .

فأختار الصبر كما أمره الله تعالى ، وكان ينهى عن المثلة .

ثم إنه ﷺ أمر بدفن الشهداء بدمائهم ، ولم يغسلهم ، ولم يصلّ عليهم ، وقال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء يوم القيامة » - أي : لهم - وكان يجمع بين الرجلين في ثوب واحد ، ثم يقول : « أيُّهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ » ، فإذا أُشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد^(٢) .

دفن الشهداء

وأنزل الله فيهم : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿ الآيات [سورة آل عمران ٣/١٦٩-١٧٠] .

ما نزل من القرآن في يوم أُحُد

وأنزل الله تسليّة للمؤمنين وتقوية لعزائمهم : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ * إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴿ - أي : يوم (بدر) - ﴿ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران ٣/١٣٩-١٤٠] .

ودلّهم على وجه الحكمة فيما قضاه وقدره / عليهم بقوله تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ * - أي : يُظهر إيمانهم - ويميّزهم [ق١٤٢]

(١) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ، ج ٦/١١٩ . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (١٢٧٨) .

عَنِ الْمُتَنَافِقِينَ - كعبد الله بن أبيّ وذويه - ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾
 - كحمزة وأصحابه - ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا ﴿ - أي : يُخَلِّصَ إِيْمَانَهُمْ - ﴾ وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿ [سورة
 آل عمران ١٤٠-١٤١] .

[قَالَ تَعَالَى] : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
 الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ ﴾ [سورة آل عمران ١٧٢] .

وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا بَلَغَتْ (الرَّوْحَاءَ) هَمُّوا أَيْضًا بِالرُّجُوعِ
 لاسْتِثْصَالِ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَزْعِمِهِمْ ، فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ
 نَدَبَ أَصْحَابَهُ لِلخُرُوجِ لِقَائِهِمْ ، وَقَالَ : « لَا يَخْرُجُ مَعَنَا إِلَّا مَنْ
 حَضَرَ يَوْمَنَا بِالْأَمْسِ »^(١) ، فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى بَلَغَ (حَمْرَاءَ الْأَسَدِ)^(٢) ،
 فَمَرَّ بِهِمْ مَعْبَدُ الْخُزَاعِيِّ ، وَهُمْ نَزُولٌ ، فَاسْرَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ
 بِمُخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَيْهِمْ ، فَتَنَى ذَلِكَ قُرَيْشًا عَنْ
 لِقَائِهِمْ ، وَأَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، فَأَدْبَرُوا إِلَى (مَكَّةَ) ، فَمَرَّ
 عَلَيْهِمْ رَكْبٌ ، فَجَعَلُوا لَهُمْ جُعْلًا عَلَى أَنْ يُخْبَرُوا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ
 أَنْهُمْ يُرِيدُونَ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا يَخْبِرُوهُمْ بِأَنْصَرَفِهِمْ إِلَى (مَكَّةَ) ،
 فَلَمَّا مَرَّ الرَّكْبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَخْبَرُوهُمْ بِذَلِكَ ، قَالُوا :
 ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [سورة آل عمران ١٧٣] .

وَأَقَامُوا ثَلَاثًا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، فَبَلَغَهُمْ مَسِيرُهُمْ فَرَجَعُوا ،
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
 الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ ﴾ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴿

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» ، ج ٣ / ٣١٤ .

(٢) مَوْضِعٌ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَإِلَيْهِ انْتَهَى النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فِي
 طَلَبِ الْمُشْرِكِينَ .

- أَي : الرِّكَب - ﴿ إِنَّ النَّاسَ ﴾ - أَي : قُرَيْشًا - ﴿ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ * فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة آل عمران ٣/١٧٢-١٧٤] .

وفي « الصَّحِيحِينَ » ، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنَّ عَمِّي أَنَسَ بْنَ النَّضْرِ غَابَ عَن (بَذَرٍ) ، فَقَالَ : غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، لِّئِنْ أَشْهَدَنِي اللَّهُ قِتَالًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لِيرَيْنَ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ ، [ق١٤٣] فَلَمَّا أَنْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ (أُحُدٍ) / ، قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي : الْمُسْلِمِينَ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَتَقَدَّمَ بَسِيفُهُ فَلَقِيَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : يَا سَعْدُ إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ (أُحُدٍ) ، فَقَتِلَ ، وَوَجَدَ بِهِ بَضْعٌ وَثْمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ^(١) وَرَمِيَةٍ بِسَهْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) .

وفيهما - [أَي : الصَّحِيحِينَ] - عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا نَرَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/٢٣] ، نَزَلَتْ فِي أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ وَأَشْبَاهِهِ مِنْ قَتْلَى (أُحُدٍ)^(٣) .

وفيهما - [أَي : الصَّحِيحِينَ] - عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَاتِلُ يَوْمَ (أُحُدٍ) وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيَاضٌ ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ^(٤) .

حضور الملائكة
ودفاعها عن النبي ﷺ

- (١) أَي : طعنة رمح ، وضربة سيف .
- (٢) أخرجه البخاري ، برقم (٢٦٥١) .
- (٣) أخرجه البخاري ، برقم (٤٥٠٥) .
- (٤) أخرجه البخاري ، برقم (٣٨٢٨) . ومسلم برقم (٢٣٠٦/٤٦) .

وقال : نَثَلَ النَّبِيُّ ﷺ لِي كِنَانَتُهُ يَوْمَ (أُحُدٍ) ، وقال : « إِرْمِ فِدَاكَ »
قَتَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 أَبِي وَأُمِّي » (١) .

وفيهما - [أي : الصَّحِيحِينَ] - عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ أَبُوهَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِسَعْدِ بْنِ
 مَالِكٍ (٢) ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ (أُحُدٍ) : « إِرْمِ فِدَاكَ أَبِي
 وَأُمِّي » (٣) .

وفي « صحيح البخاري » ، عن أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
 قَالَ : اِسْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَ نَبِيَّ اللَّهِ ، وَاسْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى
 مَنْ أَدْمَى وَجْهَ نَبِيِّ اللَّهِ (٤) .

وفي « الصَّحِيحِينَ » ، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
 قَالَ : لَمَّا قُتِلَ أَبِي يَوْمَ (أُحُدٍ) ، جَعَلْتُ أَبْكِي ، وَأَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ
 وَجْهِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « تَبْكِيهِ أَوْ لَا تَبْكِيهِ ، مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ
 تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ » (٥) .

وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

وفي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضاً - [أي : السَّنَةِ الثَّالِثَةِ] - بَعْدَ (أُحُدٍ) :
الرَّجِيعُ وَبِثْرٍ مَعُونَةٍ
 أُصِيبَ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ بِ (الرَّجِيعِ) ، وَالْقُرَاءُ السَّبْعُونَ أَصْحَابُ
 (بِثْرِ مَعُونَةٍ) ، لِيَمْتَحِنَ اللَّهُ الْأَنْصَارَ بِالصَّبْرِ ، وَيُضَاعِفَ لَهُمْ عَظِيمَ
 الْأَجْرِ ، وَقِصَّةُ الْفَرِيقَيْنِ مَشْهُورَةٌ فِي « الصَّحِيحِينَ » .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٨٢٩) . نَثَلَ كِنَانَتُهُ : اسْتَخْرَجَ نَبْلَهَا .

(٢) مَالِكٌ : كُنِيَّتُهُ أَبُو وَقَاصٍ . وَهُوَ أَبُو هَيْبٍ ، أَبْنُ عَمِّ أَمْنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٨٣٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٤١/٢٤١١) .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٨٤٨) .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٨٥٢) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣٠/٢٤٧١) .

أَمَّا (١) أَصْحَابُ الرَّجِيعِ : فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ [ق١٤٤] الْأَنْصَارِيِّ فِي عَشْرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عِينًا ، فَلَمَّا / كَانُوا بِ (الرَّجِيعِ) - وَهُوَ : مَاءٌ لِهَذِيلٍ ، بَيْنَ (عُسْفَانَ وَمَرْ الظَّهْرَانِ) ، وَعُسْفَانُ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ مِنْ (مَكَّةَ) - ذَكَرُوا لِبَنِي لِحْيَانَ - وَهُمْ بَطْنٌ مِنْ هَذِيلٍ - فَتَبِعَهُمْ مِنْهُمْ نَحْوَ مِئَةِ رَامٍ ، فَالْتَجَأَ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ إِلَى أَكْمَةِ ، فَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْوَصُولِ إِلَيْهِمْ ، فَأَمَّنُوهُمْ وَأَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ أَنَّهُمْ إِنْ أَسْتَسْلَمُوا لَا يَقْتُلُونَهُمْ ، فَقَالَ عَاصِمٌ : أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ بِاللَّهِ أَبَدًا ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا رَسُولَكَ ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قُتِلَ عَاصِمٌ فِي ثَمَانِيَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ .

وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَزَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ بِالْأَمَانِ ، فَغَدَرُوا بِهِمَا ، فَأَنْطَلَقُوا بِهِمَا إِلَى (مَكَّةَ) ، فَبَاعَوْهُمَا .
فَأَمَّا زَيْدٌ : فَأَشْتَرَاهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ، فَقَتَلَهُ بِأَبِيهِ ، وَكَانَ قَتَلَ أَبَاهُ يَوْمَ (بَدْرٍ) .

وَأَمَّا خُبَيْبٌ : فَأَشْتَرَاهُ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ نُوْفَلٍ ، فَقَتَلُوهُ بِأَبِيهِمْ ، وَكَانَ قَتَلَ أَبَاهُمْ يَوْمَ (بَدْرٍ) أَيْضًا (٢) .

فَلَمَّا خَرَجُوا بِزَيْدٍ مِنَ (الْحَرَمِ) إِلَى أَدْنَى (الْحِلِّ) ، وَقَرَّبُوهُ

(١) ذُكِرَ هُنَا أَنَّ (بَعَثَ الرَّجِيعَ) كَانَ مِنْ أَحْدَاثِ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ لِلْهَجْرَةِ .
قُلْتُ : كَانَ بَعَثُ الرَّجِيعِ فِي صَفْرِ عَلَى رَأْسِ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا مِنْ الْهَجْرَةِ ، وَغَزْوَةُ أُحُدٍ وَقَعَتْ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ ، فَيَكُونُ بَعَثُ الرَّجِيعِ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ ، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ السِّيَرِ عَلَى ذَلِكَ ، عَدَا ابْنُ هِشَامٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٢) قُلْتُ : قَالَ ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ فِي «عَيُونِ الْأَثَرِ» ، ج ٢ / ٤١ : إِنَّ خُبَيْبَ بْنَ عَدِي الْأَوْسِيَّ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا ، وَلَا قَتَلَ الْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ . إِنَّمَا الَّذِي شَهِدَهَا وَقَتَلَهُ هُوَ خُبَيْبُ بْنُ أَسَافٍ الْخَزْرَجِيُّ .

لِلْقَتْلِ ، قَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ : أَنْشُدْكَ اللَّهَ يَا زَيْدُ ، أَتَحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا
مَكَانَكَ تُضْرَبُ عُنُقُهُ ، وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ أَنْ
مُحَمَّدًا تُصِيبُهُ الْآنَ فِي مَكَانِهِ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ ، وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي ،
فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ أَرَادُوا أَخَذَ رَأْسِهِ ، فَحَمَتُهُمْ عَنْهُ الدَّبْرُ - أَي : الزَّنايِيرُ -
فتركوه إِلَى اللَّيْلِ لِيَأْخُذُوهُ ، فَجَاءَهُ سَيْلٌ فَأَحْتَمَلَهُ ، وَكَانَ قَدْ أُعْطِيَ
اللَّهُ عَهْدًا أَنْ لَا يَمَسَّ مُشْرِكًا ، وَلَا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ ، فَاتَمَّ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ
بعد وفاته ، كما وَفَى بِهِ هُوَ فِي حَيَاتِهِ ^(١) .

وَلَمَّا خَرَجُوا بِخُبَيْبٍ لِيَقْتُلُوهُ دَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ ، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ،
وَأَوْجَزَ فِيهِمَا ، وَقَالَ : لَوْلَا أَنْ تَظَنُّوا أَنَّ بِي جَزَعًا لَزِدْتُ . فَهُوَ أَوَّلُ
مَنْ سَنَّ هَاتَيْنِ الرَّكَعَتَيْنِ عِنْدَ التَّقْدِيمِ لِلْقَتْلِ ، ثُمَّ أَنْشَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى ، [مِنْ الطَّوِيلِ] ^(٢) :

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا
عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَضْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ

يُبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شُلُوِّ مُمَزَّعٍ ^(٣)

/ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ صَلَبُوهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ مَصْلُوبٌ ، [ق ١٤٥]
قَالَ ﷺ : « أَيُّكُمْ يَحْمِلُ خُبَيْبًا عَنْ خَشْبَتِهِ وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ » .

(١) قُلْتُ : والمعروف أَنَّ هَذَا الخبر جاء في حَقِّ عاصم بن ثابتٍ وليس في
حَقِّ زَيْد بن الدَّثَنَةِ ، لِأَنَّ عَاصِمًا لَمْ يَقْبَلْ مِنْ مُشْرِكٍ عَهْدًا وَلَا عَقْدًا أَبَدًا ،
وَقَالَ : إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ لَا أَقْبَلَ جَوَارَ مُشْرِكٍ أَبَدًا . فَمَنَعَهُ اللَّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَمَا
أَمْتَنَعَ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ . (انظر الطَّبْرِي ، ج ٢/ ٥٣٩ . ودلائل النبوة ،
ج ٢/ ٣٢٨) .

(٢) ذِكْرُهُ الْبُخَارِيُّ فِي « صَحِيحِهِ » ، بِرَقْم (٣٧٦٧) .

(٣) شُلُوِّ مُمَزَّعٍ : أَعْضَاءُ الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْبِلَى .

فَانْتَدَبَ لَهُ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ ، وَالْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسودِ فارسيين ، فسارا إلى (مَكَّةَ) ، فحملَهُ الزُّبَيْرُ عَلَى فَرَسِهِ ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمَا أَهْلَ (مَكَّةَ) ، فَلَمَّا أَرَهَقُوهُمَا أَلْقَاهُ الزُّبَيْرُ ، فَأَبْتَلَعَتْهُ الْأَرْضُ ، فَسَمِّيَ : بليعَ الأرضِ .

وقعة بئر معونة

وَأَمَّا (١) أَصْحَابُ بئرِ مَعُونَةٍ - بالنَّونِ - : فَإِنَّ أَبَا الْبراءِ عَامِرَ بْنَ مَالِكٍ الْعَامِرِيَّ مُلَاعِبَ الْأَسِنَّةِ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامَ ، فَلَمْ يُسَلِّمْ ، وَلَمْ يَبْعُدْ (٢) ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِبْعَثْ مَعِيَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَى أَهْلِ (نَجْدٍ) يَدْعُونَهُمْ إِلَى أَمْرِكَ ، وَأَنَا لَهُمْ جَارٌ ، فَبَعَثَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ .

قَالَ أَنَسٌ : كُنَّا نُسَمِّيهِمُ الْقُرَاءَ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْمُنْذَرُ بْنُ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ الْخَزْرَجِيُّ السَّاعِدِيُّ ، أَحَدَ النُّقَبَاءِ الْاِثْنِي عَشَرَ .

غدرُ عامر بن الطفيل
بالمُسلمين

فَلَمَّا نَزَلُوا ب (بئرِ مَعُونَةٍ) ، أَنْطَلَقَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ إِلَى عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ رَئِيسِ الْمَكَانِ لِيُبَلِّغَهُ رِسَالَةَ مَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَمَنَهُ عَامِرٌ ثُمَّ غَدَرَ بِهِ ، فَأَوْمَأَ إِلَى رَجُلٍ خَلْفَهُ فُطِعَنَهُ بِالرُّمْحِ حَتَّى أَنْفَذَ الطَّعْنَةَ ، فَقَالَ حَرَامٌ : اللَّهُ أَكْبَرُ فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ اسْتَصْرَحُوا عَلَى أَصْحَابِهِ بِقَبَائِلِ سُلَيْمٍ : (رِغْلٍ وَذَكَوَانَ وَعُصَيْيَةَ) ، فَقَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ ، مَا خَلَا رَجُلَيْنِ ، وَأَخْفَرُوا (٣) ذِمَّةَ أَبِي الْبراءِ عَامِرِ بْنِ مَالِكٍ .

(١) ذُكِرَ هُنَا أَنَّ وَقْعَةَ بئرِ مَعُونَةٍ كَانَتْ مِنْ أَحْدَاثِ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ لِلْهِجْرَةِ .
قُلْتُ : كَانَتْ وَقْعَةُ بئرِ مَعُونَةٍ فِي صَفْرِ عَلَى رَأْسِ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا لِلْهِجْرَةِ ، وَبَعْدَ بَعَثِ الرَّجِيعِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٢) أَيِ : مِنَ الْإِسْلَامِ .

(٣) أَخْفَرُوا : نَقَضُوا وَغَدَرُوا .

والرَّجْلَانِ هُمَا : عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ وَأَنْصَارِيُّ^(١) ، كَانَا فِي إِبِلٍ أَصْحَابَهُمْ ، فَلَمَّا رَاحَا بِهِمَا وَجَدَا أَصْحَابَهُمَا صَرَعَى ، وَالْخَيْلُ وَاقِفَةٌ ، فَقَتَلُوا الْأَنْصَارِيَّ أَيْضاً ، وَتَرَكُوا عَمراً حِينَ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مِنْ ضَمْرَةٍ .

فَرَجَعَ عَمْرُو إِلَى (الْمَدِينَةِ) فَوَجَدَ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَقَتَلَهُمَا ، وَكَانَ مَعَهُمَا جَوَارٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ (الْمَدِينَةَ) / أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ الْخَبَرَ ، فَقَالَ : « لَقَدْ قَتَلْتَ رَجُلَيْنِ لِأَدِينَهُمَا »^(٢) . [ق١٤٦]

وَحَزَنَ ﷺ عَلَى أَصْحَابِ (بِثْرِ مَعُونَةَ) حُزْناً شَدِيداً ، وَقَتَتْ فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، عَلَى قِبَائِلِ سُلَيْمٍ : (رِغْلٍ وَذِكْوَانٍ وَعُصَيَّةٍ) ، الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَبَنِي لِحْيَانَ أَيْضاً شَهراً ، إِلَى أَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران ١٢٨/٣] فَتَرَكَ الْقَنُوتَ^(٣) .

وَمَمَّنْ قُتِلَ بـ (بِثْرِ مَعُونَةَ) عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

أَمْرُ عَامِرِ بْنِ فَهَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) وهو من بني عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ ، وَأَسْمُهُ : الْمَنْذَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُقْبَةَ .
(٢) أوردته الهيثمي في « مجمع الزوائد » ، ج٦/١٢٩ . أَدَيْتُهُمَا : أُودِيَ دَيْتُهُمَا .

(٣) قُلْتُ : قَالَ أَبُو سَيِّدِ النَّاسِ فِي « عَيُون الْأَثَرِ » ج٢/٤٧ : وَكَذَا وَقَعَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ ، وَهُوَ يُوهِمُ أَنَّ بَنِي لِحْيَانَ مَمَّنْ أَصَابَ الْقُرَاءَ يَوْمَ بِثْرِ مَعُونَةَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، وَإِنَّمَا أَصَابَ هَؤُلَاءِ رِغْلٌ وَذِكْوَانٌ وَعُصَيَّةٌ وَمَنْ صَحِبَهُمْ مِنْ سُلَيْمٍ ، وَأَمَّا بَنُو لِحْيَانَ فَهُمْ الَّذِينَ أَصَابُوا بَعَثَ الرَّجِيعَ ، وَإِنَّمَا أَتَى الْخَبَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ، فَدَعَا عَلَى الَّذِينَ أَصَابُوا أَصْحَابَهُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ دَعَاءً وَاحِداً .

وروى البخاري في « صحيحه » ، عن عمرو بن أمية الضمري
أن عامر بن الطفيل قال له : من هذا؟ - وأشار له إلى عامر بن فهيرة -
فقال له عمرو : هذا عامر بن فهيرة ، فقال : لقد رأيته رُفِعَ بعدما قُتِلَ
إلى السماء ، حتى إني أنظر إلى السماء بينه وبين الأرض^(١) .

غزوة بني النضير

وفي هذه السنة أو في الرابعة^(٢) : كانت غزوة بني النضير .

وسببها : ما رواه البخاري أن رسول الله ﷺ خرج إليهم
يستعينهم في دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري
خطأ^(٣) - فهي على الصواب كما قال ابن إسحاق : بعد (أحد) وبعد
(بئر معونة) - فاستند إلى جدار حصن لهم من حصونهم ، فأمروا
رجلاً بطرح حجر على رأسه من الحصن ، فأخبره جبريل عليه السلام
بذلك ، فقام موهما لهم وترك أصحابه ورجع إلى (المدينة) .

فأنزل الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة المائدة ١١/٥] وقيل : إنها
نزلت في قصة غورث بن الحارث الذي هم بقتل النبي ﷺ^(٤) .

حصار بني النضير

ثم أصبح غازياً عليهم ، فحصرهم وقطع نخيلهم وحرّقها ،

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٣٨٦٧) .

(٢) قلت : إنما وقعت في السنة الرابعة في شهر ربيع الأول ، على رأس سبعة
وثلاثين للهجرة . والله أعلم . (أنظر : ابن هشام ، ج ٣/١٩٢ .
والبخاري ، ج ٢/١١٢ . وابن سعد ج ٢/٥٧) .

(٣) قلت : حيث ذكر البخاري أنها كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر
قبل أحد ، وهو من قول الزهري .

(٤) أسباب النزول ، للواحدي ، ص ١٦٢ .

فَدَسَّ إِلَيْهِمُ الْمُتَافِقُونَ مَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الآيات [سورة الحشر ١١/٥٩] .

فَلَمَّا أَشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ ، وَأَيْسُوا مِنْ نُصْرَةِ الْمُتَافِقِينَ ، قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، فَطَلَبُوا الصُّلْحَ ، فَصَالَحَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْجَلَاءِ - أَيِ : الإِخْرَاجِ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ - وَأَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ إِلَّا السَّلَاحَ ، فَجَلَّوْا إِلَى (الشَّامِ) إِلَّا آلَ حُبَيْبٍ بْنِ أَحْطَبَ وَآلَ أَبِي الْحَقِيقِ ، فَإِنَّهُمْ جَلَّوْا إِلَى (خَيْبَرَ) .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ سُورَةَ الْحَشْرِ ، وَكَانَتْ أَمْوَالُهُمْ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ، خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ خَاصَّةً لَشِدَّةِ حَاجَتِهِمْ ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ مِنْهَا شَيْئًا ، إِلَّا لثَلَاثَةِ نَفَرٍ بِهِمْ حَاجَةٌ^(١) ، وَطَابَتْ بِذَلِكَ نَفُوسُ الْأَنْصَارِ ، كَمَا أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا يَحْدُونِ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [سورة الحشر ٩/٥٩] .

وَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : قُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : سُورَةُ الْحَشْرِ ، قَالَ : قُلْ سُورَةُ النَّصِيرِ^(٢) .

وَفِيهِ - [أَيِ : صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ] - عَنْ أَبِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّصِيرِ وَقَطَّعَ ، وَهِيَ الْبُؤَيْرَةُ ،

(١) وَهُمْ : سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ ، وَأَبُو دَجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ ، أَعْطَاهُمُ ﷺ مَالًا ، وَأَعْطَى سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيْفَ ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٨٠٥) .

فَعَابَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة الحشر ٥٩/٥] (١) .

قَالَ أَبُو عَمَرَ : وَلَهَا يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، [مِنْ الْوَافِرِ] (٢) :

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ

حَرِيقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ (٣)

فَأَجَابَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، [مِنْ الْوَافِرِ] :

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعِ

وَحَرَّقَ فِي نَوَاحِيهَا السَّعِيرُ

سَتَعْلَمُ أَئِنَّا مِنْهَا بِنُزِهِ

وَتَعْلَمُ أَيَّ أَرْضَيْنَا تَضِيرُ (٤)

وَفِي «الصَّحِيحِينَ» ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : كَانَتْ أَمْوَالُ

مَالِ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ

بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ، مِمَّا لَمْ يُوجِفِ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ خِيَلًا

[ق١٤٨] وَلَا رِكَابًا ، وَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً / يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ مِنْهَا نَفَقَةً

سَنَةٍ ، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السَّلَاحِ وَالْكَرَاعِ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ (٥) .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا - وَهِيَ : الرَّابِعَةُ - غَزَا النَّبِيُّ ﷺ غَزْوَةَ ذَاتِ

غَزْوَةُ ذَاتِ الرُّقَاعِ ، أَوْ
غَزْوَةُ نَجْدٍ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٦٠٢) . الْبُؤَيْرَةُ : مَوْضِعُ مَنَازِلِ بَنِي النَّضِيرِ .

(٢) ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» ، بِرَقْم (٣٨٠٨) .

(٣) سَرَاةٌ : أَشْرَافُ الْقَوْمِ . الْمُسْتَطِيرُ : الْمُنْتَشِرُ .

(٤) النَّزْهُ : الْبُعْدُ . تَضِيرُ : ضَرَّةٌ .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٧٤٨) . الْإِيجَافُ : سُرْعَةُ السَّيْرِ ، وَهُوَ كُنَايَةٌ

عَنِ الْجِهَادِ وَالْقِتَالِ . الْكَرَاعُ : اسْمٌ يَجْمَعُ الْخَيْلَ ، وَهِيَ الَّتِي تَصْلُحُ لِلْحَرْبِ .

الرَّقَاعِ إِلَى (نَجْدٍ) يُرِيدُ غَطْفَانَ^(١) - سَمَّيْتَ بِذَلِكَ لِأَنَّ أَقْدَامَهُمْ نَقَبَتْ^(٢) مِنَ الْحَفَاءِ ، فَكَانُوا يَلْقَوْنَ عَلَيْهَا الْخِرْقَ - فَأَتَتْهُي ﷺ إِلَى (نَجْدٍ) ، فَلَقِيَ جَمْعاً مِنْ غَطْفَانَ ، فَتَقَارَبُوا وَلَمْ يَكُنْ قِتَالٌ ، فَلَمَّا صَلَّى الظُّهْرَ بِأَصْحَابِهِ نَدِمَ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ لَا يَكُونُوا حَمَلُوا عَلَيْهِمْ فِي الصَّلَاةِ ، ثُمَّ قَالُوا : دَعَوْهُمْ فَإِنَّ لَهُمْ بَعْدَهَا صَلَاةً هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ - يَعْنُونَ : صَلَاةَ الْعَصْرِ - فَإِذَا قَامُوا إِلَيْهَا فَشُدُّوا عَلَيْهِمْ ، فَتَزَلَّ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصَلَاةِ الْخَوْفِ ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنَقُصَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ

(١) ذكر المؤلف - رحمه الله - غزوة ذات الرِّقَاعِ ضمن أحداث السَّنة الرَّابِعة . قلتُ : قال ابن القيم في « زاد المعاد » ، ج ٣ / ٢٥٢ : صحَّ عنه ﷺ أَنَّهُ صَلَّى صَلَاةَ الْخَوْفِ بِذَاتِ الرَّقَاعِ ، فَعَلِمَ أَنَّهَا بَعْدَ الْخَنْدَقِ وَبَعْدَ عُسْفَانَ ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شَهِدَا ذَاتَ الرَّقَاعِ ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا ؛ وَأَنَّ مِرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ ، هَلْ صَلَّيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْخَوْفِ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مَتَى ؟ ، قَالَ : عَامَ غَزْوَةِ نَجْدٍ . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ غَزْوَةَ ذَاتِ الرَّقَاعِ بَعْدَ خَيْبَرَ ، وَأَنَّ مِنْ جَعَلَهَا قَبْلَ الْخَنْدَقِ فَقَدْ وَهَمَ ظَاهِرًا ، وَلَمَّا لَمْ يَفْظَنْ بَعْضُهُمْ لِهَذَا أَدْعَى أَنَّ غَزْوَةَ ذَاتِ الرَّقَاعِ كَانَتْ مَرَّتَيْنِ ، فَمَرَّةً قَبْلَ الْخَنْدَقِ وَمَرَّةً بَعْدَهَا ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ . ثُمَّ قَالَ : وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ غَزْوَةَ ذَاتِ الرَّقَاعِ بَعْدَ الْخَنْدَقِ ، مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ : أَنَّهُمْ صَلَّوْا صَلَاةَ الْخَوْفِ بِذَاتِ الرَّقَاعِ ، وَصَلَاةَ الْخَوْفِ إِنَّمَا شُرِعَتْ بَعْدَ الْخَنْدَقِ ، بَلْ بَعْدَ عُسْفَانَ ، لِأَنَّهُ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : أَنَّ أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا لِلْخَوْفِ بِعُسْفَانَ ، وَعُسْفَانُ كَانَتْ بَعْدَ الْخَنْدَقِ بِلَا خِلَافٍ . لِذَلِكَ يَجِبُ ذِكْرُ هَذِهِ الْغَزْوَةِ بَعْدَ خَيْبَرَ ، مَرَجِّحًا رَوَايَةَ الْبُخَارِيِّ فِي الصَّحِيحِ ، وَمُخَالَفًا بِذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، الَّذِي جَعَلَهَا فِي السَّنةِ الرَّابِعَةِ ، قَبْلَ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ . (أَنْظَرَ الْجَامِعَ فِي السَّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، ج ٣ / ٢٧١) .

(٢) نَقَبَتْ : رَقَّتْ جُلُودُهَا وَقَرِحَتْ مِنَ الْمَشْيِ .

وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ ﴿١﴾ [سورة النساء ١٠٢/٤] (١) .

وفي « صحيح البخاري » ، خرج النبي ﷺ إلى ذات الرِّقَاعِ مِنْ بَطْنِ (نَخْلٍ) ، فَلَقيَ جَمْعاً مِنْ غَطَفَانَ ، فَصَلَّى بِهِمْ رَكَعَتَيِ الْخَوْفِ (٢) .
وقولُ البُخاريّ وهي غزوة مُحاربٍ خَصَفَةَ مِنْ بني ثعلبة : صوابه وثعلبة - بواو العطف (٣) - .

ولَمَّا قَفَلَ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْغَزْوَةِ نَزَلُوا وَقْتَ الْقِيلُولَةِ مَنْزَلاً وَتَفَرَّقُوا ، وَنَزَلَ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنَامَ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ يُسَمَّى غَوْرَثَ بْنَ الْحَارِثِ ، فَأَخَذَ السَّيْفَ فَأَخْرَطَهُ (٤) ، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : «اللهُ» ، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ : «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» ، فَقَالَ : كُنْ خَيْرَ آخِذٍ ، فَتَرَكَهُ وَلَمْ يَعاقِبْهُ ، فَذَهَبَ إِلَى قَوْمِهِ (٥) .

وفي هذه السَّنة - وهي الرَّابِعَةُ - : غزا النَّبِيُّ ﷺ غَزْوَةَ بني غزوة بني الْمُصْطَلِقِ خَيْبَرُ غَوْرَثِ بْنِ الْحَارِثِ
[ق١٤٩] الْمُصْطَلِقِ / مِنْ خُرَاعَةَ بـ (المُرَيْسِعِ) - مصغراً بِمُهْمَلَاتٍ - .

وذلك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ بني الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُرَاعَةَ أَجْمَعُوا لِحَرْبِهِ . سَبَّيْهَا

-
- (١) أسبابُ النُّزُولِ ، للواحدِيّ ، ص ١٥٠ .
 - (٢) أخرجه البُخاريّ ، برقم (٣٨٩٨) .
 - (٣) ذكره البُخاريّ ، باب غزوة ذات الرِّقَاعِ . قلتُ : والصَّوابُ الَّذِي أشارَ إليه المؤلِّفُ معناه : أَنَّها غزوةُ مُحاربٍ خَصَفَةَ وثعلبة . ومُحاربٍ وخَصَفَةَ مِنْ غَطَفَانَ .
 - (٤) اخترطه : سلَّه مِنْ غِمْدِهِ .
 - (٥) أخرجه البُخاريّ ، برقم (٣٩٠٨) ، بنحوه . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

التقاء الفريقين
وهزيمتهم

فخرج إليهم فلقبهم بـ (المُرَيْسِع) - وهو ماءٌ لَهُمْ مِنْ ناحيةٍ (قُدَيْدٍ) - مُصَغَّرًا - أيضاً . وهو - أي : قُدَيْدٌ - مكانٌ بين (خُلَيْصٍ) ورابعٍ ، بين (مَكَّةَ والمدينة) . وخُلَيْصٌ على ثلاثةٍ مراحلٍ من (مَكَّةَ) ، فهزَمَهُمُ اللهُ ، وقتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ ، وسبى أولادَهُمْ ونساءَهُمْ ، وغنمَ أموالَهُمْ ، وأصطفى مِنْ سَبْيِهِمْ لِنَفْسِهِ جُوَيْرِيَةَ بنتَ الحارثِ المِصْطَلِقِيَّةَ ، أُمَّ المؤمنينَ رضيَ اللهُ عنها .

ولما قفلَ ﷺ اتَّفَقَ في قُفُولِهِ حديثان . أحدهما : حديثُ نزولِ سورةِ المنافقين ، وثانيهما : حديثُ الإفك .

سببُ نزولِ سورةِ
المنافقين

أما نزولُ سورةِ المنافقين : فذلك أَنَّهُ أزدَحَمَ مُهاجِرِيُّ وأنصارِيُّ^(١) على الماء ، فتداعى الفريقان ، فتكاثرَ المُهاجرونَ على

(١) وهما : جَهْجَاهُ بن مسعودٍ ، وسِنَانُ بن وَبَرٍ الجُهْنِيُّ . وقد ذَكَرَ هنا أَنَّ غزوةَ بني المِصْطَلِقِ من أحداثِ السَّنةِ الرابعة ، وقد اختلفَ فيها اختلافًا يسيرًا ؛ فذكرَ ابنُ إسحاق ج ٣/ ٣٣٣ : أَنَّ - غزوةَ بني المِصْطَلِقِ - وقعت في شعبانَ سنةٍ ستٍّ ، وذكرَ البيهقيُّ في « دلائلُ النُّبوةِ » ، ج ٤/ ٤٥ : أَنَّهَا وقعت في شعبانَ سنةٍ خمسٍ ؛ وقالَ : هَذَا أَصَحُّ مِمَّا رَوَى عن أبينِ إِسحاق أَنَّ ذَلِكَ كَانَ سنةً ستٍّ . وَرَوَى أَنَّ الواقديَّ قالَ : إِنَّهَا كانت سنةً خمسٍ . والخبر في « طبقات ابن سعد » ، ج ٢/ ٦٣ - ج ٨/ ٢١٧ . و« تاريخ الطُّبري » ، ج ٢/ ٥٩٤ . و« عيون الأثر » ، ج ٢/ ٩١ . وَرَجَّحَ الحافظُ أَبُو حجرٍ أَنَّهَا كانت سنةً خمسٍ في « الفتح » ، ج ٧/ ٤٣٠ قال : قال الحاكم في « الإكليل » : قولُ عُرْوَةَ وغيره أَنَّهَا كانت في سنةٍ خمسٍ أَشْبَهُ مِنْ قولِ أَبِي إِسحاق .

قلتُ : ويؤيِّدُهُ ما ثبتَ في حديثِ الإفكِ أَنَّ سعدَ بن معاذٍ تنازَعَ هو وسعدُ بن عبادَةَ في أصحابِ الإفكِ ، فلو كانت المُرَيْسِعُ في شعبانَ سنةٍ ستٍّ معَ كونِ الإفكِ كانَ فيها ، لكانَ ما وقعَ في الصَّحيحِ من ذكرِ سعدِ بن معاذٍ غَلَطًا ، لأنَّ سعداً ماتَ أَيَّامَ قُرَيْظَةَ ، وكانت سنةً خمسٍ على =

الأنصار ، فغلبوهم .

مقالة عبد الله بن
أبي ابن سلول

فجعل عبد الله بن أبي ابن سلول يؤتّب أصحابه - أي : يؤبّخهم - ويقول : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا عنه - أي : لو تركتم الإنفاق على من عنده من المهاجرين لانفصوا عنه ، وتركوه وحيداً محتاجاً إليكم - ولكن والله لئن رجعنا إلى (المدينة) ليُخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ، إمّا تركوها لنا وإمّا تركناها لهم ، في كلام كثير .

زيد بن أرقم
رضي الله عنه يُخبر
النبي ﷺ بما سمع ،
وتصديق الوحي له

وكان زيد بن أرقم رضي الله عنه حاضراً عنده ، فشقّ عليه ذلك ، فحمل كلامه إلى النبي ﷺ ، فشكاه النبي ﷺ إلى قومه ، فعاتبوه على ذلك ، فأنكره وكذب زيد بن أرقم ، وجاء إلى النبي ﷺ فحلف بالله إنّه ما قال شيئاً من ذلك ، وإنّه يشهد أنّك لرسول الله حقّاً ، فقبل منه علانيته ووكل سريرته إلى الله تعالى ؛ فحزن لذلك زيد بن أرقم حزناً شديداً ، وقال له قومه : ما أردت إلاّ / أن كذبتك رسول الله ﷺ ، وكذبتك الناس .

فلما ارتحل ﷺ من ذلك المنزل أردف زيد بن أرقم خلفه ، وكان يومئذ فتى ، فنزل جبريل الأمين بسورة (المنافقون) ، فقال

= الصّحيح ، وإن كانت كما قيل سنة أربع فهي أشدّ . فيظهر أنّ المريسيع كانت سنة خمس في شعبان ، لتكون قد وقعت قبل الخندق ، لأنّ الخندق كانت في شوال من سنة خمس أيضاً فتكون بعدها ، فيكون سعد بن معاذ موجوداً في المريسيع ، ورُمي بعد ذلك بسهم في الخندق ومات من جراحته في قريظة . ويؤيده أيضاً أنّ حديث الإفك كان سنة خمس إذ الحديث فيه التصريح بأنّ القصة وقعت بعد نزول الحجاب ، والحجاب كان في ذي القعدة سنة أربع عند جماعة ، فيكون المريسيع بعد ذلك ، فيرجح أنّها سنة خمس . والله أعلم . (انظر الجامع في السيرة النبويّة ، ج ٢ / ٢٢٥) .

النَّبِيُّ ﷺ لَزِيدِ بْنِ أَرْقَمَ : « أَبْشِرْ ، فَقَدْ صَدَّقَكَ اللَّهُ » (١) .

وتلاها النبي ﷺ على الناس : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ - أَي : وقايةً في الظاهر بين كفرهم الباطن وبين الناس - الآيات [سورة المنافقون ٦٣ / ١ - ٢] .

وكان عبد الله بن أبي يقوم في كلِّ جمعة إذا قام النبي ﷺ يخطب يقول : يا معشر المسلمين ، هذا رسول الله بين أظهركم ، فأنصروه ، فلما أنصرف يوم (أحد) بثلث الناس وخذل المؤمنين ، فقتل منهم من قتل ، أراد أن يقوم مقامه ذلك ، فأقعدته الناس ، وقالوا : أسكت يا عدو الله ، فأنصرف من المسجد في حال الخطبة مغاضباً ، فقيل له : ارجع يستغفر لك رسول الله ، فلوئى رأسه وقال : لا حاجة بي إلى استغفاره ، فعذد الله في هذه السورة قبائحه بقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُوهُ وُسْماً وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ حَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة المنافقون ٦٣ / ٥ - ٨] .

[ق ١٥١] وكان لعبد الله بن أبي / يُسمَّى عبد الله أيضاً ابن عبد الله بن أبي ، وكان مؤمناً صادقاً ، حسن الإيمان ، فلما أراد أبوه أن يدخل (المدينة) ، وكان قد تخلف قليلاً عن الناس ، ردّه ، وقال : والله

موقف ابن عبد الله بن أبي ابن سلول رضي الله عنه ، من أبيه

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٤٦١٧) .

يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، لَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِ مَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ
الْأَعَزُّ وَأَنْتَ الْأَذَلُّ ، وَلَئِنْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ .

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ خَلَّ عَنْهُ ، فَخَلَّى عَنْهُ ، وَآتَى النَّبِيُّ ﷺ
وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ شِئْتَ أَنْ آتِيكَ بِرَأْسِهِ فَمُرْنِي بِذَلِكَ ؟ فَقَالَ :
« بَلْ نُعَاشِرُهُ مُعَاشِرَةً حَسَنَةً حَتَّى يَمُوتَ أَوْ نَمُوتَ ، لِيَلَّا يَتَحَدَّثَ
النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » (١) .

فَعَامَلَهُ ﷺ بِالْإِحْسَانِ مَدَّةَ حَيَاتِهِ ، وَكَفَّنَهُ فِي قَمِيصِهِ بَعْدَ
وَفَاتِهِ ، وَأَسْتَغْفَرَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يُنْهَى عَنْهُ ، وَقَامَ عَلَى قَبْرِهِ وَأَرَادَ أَنْ
يُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، فَنُهِىَ بِنَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ
مَّا تَابَ أَبَدًا وَلَا نَفْعٌ عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾
[سورة التوبة ٨٤/٩] .

حديث الإفك

وَأَمَّا حَدِيثُ الْإِفْكِ فَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا قَالَتْ : خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي
هُودَجِي ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ (الْمَدِينَةِ) ، أَدْنَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً
بِالرَّحِيلِ ، فَقُمْتُ لِأَقْضِيَ حَاجَتِي ، فَأَبْطَأْتُ ، فَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ
كَانُوا يُرْحَلُونِي (٢) ، فَأَحْتَمَلُوا الْهُودَجَ ، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي ، وَهُمْ
يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ ، فَجِئْتُ الْمَنْزِلَ إِذَا لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ ، فَجَلَسْتُ
مَكَانِي ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الرِّكْبِ ، فَأَصْبَحَ
بِالْمَنْزِلِ ، فَلَمَّا رَأَى سَوَادِي عَرَفَنِي ، فَأَسْتَرْجَعَ (٣) ، فَوَاللَّهِ مَا كَلَّمَنِي
كَلِمَةً ، ثُمَّ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ لِي ، فَرَكَبْتُهَا ، وَأَخَذَ بِزِمَامِهَا يَقُودُ بِي حَتَّى

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، بِرَقْم (٤٦٢٤). عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) رَحَلَ الْبَعِيرُ: جَعَلَ عَلَيْهِ الرَّحْلَ. وَالرَّحْلُ: مَا يُوَضَّعُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ لِلرُّكُوبِ .

(٣) أَيُّ قَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

أتى الجيش ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، وكان الذي تولّى كبير^(١) ذلك عبد الله بن أبي .

/ فقدّمنا (المدينة) ، فأشكت بها شهراً ، والناس يفيضون في [ق١٥٢]

قول أهل الإفك ، ولا علم لي بذلك حتى نَقَهْتُ - أي : شفيت - مرض عائشة رضي الله عنها وإخبار أم مسطح لها بالأمر
البارز - وذلك قبل أن نتخذ الكنف^(٢) ، فعثرت أم مسطح في مِرْطَها^(٣) ، فقالت : تعس مسطح ، فقلت لها : بِئْسَ ما قُلْتَ لِرَجُلٍ شَهِدَ (بَدْرًا) ، قالت : أَلَمْ تَسْمَعِي ما قال ؟ - وكان مِمَّنْ خاض في حديث الإفك - فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فأزددت مرضاً على مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي ، دخل علي رسول الله ﷺ فسلم - وقد رابني منه أني لا أرى منه اللطف - أي : بالتحريك - الذي كنت أراه منه حين أشتكي ، إنما يدخل ويسلم ويسأل عني ، ثم ينصرف ، فقلت له : أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ ، وأنا أريد أن أستيقن الخبر ، فأذن لي .

فأتيت أبوي فقلت لأمي : يا أمّاه ، ماذا يتحدث الناس به ؟ فقلت : يا بُيْتِي ، هَوْنِي على نفسك الأمر ، فلما حظيت امرأة عند زوجها إلا حُسدَتْ ، فقلت : سبحان الله أولقَدَ تحدّث الناس بهذا ؟ فبكيت تلك الليلة ، لا يرقأ^(٤) لي دمع ، ولا أكتحل بنوم .

فلما أصبح النبي ﷺ استشار علي بن أبي طالب وأسامه بن زيد في فراقي .

استشارة النبي ﷺ أصحابه بشأن عائشة رضي الله عنها

(١) تولّى كبيره : مُعَظَّمُهُ .

(٢) الكنف : الخلاء . كأنه كُنفَ في أستر النواحي .

(٣) المِرْطُ : كساء من صوف .

(٤) يرقأ الدمع : يسكن ويجف وينقطع جريانه .

فَأَمَّا أُسَامَةُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَهْلُكَ ، وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا .
وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَنْ يُضَيِّقَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَالنِّسَاءُ
سِوَاهَا كَثِيرٌ ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقْكَ .

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ ، فَقَالَ : « يَا بَرِيرَةُ ، هَلْ رَأَيْتِ فِي
عَائِشَةَ شَيْئًا يُرِيْبُكَ ؟ » ، قَالَتْ : لَا ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ .

فَاتَعَلَّكَ

قَالَ الْعَجَلَاءُ : إِنَّمَا رَأَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ انزعاجاً
وقلقاً ، فَأَرَادَ رَاحَةَ خَاطِرِهِ .

قُلْتُ : وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَرُونَ انزعاجَ خَاطِرِهِ أَشَدَّ
عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ : أَنَّ عُمَرَ لَمَّا قَالَ لِلْأَنْصَارِيِّ : أَجَاءَ الْغَسَانِيُّ ؟
قَالَ : بَلْ أَشَدُّ ، أَعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ نِسَاءَهُ^(١) .

قَالَتْ عَائِشَةُ / : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ وَأَسْتَغْدَرَ مِنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي^(٢) ، فَقَالَ : « مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَّغَنِي أَذَاهُ فِي
أَهْلِ بَيْتِي ؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِي إِلَّا خَيْرًا ، وَلَقَدْ ذَكَرُوا

فِي حَرْصِ الصَّحَابَةِ
عَلَى إِرَاحَةِ خَاطِرِهِ ﷺ

[١٥٣] خُطْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِشَأْنِ
الْإِنْفِكَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٥٠٥) . قُلْتُ : وَنَصُّ الْخَبَرِ فِي
«الْبُخَارِيِّ» ؛ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهَا وَكَانَ لِي
صَاحِبٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِذَا غِبْتُ أَتَانِي بِالْخَبَرِ ، وَإِذَا غَابَ كُنْتُ أَنَا آتِيَةٌ
بِالْخَبَرِ ، وَنَحْنُ نَتَخَوَّفُ مَلِكًا مِنْ مَلُوكِ غَسَّانَ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَسِيرَ
إِلَيْنَا ، فَلَقَدْ أَمْتَلَأَتْ صَدُورُنَا مِنْهُ ، فَإِذَا صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَدُقُّ الْبَابَ ،
فَقَالَ : افْتَحِ . . . افْتَحِ ، فَقُلْتُ : (جَاءَ الْغَسَانِيُّ؟) ، فَقَالَ : بَلْ أَشَدُّ مِنْ
ذَلِكَ ؛ أَعْتَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْوَاجَهُ ، فَقُلْتُ : رَغِمَ أَنْفُ حَفْصَةَ
وعائشة . . .) . (أَنْصَارِيٌّ) .

(٢) أَسْتَغْدَرَ : طَلَبَ مِنْ يُنْصِفُهُ مِنْهُ وَيَنْصِرُهُ ، أَوْ طَلَبَ الْعَذْرَ فِي قَتْلِهِ .

رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا » .

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الْأَوْسِ ، فَقَالَ : أَنَا وَاللَّهِ أَعْذِرُكَ مِنْهُ ،
إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزَرَجِ أَمَرْتَنَا
فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ - وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا ، وَلَكِنْ
أَحْتَمَلْتُهُ الْحَمِيَّةَ - فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ : كَذَبْتَ ، وَاللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ
وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، فَتَنَاورَ الْحَيَّانِ^(١) فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى هَمَّوْا أَنْ
يَقْتَتِلُوا ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا .

قَالَتْ : وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَزِقُّ لِي دَمْعٌ ، وَلَا أَكْتَحِلُ بَنُومٌ ،
ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ .

قَالَتْ : وَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ ، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا^(٢) ،
حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي .

قَالَتْ : فَبَيْنَمَا هُمَا عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ، ثُمَّ جَلَسَ عِنْدِي ، قَالَتْ : وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمٍ
قِيلَ مَا قِيلَ ، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بَشْيٌ^(٣) ،
فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ : يَا عَائِشَةُ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي
عَنْكَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً ، فَسَيِّرْتُكَ اللَّهُ ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتَ

(١) تَنَاورَ الْحَيَّانُ : نَهَضَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الْغَضَبِ .

(٢) قَالَ الْحَافِظُ أَبُو جَرْرٍ فِي «الْفَتْحِ» ، ج ٨/٤٧٤ : أَيِ : اللَّيْلَةِ الَّتِي
أَخْبَرْتَهَا فِيهَا أُمُّ مَسْطُوحِ الْخَبَرِ ، وَالْيَوْمَ الَّذِي خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ ،
وَاللَّيْلَةِ الَّتِي تَلِيهِ .

(٣) قَالَ السَّهْلِيُّ فِي «الرَّوْضِ الْأَنْفِ» ، ج ٤/٢٣ : كَانَ نَزُولُ بَرَاءَةِ عَائِشَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ قُدُومِهِمُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعٍ وَثَلَاثِينَ لَيْلَةً فِي قَوْلِ بَعْضِ
الْمُفَسِّرِينَ ، وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو جَرْرٍ فِي «الْفَتْحِ» ، ج ١/٤٧٥ : عَنْ ابْنِ
حَزْمٍ : أَنَّ الْمُدَّةَ كَانَتْ خَمْسِينَ يَوْمًا أَوْ أَزِيدَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

بِذَنْبٍ ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ ، وَتَوْبِي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

فَقُلْتُ لِأَبِي : أَحَبُّ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَهُ ، فَقُلْتُ لِأُمِّي : أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَهُ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ : إِنِّي بَرِيئَةٌ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ ، لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ ، وَقَدْ اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ مَا تَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ بِذَنْبٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ لَبَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقَنِي ، فَوَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يَوْسُفَ - وَالْتَمَسْتُ [ق ١٥٤] أَسْمَ يَعْقُوبَ فَدَهَشْتُ^(١) - إِذْ قَالَ / : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [سورة يوسف ١٨/١٢] .

قَالَتْ : ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَأَضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي ، وَأَنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سَيَبْرِئُنِي ، وَمَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى ، وَلِشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُؤْيَا يُبْرِئُنِي اللَّهُ بِهَا ، فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى أَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ^(٢) ، مِنْ ثِقَلِ الْوَحْيِ ، ثُمَّ سَرَّيْ عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ ، وَقَالَ : « أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ ، فَقَدْ بَرَأَكَ اللَّهُ » ، فَقُلْتُ : لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي ، لَقَدْ سَمِعْتُمُوهُ فَمَا أَنْكَرْتُمُوهُ وَلَا غَيَّرْتُمُوهُ^(٣) .

قَالَ الْعَجَّاءُ : فَبَيَّنْتَ أَنَّهُمْ لَا حَمْدَ لَهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَرَاءَتِهَا لِعِلْمِهِمْ بِحُسْنِ سِيرَتِهَا .

-
- (١) دَهَشَ الْمَرْءُ : ذَهَبَ عَقْلُهُ مِنْ وَلَهٍ أَوْ فِرْعٍ أَوْ حَيَاءٍ .
(٢) الْبُرْحَاءُ : الشَّدَّةُ الَّتِي كَانَتْ تُصِيبُهُ عِنْدَ نَزُولِ الْوَحْيِ .
(٣) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ قِصَّةَ حَدِيثِ الْإِفْكِ ، بِرَقْم (٣٩١٠-٤٤٧٣) .

وفي رواية: وَكُنْتُ أَشَدَّ مَا كُنْتُ غَضَبًا^(١) . فَأَظْهَرْتُ وَجْهَ الْعُذْرِ .

قَالَتْ : وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ - أَي : فِي الْآخِرَةِ - [سورة النور ٢٤ / ١١] .

فَاتِلَةٌ

في طرق روايات
حديث الإفك

روى البخاري ومسلم حديث الإفك من طريق الزُّهري ، عن عُرْوَةَ وهشام بن عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشة .

وأنفرد البخاري بروايته له من طريق مسروق بن الأجدع ، عن أُمِّ رُومان أُمِّ عائشة ، مُصَرِّحاً بِسَمَاعِهِ مِنْهَا ، وَهُوَ يَرُدُّ مَا زَعَمَهُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْحَفَازِ مِنْ أَنَّ أُمَّ رُومان ماتت في حياة النَّبِيِّ ﷺ ، وَصَلَّى عَلَيْهَا سَنَةً سِتًّا ؛ بَلْ حَدِيثُ نَزُولِ آيَةِ التَّخْيِيرِ وَفِيهِ : « لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ »^(٢) - أَي : أبا بكرٍ وأُمَّ رُومان - كما صُرحَ بِهِ فِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدُ يَرُدُّ مَا قَالُوهُ ، لِأَنَّ التَّخْيِيرَ سَنَةٌ تِسْعٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٣) .

موقوف عائشة من
حسان رضي الله عنهما

قال عُرْوَةُ : لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ غَيْرُهُ إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَمِسْطَحًا ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٤) .

(١) أخرجه الترمذي ، برقم (٣١٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٢٣٣٦) .

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ، برقم (٢٥٧٣٩) . وآية التَّخْيِيرِ نزلت سنة تسع للهجرة ، قبل غزوة تبوك .

(٤) أخرجه البخاري ، برقم (٣٩١٠) .

قَالَ - أَي : عُرْوَةٌ - وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانٌ ،
وَتَقُولُ إِنَّهُ الَّذِي يَقُولُ ، [مِنْ الْوَافِر] (١) :

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
[ق ١٥٥] / وَكَانَ حَسَّانٌ أَيْضاً يَعْتَذِرُ عَنْ ذَلِكَ . وَمِنْ شِعْرِهِ فِيهِ وَفِي مَدْحِ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَوْلُهُ ، [مِنْ الطَّوِيل] (٢) :

حَصَّانُ رِزَانُ مَا تُزَنُّ بِرَبِيبَةٍ
وَتُصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ (٣)
عَقِيلُهُ حَيٍّ مِنْ لُؤْيٍ بْنِ غَالِبٍ
كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ (٤)
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا
وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ (٥)
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ
فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَا مَلِي
وَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيْثُ وَنُضْرَتِي
لَا لِرَسُولِ اللَّهِ زَيْنِ الْمَحَافِلِ
لَهُ شَرَفٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ
تَقَاصَرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ (٦)

(١) ابن هشام ، ج ٣ / ٣٠٦ .

(٢) ابن هشام ، ج ٣ / ٣٠٦ .

(٣) حصان : المرأة العفيفة . رزان : ذات ثباتٍ ووقارٍ وسكون . ما تُزَنُّ :
ما تُنْتَهَمُ . غرني : جائعة .

(٤) العقيلة : الكريمة . المساعي : ما يُسْعَى فِيهِ مِنْ طَلَبِ الْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ .

(٥) خيمها : طبعها .

(٦) السَّوْرَةُ (بفتح السين) : الوثبة ، (وبضم السين) : المنزلة .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَرَاءَتِي ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ - : وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحَ أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْأَفْضَالِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة النور ٢٤ / ٢٢] .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَلَى ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحَ الَّذِي يُجْرَى عَلَيْهِ ^(١) .

فَائِئِلَةٌ

فِي كُفْرٍ مَنْ يَمْتَقِدُ أَنَّ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمْ
تُكُنْ بَرِيئَةً

لَا يَخْفَى أَنَّ بَيْنَ حَدِيثِ نَزُولِ سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ وَحَدِيثِ الْإِفْكِ
مُنَاسَبَةٌ مِنْ وَجْهِ :

مِنْهَا : إِنَّهُمَا وَقَعَا فِي الرُّجُوعِ مِنْ غَزْوَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَمِنْهَا : إِنَّ سُورَةَ الْمُنَافِقِينَ فِي بَرَاءَةِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عَنِ الْإِفْكِ ، وَهُوَ الْكَذْبُ الْمَتَّهَمُ بِهِ ، وَحَدِيثُ الْإِفْكِ فِي بَرَاءَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَمَّا قَذِفَتْ بِهِ ، فَهِيَ بَرَاءَةٌ قُطْعِيَّةٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ، حَتَّى إِنْ مَنْ يُشَكِّكَ فِي بَرَاءَتِهَا فَهُوَ كَافِرٌ بِالْإِجْمَاعِ .

بَلْ قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [سورة التَّحْرِيمِ ١٠ / ٦٦] - أَيِ : أَمْرَاةُ نُوحٍ نُوحًا ، وَأَمْرَاةُ لُوطٍ لُوطًا - : لَمْ تَزِنْ أَمْرَاةُ نَبِيِّ قَطُّ .

وَفِي «الصَّحِيحِينَ» ، أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ الْمُعَطَّلِ قَالَ : وَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ

(١) ابْنُ هِشَامٍ ، ج ٣ / ٣٠٤ .

عن كَفِّ أَنْثَى قَطْ - أَي : أَنَّهُ كَانَ حَصُورًا لَا يَأْتِي النِّسَاءَ ^(١) - .

وسألتني أَنَّ (الْخَنْدَقَ) فِي شَوَالٍ ، فِيلْزُمُ أَنَّ حَدِيثَ الْإِفْكِ قَبْلَ [ق١٥٦] شَوَالٍ ، / لِأَنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ أُصِيبَ بِـ (الْخَنْدَقِ) وَهُوَ الْقَائِمُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْإِفْكِ ، كَمَا سَبَقَ .

وَسَبَقَ أَنَّ عَائِشَةَ دَخَلَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي شَوَالٍ بَعْدَ (بَذْرِ) ^(٢) ، وَهِيَ بِنْتُ تِسْعَ ، فَيَكُونُ سِنُّهَا يَوْمَ الْإِفْكِ أَقَلَّ مِنْ إِحْدَى عَشْرَةِ سَنَةٍ ، وَمَنْ تَأَمَّلَ ثَبَاتَهَا فِيهِ كَقَوْلِهَا : (وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي أَحَقَرُّ مِنْ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ قُرْآنًا يُتْلَى) ، عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [سورة النور ٢٤/٢١] .

فضل عائشة ومنزلها من العلم

وَأَمَّا عَلُوُّ دَرَجَتِهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْعِلْمِ فَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ :

كَقَوْلِهَا لَمَّا قَالَ مَسْرُوقٌ : هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ ؟ [فَقَالَتْ] : لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي ^(٣) .

وَقَوْلِهَا لَمَّا قَالَ لَهَا عُرْوَةُ : وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا - مُحَقَّقَةٌ - [فَقَالَتْ] : مُعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا ^(٤) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٩١٠) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٥٦/٢٧٧٠) . الْكَنْفُ : الثَّوبُ الَّذِي يَسْتُرُ . وَهُوَ هُنَا كَنَافَةٌ عَنْ عَدَمِ جَمَاعِ النِّسَاءِ جَمِيعَهُنَّ وَمَخَالَطَتَهُنَّ . الْحَصُورُ : الَّذِي لَا يَأْتِي النِّسَاءَ ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ حُبَسَ عَنِ الْجَمَاعِ وَمُنِعَ . (أَنْصَارِي) . قُلْتُ : وَهُوَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ - أَي : الْحَصُورَ - مُجِيبُ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى .

(٢) قُلْتُ : كَانَ دُخُولُ النَّبِيِّ ﷺ بِعَائِشَةَ فِي شَوَالٍ مِنَ السَّنَةِ الْأُولَى لِلْهِجْرَةِ ، وَلَيْسَ بَعْدَ بَذْرِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ عَنْ ذَلِكَ ، ص ٢٠٣ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٥٧٤) . قَفَّ شَعْرِي : قَامَ مِنَ الْفَزَعِ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٢٠٩) .

وبمثل ذلك يُعلمُ جلالَةُ قَدْرِها فيما يَجِبُ لهُ سُبْحانَهُ مِنَ التَّنْزِيهِ ، وَلرُسُلِهِ مِنَ العِصْمَةِ .

ومنها : إِنَّ الَّذِي تَوَلَّى كِبَرَ الحديثين معاً عبدُ الله بنُ أَبِي ، المُنافِقُ مرَّةً بعدَ أُخرى ، معَ ما سَبَقَ مِنْ مُعاشرَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ مُعاشرَةٌ حَسَنَةٌ .

قَالَ الْعَمَّادُ : وَكانَ تَقْرِيرُهُ ﷺ لَهُ مِنْ بابِ تَرْجِيحِ المَصْلَحَةِ العامَّةِ ، وَهيَ تَأْلِيفُ القُلُوبِ وَخَشْيَةُ التَّنْفِيرِ عَنِ الإِسلامِ المُشارِ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ : « لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحابَهُ » (١) .

معَ ما سَبَقَ مِنْ غَضَبِ قَوْمِهِ لَهُ ، وَأَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ حَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ ، هَذَا وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِسَعْدٍ بَعْدَ شَهْوَ (العَقَبَةُ وَبَذَرٍ) إِلَّا قَوْلُهُ يَوْمَ (بَذَرٍ) : (وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَها إِلَيْ (بَرْكِ الغِمَادِ) (٢) لَفَعَلْنَا ، أَوْ نُخَيِّضَها البَحْرَ لَأَخَضَّناها مَعَكَ) (٣) .

فترجَّحت هَذِهِ المَصْلَحَةُ العامَّةُ عَلَى المَفْسَدَةِ الخاصَّةِ بِهِ ﷺ ، لِأَنَّ الْأَذَى راجِعٌ إِلَيْهِ وَإِلَى أَهْلِهِ ، فَأَحْتَمَلَهُ لِمَصْلَحَةِ المُسلمين العامَّةِ .
كما عفا عَن عَوْرَثِ بْنِ الحارِثِ الَّذِي أَخْطَرَ عَلَيْهِ السَّيْفَ .
وعن اليهوديَّةِ الَّتِي أَطْعَمَتْهُ السُّمَّ ، وَغير ذلك . وَاللهُ أَعْلَمُ .

وفي هَذِهِ السَّنَةِ - وَهيَ الرَّابِعَةُ (٤) - : كَانَتْ غَزْوَةُ / (الْخَنْدَقِ) ، [ق١٥٧] غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ أَوْ الْأَحْزَابِ ، وَتَسْمَى غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ ، فِي شَوَالٍ مِنْهَا ، لِحَوْلِ الْحَوْلِ مِنْ غَزْوَةِ (أُحُدٍ) (٥) ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي قَرِيظَةَ .

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٦٢٤) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .

(٢) بَرْكِ الغِمَادِ : تَقَعُ فِي جَنُوبِ القَنْفَذَةِ بـ (١١١) كِيلُومِتْراً . وَالْقَنْفَذَةُ : بَلَدَةٌ وَمِيناءُ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ الْأَحْمَرِ جَنُوبَ جَدَّةَ . وَبَرْكِ الغِمَادِ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى القَنْفَذَةِ .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٨٣/١٧٧٩) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(٤) بَلْ هِيَ فِي السَّنَةِ الْخامِسةِ .

(٥) قُلْتُ : قالَ أَبُو القَيْمِ فِي «زاد المعاد» ، ج ٣/ ٢٦٩ : (وَكانَتْ غَزْوَةُ =

أَمَّا غَزْوَةُ (الْخَنْدَقِ) فَسَبَبُهَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ ، وَلَحِقَ رِئِيسُهُمْ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ بـ (خَبِيرَ) ، ذَهَبَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى (مَكَّةَ) فِي رَجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ ، وَدَعَا قُرَيْشًا إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، بَعْدَ أَنْ سَأَلُوهُمْ : أَيُّنَا أَهْدَى سَبِيلًا نَحْنُ أَمْ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالُوا : بَلْ أَنْتُمْ أَهْدَى سَبِيلًا مِنْهُ .

وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ - وَالْجِبْتُ : الْأَصْنَامُ ، وَالطَّاغُوتُ : طَغَاةُ الْمُشْرِكِينَ - ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿ [سورة النساء ٥١ / ٤ - ٥٢] .

خُرُوجُ الْمُشْرِكِينَ

فَلَمَّا أَجَابَتْهُمْ قُرَيْشٌ إِلَى ذَلِكَ تَقَدَّمُوا إِلَى قَبَائِلِ قَيْسِ عَيْلَانَ - بِمُهْمَلَةٍ - مِنْ أَهْلِ (الطَّائِفِ) وَغَطَفَانَ وَهَوَازِنَ وَغَيْرِهِمْ ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، فَأَجَابُوهُمْ .

مِشَاوَرَةُ النَّبِيِّ ﷺ
أَصْحَابُهُ

فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ أَسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِحْفَرِ الْخَنْدَقِ ، فَشَرَعَ فِيهِ ، وَقَسَّمَهُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَأَجْتَهَدُوا فِي حَفْرِهِ مُتَنَافِسِينَ فِي رِضَا اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، بَحِثُ لَا يَنْصَرِفُ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِحَاجَتِهِ حَتَّى يَسْتَأْذِنَ النَّبِيَّ ﷺ .

= الخندق في سنة خمسٍ من الهجرة في شِوَالٍ عَلَى أَصْحَ الْقَوْلَيْنِ ، إِذْ لَا خِلَافَ أَنَّ غَزْوَةَ أُحُدٍ كَانَتْ فِي شِوَالٍ سَنَةِ ثَلَاثٍ ، وَوَاعَدَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ ، وَهُوَ سَنَةُ أَرْبَعٍ ، ثُمَّ أَخْلَفُوا لِأَجْلِ جَذْبِ تِلْكَ السَّنَةِ ، فَارْجَعُوا ، فَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ خَمْسٍ ، جَاءُوا لِلْحَرْبِ . وَهَذَا قَوْلُ أَهْلِ السَّيْرِ وَالْمَغَازِي .

وكان ﷺ ينقل معهم التراب على عاتقه ، ويكابد معهم النصب والجوع .

ويرتجز معهم بأبيات عبد الله بن رواحة ، [من الرجز] (١) :

وَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ مَا أَهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلُنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَا قَيْنَا
إِنَّ الَّذِينَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا
وَيَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ : أَبَيْنَا أَبَيْنَا .

وكانوا يرتجزون ، [من الرجز] (٢) :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا
فِيَجِيبُهُمْ [ﷺ] :

« اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ / الْآخِرَةِ فَأَغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ » [ق ١٥٨]
وَأَصْلُهُ : « اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ ، فَأَغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ
- بِالْقَوْلِ - وَالْمُهَاجِرَةِ » .

وفي « الصحيحين » ، عن البراء بن عازب [رضي الله
عنهما] : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الْخَنْدَقِ حَتَّى وَارَى [عَنِّي]
الْغُبَارُ جِلْدَةً بَطْنِهِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعْرِ - أَيِ شَعَرَ أَعَالِي الصَّدْرِ -
لَأَنَّهُ ﷺ كَانَ دَقِيقَ الْمَسْرُوبَةِ (٣) .

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٣٨٧٨) .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٢٨٠١) .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٣٨٨٠) . ومسلم برقم (١٢٥/١٨٠٣) .
المسروبة (بضم الراء وفتحها) : هو الشعر الدقيق ، الذي يأخذ من الصدر
إلى السرة .

وَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الْخَنْدَقِ وَأَقْبَلَتْ جُمُوعُ الْأَحْزَابِ فِي عَشْرَةِ
 آلَافٍ ، وَأَحَاطُوا بِ (المدينة) مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا ، وَأَشْتَدَّ الْحِصَارُ
 عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ
 أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ
 بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [سورة
 الأحزاب ١٠/٣٣ - ١١] .

وَعِنْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ نِفَاقُ الْمُنَافِقِينَ ، وَأَضْطَرَبَ إِيمَانُ ضُعْفَاءِ
 الْإِيمَانِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي
 قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [سورة الأحزاب
 ١٢/٣٣] .

وَكَانُوا يَقُولُونَ : يَعِدُنَا مُحَمَّدٌ أَنْ نَفْتَحَ (مَكَّةَ وَالشَّامَ وَالْعِرَاقَ) ،
 وَأَحَدُنَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ . وَأَمْتَدَّ الْحِصَارُ قَرِيبًا مِنْ
 شَهْرٍ .

ثُمَّ زَادَ الْأَمْرُ شِدَّةً أَنَّ حُيَّيَّ بْنَ أَخْطَبَ تَقَدَّمَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَلَمْ يَزَلْ
 بِهِمْ حَتَّى نَقَضُوا الْعَهْدَ .

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَأَى مَا أَصْحَابُهُ فِيهِ مِنَ الشَّدَّةِ ، أَسْتَشَارَ
 الْأَنْصَارَ فِي أَنْ يُعْطِيَ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ ، وَالْحَارِثَ بْنَ عَوْفِ
 الْمُرِّيِّ - قَائِدَيْ غَطَفَانَ - ثُلُثَ ثَمَارِ (المدينة) ، عَلَى أَنْ يُفَرِّقَا
 الْجَمْعَ ، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَهَذَا أَمْرٌ أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ
 لَا بَدَّ مِنْهُ ، فَالْتَمَعُ وَالطَّاعَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، أَمْ هُوَ أَمْرٌ تَصْنَعُهُ لَنَا ؟
 قَالَ : « لَا ، بَلْ لَأَنْتِي رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ،
 فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ شَوْكَتَهُمْ » ، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ : قَدْ كُنَّا وَنَحْنُ وَهُولَاءِ
 عَلَى الشَّرِّكَ ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ مِنَّا بِتَمْرَةٍ إِلَّا قَرِئَ أَوْ بَيْعًا ، أَفَحِينَ

أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَأَعَزَّنَا بِكَ نُعْطِيهِمْ / أَمْوَالَنَا ؟! وَاللَّهِ لَا نُعْطِيهِمْ [ق ١٥٩] إِلَّا السَّيْفَ ^(١) .

فَسَرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ ، سَرِيعَ الْحِسَابِ ، أَهْزِمِ الْأَحْزَابَ ، اللَّهُمَّ أَهْزِمْهُمْ وَزَلِّزْلَهُمْ » ^(٢) .
ولم يكن بين القوم قتالٌ إلا الرَّمْيُ بالنبل والحصى ، فأوقع اللهُ بينهم التَّخَاذُلَ .

ثمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي ظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ مِنَ اللَّيْلِ رِيحَ الصَّبَا الشَّدِيدَةِ ، فِي بَرْدٍ شَدِيدٍ ، فَاسْقَطَتْ خِيَامَهُمْ ، وَأَطْفَأَتْ نيرانَهُمْ وَزَلْزَلَتْهُمْ ، حَتَّى جَالَتْ خِيُولُهُمْ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ فِي تِلْكَ الظُّلْمَةِ ، فَأَرْتَحَلُوا خَائِبِينَ .

وَفِي ^(٣) « الصَّحِيحِينَ » ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ يَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ ؟ » ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ : أَنَا ، ثُمَّ قَالَ : « مَنْ يَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ ؟ » ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ : أَنَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَ الزُّبَيْرِ » ^(٤) .

زَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ : فَذَهَبْتُ ، فَدَخَلْتُ بَيْنَهُمْ ، فَنادى أَبُو سَفْيَانَ : إِنَّ هَذِهِ الظُّلْمَةُ ظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَلْيَسْأَلْ كُلُّ مَنْكُمْ

(١) أوردته الهيثمي في « مجمع الزوائد » ، ج ٢ / ١٣٢ .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٢٧٧٥) .

(٣) ذَكَرَ هُنَا أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ هُوَ الَّذِي تَحَسَّسَ خَبَرَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ أَنْتَهَاءِ الْمَعْرَكَةِ . قُلْتُ : أَمَّا الزُّبَيْرُ فَأَرْسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ صَدَقِ خَبَرِ نَقْضِ بَنِي قُرَيْظَةَ الْعَهْدِ . أَمَّا الَّذِي تَحَسَّسَ خَبَرَ الْمُشْرِكِينَ عَقَبَ تَأْيِيدِ اللَّهِ نَبِيَّهُ بِرِيحِ الصَّبَا الَّتِي هَزَمَتْ الْمُشْرِكِينَ ؛ إِنَّمَا هُوَ : حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أخرجه البخاري ، برقم (٢٦٩١) .

جليسه مَنْ هُوَ؟ قَالَ : فبدأتُ بجليسي ، وقلتُ : مَنْ أَنْتَ؟
ومكثتُ إلى أَنْ أرتحلوا .

ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِخَبَرِهِمْ . فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُذَكِّراً لِعِبَادِهِ مَا مَنْ بِهِ عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ - أَي : الْمَلَائِكَةُ - إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾
[سورة الأحزاب ٩/٣٣ - ٢٥] .

وَوَقَعَ فِي أَيَّامِ حَفْرِ (الْخَنْدَقِ) مُعْجَزَاتٌ بَاهِرَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ
نَبَوْتِهِ ﷺ .

كَحَدِيثِ الْكُذْبَةِ : وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الْجِبَلِ الَّتِي أَعْتَرَضَتْ لَهُمْ فِي
حَفْرِ (الْخَنْدَقِ) ، فَلَمْ يَعْمَلْ فِيهَا الْمِعْوَلُ ، وَأَعْيَتْ فِيهَا الْحِيلُ ،
فَأَخَذَ ﷺ الْمِعْوَلَ وَسَمَّى اللَّهَ فَضَرَبَهَا ، فَأَنْهَالَتْ كَالْكَثِيبِ (١) .

وَكَحَدِيثِ أَبِي طَلْحَةَ : حَيْثُ بَعَثَ / أَنْسَاءً بِأَقْرَاصٍ مِنْ شَعِيرٍ
تَحْتَ إِبْطِهِ ، فَفَتَّهَا ﷺ وَأَطْعَمَ مِنْهَا ثَمَانِينَ (٢) .

وَكَحَدِيثِ جَابِرٍ : حَيْثُ دَعَا النَّبِيَّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ ، عَلَى
صَاعٍ مِنْ شَعِيرٍ وَعَنَاقٍ ذَبَحَهَا لَهُمْ ، لَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رُبَطَ حَجَرًا
عَلَى بَطْنِهِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ ، فَبَصَقَ ﷺ فِي الْبُرْمَةِ وَفِي الْعَجِينِ ،
وَنَادَى فِي أَهْلِ (الْخَنْدَقِ) وَكَانُوا أَلْفًا عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الْجُوعِ ،
فَأَشْبَعَهُمْ جَمِيعًا خُبْزًا وَثَرِيدًا وَلَحْمًا .

(١) الْكَثِيبُ : الرَّمْلُ الْمُسْتَطِيلُ الْمَحْدُودُ . وَأَخْرَجَ الْخَبَرَ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم
(٣٨٧٥) .

(٢) ذَكَرَ الْقِصَّةَ مُسْلِمٌ ، بِرَقْمِ (١٤٢/٢٠٤٠) .

وقال جابرٌ : فَأُقْسِمُ ، بالله لَقَدْ أَنْصَرَفُوا وَإِنْ بُرْمَتَنَا لَتَغُطُّ كَمَا هِيَ ، وَإِنْ عَجِينَا لَيُخْبِرُ كَمَا هُوَ^(١) .

وكقوله ﷺ لَمَّا أَنْصَرَفَتِ الْأَحْزَابُ : « لَنْ تَغْزُونَا قُرَيْشٌ بَعْدَهَا أَبَدًا ، بَلْ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَا »^(٢) .

فَكَانَ كَمَا قَالَ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الشَّدَّةُ خَاتِمَةَ الشَّدَائِدِ .

وَأَمَّا غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ : فَسَبِّحُهَا مَا سَبَقَ مِنْ نَقْضِهِمُ الْعَهْدَ .

غزوة بني قريظة

وَفِي « الصَّحِيحِينَ » ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنَ (الْخَنْدَقِ) ، وَوَضَعَ السَّلَاحَ ، وَأَعْتَسَلَ ، أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : قَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ ؟ ، وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ^(٣) ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ ، قَالَ : « فَإِلَى أَيْنَ ؟ » ، قَالَ : هَاهُنَا . وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ^(٤) .

أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالمسير إلى بني قريظة

وَفِيهِمَا - [أَي : الصَّحِيحِينَ] - أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَا يُصَلِّينَ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ » ، فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا - أَي : وَلَوْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ مُتَمَسِّكًا بِظَاهِرِ اللَّفْظِ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ نُصَلِّي ، لَمْ يُرِدْ مِمَّا ذَلِكَ - فَفَهِمَ مِنَ النَّصْرِ مَعْنَى خَصَّصَهُ بِهِ - فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمْ يُعَنْفَ وَاحِدًا مِنْهُمْ^(٥) .

النبي ﷺ يأمر أصحابه بالخروج

(١) ذكر القصة البخاري ، برقم (٣٨٧٦) . العناق : الأثني من وَلَدِ المعز .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٣٨٨٤) ، بنحوه .

(٣) أي : لم تضع الملائكة السلاح .

(٤) أخرجه البخاري ، برقم (٣٨٩١) . ومسلم برقم (١٧٦٩/٦٥) . عن عائشة رضي الله عنها .

(٥) أخرجه البخاري ، برقم (٩٠٤) . ومسلم برقم (١٧٧٠/٦٩) . عن ابن عمر رضي الله عنهما .

قُلْتُ : وفي ذلك فسحة للأئمة المجتهدين رضي الله عنهم ،
وَأَنَّ كُلَّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ - أي : في الفروع - إذ لم يَخْصُصِ النَّبِيُّ ﷺ
أحداً مِنَ الْفَرِيقَيْنِ بِصَوَابٍ ما ذهب إليه .

[ق ١٦١] فلما نزل ﷺ بساحتهم ، وحاصرهم / واشتدَّت عليهم وطأته ،
أرسلوا إليه أَنْ أَرْسِلْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ - بموحدة مكررة - الْأَنْصَارِيَّ
الْأَوْسِيَّ ، وكانوا حلفاء الأوس ، فأرسله إليهم ، فلما أقبل عليهم
تلقاه النساء والصبيان ييكون في وجهه ، فرقَّ لهم ، فقالوا : أترى
أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ : نعم ، وأشار بيده إِلَى حَلْقِهِ
- يعني : أَنَّ حُكْمَهُ الذَّبْحُ - ثُمَّ نَدِمَ فِي مَقَامِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ ، فلم يرجع إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، بل ذهب إِلَى (المدينة) ، وربط
نفسه بسارية في المسجد ، وقال : والله لَا أَذُوقُ ذَوْاقاً حَتَّى يُطْلِقَنِي
النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ ، فأقام على ذَلِكَ سبعة أَيَّامٍ لَا يَذُوقُ ذَوْاقاً حَتَّى خَرَّ
مَغْشِياً عَلَيْهِ ، فنزل فيه : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا
صَالِحًا وَآخَرًا سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
[سورة التوبة ٩/ ١٠٢] .

فتاب الله عليه ، وغفر له ورحمه ، فأطلقه النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ ، ولم
يَطَأْ بِلَدِ بَنِي قُرَيْظَةَ حَتَّى مَاتَ ، وكان يقول : والله لَا أَرَى بِلَدٍ خُنْتُ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيهَا ، وكان له بها أموال فتركها رضي الله عنه .

ثُمَّ إِنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ ما قَبِلَ مِنْ
إِخْوَانِهِمْ بَنِي النَّضِيرِ ، بَأَنْ يُجْلَوْا عَنْ بِلَدِهِمْ ، وَلَهُمْ ما أَقَلَّتِ الْإِبِلُ ،
فَأَبَى عَلَيْهِمْ لِمَا تَوَلَّدَ مِنْ حِيَّيِّ بْنِ أَخْطَبَ مِنَ الشَّرِّ ، فَنَزَلُوا عَلَى
حُكْمِهِ ﷺ ، فجاء حلفاؤهم مِنَ الْأَوْسِ ، وقالوا : هَبْهُمْ لَنَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمَا وَهَبْتَ بَنِي قَيْنُقَاعَ لِحَلْفائِهِمْ الْخَزَرَجَ ، فقال : « أَلَا

نزول بني قُرَيْظَةَ عَلَى
حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

تَرْضَوْنَ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ سَيِّدُكُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ؟ قالوا : بلى .

تَوَجَّهَ سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ

وَكَانَ سَعْدٌ قَدْ أُصِيبَ بِسَهْمٍ يَوْمَ (الْخَنْدَقِ) ، فَجَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي خِيَمَةٍ فِي الْمَسْجِدِ ، لِيَعُودَهُ عَنْ قُرْبٍ ، فَأَتَاهُ قَوْمُهُ فَأَحْتَمَلُوهُ عَلَى حِمَارٍ ، وَأَقْبَلُوا بِهِ ، وَهُمْ يَقُولُونَ : يَا أَبَا عَمْرٍو ، أَحْسِنْ فِي مَوَالِكَ - أَي : حُلَفَائِكَ - / فَقَالَ : لَقَدْ آتَى لَسَعْدٍ أَنْ لَا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ [ق ١٦٢] لَائِمٌ . فَعَلِمُوا أَنَّهُ قَاتِلُهُمْ .

فَلَمَّا دَنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لِمَنْ عِنْدَهُ : « قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ » ، فَقَامُوا لَهُ . فَالْمُهَاجِرُونَ قَالُوا : إِنَّمَا أَرَادَ الْأَنْصَارَ ، وَالْأَنْصَارُ قَالُوا : قَدْ عَمَّ بِهَا .

حُكِمَ سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ

فَحَكَمَ فِيهِمَا بِقَتْلِ الرِّجَالِ وَسَبْيِ الذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ ، وَقِسْمَةِ الْأَمْوَالِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَقَدْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ فِيهِمْ » ^(١) .

تَنْفِيذُ الْحُكْمِ فِي بَنِي
قُرَيْظَةَ

فَخَذَ لَهُمْ أُخْدُودٌ ، وَضَرَبَ أَعْنَاقَ رِجَالِهِمْ وَأَلْقَاهُمْ فِيهِ ، وَكَانَ عِدْدٌ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ نَحْوَ سَبْعِ مِائَةٍ - بِتَقْدِيمِ السَّيْنِ - وَقِيلَ : نَحْوَ تِسْعِ مِائَةٍ - بِتَقْدِيمِ التَّاءِ - .

وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مُتَفَضِّلًا بِقَوْلِهِ : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ... وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ ﴾ - أَي : أَعَانُوا

(١) قُلْتُ : قَالَ أَبُو شَهْبَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : وَهَذَا الْحُكْمُ هُوَ مَا قَضَى بِهِ كِتَابُهُمُ الْمُقَدَّسُ (العهد القديم) ، فِي حَقِّ الْعَدُوِّ الْمَهْزُومِ . فَفِي سَفَرِ الثَّانِيَةِ ، الْإِسْصَاحِ ١٣ ، فَفَقْرَةٌ ١٣/١٤ : (وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ ، فَأَضْرِبْ جَمِيعَ ذَكَوْرَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ ، وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ ، كُلُّ غَنِيْمَتِهَا لِنَفْسِكَ ، وَتَأْكُلْ غَنِيْمَةُ أَعْدَاكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَيْكَ) . وَهَكَذَا يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ مَا قَضَى بِهِ سَيِّدُنَا سَعْدٌ لَمْ يَخْرُجْ عَمَّا حَكَمَتْ بِهِ التَّوْرَةُ . وَأَيْضًا فَهُمْ لَيْسُوا أَعْدَاءَ مَهْزُومِينَ فَحَسَبَ ، بَلْ هُمْ خَائِنُونَ غَادِرُونَ غَيْرَ وَافِينَ بِالْعَهْدِ . (أَنْظُرِ السِّيْرَةَ النَّبَوِيَّةَ ، ج ٢/ ٤٠٩) .

قُرَيْشًا وَأَحْزَابَهَا - ﴿مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ - أَي :
 حصونهم ، وأصلها قرون البقر - ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا
 تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ
 تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿[سورة الأحزاب ٢٣/ ٢٥ - ٢٧] .

وكان سعد رضي الله عنه لما أصيب يوم (الخنديق) دعا الله تعالى
 فقال : (اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا ،
 وَإِلَّا فَاجْعَلْهُ لِي شَهَادَةً ، وَلَا تُمَتِّنِي يَا رَبُّ حَتَّى تَقَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي
 قُرَيْظَةَ) .

وفاء سعد بن معاذ
 رضي الله عنه

فلما أنقضى شأنهم ورجع إلى خيمته بالمسجد ، استجاب الله له
 دعوته ، فأنفجر جرحه ، فمات فيها .

ولم يشعر أحد بموته حتى نزل جبريل عليه السلام فقال : مَنْ
 هَذَا الَّذِي فُتِحَتْ لِرُوحِهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَاهْتَزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ؟
 - أَي : طرباً لقُدومه - فقام النبي ﷺ مُسرِعاً ، فإذا سعد قد مات
 رضي الله عنه .

وفي السنة الخامسة : بنى النبي ﷺ بأُمِّ المؤمنين زينب بنت
 جَحْشٍ الْأَسَدِيَّةِ رضي الله عنها ، وأُمُّها أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛
 عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بعد أن زَوَّجَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا / ، وكان لزواجها شأنٌ
 جليلٌ .

زواج الرسول ﷺ من
 زينب بنت جحش
 رضي الله عنها

وذلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ خَطَبَهَا أَوَّلًا لِمَوْلَاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ،
 فترَفَعَتْ عليه لشرف نسبها وجمالها ، وساعدها أخوها عبد الله بنُ
 جَحْشٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمَا : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ
 ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/ ٣٦] .

فَلَمَّا سَمِعَا ذَلِكَ رَضِيَا طَاعَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، فَأَنْكَحَهَا النَّبِيُّ ﷺ زَيْدًا ، فَمَكَثَتْ عِنْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ رَأَاهَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا مُتَزَيِّنَةً فَأَعْجَبَتْهُ ، وَرَغِبَ فِي نِكَاحِهَا لَوْ طَلَّقَهَا زَيْدٌ ، فَأَوْقَعَ اللَّهُ كِرَاهِيَّتَهَا فِي قَلْبِ زَيْدٍ ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِي فِرَاقِهَا ، فَقَالَ لَهُ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ » - أَي : فِي طَلَاقِهَا مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ - فَأَبَى إِلَّا طَلَاقَهَا وَطَلَّقَهَا^(١) .

وَفِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » ، أَنَّهَا لَمَّا أَنْقَضَتْ عِدَّتَهَا بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا لِيَخْطُبَهَا لَهُ ، قَالَ زَيْدٌ^(٢) : فَلَمَّا جِئْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي ، حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا إِجْلَالًا لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي ، وَقُلْتُ : يَا زَيْنَبُ ، أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكَ يَذْكُرُكَ ، فَقَالَتْ : مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوامرَ رَبِّي^(٣) ، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا - تَصَلِّيَ الْاِسْتِخَارَةَ^(٤) - فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴿ أَي : بِالْإِسْلَامِ - ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ - أَي : بِالْعِتْقِ - ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ - أَي : مُظْهِرُهُ ، لِأَنَّهُ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهَا سَتَكُونُ لَكَ - ﴿ وَتُخْشَى

(١) قُلْتُ : وَرَوَيْتَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ فِي بَعْضِ كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالْقِصَصِ الَّتِي لَا تَعْنِي بِالنَّقْدِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ ، وَهِيَ رَوَايَةٌ بَاطِلَةٌ عَقْلًا وَنَقْلًا .
وَانْظُرِ التَّعْلِيلَ الْآتِي .

(٢) قُلْتُ : قَالَ الْحَافِظُ أَبُو حَجْرٍ فِي « الْفَتْحِ » ، ج٨ / ٥٢٤ : (وَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَبْلَغِ مَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الَّذِي كَانَ زَوْجَهَا هُوَ الْخَاطِبُ ، لِثَلَايِظُنَّ أَحَدًا أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ قَهْرًا بِغَيْرِ رِضَا ، وَفِيهِ أَيْضًا اخْتِبَارٌ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا هَلْ بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ أَمْ لَا) .

(٣) أَمْرُهُ فِي أَمْرِهِ ، وَوَامِرُهُ وَأَسْتَأْمِرُهُ : شَاوَرَهُ .

(٤) قُلْتُ : لَعَلَّهَا اسْتَخَارَتْ لِخَوْفِهَا مِنْ تَقْصِيرٍ فِي حَقِّهِ .

النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ ﴿ [سورة الأحزاب ٣٣/٣٧] - أي : تستحي أن
ذلك يظهر لئلا يُشْنَعَ عليك المنافقون واليهود أنك نكحت منكوحه
أبنك .

تحریم الثَّبي
وكان من قبلُ قد تبني زيدا ، ثم حرم الله ذلك عليه وعلى الأمة
[ق١٦٤] بقوله : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ / ، وقوله :
﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ الآية [سورة الأحزاب ٣٣/٤٠ ، ٥] .

فأمره الله بنكاحها ، بل أنكحها إياها لتقتدي به الأمة ، كما قال
الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾
[سورة الأحزاب ٣٣/٣٧] .

فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير استئذان ، كما في
« صحيح مسلم » (١) .

وفي « الصحيحين » ، عن أنس بن مالك ، قال : جاء زيد بن
حارثة يشكو ، فجعل النبي ﷺ يقول له : « اتَّقِ اللَّهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ
زَوْجَكَ » ، قال أنس : وكانت زينب رضي الله عنها تفتخر فتقول
لأزواج النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن : زَوَّجَكُنَّ
أَهَالِيكُنَّ ، وزوجني ربي من فوق سبع سماوات (٢) .

إفْتِخَارُ زَيْنَبَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
بِزَوْجِ اللَّهِ لَهَا

فَاتَعَلَّ

كذا روى ابن إسحاق وغيره من حديث قتادة عن أنس ما تقدّم
من أن النبي ﷺ رأى زينب متزينة فأعجبته ، فرغب في نكاحها لو

- (١) أخرجه مسلم ، برقم (٨٩/١٤٢٨) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٦٩٨٤) .

طَلَّقَهَا زَيْدٌ . رَوَى ذَلِكَ جَمْعٌ مِنَ الْمَفْسَّرِينَ بِأَسَانِيدٍ قَوِيَّةٍ^(١) .

وفي « البُخَارِيِّ » من حديثِ ثَابِتِ البُنَانِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/٣٧] نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَلَمْ يَزِدْ . وَسَبَقَ أَنَّ الَّذِي أَخْفَاهُ هُوَ مَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ مِنْ أَنَّهَا سَتَكُونُ زَوْجَتَهُ . وَقَالَ لَهُ : ﴿ أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ أَتَصْحَابًا لِلْحَالِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ .

وَلَيْسَ فِي أَتَحْسَانِهِ لَهَا ، وَرَغْبَتِهِ فِي نِكَاحِهَا لَوْ طَلَّقَهَا زَيْدٌ قَدَحٌ فِي مَنْصِبِهِ الْجَلِيلِ حَتَّى يَوْجِبَ الطَّعْنَ فِي الرِّوَايَاتِ الثَّابِتَةِ الْمَنْقُولَةِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ ، بَلْ قَدْ جَعَلَهَا الْعُلَمَاءُ مِنْ أَصْحَابِنَا أَصْلًا ، أَسْتَدَلُّوا بِهِ

(١) قُلْتُ : وَفِي هَذِهِ الْأَسَانِيدِ الْقَوِيَّةِ !! عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، مَتَّهِمٌ بِالْكَذِبِ وَالتَّحْدِيثِ بِالْغُرَائِبِ وَرَوَايَةِ الْمَوْضُوعَاتِ . وَقَدْ تَبَّهَ لِبُطْلَانِهَا وَزَيْفِهَا جَمْعٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ الرَّاسِخِينَ . قَالَ الْحَافِظُ أَبُو حَجْرٍ فِي «فَتْحِ الْبَارِيِّ» ، ج ٨/٤٢٥ : وَرَوَيْتُ آثَارًا أُخْرَى أَخْرَجَهَا أَبُو أَبِي حَاتِمٍ وَالتَّطَبَّرِي ، وَنَقَلَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسَّرِينَ ، لَا يَنْبَغِي الشَّغَاغِلُ بِهَا . وَقَالَ أَبُو كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» ، ج ٥/٥٦٠ : ذَكَرَ أَبُو أَبِي حَاتِمٍ وَأَبْنُ جَرِيرٍ هُنَا آثَارًا عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَحَبُّنَا أَنْ نَضْرِبَ عَنْهَا صَفْحًا لَعَدَمِ صَحَّتِهَا فَلَا نَوْرِدُهَا . وَهَذَا الْقَوْلُ لَا يَلِيقُ بِمَقَامِ النُّبُوَّةِ ، وَلَا يَلِيقُ بِهِ ﷺ مِنْ مَدِّ عَيْنِهِ لِمَا نَهَى عَنْهُ مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا لَا يَتَسَمُّ بِهِ النَّاسُ ، فَكَيْفَ سَيَدُ الْأَنْبِيَاءُ !!؟ وَمَنْ أَقْوَى مَا يَرُدُّ بِهَا عَلَى مَا لَا يَلِيقُ بِمَقَامِ النُّبُوَّةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْرِفُ زَيْنَبَ مِنْ صَغَرِهَا إِلَى أَنْ تَزَوَّجَهَا ؛ فَلَوْ كَانَتِ الْمَسْأَلَةُ فِيهَا شَيْءً مِنَ الرَّغْبَةِ الْجَنَسِيَّةِ لَتَزَوَّجَهَا هُوَ . وَإِنَّمَا الْوَاقِعُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ أَنَّهُ إِبْطَالُ لَزَوَاجِ الْمُتَبَنِّيِّ بِزَوْجَةٍ مِنْ تَبَنَّاهُ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ أَيُ : تُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا سَيَقَعُ مِنَ الصَّجَّةِ وَالْإِعْتِرَاضِ عَلَيْكَ بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَ زَوْجَةَ ابْنِكَ الَّذِي تَتَبَّنَاهُ .

على أَنَّ مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ وجوب طلاق مَنْ رَغِبَ فِي نِكَاحِهَا عَلَى زَوْجِهَا ، ووجوب إجابتها ، فجوزوا رغبته في نكاح منكوحه / غيره . [١٦٥ق]

وَأَنَّ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مَا لَا يَخْفَى مِنَ التَّنْوِيهِ بِقَدْرِ الْمُصْطَفَى ﷺ ، وَالْإِعْلَامِ بِعَظِيمِ مَكَانَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ مَا يُحِبُّهُ ، وَيَكْرَهُ مَا يَكْرَهُهُ ، وَيَنْوِبُ عَنْهُ فِي إِظْهَارِ مَا أَسْتَحْيَا مِنْ إِظْهَارِهِ ، عَلِمًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ قِمَعًا لَشَهْوَتِهِ ، وَرَدًّا لِنَفْسِهِ عَنْ هَوَاهَا^(١) ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ كَانٍ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ ﴾ [سورة الأحزاب ٥٣/٣٣] .

فَمَا نَقَلَهُ الْقَاضِي عِيَّاضُ عَنْ أَبِي الْقَشِيرِيِّ وَقَرَّرَهُ : مِنْ أَنَّ مَا سَبَقَ مِنْ تَجْوِيزِ رَغْبَتِهِ فِي نِكَاحِهَا لَوْ طَلَّقَهَا زَيْدٌ إِقْدَامٌ عَظِيمٌ مِنْ قَائِلِهِ ، وَقَلَّةٌ

(١) قُلْتُ : حَاشَاهُ ﷺ عَنْ مِثْلِ هَذَا . وَلَمْ يَكُنْ زَوَاجُهُ ﷺ لِقَضَاءِ شَهْوَةٍ ، بَلْ لِبَيَانِ تَشْرِيعِ بِفَعْلِهِ ﷺ . فَإِنَّ الْفِعْلَ أَكَّدَ ، وَالشَّرْعَ يُسْتَفَادُ عَلَى نَحْوِ أَقْطَعِ مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ . وَمَا زَوَاجُهُ ﷺ هَذَا إِلَّا لِيَرْتَفَعَ الْحَرَجُ وَالضِّيقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَرَادُوا الزَّوَاجَ بِمُطَلَّاقَاتِ أَدْعِيَائِهِمْ ، وَهَمَّ الَّذِينَ تَبَنَوْهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، ثُمَّ أَبْطَلَ الْإِسْلَامُ حُكْمَ التَّبْنِي ، وَأَلْغَى جَمِيعَ أَثَارِهِ . قَالَ أَبُو شَهْبَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : وَقَدْ نَسَجَ الْمُسْتَشْرِقُونَ وَالْمُبَشِّرُونَ الْمُحْتَرِفُونَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ أَثْوَابًا مِنَ الْكُذْبِ وَالْخِيَالِ . وَصَوَّرَهُ ﷺ بِصُورَةِ الرَّجُلِ الَّذِي لَا هَمَّ لَهُ إِلَّا إِشْبَاعُ رَغْبَاتِهِ الْجَنَسِيَّةِ وَالْجَرِي وَرَاءَ النِّسَاءِ . وَقَدْ اعْتَمَدَ هَؤُلَاءُ فِي طَعُونِهِمْ بِالنَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَوَايَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مَدْسُوسَةٍ عِنْدَ أُمَّةِ النِّقْدِ وَعُلَمَاءِ الرِّوَايَةِ ، وَأَغْلَبَ الظَّنُّ أَنَّهَا مِنْ صَنْعِ أَسْلَافِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالزَّنَادِقَةِ مِنَ الْفَرَسِ وَغَيْرِهِمْ ، الَّذِينَ عَجَزُوا أَنْ يَقَاوِمُوا سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ وَقُوَّتَهُ ، فَلَجَأُوا إِلَى الدَّسِّ وَالْكَذْبِ ، وَجَازَ هَذَا الزُّورَ عَلَى بَعْضِ الْأَغْرَارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَرَوَوْهُ فِي كُتُبِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ مَا كَانَ يَخْفَى عَلَى الْعُلَمَاءِ وَالرَّاسِخِينَ ، فَنَبَّهُوا عَلَى كُذْبِهِ ، وَحَذَّرُوا مِنَ التَّصْدِيقِ بِهِ .

معرفة بحق النبي ﷺ مردود بحثاً ودليلاً . والله أعلم^(١) .

وَأَعْلَمَ أَنَّ نَظَرَهُ إِلَيْهَا كَانَ قَبْلَ نَزُولِ آيَةِ الْحِجَابِ ، لِأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي حَالِ دَخُولِهِ عَلَيْهَا ، مَعَ أَنَّ الرَّاجِحَ أَيْضاً عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّ النِّسَاءَ مَا كُنَّ يَحْتَجِبْنَ عَنْهُ ﷺ .

وفي « الصَّحِيحِينَ » ، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَنَا أَعْلَمُ وَلِيْمَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا النَّاسِ بِشَأْنِ الْحِجَابِ ، وَكَانَ فِي أَوَّلِ مَا أُنْزِلَ فِي مُبْتَنَى النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبُ ، أَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَا عَرُوساً ، فَأَرْسَلْتُ مَعِيَ أُمَّ سُلَيْمٍ بِحِسِّ مَنْ تَمَرٍ وَسَمْنٍ وَأَقِطٍ^(٢) إِلَيْهِ فِي بُرْمَةٍ ، فَقَالَ لِي ضَعُهَا ، ثُمَّ أَمَرَنِي فَقَالَ : « ادْعُ لِي رِجَالاً سَمَاهُمْ ، وَأَدْعُ مَنْ لَقِيتَ » ، ففعلتُ الَّذِي أَمَرَنِي بِهِ ، فَرَجَعْتُ ، فَإِذَا الْبَيْتُ غَاصُّ بِأَهْلِهِ ، وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَيْسَةِ ، وَتَكَلَّمَ بِمَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُو عَشْرَةَ عَشْرَةً ، يَأْكُلُونَ مِنْهَا ، وَيَقُولُ لَهُمْ : « اذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ ، وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ » ، حَتَّى تَفَرَّقُوا كُلُّهُمْ ، وَبَقِيَ نَفَرٌ يَتَحَدَّثُونَ ، ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوَ الْحُجُرَاتِ ، وَخَرَجْتُ فِي إِثْرِهِ ، فَقُلْتُ : إِنَّهُمْ قَدْ ذَهَبُوا ، فَرَجَعَ وَدَخَلَ الْبَيْتَ / وَأَرَخَى السِّتْرَ ، وَإِنِّي لَفِي الْحُجْرَةِ وَهُوَ [١٦٦ق] يَقُولُ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ الْآيَةَ [سورة الأحزاب ٣٣/٥٣]^(٣) .

وفي « صحيح البخاري » عن أَنَسٍ أَيْضاً قَالَ : أَوْلَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) قلتُ : بل قول القاضي عياض ، وكذا الزُّهري ، والقاضي بكر بن العلاء ، والقاضي أبي بكر بن العربي هو الأصح . وَأَنَّ الَّذِي يَقُولُ ذَلِكَ جَاهِلٌ بِعَصْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ مِثْلِ هَذَا ، أَوْ مُسْتَخَفٌّ بِحَرَمَتِهِ .

(٢) الْأَقِطُ : لَبَنٌ مُجَفَّفٌ يَابَسٌ يُطْبَخُ بِهِ . (أَنْصَارِي) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، كِتَابَ النِّكَاحِ ، بَابُ : الْهَدْيَةِ لِلْعُرُوسِ .

حينَ بنى بزينب بنت جحش فأشبعَ النَّاسَ خُبْراً ولحماً^(١) .

وفي رواية : فأرسلتُ داعياً على الطَّعام ، فيجيءُ قومٌ فيأكلونَ ويخرُجونَ ، ثمَّ يجيءُ قومٌ فيأكلونَ ويخرُجونَ ، فدعوتُ حتَّى ما أجدُ أحداً أدعو ، فقلتُ : يا نبيَّ الله ، ما أجدُ أحداً أدعوه ، فقال : « ارفعوا طعامكم »^(٢) .

صلح الحديبية

وفي هذه السَّنة - وهي الخامسة^(٣) - أحرَمَ النَّبيُّ ﷺ بعمرة ، فصدَّ عن البيت ، فوقع صلحُ الحديبية بعدَ بيعة الرِّضوان ، وذلك أنَّه ﷺ خرَّجَ في ذي القعدة مُعتمراً ، فأحرَمَ وقلَّدَ الهدْيَ ، وأشعرَ البدنَ ، فأجتمعتُ قريشٌ على أن تصدَّه عن البيت ، فأجتمع رأيُه على أن يدخلها عليهم قهراً .

وفي ذلك يقولُ حسانُ بنُ ثابتٍ جواباً لأبي سفيانَ بنِ الحارثِ بنِ عبد المطلبِ ابنِ عمِّ النَّبيِّ ﷺ عن شِعْره الَّذي هجا فيه ، [من الوافر] ^(٤) :

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا بَرًّا تَقِيًّا رَسُولَ اللَّهِ شَيْمَتُهُ الْوَفَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ ؟ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ^(٥)
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

(١) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٤٥١٦) .

(٢) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٤٥١٥) . عن أنسٍ رضي الله عنه .

(٣) قلتُ : لعلَّ الصَّوابَ السادسة . والله أعلم .

(٤) ذكر الأبيات الإمامُ مُسلمٌ في « صحيحه » ، برقم (١٥٧/٢٤٩٠) .

(٥) يقول : كيف تهجوه ولست ندأ له ؟ عسى الله أن يجعل السيِّءَ الشَّريرَ منكم فداءً للطَّيِّبِ الخيِّر .

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُبِيرُ النَّقْعَ مَوْرُدُهَا كَدَاءُ^(١)
يُنَازِعُنِ الْأَعْنَةَ مُضْعِدَاتِ عَلَى أَكْبَادِهَا الْأُسْلُ الظَّمَاءُ^(٢)
فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنَّا أَعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ
وَالْأَفْصَرُ يَضْرِبُ يَوْمَ يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يُشَاءُ
/ وَقَالَ اللَّهُ : قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خِفَاءُ [ق ١٦٧]
وَجَبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ^(٣)

إِرسَالُ النَّبِيِّ ﷺ
عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ
لمفاوضة قُرَيْشٍ

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
فَهُمْ سَفَاؤُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوا عُثْمَانَ ، فَأَجَارَهُ أَبْنُ عَمِّهِ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ
الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَشَاعَ أَنَّ قُرَيْشًا قَتَلَتْ عُثْمَانَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :
« لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ عُثْمَانَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ قَتَلُوهُ لَأُنَاجِزَنَّهُمْ »^(٤) .

ودعا الناسَ إلى تجديد البيعة على الموت ، فبايعوه ، وكانوا
ألفاً وأربع مئة .

ثُمَّ تَحَقَّقَ كَذِبُ الْخَبَرِ ، فَضْرَبَ [ﷺ] بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى
الْأُخْرَى ، وَقَالَ : « هَذِهِ لِعُثْمَانَ »^(٥) .

(١) النَّقْعُ : الغبار في الحرب . كدَاءُ : موضعٌ بأعلى مكة ، وقد دخل
الرَّسُولُ ﷺ مكةَ عامَ الفَتْحِ من كَدَاءِ .

(٢) يُنَازِعُنِ الْأَعْنَةَ : يجاذبها الفرسانُ لسرعة أنطلاقهن . مُضْعِدَاتُ :
مقبلاَتُ متوجِّهاتٌ نحوكم . الْأُسْلُ : الرِّمَاحُ ، الظَّمَاءُ : الرَّقَاقُ .

(٣) رُوحُ الْقُدُسِ : جبريل عليه السلام ، وَالْقُدُسُ : الطَّهارة . كِفَاءُ : مثيلٌ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « الدَّلَائِلِ » ، ج ٤/ ١٣٥ . عن عبد الله بن أبي بكرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، برقم (٣٤٩٥) . عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
وهذه لعُثْمَانَ : أَي أَنَّ النَّبِيَّ بَايَعَ لِعُثْمَانَ وَقَالَ : « هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ » ،
فَضْرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ ، فَقَالَ : « هَذِهِ لِعُثْمَانَ » .

ولا يخفى ما في ذلك من الفضيلة لعثمان رضي الله عنه .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [سورة الفتح ١٨/٤٨] .

وكانوا تحت شجرة سَمُرَةٍ .

ثمَّ صَالَحَهُمْ عَشْرَ سَنِينَ عَلَى أَنْ لَا يَدْخُلَ (مَكَّةَ) إِلَّا مِنْ الْعَامِ الْقَابِلِ ، وَأَنَّ مَنْ أَنَاهُ مِنْهُمْ مُسْلِمًا رَدَّهُ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ نَحَرَ وَحَلَقَ ، وَرَجَعَ إِلَى (الْمَدِينَةِ) ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي مُنْصَرَفِهِ سُورَةَ الْفَتْحِ .

كَيْفِيَّةُ الصُّلْحِ

وفي « صحيح البخاري » ، عن الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ الْآخَرِ - قَالَا : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ (الْحُدَيْبِيَّةِ) ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا ، بَرَكْتَ بِهِ رَاحِلَتُهُ ، فَزَجَرُوهَا ، فَأَلَحَّتْ ، فَقَالُوا : خَلَّاتِ الْقَصْوَاءُ - أَي : حَرَنْتْ - فَقَالَ : « مَا خَلَّاتِ الْقَصْوَاءُ ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ » ، ثُمَّ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً - أَي : طَرِيقاً - يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا » ، ثُمَّ زَجَرَهَا ، فَوَثَبَتْ ، فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى (الْحُدَيْبِيَّةِ) ، عَلَى مَاءٍ قَلِيلٍ يَتَبَرَّضُهُ^(١) النَّاسُ ، فَشَكُوا إِلَيْهِ الْعَطَشَ ، فَأَنْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ، وَأَمَرَهُمْ / أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ ، فَجَاشَ لَهُمْ بِالْمَاءِ الْغَزِيرِ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ^(٢) .

[ق١٦٨]

فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيِّ ، فَقَالَ : إِنِّي تَرَكْتُ قُرَيْشًا وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ ، فَقَالَ رَسُولُ

(١) يَتَبَرَّضُهُ : يَأْخُذُونَهُ قَلِيلًا قَلِيلًا .

(٢) صَدَرُوا عَنْهُ : رَجَعُوا عَنْهُ .

الله ﷺ : « إِنَّا لَمْ نَجِءَ لِقِتَالِ أَحَدٍ ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ ، وَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ أَضَرَّتْ بِهِمُ الْحَرْبُ ، فَإِنْ شَاؤُوا مَادَدْتُهُمْ - أَي : صَالَحْتُهُمْ مُدَّةً - عَلَى أَنْ يُحْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَإِنْ أَظْهَرُ ، فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا ، وَإِلَّا فَقَدْ جَمَّوْا - أَي : اسْتَرَا حُوا - مِنْ الْحَرْبِ مُدَّةً ، وَإِنْ أَبَوْا ، فَوَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي - أَي : صَفْحَةُ عُنْتِي - وَلَيُفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ » ، قَالَ بُدَيْلٌ : سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ ، قَالَ : فَأَنْطَلِقَ حَتَّى أَتِيَ قُرَيْشًا ، فَحَدَّثْتُهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ .

فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ وَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ ، إِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ ، فَأَقْبِلُوهَا ، وَدَعُونِي آتِيهِ ، قَالُوا : أَتَيْتِهِ ، فَأَتَاهُ ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ ، وَيَزُمُّ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِمَّا قَالَهُ لِبُدَيْلٍ ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ ، وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ ، وَوَفَدْتُ عَلَى كِسْرَى وَقِيصَرَ وَالنَّجَاشِيِّ ، فَمَا رَأَيْتُ مَلِكًا يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ، وَاللهِ مَا تَنْحَمُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعْتُ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلَّكَ بِهَا وَجْهُهُ وَجِلْدُهُ ، وَإِذَا أَمَرُهُمْ أَمْرًا أَبْتَدَرُوا أَمْرَهُ^(١) ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوءِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحَدِّثُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ^(٢) تَعْظِيمًا لَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَأَقْبِلُوهَا .

فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو ، فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « قَدْ سَهَلَ الْأَمْرُ » ، فَجَاءَ سُهَيْلٌ فَقَالَ : هَاتِ أَكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا .

فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كِتَابَةً عَلَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَقْدَ الصُّلْحِ وَبَنُوهُ

(١) أَبْتَدَرُوا أَمْرَهُ : أَسْرَعُوا فِي تَلْبِيْتِهِ وَتَنْفِيْذِهِ .

(٢) الْإِحْدَادُ : شِدَّةُ النَّظَرِ . أَي : لَا يَتَأَمَّلُونَهُ وَلَا يَدِيمُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ .

[ق١٦٩] عَنْهُ ، فَقَالَ : « أَكْتُبُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » / ، فَقَالَ سُهِيلُ : أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ ، وَلَكِنْ أَكْتُبُ : بِأَسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتُ تَكْتُبُ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : وَاللَّهِ مَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَكْتُبُ بِأَسْمِكَ اللَّهُمَّ » ، ثُمَّ قَالَ : « هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » ، فَقَالَ سُهِيلُ : وَاللَّهِ ، لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ ، وَلَكِنْ أَكْتُبُ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَاللَّهِ ، إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي ، أَكْتُبُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » ، ثُمَّ قَالَ : « عَلَى أَنْ تَخْلَوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَطُوفَ بِهِ » ، قَالَ سُهِيلُ : وَاللَّهِ ، لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَا أُخِذْنَا ضُغْطَةً - أَيِ : قَهْرًا - وَلَكِنْ ذَلِكَ لَكَ مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ ، فَكَتَبَ ، فَقَالَ سُهِيلُ : وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ رَجُلٌ مِنَّا ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهِيلٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ رِسْفٍ^(١) فِي قِيودِهِ ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ (مَكَّةَ) ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَهُمْ ، وَكَانَ قَدْ عَذَّبَ فِي اللَّهِ عَذَابًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : أَيُّ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أُرُدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا ، أَلَا تَرَوْنَ إِلَيَّ مَا قَدْ لَقِيتُ ؟ فَقَالَ سُهِيلُ : هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَنْ أَفَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ ، وَإِلَّا فَوَاللَّهِ لَا أَصَالِحُكَ أَبَدًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ فَأَجِزْهُ لِي » ، فَقَالَ : مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ .

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : فَقُلْتُ : أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ؟ ، قَالَ : « بَلَى » ، قُلْتُ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ ، وَعَدَوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ ، قَالَ : « بَلَى » ، قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا ؟ ، قَالَ : « إِنِّي

مَوْفِقٌ عَمْرُ بْنُ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مِنْ شُرُوطِ الصُّلْحِ

(١) يَرِسْفُ : يَمْشِي مَشْيًا بَطِينًا بِسَبَبِ الْقِيُودِ .

رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ ، وَهُوَ نَاصِرِي » ، قُلْتُ : أَوَلَيْسَ كُنْتُ تُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَاتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ ؟ ، قَالَ : « بَلَى ، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَا نَأْتِيهِ هَذَا الْعَامَ ؟ » ، قُلْتُ : لَا ، قَالَ : « فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمَطُوفٌ بِهِ » ، قَالَ : فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ - وَكَانَ / غَائِبًا - فَقُلْتُ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَلَيْسَ هَذَا [ق ١٧٠] نَبِيُّ اللَّهِ حَقًّا ؟ ، قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ ، وَعدونا على الباطل ؟ ، قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا ؟ ، قَالَ : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ ، وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ - أَي : بِرَكَابِهِ - فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، قُلْتُ : أَوَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَاتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ ؟ - أَي : وَهَا هُوَ قَدْ صَالَحَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ - قَالَ : بَلَى ، أَفَأَخْبِرُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ هَذَا الْعَامَ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمَطُوفٌ بِهِ ^(١) .

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَعَمِلْتُ لَذَلِكَ أَعْمَالًا - أَي : مِنَ الْبِرِّ لَتُكْفَرَ عَلَى جُرْأَتِي بِالْكَلامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَجَعَ إِلَى (الْمَدِينَةِ) لِحَقِّهِ رِجَالٌ مُسْلِمُونَ مِنْ قُرَيْشٍ فَرَدَّهُمْ ، فَأَنْقَلَبُوا وَلِحَقِّهِ بِسَيْفِ الْبَحْرِ حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عَصَابَةٌ ، فَجَعَلُوا لَا تَمُرُّ بِهِمْ عَيْرٌ لِقُرَيْشٍ إِلَّا أَعْتَرَضُوهَا ، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ ، فَأَرْسَلْتُ قُرَيْشًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ اللَّهَ وَالرَّحِمَ لَمَّا ضَمَّهُمْ إِلَيْهِ ، وَأَنَّ مَنْ خَرَجَ إِلَيْهِ فَهُوَ آمِنٌ ، فَضَمَّهُمْ .

فَاتَعَلَّ

قَالَ الْعَجَلَاءُ : هَذَا مِنْ أَوْضَحِ الْأَدَلَّةِ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْإِلَهَامِ يُخْطِئُونَ وَيُصِيبُونَ ، فَلَا بَدَّ مِنْ عَرْضِ مَا وَقَعَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْكِتَابِ

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٢٥٨١ - ٢٥٨٢) .

والسُّنَّةُ ، كما يُخطِئُ أَهْلُ الاجْتِهَادِ وَيُصَيِّبُونَ ، وَهَذَا سَيِّدُنَا أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْطَأَ فِي أَمَاكِنَ كَهَذَا
الْمَوْطِنِ .

وفي وفاة النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ الْمَشْهُودُ لَهُ بِقَوْلِهِ ﷺ لَهُ فِي
« الصَّحِيحِينَ » : « إِيهَّا يَا أَبْنَ الْخَطَّابِ ، فَوَاللَّهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ
سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ » (١) .

وبقوله ﷺ فيهما - [أي : الصَّحِيحِينَ] - أَيْضًا : « لَقَدْ كَانَ
فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ - أي : مُلْهَمُونَ - فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ
فَإِنَّهُ عُمَرُ » (٢) .

[ق١٧١] وفي رواية : لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ / قَبْلَكُمْ رِجَالٌ يُكَلِّمُونَ مِنْ غَيْرِ
أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ مِنْهُمْ فَعُمَرُ » (٣) . ولهذا
كثيراً ما يوافقُ الوحيَ .

وفي رواية : أَنَّ عُمَرَ قَالَ : فَعَجِبْتُ مِنْ مُطَابَقَةِ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ
لِكَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَشَارَ إِلَى أَنَّ مَقَامَ الصَّدِيقَةِ فَوْقَ مَقَامِ أَهْلِ الْإِلَهَامِ
يَرُدُّونَهُمْ عِنْدَ خَطئِهِمْ إِلَى الْحَقِّ .

قَالَ الْعَجَلَاءُ : وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ وَجوبِ طَاعَتِهِ ﷺ ،
وَالانْقِيَادَ لِأَمْرِهِ ، وَإِنْ خَالَفَ ظَاهِرُ ذَلِكَ مَقْتَضَى الْقِيَاسِ ، أَوْ كَرِهَتْهُ
النُّفُوسُ ، فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الْخَيْرَ فِيمَا أُمِرَ بِهِ ،
وَأَنَّهُ عَيْنُ الصَّلَاحِ ، الْمُتَضَمِّنُ لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَنَّهُ جَارٍ عَلَى

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٤٨٠) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٣/٢٣٩٦) . عَنْ
سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٣/٢٣٩٨) . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٤٨٦) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أَتَمَّ الوجوهَ وأكملها ، غيرَ أَنَّ أَكْثَرَ العقولِ قَصُرَتْ عن إدراكِ غايتهِ وعاقبةِ أمرِهِ .

وفي « الصَّحِيحِينَ » ، أَنَّ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ قَالَ يَوْمَ صِفِّينَ : حُزِنَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَصُلْحِ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرَدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ لَرَدَدْتُهِ^(١) .

ولهذا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ بَعْدَ أَنْ قَالَ : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ - أَيِ : بَصَدَّهُمْ عَنِ الْبَيْتِ وَإِنْكَارِهِمْ لاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ﴾ - أَيِ : مِنْ عَاقِبَةِ الْأَمْرِ - ﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ - أَيِ : صُلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ - [سورة الفتح ٢٦/٤٨ - ٢٧] .

فَسَمَّاهُ فَتْحًا كَمَا فِي « الصَّحِيحِينَ » ، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ : تَعْدُونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتَحَ (مَكَّةَ) ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ (مَكَّةَ) فَتْحًا ، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ (الْحُدَيْبِيَّةِ)^(٢) .

قَالَ الْعَلَمَاءُ : فَهِيَ الْمُرَادُ بِالْفَتْحِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [سورة الفتح ١/٤٨] ؛ لِأَنَّهَا نَزَلَتْ عِنْدَ أَنْصَرَفِهِمْ مِنْهَا ، ثُمَّ قَالَ فِيهَا : ﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [سورة الفتح ٢٧/٤٨] .

وَالْمُرَادُ بِهِ فَتْحُ (خَيْبَرَ) ؛ لِأَنَّهُمْ أَفْتَتَحُوهَا بَعْدَ أَنْصَرَفِهِمْ مِنْ (الْحُدَيْبِيَّةِ) ، ثُمَّ وَعَدَهُمْ فَتَحَ (مَكَّةَ) بِقَوْلِهِ : ﴿ إِذَا جَاءَ / نَصْرُ اللَّهِ [ق ١٧٢] وَالْفَتْحُ ﴾ [سورة النصر ١/١١٠] .

قَالَ الْعَلَمَاءُ : وَلَمْ يَكُنْ فَتْحٌ قَبْلَ الْفَتْحِ أَعْظَمَ مِنْ صُلْحِ (الْحُدَيْبِيَّةِ) ،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٦٨٧٨) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٧٨٥/٩٥) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٩١٩) .

وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ اخْتَلَطُوا بِالْمُسْلِمِينَ فِي تِلْكَ الْهُدْنَةِ ، وَسَمِعُوا مِنْهُمْ أَخْلَاقَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَمَحَاسِنَ شَرِيعَتِهِ ، فَأَسْلَمَ مِنْهُمْ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ ؛ كَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ ، فَظَهَرَ حُسْنُ اخْتِيَارِ اللَّهِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الصُّلْحِ الَّذِي كَرِهَوْهُ ، مَعَ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ بِأَنَّ (مَكَّةَ) إِنَّمَا يَحِلُّ الْقِتَالُ بِهَا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَهِيَ يَوْمُ فَتْحِهَا : ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [سورة الطلاق ٣/٦٥] ، ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ٢/٢١٦] .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ^(١) : أَسْلَمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

إِسْلَامُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

وَذَلِكَ أَنَّ عَمْرًا ذَهَبَ إِلَى النَّجَاشِيِّ ، وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ ، فَأَكْرَمَهُ ، فَقَدِمَ عَلَى النَّجَاشِيِّ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ رَسُولًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، لِيُجَهِّزَ إِلَيْهِ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ مُهَاجِرَةِ (الْحَبَشَةِ) ، فَسَأَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنَ النَّجَاشِيِّ قَتْلَ عَمْرُو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ ، فغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ، وَقَالَ : أَتَسْأَلُ مِنِّي أَنْ أَقْتُلَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ التَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى ؟ ، قَالَ عَمْرُو : فَقُلْتُ : أَهْوَى كَذَلِكَ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَأَطِيعْنِي يَا عَمْرُو وَاتَّبِعْهُ ، فَإِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، وَلِيُظْهِرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ ، كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ ، فَأَسْلَمَ عَمْرُو حِينَئِذٍ عَلَى يَدِ النَّجَاشِيِّ .

ثُمَّ خَرَجَ مِنَ (الْحَبَشَةِ) عَامِدًا إِلَى (الْمَدِينَةِ) ، فَلَقِيَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ مُقْبِلًا مِنْ (مَكَّةَ) إِلَى (الْمَدِينَةِ) أَيْضًا ، فَقَالَ لَهُ : إِلَى أَيْنَ

(١) ذُكِرَ هُنَا أَنَّ إِسْلَامَهُمَا كَانَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ إِسْلَامَهُمَا كَانَ أَوَائِلَ سَنَةِ ثَمَانٍ .

يا أبا سليمان ؟ قَالَ : لِأَسْلِمَ ، والله فَقَدْ أَسْتَبَانَ لِي الْحَقُّ ، وَأَنَّ
الرَّجُلَ لَصَادِقٌ ، قَالَ : وَأَنَا والله مَا جِئْتُ إِلَّا لِأَسْلِمَ ، قَالَ عَمْرُو :
فَلَمَّا قَدِمْنَا (الْمَدِينَةَ) تَقَدَّمَ خَالِدٌ فَأَسْلَمَ ، وَبَايَعَ . ثُمَّ دَنَوْتُ ، فَقُلْتُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَبَايُكَ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي / ، فَقَالَ : [ق ١٧٣]
«يَا عَمْرُو إِنَّ الْإِسْلَامَ يُجِبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجِبُّ مَا كَانَ
قَبْلَهَا»^(١) ، قَالَ : وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ (الْحُدَيْيَةِ) وَقَبْلَ (خَيْبَرَ) .

وفي^(٢) هذه السَّنة - [أَيْ : السَّابِعَةِ] - أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ رُسُلَهُ
كُتِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى
الْمُلُوكِ
بِكُتْبِهِ إِلَى مُلُوكِ الْأَقَالِيمِ .

وَمِنْهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ ؛ بَعَثَهُ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى ، فَمَزَقَهُ .
وَدِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ ؛ بَعَثَهُ بِكِتَابِهِ إِلَى قَيْصَرَ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ
أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ .

وفي « الصَّحِيحِينَ » ، عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي « مَسْنَدِهِ » ، بِرَقْمِ (١٧٣٢٣) .

(٢) لَمْ يَذْكُرِ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - هُنَا إِلَّا رَسُولَيْنِ مِنْ رُسُلِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى
الْمُلُوكِ . قُلْتُ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُسُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَكُتِبَ مَعَهُمْ
كُتُبًا إِلَى الْمُلُوكِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ . فَبَعَثَ دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى
قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ
فَارِسَ ، وَبَعَثَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ ،
وَبَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْسِ مَلِكِ الإسْكَندَرِيَّةِ ، وَبَعَثَ عَمْرُو
بْنَ الْعَاصِ السَّهْمِيُّ إِلَى جَنْفَرٍ وَعِيَاذِ ابْنِي الْجُلَنْدِيِّ الْأَزْدِيِّنِ مَلِكِي عُمَانَ ،
وَبَعَثَ سَلِيطَ بْنَ عَمْرِوٍ إِلَى ثُمَامَةَ بْنِ أَثَالٍ وَهُوَذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْفَنِيِّ مَلِكِي
الْيَمَامَةِ ، وَبَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْمُنْذَرِ بْنِ سَاوَى الْعَبْدِيِّ مَلِكِ
الْبَحْرَيْنِ ، وَبَعَثَ شُجَاعَ بْنَ وَهْبٍ الْأَسَدِيَّ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ
الْغَسَّانِيِّ مَلِكِ تَخُومِ الشَّامِ .

البحرين^(١) ، فدفعه عظيمُ البحرينِ إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه .

قال ابنُ المسيَّب : فدعا عليهم النبيُّ ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلُّ مُمَزَّقٍ^(٢) .

وفيهما - [أي : الصَّحيحين] - عن ابنِ عباسٍ أيضاً رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ الله ﷺ كتبَ إلى قيصرَ يدعوهُ إلى الإسلام ، وبعثَ بكتابه إليه مع دحية الكلبي ، وأمره أَنْ يدفعهُ إلى عظيمِ بصرى ليدفعهُ إلى قيصر ، وهو بـ (إيلياء)^(٣) ، فلما جاء قيصرَ كتابُ رسولِ الله ﷺ قال حينَ قرأه : أَلَتَمَسُوا لِي هَاهُنَا أَحَدًا مِنْ قَوْمِهِ لِأَسْأَلَهُمْ عَنْهُ .

بعث دحية رضي الله عنه إلى قيصر ملك الروم

قال ابنُ عباسٍ : فأخبرني أبو سُفيانُ بنُ حَرْبٍ أَنَّهُ كَانَ بِـ (الشَّامِ) فِي رَجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدِمُوا تُجَارًا فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ كِفَارِ قُرَيْشٍ ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فوجدنا رسولَ قيصرَ ببعض (الشَّامِ) ، فَأَنْطَلَقَ بِي وَبِأَصْحَابِي ، حَتَّى قَدِمْنَا (إِيلِيَاءَ) ، فَأَدْخَلْنَا عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلَسِ مُلْكِهِ ، وَعَلَيْهِ التَّاجُ ، وَإِذَا حَوْلَهُ عِظَمَاءُ الرُّومِ .

فَقَالَ لَتَرْجُمَانِهِ : سَلَهُمْ : أَيُّهُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟

قال أبو سُفيانَ : فَقُلْتُ : أَنَا أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ نَسَبًا ، وَلَيْسَ فِي الرِّكْبِ يَوْمئِذٍ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ غَيْرِي .

قال قيصرُ : أَذْنُوهُ مِنِّي ، وَأَمْرٌ بِأَصْحَابِي^(٤) فَجُعِلُوا / خَلْفَ ظَهْرِي .

[ق١٧٤]

(١) هو : المنذر بن ساوى .

(٢) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٢٧٨١) .

(٣) اسم مدينة بيت المقدس .

(٤) أي : أصحاب أبي سُفيان .

ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ : قُلْ لِأَصْحَابِهِ : إِنِّي سَأِئِلُ هَذَا الرَّجُلَ حَدِيثًا ، فَإِنْ كَذَبَ فَكَذَّبُوهُ فِي وَجْهِهِ .

ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ : قُلْ لَهُ كَيْفَ نَسَبُ هَذَا الرَّجُلِ فِيكُمْ ؟ ،
قُلْتُ : هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ .

قَالَ : فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَبْلَهُ ؟ ، قُلْتُ : لَا .

قَالَ : فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ ،
قُلْتُ : لَا .

قَالَ : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ ، قُلْتُ : لَا .

قَالَ : فَأَشْرَافُ النَّاسِ أَتَّبَعُوهُ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ ؟ ، قُلْتُ : بَلِ
ضَعَفَاؤُهُمْ .

قَالَ : فَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟ ، قُلْتُ : بَلِ يَزِيدُونَ .

قَالَ : فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخِطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ؟ ، قُلْتُ :
لَا .

قَالَ : فَهَلْ يَغْدُرُ ؟ ، قُلْتُ : لَا ، وَنَحْنُ الْآنَ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي
مَا يَصْنَعُ . قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : وَلَمْ يُمَكِّنِي كَلِمَةً أَدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا أَنْتَقِصُهُ
بِهِ لَا أَخَافُ أَنْ تُؤَثِّرَ عَنِّي غَيْرُهَا .

قَالَ : فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ ؟ ، قُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ حَرْبُهُ وَحَرْبُكُمْ ؟ . قُلْتُ : كَانَ دَوْلًا
وَسِجَالًا^(١) ، يُدَالُ عَلَيْنَا مَرَّةً وَنُدَالُ عَلَيْهِ أُخْرَى .

قَالَ : فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ ، قُلْتُ : يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نَشْرِكُ

(١) تناوب النصر والهزيمة .

به شيئاً ، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة .

فقال لترجمانه : قُلْ لَهُ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فِيكُمْ ؛ فزعمت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرُّسُلُ تُبعثُ في نسب قومها .

وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول قبله ؛ فزعمت أن لا ، فقلت : لو كان أحد منكم قال هذا القول قبله ، قلت : رجلٌ يأتى - أي : يقتدي - بقولٍ قد قيل قبله .

وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؛ فزعمت أن لا ، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله .

وسألتك : هل كان من آبائه من ملك ؛ فزعمت أن لا ، فقلت : لو كان من آبائه من ملك ، قلت : رجلٌ يطلبُ ملكَ آبائه .

وسألتك : أشرافُ الناسِ أتبعوه أم ضِعَفَاؤُهُمْ ؛ فزعمت أن ضِعَفَاءَهُمْ أَتَبَعُوهُ ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ .

وسألتك : هل يزيدون أو ينقصون ؛ فزعمت / أنهم يزيدون ، وكذلك [أمر] الإيمان حتى يتم . [ق١٧٥]

وسألتك : هل يرتدُّ أحدٌ منهم سَخَطَةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؛ فزعمت أن لا ، فكذلك الإيمان حين تخالطُ بشائسته القلوب لا يسخطه أحدٌ .

وسألتك : هل يغدرُ ؛ فزعمت أن لا ، وكذلك الرُّسُلُ لا يغدرون .

وسألتك : هل قاتلتموه وقاتلكم ؛ فزعمت أن قد فعل ، وأن

حربُهُ وحربُكُمْ يَكُونُ سِجَالاً وَدُؤَالاً ، يُدَالُ عَلَيْكُمْ المَرَّةَ ، وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الأُخْرَى ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ، ثُمَّ تَكُونُ لَهَا العَاقِبَةُ .

وَسَأَلْتُكَ : بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؛ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَينهاكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ ، وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيِّ .

وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ ، وَلَكِنْ لَمْ أَظَنَّ أَنَّهُ مِنْكُمْ ، وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتُ حَقّاً فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، وَلَوْ أَرْجُو أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَكَلَّفْتُ لِقِيَّهَ ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ .

ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمْ تَسْلِمًا ، وَأَسْلِمِ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ - أَيِ : الرِّعَايَا - : ﴿ وَيَأْهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران ٦٤/٣] .

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَلَمَّا أَنْقَضْتُ مَقَالَتَهُ ، عَلَتْ أَصْوَاتُ الَّذِينَ حَوْلَهُ مِنْ عِظَمَاءِ الرُّومِ ، وَكَثُرَ لَعَنُوهُمْ ، فَلَا أَدْرِي مَاذَا قَالُوا ، وَأَمَرَ بِنَا فَأَخْرَجَنَا .

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : وَاللَّهِ ، مَا زِلْتُ ذَلِيلًا مُسْتِيقِنًا أَنَّ / أَمْرَهُ [ق١٧٦] سَيُظْهَرُ ، حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي وَأَنَا كَارِهٌ^(١) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٧٨٢) . وَمُسْلِمٌ (١٧٧٣/٧٤) .

وزادَ في رواية : أَنَّ هِرَقْلَ جَمَعَ عُظَمَاءَ الرُّومِ فِي دَسَكْرَةَ^(١) ،
وَأَمَرَ بِإِغْلَاقِ أَبْوَابِهَا ، وَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الرُّومِ ، هَلْ
لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ إِلَى الْأَبَدِ ؟ أَنْ تَبَايَعُوا
لِهَذَا النَّبِيِّ ، فَنفروا نفرةً شديدةً إِلَى الْأَبْوَابِ ، فوجدوها قد غُلِّقَتْ ،
فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفَرَتَهُمْ ، وَأَيْسَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ ، قَالَ : رُدُّوهُمْ عَلَيَّ ،
وَقَالَ : إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي تِلْكَ أَحْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ ، وَقَدْ
رَأَيْتُ ، فَسَجَدُوا لَهُ ، وَرَضُوا عَنْهُ^(٢) .

فَاتِيَّةٌ

فِي أَنَّ حُبَّ الرُّئَاسَةِ هُوَ
الَّذِي أَضَلَّ هِرَقْلَ

لَا تَخْفَى حُسْنُ سِيَاسَةِ هِرَقْلَ . وَقُوَّةُ إِدْرَاكِهِ ، وَثَقُوبُ فَهْمِهِ ،
بِمَا أُسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى صِحَّةِ نَبْوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصِدْقِهِ ، مِنْ الْبَرَاهِينِ
الْإِقْنَاعِيَّةِ لَوْ سَاعَدَهُ التَّوْفِيقُ ، وَلَكِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حُبُّ الرُّئَاسَةِ ، وَهُوَ
الدَّاءُ الْعِضَالُ الَّذِي غَلَبَ عَلَى إِبْلِيسَ فَأَبَى وَأَسْتَكْبَرَ ، مَعَ سَبْقِ
الشَّقَاوَةِ ، وَلَوْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِلْهَدَايَةِ كَمَا وَفَّقَ النَّجَاشِيَّ ، لَتَلَطَّفَ لِقَوْمِهِ فِي
ظَاهِرِهِ ، وَآمَنَ بِقَلْبِهِ ، وَأَحْسَنَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، فَجَمَعَ
بَيْنَ مُلْكِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَكِنَّهُ مَمَّنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ، وَكَانَ مِنْهُ
مَا سَيَأْتِي قَرِيبًا ؛ مِنْ خُرُوجِهِ فِي مُحَارَبَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي قِتَالِ جَعْفَرٍ
وَأَصْحَابِهِ بِغَزْوَةِ (مُوتَةَ) ، فَأَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالشَّهَادَةِ عَلَى يَدَيْهِ ،
وَأَشَقَّاهُ . وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾

[سورة آل عمران ٨/٣] .

(١) الدَّسَكْرَةُ : بِنَاءٌ كَالْقَصْرِ ، حَوْلَهُ بِيوتٌ لِلْأَعَاجِمِ ، فِيهَا الشَّرَابُ
وَالْمَلَاهِي .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْمِ (٧) .

وفي أول السنة السادسة^(١) في المحرم : أفتح النبي ﷺ غزوة خيبر (خيبر) ، وهو اسم جامع لحصون وقرى ؛ بينها وبين (المدينة) ثلاث مراحل .

لما سبق أن حِيَّيَ بنَ أَخْطَبَ لِحَقِّ بها ، وحزب قريشاً سببها والأحزاب .

فسار إليهم النبي ﷺ ، فلما نزل بساحتهم قال : « الله أكبر ، الإغارة على خيبر وبشارة النبي ﷺ بفتحها خربت خيبر - أي : أهلها - إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المُنْذَرِينَ » ، قالها ثلاثاً^(٢) .

[ق١٧٧]

ثم أقبل على حصونها ، يقاتلها ويفتحها حصناً حصناً ، حتى انتهى إلى حصن لهم يسمى السلاليم ، وكان أعظمها وأوسعها أموالاً ، فحاصرهم بضع عشرة ليلة ، وأشدَّ الحصار عليه والقتال . وكان النبي ﷺ قد أخذته شقيقة^(٣) ، فلم يخرج إلى الناس ، فأخذ الراية أبو بكر فقاتل قتالاً شديداً ، ثم رجع ولم يفتح عليه ، ثم أخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً ، ثم رجع ولم يفتح عليه .

وكان علي رضي الله عنه قد تخلف بـ (المدينة) لرمي كان بعينه ، ثم لحق بالمسلمين ، فلما كان مساء الليلة التي فتح الله في صباحها الحصن ، قال النبي ﷺ : « لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله »^(٤) .

-
- (١) قلت : أرجح الأقوال أنها كانت في صفر سنة سبع . والله أعلم .
 (٢) أخرجه البخاري ، برقم (٣٦٤) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
 (٢) الشقيقة : نوع من صداع يعرض في مقدم الرأس وإلى أحد جانبيه .
 [النهاية ، ج ٢/ ٤٩٢ . (أنصاري)] .
 (٤) أخرجه البخاري ، برقم (٢٧٨٣) . عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ يَخُوضُونَ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا .

قَالَ عُمَرُ : مَا أَحَبَّبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ ^(١) .

علي رضي الله عنه
وباب الحصن

فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا ،
فَقَالَ : « أَيْنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟ » ، قَالَ الرَّاوي : فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ
قَدْ أَقْبَلَ وَمَا كُنَّا نَرْجُوهُ ، فَقَالُوا : هَا هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ ، فَدَعَاهُ وَبَصَقَ
فِي عَيْنَيْهِ ، فَبَرَأَ لَوَقَّتِهِ ، حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، ثُمَّ أَعْطَاهُ
الرَّايَةَ ^(٢) ، فَتَقَدَّمَ إِلَى الْحِصْنِ ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ،
فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ ، قَالَ : أَنَا عَلِيٌّ ، قَالَ : عَلَوْتُمْ الْآنَ وَرَبَّ مُوسَى
وَهَارُونَ ، فَبَرَزَ لَهُ رَئِيسُهُمْ مَرْحَبٌ ، فَضْرَبَ تَرْسَ عَلِيٍّ فَطَرَحَهُ ،
فَتَنَاوَلَ عَلِيٌّ بَاباً كَانَ عِنْدَ الْحِصْنِ فَتَرَسَّ بِهِ ، ثُمَّ ضْرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ
فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَلَمْ يَزَلِ الْبَابُ بِيَدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ إِلَى أَنْ أَنْقَضِيَ الْقِتَالُ ، ثُمَّ طَرَحَهُ ^(٣) .

قال أبو رافع [مولى رسول الله ﷺ] : فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي ثَامِنَ ثَمَانِيَةِ
نَجْهَدُ أَنْ نَقْلِبَ ذَلِكَ الْبَابَ فَلَمْ نَقْلِبْهُ .

فَلَمَّا أَيْقَنَ أَهْلُ الْحِصْنِ بِالْهَلَكَةِ ، أَسْتَسَلَمُوا ، وَسَأَلُوا مِنْ
النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَحِقْنَ دِمَاءَهُمْ ، فَفَعَلَ .

مصالحة النبي ﷺ أهل
خيبر

[ق ١٧٨] وَسَمِعَ بِهِمْ أَهْلُ (فَذَكَ) / فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ ذَلِكَ ، فَفَعَلَهُ
لَهُمْ .

فَكَانَتْ (خَيْبَرُ) غَنِيمَةً وَ (فَذَكَ) فَيْئًا خَالِصَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ ، مِمَّا لَمْ
يُوجِبِ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ .

(١) أخرجه مُسلم ، برقم (٦٤/٢٤٠٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤٧) . ومسلم (٣٥/٢٤٠٧) .

(٣) الخبر في دلائل النبوة ، ج ٤/٢٠٩ . وعيون الأثر ، ج ٢/١٣٥ .

ثُمَّ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانُوا مِائَةَ فَارِسٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ قِسْمَةً غَنَائِمَ خَيْرِ مِائَةِ رَاجِلٍ ، فَجَعَلَ لِلْفَارِسِ ثَلَاثَةَ أَصْهُمٍ ؛ سَهْمًا لَهُ وَسَهْمَيْنِ لِفَرَسِهِ .

وَلَمْ يَغِبْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ (الْحُدَيْبِيَّةِ) عَنْ (خَيْرٍ) إِلَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَسْهَمَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ .

قدوم جعفر بن
أبي طالب رضي الله
عنه وفرح النبي ﷺ به

وَقَدِمَ عَلَيْهِ جَعْفَرٌ فِي مُهَاجِرَةِ (الْحَبَشَةِ) بَعْدَ الْوَقْعَةِ ، وَقَبِلَ الْقِسْمَةَ ، فَأَسْهَمَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ .

وَلَمَّا أَقْبَلَ جَعْفَرٌ ، قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَعْتَقَهُ ، وَقَالَ : « مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَسْرُ : بِفَتْحِ (خَيْرٍ) أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ ؟ »^(١) .

رد المهاجرين إلى
الأنصار منافعهم

وَحَدَّثَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ فَتْحِ (خَيْرٍ) الرِّخَاءَ الْعَظِيمَ ، وَكَانَتْ مَعَ الْمُهَاجِرِينَ مَنَائِحُ^(٢) مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَرَدَّوْهَا عَلَيْهِمْ .

قَالَ أَبُو عُمَرَ : مَا شَبِعْنَا مِنَ التَّمْرِ حَتَّى فَتَحْنَا (خَيْرٍ)^(٣)

مصالحة النبي ﷺ أهل
خير على النصف من
أموالهم

وَعَامَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَهُودَ (خَيْرٍ) عَلَى أَنْ يَعْمَلُوهَا ، وَيَكْفُوا الْمُسْلِمِينَ مَوُوتَهَا مَا دَامُوا مَشْغُولِينَ بِالْجِهَادِ ، وَلَهُمْ نِصْفُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنَ الثَّمَارِ .

خير الشاة المسمومة

وَأَهْدَتْ أَمْرَأَةً مِنَ الْيَهُودِ^(٤) لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةً مَشْوِيَّةً مَسْمُومَةً ، وَطَعَامًا مَسْمُومًا ، وَأَكْثَرَتْ مِنَ السُّمِّ فِي الذَّرَاعِ ، لَمَّا بَلَغَهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعْجِبُهُ الذَّرَاعُ ، فَلَمَّا أَكَلُوا مِنْهَا ، وَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ الذَّرَاعَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « سَنَنِهِ » ، ج ١٠١/٧ .

(٢) الْمَنَائِحُ : (جَمْعُ مَنَحَةٍ) ؛ وَهِيَ أَنْ يُعْطِيَهُ نَاقَةً أَوْ شَاةً ، يَتَنَفَّعُ بِلَبْنِهَا وَيُعِيدُهَا . وَكَذَلِكَ إِذَا أَعْطَاهُ لِيَتَنَفَّعَ بِوَبَرِّهَا وَصُوفِهَا زَمَانًا ثُمَّ يَرُدُّهَا . [الْنَّهْيَةُ ، ج ٣٦٤/٤ . (أَنْصَارِي)] .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٠٠٠) .

(٤) وَهِيَ : زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، أَمْرَأَةُ سَلَامَ بْنِ مِشْكَمٍ ، وَأَبْنَةُ أَخِي مَرْحَبٍ .

وَأَخَذَ مِنْهَا لُقْمَةً فِي فَمِهِ وَلَمْ يَبْتَلِعْهَا ، قَالَ : « إِنَّ هَذَا الْعَظَمَ لِيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ » ، وَلَمْ يَبْتَلِعْ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ لُقْمَةً إِلَّا بِشَرُّ بَنِي الْبَرَاءِ ، ثُمَّ دَعَا بِالْمَرْأَةِ فَأَعْتَرَفَتْ ، فَقَالَ : « مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ » ، قَالَتْ : إِنَّكَ بَلَغْتَ مِنْ قَوْمِي مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ ، فَقُلْتُ : إِنْ كَانَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّهُ ، فَقَالَ لِلْقَوْمِ : « كُلُوا بِاسْمِ اللَّهِ » ، وَتَجَاوَزَ عَنْهَا ، فَأَكَلُوا ، وَلَمْ يَضُرَّهُمْ شَيْءٌ ، إِلَّا بِشَرِّ فَمَاتَ مِنْ لُقْمَتِهِ / الْأُولَى ، [١٧٩] فَلَمَّا مَاتَ قَتَلْتُ بِهِ قِصَاصًا ^(١) .

قَالَ أَنَسٌ : فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ السُّمَّ فِي لَهَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَكَلَةِ (خَيْبَرَ) ^(٢) .

وَأَصْطَفَى ﷺ مِنْ سَبَايَا (خَيْبَرَ) أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيِّ بْنِ أَلْخَطَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

زواج النبي ﷺ
بصفية بنت حبي
رضي الله عنها

وَكَانَتْ يَوْمَ فَتْحِ (خَيْبَرَ) عَرُوسًا عَلَى ابْنِ عَمِّهَا ، فَرَأَتْ أَنَّ الْقَمَرَ وَقَعَ فِي حِجْرِهَا ، وَقَصَّتْ رُؤْيَاهَا عَلَى زَوْجِهَا ، فَلَطَمَهَا عَلَى وَجْهِهَا لَطْمَةً خَضِرَتْ مِنْهَا عَيْنُهَا ، وَقَالَ : مَا هَذَا إِلَّا أَنَّكَ تَتَمَنَّينَ مُحَمَّدًا مَلِكَ الْعَرَبِ ، فَقُتِلَ أَبُوهَا وَزَوْجُهَا يَوْمَئِذٍ ، وَأَتَى بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَبِهَا أَثَرُ اللَّطْمَةِ ، فَاسْتَبْرَأَهَا حَيْضَةً ، وَحَلَّتْ لَهُ عَلَى مَرْجِعِهِ إِلَى (الْمَدِينَةِ) فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ ، فَدَخَلَ بِهَا ، وَأَوَّلَمَ عَلَيْهَا ، وَأَرَدَهَا خَلْفَهُ عَلَى الْبَعِيرِ ، وَكَانَ ﷺ يَضَعُ رُكْبَتَهُ لَهَا إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَرْكَبَ ، فَتَضَعُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ ثُمَّ تَرْكَبُ . وَدَخَلَ (الْمَدِينَةَ) وَهُوَ مُرْدِفُهَا خَلْفَهُ .

قَالَ ابْنُ عُمَرَ : وَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهَا مِنْ قَتْلِ أَبِيهَا ، لِيُذْهِبَ مَا فِي نَفْسِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(١) الخبر في «المستدرک» ، للحاکم ، ج ٣ / ٢١٩ .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٢٤٧٤) .

فَائِدَةٌ

في أحدٍ وعَينٍ

وفي «الصَّحِيحِينَ» ، أَنَّهُ ﷺ لَمَّا قَدِمَ (المدينة) رَاجِعاً مِنْ
(خَيْبَرَ) وَبَدَأَ لَهُ (أُحُدٌ) ، قَالَ : « هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ »^(١) . زَادَ
بَعْضُهُمْ : « وَعَيْرُ جَبَلٍ يُبْغِضُنَا وَنُبْغِضُهُ » .

قَالَ الْمُحَقِّقُونَ : لَا مَانِعَ مِنْ إِسْنَادِ الْحُبِّ الْحَقِيقِيِّ إِلَى الْجَبَلِ ، كَمَا
سَخَّرَ اللَّهُ الْجِبَالَ لِدَاوُدَ يُسَبِّحُنَ ، وَرَدُّوا عَلَى مَنْ فَسَّرَهُ بِأَنَّ الْمُرَادَ :
هَذَا جَبَلٌ قَوْمٌ يُحِبُّونَنَا وَنُحِبُّهُمْ بِقَوْلِهِ : « وَعَيْرُ جَبَلٍ يُبْغِضُنَا
وَنُبْغِضُهُ » ، وَهُوَ مِنْ جِبَالِ (المدينة) أَيْضاً مُقَابِلَ لِأُحُدٍ وَمَا بَيْنَهُمَا
حَرَمٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وفي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - [أَي : السَّابِعَةِ] - : أَعْتَمَرَ عُمْرَةَ الْقَضَاءِ
النَّبِيُّ ﷺ عُمْرَةَ الْقَضَاءِ ، وَأَقَامَ بِ (مَكَّةَ) ثَلَاثًا .

ثُمَّ رَجَعَ فَدَخَلَ بِمَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ،
عِنْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ (مَكَّةَ) بِ (سَرِفَ) ، وَهُوَ مَكَانٌ بَيْنَ (التَّنْعِيمِ) وَ (مَرْ) زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ
مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
الظَّهْرَانِ) ، وَبِهِ مَاتَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَقَبَرُهَا هُنَاكَ / . [ق ١٨٠]

وفي «الصَّحِيحِينَ» ، عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :
تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ مَيْمُونَةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ ، وَهُوَ مُحْرِمٌ ، وَبَنَى بِهَا وَهُوَ
حَلَالٌ بِ (سَرِفَ) ، وَمَاتَتْ بِ (سَرِفَ)^(٢) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٧٣٢) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣٦٥/٤٦٢) . عَنْ
أَنْسَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٠١١) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٤٦/١٤١٠) .

وفي السنة السابعة في رجب منها : قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ (البحرين) وفد عبد القيس ^(١) ، ورئسُهُمُ الْأَشَجُّ ، فلَمَّا دخلوا عليه ، قَالَ : « مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى » ^(٢) ، وَأَمَرَهُمْ وَنَهَاَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ لِلْأَشَجِّ : « إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ » ^(٣) .

بناء المنبر وحنين
الجذع

وفيها - [أي : السنة السابعة] ^(٤) - : اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِنْبَرَ ، وَكَانَ قَبْلَهُ إِذَا خَطَبَ يَسْتَنْدُ إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ ، فَلَمَّا عَدَلَ عَنِ الْجِذْعِ إِلَى الْمِنْبَرِ سَمِعُوا لِلْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ ^(٥) ، فَأَرْتَجَّ الْمَسْجِدُ

- (١) قُلْتُ : إِنَّ الَّذِي تَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ كَانَ لِعَبْدِ الْقَيْسِ وَفَادَتَانِ ؛ إِحْدَاهُمَا : قَبْلَ الْفَتْحِ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ خَمْسٍ . وَثَانِيَتُهُمَا : كَانَتْ فِي سَنَةِ الْوَفُودِ ، سَنَةَ تِسْعٍ . (انظر « فتح الباري » ، ج ٨ / ٨٥) .
- (٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤١١٠) . عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
- (٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٥/١٧) . عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
الْأَنَاةُ : التَّثَبُّتُ وَتَرْكُ الْعَجَلَةِ .
- (٤) قُلْتُ : جَزَمَ أَبُو سَعْدٍ بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ ، وَفِيهِ نَظَرٌ لَذِكْرِ الْعَبَّاسِ وَتَمِيمٍ فِيهِ ؛ وَكَانَ قَدُومُ الْعَبَّاسِ بَعْدَ الْفَتْحِ فِي آخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ ، وَقَدُومُ تَمِيمٍ سَنَةَ تِسْعٍ . وَجَزَمَ أَبُو النَّجَّارِ بِأَنَّ عَمَلَهُ كَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ . وَفِيهِ نَظَرٌ أَيْضًا لِمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ فِي « الصَّحِيحِينَ » ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : « فَتَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى كَادُوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَتَنَزَلَ فَخَفَضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا » ، فَإِنْ حُمِلَ عَلَى التَّجَوُّزِ فِي ذِكْرِ الْمِنْبَرِ وَإِلَّا فَهُوَ أَصَحُّ مِمَّا مَضَى . وَحَكَى بَعْضُ أَهْلِ السِّيَرِ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَخْطُبُ عَلَى مَنِيرٍ مِنْ طِينٍ قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَ الْمِنْبَرَ الَّذِي مِنْ خَشَبٍ ، وَيُعَكِّرُ عَلَيْهِ أَنَّ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أَنَّهُ كَانَ يَسْتَنْدُ إِلَى الْجِذْعِ إِذَا خَطَبَ . (انظر « فتح الباري » ، ج ٢ / ٣٩٩) .
- (٥) الْعِشَارُ : النَّاقَةُ الْحَامِلُ الَّتِي مَضَتْ لَهَا عَشْرَةُ أَشْهُرٍ ، وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ أَسْمُهَا إِلَى أَنْ تَلِدَ .

لِخَوَارِجِهِ ، وَكَثُرَ بَكَاءُ النَّاسِ حَتَّى وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَتَ ، وَقَالَ : « إِنَّ هَذَا بَكَى لِمَا فَقَدَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ لَمْ يَزَلْ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . ثُمَّ أَمَرَهُ فُدْفِنَ تَحْتَ الْمِنْبَرِ (١) .

وفيهما - [أي : السَّنة الثَّامِنَةُ] - فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْهَا : كَانَتْ غَزْوَةُ مُؤْتَةَ (البلقاء بالشَّام) دُونَ (دمشق) ، أَنْتَهَتْ غَزَوَتُهُمْ إِلَيْهَا ، وَأَكْرَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَأَبْنَ رَوَاحَةَ بِالشَّهَادَةِ .

وكَانَ مِنْ خَبَرِهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، وَقَالَ : « إِنَّ قَتِيلَ زَيْدٍ فَجَعَفَرٌ ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ » (٢) .

عِدَّةُ الْعَدُوِّ ، وَتَشَاوَرَ الْمُسْلِمِينَ

فَسَارُوا إِلَى (الشَّام) فَلَقِيَهُمْ هِرَقْلُ فِي مِثْيَ أَلْفٍ ، فَتَشَاوَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَنْ يُرَاجِعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَمُدَّهُمْ أَوْ يَأْمُرَهُمْ بِأَمْرِهِ ، فَشَجَّعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، وَقَالَ : يَا قَوْمُ ، إِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ : إِمَّا النَّصْرُ ، وَإِمَّا الشَّهَادَةُ ، فَقَالُوا : صَدَقْتَ .

أَبْدَأَ الْقِتَالَ وَأَسْتَشْهَدُ الْأُمَرَاءَ الثَّلَاثَةَ [ق ١٨١]

فَمَضَوْا حَتَّى أَلْتَقَوْا بِ (مُؤْتَةَ) ، فَتَقَدَّمَ زَيْدٌ فَقَاتَلَ بِالرَّايَةِ حَتَّى قُتِلَ . فَأَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَهُوَ فَارِسٌ / ، فَلَمَّا أَحَاطُوا بِهِ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ فَعَقَرَهَا ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَقَرَ فَرَسًا فِي الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُطِعَتْ يَمِينُهُ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ بِشِمَالِهِ ، فَقُطِعَتْ أَيْضًا ، فَأَحْتَضَنَ الرَّايَةَ بَعْضُ دَيْهِ حَتَّى قُتِلَ . فَعَوَّضَهُ اللَّهُ بِهِمَا جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ . فَسُمِّيَ الطَّيَّارَ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ (٣) .

(١) أَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ ، بِرَقْم (٤١) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٠١٣) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٣) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» ، ج ٣ / ٢٠٨ . وَأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» ، ج ١ / ٢٠٤ . عَنْ أَبِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وفي « البخاري » ، عن ابن عمر قال : كُنْتُ فِيهِمْ - فِي تِلْكَ الغزوة - فَأَلْتَمَسْنَا جَعْفَرًا ، فوجدناه ما في جَسَدِهِ بَضْعًا وَتَسْعِينَ طَعْنَةً مِنْ ضَرْبَةٍ وَرَمِيَّةٍ بِهِمْ ، لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ ^(١) .

ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فوجدَ مِنْ نَفْسِهِ كَرَاهَةً لِلْمَوْتِ ، فَأَنشَدَ شِعْرًا ، [مِنَ الرَّجَزِ] ^(٢) :

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتَ
وَمَا تَمَنَّيْتَ فَقَدْ أُعْطِيتَ إِنَّ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدَيْتِ
ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

فَأَخَذَ الرَّايَةَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ ، وَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَدَافَعَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى أَنحَازَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ ، وَنَجَّاهُمْ اللَّهُ . وَلَمْ يُسْتَشْهَدْ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا ثَمَانِيَةٌ ، مِنْهُمْ الْأَمْرَاءُ الثَّلَاثَةُ .

تولي خالد بن الوليد
رضي الله عنه قيادة
الجيش

وفي « صحيح البخاري » ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَاهُمْ لِلنَّاسِ يَوْمَ أُصِيبُوا ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرُ ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ » ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ . وَقَالَ : « مَا يَسْرُهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا » ، ثُمَّ قَالَ : « ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سِوْفِ اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ » ^(٣) أَي : فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِسَبَبِهِ .

نعي النبي ﷺ زيدا
وجعفرًا وابن رَوَاحَةَ

وفيه - [أَي : صحيح البخاري] - أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ إِذَا سَلَّمَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الْجَنَاحِينَ ^(٤) .

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٤٠١٢) . في دُبُرِهِ : فِي ظَهْرِهِ .

(٢) ابن هشام ، ج ٣ / ٣٧٩ .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٢٦٤٥-٤٠١٤) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أخرجه البخاري ، برقم (٣٥٠٦) .

وفيه - [أي : صحيح البخاري] - عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال : لقد أُنْقَطَعَتْ في يدي يومَ (مُؤْتَةِ) تِسْعَةِ أَسْيَافٍ ، فما بقي في يدي إلا صفيحةٌ يمانيةٌ وهي العاشرة^(١) / .

[ق ١٨٢]

فَاعِلَةٌ

في تأويل الجناحين
اللذين لقبَ بهما جعفر

قال السُّهَيْلِيُّ : (قد يتبادَرُ - مِنْ ذِكْرِ الجناحين - إِلَى الذَّهْنِ أَنَّهُمَا كَجناحي الطَّائِرِ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّ جَعْفراً أُعْطِيَ صِفَةَ الْمَلَائِكَةِ ، وَكَذَا أَجْنَحَةُ الْمَلَائِكَةِ ، إِنَّمَا هِيَ صِفَاتٌ لَا تُعْلَمُ حَقِيقَتُهَا)^(٢) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

رثاءُ حَسَّانَ بنِ ثَابِتٍ
جَعْفراً رضيَ اللهُ عَنْهُمَا

وَمِمَّا رَأَيْتُ بِهِ حَسَّانُ جَعْفراً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَوْلُهُ ، [مِنْ الْكَامِلِ]^(٣) :
وَلَقَدْ بَكَيْتُ وَعَزَّ مَهْلِكُ جَعْفَرٍ
حَبَّ النَّبِيِّ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
وَلَقَدْ جَزَعْتُ وَقُلْتُ حِينَ نُعِيَتْ لِي
مَنْ لِلْجَلَادِ لَدَى الْعُقَابِ وَظِلُّهَا^(٤)
بِالْبَيْضِ حِينَ تُسَلُّ مِنْ أَعْمَادِهَا
ضَرْباً وَإِنْهَالِ الرِّمَاحِ وَعَلَّهَا
بَعْدَ ابْنِ فَاطِمَةَ الْمُبَارَكِ جَعْفَرٍ
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَأَجَلَّهَا
وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - وَهِيَ : الثَّامِنَةُ - : كَانَ فَتْحُ (مَكَّةَ) ، فَتَحَ مَكَّةَ

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٤٠١٧) .

(٢) الرُّوضُ الْأَنْفُ ، ج ٧ / ٣٨ .

(٣) ابن هشام ، ج ٣ / ٣٨٦ .

(٤) الْعُقَابُ : اسْمٌ لِلرَّايَةِ الرَّسُولِ .

وَيُسَمَّى : فَتَحَ الْفَتْوح ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَنْتَظِرُ بِإِسْلَامِهَا إِسْلَامَ قُرَيْشٍ وَفَتْحَ (مَكَّةَ) ، وَتَقُولُ : هُمْ أَهْلُ الْحَرَمِ ، وَقَدْ أَجَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَصْحَابِ الْفِيلِ وَغَيْرِهِمْ ، فَإِنَّ سُلْطَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدًا فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا .

فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ (مَكَّةَ) عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، كَمَا وَعَدَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ذَلِكَ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ عَلَامَةً قُرْبِ أَجَلِهِ ، بِقَوْلِهِ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ [سورة النصر ١١٠/١] .

سبب الغزوة

وَسَبَبُ غَزْوَةِ الْفَتْحِ أَنْتِقَاضُ صُلْحِ (الْحُدَيْبِيَّةِ) ، وَأَنَّ خُزَاعَةَ كَانَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَنِي بَكْرٍ عداوةٌ ، وَكَانَتْ خُزَاعَةُ دَخَلَتْ يَوْمَ صُلْحِ (الْحُدَيْبِيَّةِ) فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانُوا عَيْنَةَ (١) نُصَحَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مُسْلِمُهُمْ وَكَافَرُهُمْ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ حُلَفَاءَ لِبَنِي هَاشِمٍ ، وَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرٍ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ ، فَمَكَثُوا عَلَى ذَلِكَ نَحْوَ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا ، ثُمَّ بَيَّتَتْ (٢) بَنُو بَكْرٍ خُزَاعَةَ فِي شِعْبَانَ ، عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يَسْمَى الْوَتِيرُ مِنْ نَاحِيَةِ (عُرْنَةَ) ، وَأَعَانَتْهُمْ قُرَيْشٌ مُخْتَفِينَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ ، فَقَتَلُوا رَجُلًا مِنْ خُزَاعَةَ ، فَكَرِبَ عَمْرُؤُ بَنِي سَالِمٍ الْخُزَاعِيُّ ثُمَّ الْكَعْبِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ ، وَأَنْشَدَهُ ، [مِنْ الرَّجَزِ] (٣) :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا حِلْفَ آبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا (٤)

(١) الْعَيْبَةُ : مَوْضِعُ السَّرِّ . وَأَرَادَ هُنَا : أَنَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُوَادَعَةٌ وَمُكَافَأَةٌ عَنِ الْحَرْبِ ، تَجْرِيَانِ مُجْرَى الْمَوَدَّةِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْمُتَصَافِينَ الَّذِينَ يَتَّقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

(٢) بَيَّتَتْ : أَوْقَعَتْ بَنُو بَكْرٍ بِخُزَاعَةَ لَيْلًا بَغْتَةً .

(٣) ابْنُ هِشَامٍ ، ج ٣ / ٣٩٤ .

(٤) الْأَتْلَدَا : الْقَدِيمُ .

فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا وَأَدْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا^(١)
 فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا^(٢)
 إِنَّ قَرِيشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
 وَبَيَّنَّا رُكْعًا وَسَجَّدَا وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
 وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
 هُمْ بَيَّنَّا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا
 وَقَتَلْنَا رُكْعًا وَسَجَّدَا
 فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَصِرْتَ يَا عَمْرُو »^(٣) .

فبينما هوَ عندهم إِذْ قَدِمَ أَبُو سُفْيَانُ بْنُ حَرْبٍ مِنْ (مَكَّة) يُرِيدُ
 تَجْدِيدَ الْعَهْدِ وَالزِّيَادَةَ فِي مُدَّةِ الصُّلْحِ . فَأَبَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ،
 وَرَدَّهُ ، فَأَنْصَرَفَ .

وَلَعَلَّ أَبَا سُفْيَانَ لَمَّا أَدْخَلَ فِي حَدِيثِ هِرْقَلٍ : وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ
 لَا نَدْرِي مَا هُوَ صَانِعٌ ؛ عَوِيبٌ بِإِدْخَالِ الْغَدْرِ عَلَيْهِ مِنْ جِهَتِهِ .

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا دَخَلَ رَمَضَانَ أَذِنَ النَّاسَ بِالْجَهَازِ إِلَى (مَكَّة)
 وَأَذِنَ مِنْ حَوْلِهِ مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَقَالَ : « اللَّهُمَّ خُذِ الْعُيُونَ وَالْأَخْبَارَ
 عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْعَثَهَا فِي بِلَادِهَا »^(٤) .

وَفِي « الصَّحِيحِينَ » عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ فَقَالَ : « انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا (رَوْضَةَ خَاخِ)

(١) أَعْتَدَا : حَاضِرًا .

(٢) تَجَرَّدَ : شَمَرَ لِلْحَرْبِ . الْفَيْلَقُ : الْكُتَيْبَةُ الْعَظِيمَةُ وَالْعَسْكَرُ الْكَثِيرُ .
 مُزِيدٌ : جَيْشٌ مَائِجٌ كَالْبَحْرِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « سَنَنِهِ » ، ج ٩ / ٢٣٣ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « الدَّلَائِلِ » ، ج ٥ / ١٢ .

- أي : بمُعْجَمَةٍ مَكْرَرَةٍ - ، فَإِنَّ بِهَا ظَلَعَيْنَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخَذُوهُ مِنْهَا » ، فَأَذْرَكْنَاهَا ، فَأَخَذْنَاهُ مِنْهَا ، فَإِذَا فِيهِ : مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بـ (مَكَّة) ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ [رَسُولُ اللَّهِ ﷺ] : « مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ » ، فَقَالَ : أَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَهُمْ يَدٌ . فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ [ق١٨٤] وَعَذَرَهُ / رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) .

وخرج ﷺ لعشر مَضِينٍ مِنْ رَمَضَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَ (الْجُحْفَةَ) لَقِيَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ مُهَاجِرًا بِأَهْلِهِ وَبَيْتِهِ - وَقَدْ كَانَ أُسِرَ يَوْمَ (بَدْرٍ) وَفَادَى بِنَفْسِهِ وَأَسْلَمَ ، وَاسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُقِيمَ بـ (مَكَّة) عَلَى سِقَايَتِهِ ، فَأَذِنَ لَهُ - فَرَدَّ عَمَّهُ مَعَهُ .

خروجُ النَّبِيِّ ﷺ لفتح مَكَّةَ ولقاءُ العباسِ في الطريق

ولقيَهُ أَيْضًا ابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، فَأَسْلَمَ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ جَرَى مِنْهُ ، فَعَذَرَهُ ، وَرَدَّهُ مَعَهُ .

إسلامُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَأَنشَدَ أَبُو سُفْيَانَ شِعْرًا ، [مِنْ الطَّوِيلِ] ^(٢) :

أَعْتَذَرُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ عَمَّا كَانَ مِنْهُ قَبْلَ إِسْلَامِهِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٧٦٢) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٤٩٤/١٦١) . قُلْتُ : قَالَ أَبُو شَهْبَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : لَا بَدَّ مِنْ وَفْقَةٍ هُنَا ؛ فَمَا كَانَ حَاطِبٌ مُنَافِقًا ، وَلَا ضَعِيفَ الْإِيمَانِ ، بِتَزْكِيَةِ الرَّسُولِ لَهُ . وَلَكِنَّ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ جَوَانِبَ ضَعِيفٍ تَطْغَى عَلَيْهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ، وَتَهْوِي بِهَا إِلَى مَا لَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِهَا ، وَكُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ ، وَمَا كَانَ هَذَا الضَّعْفُ الْإِنْسَانِيُّ لِيُخْفِيَ عَلَى صَاحِبِ الْقَلْبِ الْكَبِيرِ ، وَالْقَوِيِّ الْأَمِينِ ، صَاحِبِ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ ، فَلَا تَعْجَبُ إِذَا كَانَ الرَّسُولُ صَدَقَهُ فِيمَا قَالَ ، وَرَحِمَ ضَعْفَهُ ، وَنَافَعَ عَنْهُ ، وَالْقَوِيُّ حَقًّا هُوَ الَّذِي يَرْحَمُ الضُّعْفَاءَ ، وَالْعَظِيمُ حَقًّا هُوَ الَّذِي يَلْتَمِسُ الْمَعَاذِيرَ لِمَنْ يَسْتَزِلُّهُمُ الشَّيْطَانُ فِي غَفْوَةٍ مِنْ صَدَقِ الْإِيمَانِ وَوَازِعِ الضَّمِيرِ . (السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ ، ج ٢ / ٤٣٨ - ٤٣٩) .

(٢) ابن هشام ، ج ٣ / ٤٠١ .

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمِلُ رَايَةً
لَكَ الْمُدْلَجِ الْحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ
هَدَانِي هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي وَدَلَّنِي
أَصْدُ وَأَنَايَ جَاهِدًا عَنْ مُحَمَّدٍ
لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أَهْدَى وَأَهْتَدِي^(١)
عَلَى الْحَقِّ مَنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرِّدٍ
وَأُدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ

نِزُولُ النَّبِيِّ ﷺ مَرَّ
الظَّهْرَانِ، وَتَحَسُّسُ
قُرَيْشٍ عَلَيْهِ

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ (مَرَّ الظَّهْرَانِ) فِي عَشْرَةِ
آلَافٍ، فَأَدْرَكَتِ الْعَبَّاسَ الرَّقَّةَ لِقُرَيْشٍ، فَرَكِبَ بَغْلَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي
الَّيْلِ بِإِذْنِهِ، رَجَاءً أَنْ يُصَادِفَ أَحَدًا يَبْعَثُهُ إِلَى قُرَيْشٍ، فَيَطْلُبُوا الْأَمَانَ
مِنَ النَّبِيِّ ﷺ. فَلَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقَدْ
كَانُوا خَرَجُوا يَتَحَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ، فَرَأَوْا نِيرَانَ الْجَيْشِ وَأَسْتَنَكُرُوهَا،
حَتَّى قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَاللَّهِ لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ أَهْلِ (عَرْفَةَ)، وَلَا شَعُورَ
لَهُمْ بِمَخْرَجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِمْ. فَأَخْبَرَهُمُ الْعَبَّاسُ الْخَبَرَ، فَقَالَ لَهُ
أَبُو سُفْيَانَ: فَمَا الْحِيلَةُ؟ قَالَ: الْحِيلَةُ أَنْ تَرُدَّ مَنْ مَعَكَ لِيُخْبِرُوا أَهْلَ
(مَكَّةَ)، وَتَرْكَبَ أَنْتَ مَعِيَ حَتَّى آتِيَ بِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْمَنَهُ لَكَ.

إِسْلَامُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى
يَدِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا

فَرَكِبَ مَعَهُ وَرَجَعَ أَصْحَابُهُ، فَلَمَّا أَنْتَهَى بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ
لِلْعَبَّاسِ: «إِذْهَبْ بِهِ إِلَى رَحْلِكَ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأْتِنِي بِهِ»، فَلَمَّا
أَصْبَحَ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَمْ يَأْنِ لَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَنْ
تُسَلِّمَ؟»، قَالَ: بَلَى، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَرْحَمَكَ، وَأَسْلَمَ.

فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الْفَخْرَ
وَالْخِيَلَاءَ، فَأَجْعَلْ لَهُ شَيْئًا، فَقَالَ: «نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ
فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»^(٢).

عَرْضُ جَيْشِ
الرَّسُولِ ﷺ عَلَى
أَبِي سُفْيَانَ

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: «إِحْبِسْ

(١) الْمُدْلَجُ: الَّذِي يَسِيرُ بِاللَّيْلِ.

(٢) أَوْرَدَهُ الْهَيْثُمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ»، ج ١٦٦/٦.

أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطَمِ الْخَيْلِ^(١) ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى جُنُودِ اللَّهِ ،
فَحَبَسَهُ . ثُمَّ سَارَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَجَعَلَتِ الْكَتَائِبُ تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً ، حَتَّى
مَرَّتْ بِهِ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرِ مِثْلَهَا قَطُّ ، فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ ، فَقَالَ :
هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ ، وَهُوَ يَقُولُ :
الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ (الْكَعْبَةُ) .

ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ وَهِيَ أَقْلُهُمْ عِدَدًا ، وَأَجْلُهُمْ قَدْرًا ، فِيهَا
الْمُصْطَفَى ﷺ وَوزَرَاؤُهُ مِنْ خَوَاصِّ الْمُهَاجِرِينَ ، وَالرَّايَةُ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ
الْعَوَّامِ . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى
مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ؟ ، قَالَ : « مَا قَالَ ؟ » ، قَالَ : قَالَ :
الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ (الْكَعْبَةُ)

فَقَالَ : « كَذَبَ سَعْدٌ ، وَلَكِنْ : هَذَا يَوْمٌ تُعْظَمُ فِيهِ (الْكَعْبَةُ) »^(٢) .
وَأَمَرَ ﷺ الزُّبَيْرَ أَنْ يُرَكِّزَ رَأْيَتَهُ بِ (الْحَجُونِ) .

وَتَفَرَّقَ أَهْلُ (مَكَّةَ) ، فَمِنْهُمْ مَنْ لَجَأَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ
أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ .

وَدَخَلَ ﷺ مِنْ أَعْلَى (مَكَّةَ) ، وَذَلِكَ لِعَشْرِ بَقِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ
الْمُعْظَمِ ، وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ قِتَالٌ .

دخول النبي ﷺ مكة

وَأَمَرَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي جَمْعِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَنْ يَدْخُلُوا مِنْ
أَسْفَلِهَا ، فَعَرَضَ لَهُمْ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ،
وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ؛ فِي جَمْعٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَهَزَمَهُمْ خَالِدٌ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ
ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عَهْدَ إِلَى أُمَرَائِهِ أَنْ لَا يَقْتُلُوا إِلَّا
مَنْ قَاتَلَهُمْ .

دخول المسلمين مكة

(١) حطم الخيل : المكان الناتئ منه في الطريق ، ليتمكن من رؤية الجيش كله .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٤٠٣٠) .

إِلَّا أَنَّهُ أَمَرَ بِقَتْلِ جَمَاعَةٍ سَمَّاهُمْ^(١) ، فَقَالَ : « أَقْتُلُوهُمْ وَإِنْ
وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ »^(٢) .

وفي « صحيح البخاري » ، أَنَّ رَجُلًا / أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ
أَبْنَ خَطْلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ : « أَقْتُلُوهُ »^(٣) . وَزَادَ « أَحْمَدُ
وَالْبَيْهَقِيُّ » : فَقُتِلَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ^(٤) .

وفي « الصحيحين » أَنَّ أُمَّ هَانِيٍّ أَجَارَتْ أَبْنَ هُبَيْرَةَ ، فَأَرَادَ عَلِيٌّ
قَتْلَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « قَدْ أَجْرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أُمَّ هَانِيٍّ »^(٥) .

قلت : وفي هذا دليلٌ على أَنَّ حُرْمَةَ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
أَشَدُّ مِنْ حُرْمَةِ (الْكَعْبَةِ) الْمُعْظَمَةِ .

ثُمَّ دَخَلَ ﷺ الْمَسْجِدَ ، وَهُوَ رَاكِبٌ رَاكِئٌ ، مُنْكَسِرٌ رَأْسُهُ
تَوَاضِعًا لِلَّهِ تَعَالَى ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا رَاكِبًا ، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ
بِمُخْجَنٍ^(٦) فِي يَدِهِ .

وَكَانَ حَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا ، مُثَبَّتَةً بِالرَّصَاصِ ،
فَجَعَلَ ﷺ يَطْعُنُهَا بِالْمُخْجَنِ وَيَقُولُ : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ
الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [سورة الإسراء ١٧ / ٨١] .

(١) وهم : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطْلٍ ، وَمُقَيْسُ بْنُ صُبَابَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي
السَّرْحِ ، وَعِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ .

(٢) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ ، بِرَقْم (٣٩٩٩) . عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٧٤٩) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أوردته الهيثمي في « مجمع الزوائد » ، ج ٦ / ١٦٧ . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٥٠) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٨٢ / ٣٣٦) ، بِنَحْوِهِ .

(٦) الْمُخْجَنُ : الْعَصَا الْمَعْوِجَةُ الرَّأْسِ .

فما أشار إلى وجه صنمٍ إلا وقع إلى قفاه ، ولا إلى قفاه إلا وقع لوجهه .

ولما فرغ من طوافه دعا بالمفتاح ، وكان بيد عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن شيبه بن عبد الدار ، وبيد ابن عمه شيبه بن عثمان بن أبي طلحة بن شيبه بن عبد الدار بن قصي ، ففتح البيت ، ودخل ، وصلى فيه ركعتين ، وكبر في نواحيه ، ودعا ، وكسر ما فيه من الأوثان ، وطمس الصور ، وأخرج مقام إبراهيم عليه السلام .

دخوله مكة وكسر الأوثان وطمس الصور

فسأله العباس رضي الله عنه أن يجمع له سِدانة البيت إلى السقاية^(١) ، فنزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ الآية [سورة النساء ٥٨/٤] .

إعطاء النبي ﷺ مفتاح مكة إلى أهله

فخرج وهو يتلوها ، فدعا عثمان وشيبه فأعطاهما المفتاح ، وقال : « خذوها خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم »^(٢) .

ثم قام ﷺ على باب (الكعبة) وقال : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده » .

خطبة النبي ﷺ على باب الكعبة

ثم قال : « يا معشر قريش ؛ ما ترون أني فاعل بكم ؟ » ، قالوا : خيراً ، أخ كريم / وابن أخ كريم ، فقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ، [أقول كما قال يوسف] : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [سورة يوسف ٩٢/١٢] .

ثم قال : « يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة

(١) السدانة : خدمة البيت وتولي أمره . السقاية : سقي الحجيج من الزبيب المنبوذ في الماء .

(٢) عيون الأثر ، ج ٢ / ١٧٨ .

الجاهلية وتَعْظَمُهَا بِالْآبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ » ، ثُمَّ
تلا : ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١)

[سورة الحجرات ٤٩/١٣] .

وفي « صحيح البخاري ومسلم » ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِنَّ (مَكَّةَ) ^{خطبة النبي ﷺ غداة الفتح} حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا ، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَقُولُوا لَهُ : إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي سَاعَةً
مِنْ نَهَارٍ ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ ، فَلْيُتْلَغِ
الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبُ » (٢) .

وفيها - [أي : السَّنة الثامنة] - : كَانَتْ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ وَأُوطَاسَ ،
ثُمَّ غَزْوَةُ الطَّائِفِ ، وَوَفْدَ هَوَازِنَ ، وَعُمُرَةَ الْجَعْرَانَةِ ، وَمَوْلِدَ
إِبْرَاهِيمَ ، وَكُسُوفَ الشَّمْسِ .

أَمَّا غَزْوَةُ حُنَيْنٍ : فَإِنَّهُ ﷺ لَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْفَتْحِ بَلَغَهُ أَنَّ هَوَازِنَ
أَقْبَلَتْ لِحَرْبِهِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، عَلَيْهِمَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّضْرِيُّ
- بِمَعْجَمَةٍ - فَأَجْمَعَ ﷺ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ ، وَأَرْسَلَ إِلَى صَفْوَانَ بْنِ
أُمَيَّةَ لِيَسْتَعِيرَ مِنْهُ السَّلَاحَ ، وَكَانَ صَفْوَانُ لَمَّا عَرَضَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ
الْإِسْلَامَ ، قَالَ : أَمَهْلَنِي شَهْرًا أَرَى فِيهِ رَأْيِي ، قَالَ : « قَدْ أَمَهْلَتْكَ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ » ، وَكَانَ عِنْدَهُ مِثْلُ دَرْعٍ ، فَقَالَ : أَغْصَبًا يَا مُحَمَّدٌ ؟ ،

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي « مُسْنَدِهِ » ، ج ٢/ ١١ . وَالتِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٣٢٧٠) .
عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٧٣٥) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٤٤٦/١٣٥٤) . عَنْ
أَبِي شَرِيحٍ الْعَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَالَ : « لا ، بَلْ عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ »^(١) ، فَأَعْطَاهُ مِئَةَ دِرْعٍ مَعَ مَا يَتْبَعُهَا مِنْ السِّلَاحِ .

خُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى حُنَيْنٍ
ثُمَّ خَرَجَ ﷺ بِجَيْشِ الْفَتْحِ وَالْفَيْنِ مِمَّنْ أَسْلَمَ بَعْدَ الْفَتْحِ ، وَكَانَ مَدَّةَ إِقَامَتِهِ بِ (مَكَّةَ) بَعْدَ الْفَتْحِ نَحْوَ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ يَوْمًا ، وَكَانَ يَقْصُرُ فِيهَا الصَّلَاةَ .

هَزِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَثَبَاتُ النَّبِيِّ ﷺ وَبَعْضُ أَصْحَابِهِ
فَلَمَّا أَتَتْهُ إِلَى (حُنَيْنٍ) وَهُوَ وَادٍ بَيْنَ (مَكَّةَ وَالطَّائِفِ) ، فِي غَلَسِ الصُّبْحِ ، وَجَدَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَيْهِ ، وَكَمَنُوا فِي شِعَابِهِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْوَادِي ، / شَدَّ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِمْ شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَأَنْشَمَرَ^(٢) الْمُسْلِمُونَ رَاجِعِينَ ، لَا يَلْوِي مِنْهُمْ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَكَانَ سَبَبُ الْهَزِيمَةِ مُسْلِمِي الْفَتْحِ . [ق ١٨٨]

وُثِبَتِ النَّبِيُّ ﷺ ، وَثَبَتَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، مِنْهُمْ : عُمَةُ الْعَبَّاسُ وَأَبْنُهُ الْفَضْلُ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَخُوهُ رَبِيعَةُ . وَمِنْ الْمُهَاجِرِينَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وَفِي « صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ » ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ (حُنَيْنٍ) ؟ ، قَالَ : لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَبْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ أَخَذَ بِزِمَامِهَا ، وَهُوَ يَقُولُ :
« أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا أَبْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ »^(٣)

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي « مُسْنَدِهِ » ، بِرَقْم (١٤٨٧٨) . عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . الْعَارِيَّةُ : إِعَارَةُ الْمَنَافِعِ مِنْ غَيْرِ عَوَاضٍ .

(٢) أَنْشَمَرَ : أَنْفَضَ وَأَنْهَزَمَ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٧٠٩) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٧٨/١٧٧٦) . قُلْتُ : =

فما رُئيَ في النَّاسِ يومئذٍ أَشدُّ منه .

وروى ابنُ إِسحاقَ عن العباسِ رضيَ اللهُ عنه قالَ : شهدتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ يومَ (حُنين) ، فلزِمْتُهُ أَنَا وأبو سُفيانَ بنُ الحارِثِ ، فلم نُفارقهُ .

عودةُ المُسلمينَ
وأخذُهم القتالَ

فلما ألتقى الجمعانِ ، ولَّى المسلمونَ مُدبرينَ ، فَطَفِقَ رسولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ^(١) قِبَلَ الكُفَّارِ ، قالَ عَبَّاسٌ : وَأَنَا أَخْذُ بِلِجَامِ بَغْلَتِهِ ، أَكْفُهَا إِرَادَةً أَنْ لَا تُسْرِعَ ، فقالَ ﷺ : « يا عَبَّاسُ ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ » - أي : أَهْلَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ - وكانَ العباسُ صَيِّبًا^(٢) ، فقلتُ بأعلى صوتي : أينَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ ؟ ، فقالوا : يا لَبِيْكَ ، يا لَبِيْكَ ، فواللهِ لَكَأَنَّ عَظْفَتَهُمُ عَلَيَّ حِينَ سَمِعُوا صوتي عَظْفَةُ البَقْرِ على أَوْلَادِهَا ، فَأَقْتَلُوا هُمُ وَالْكَفَّارَ ، فنظَرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى قَتَالِهِمْ ، فقالَ : « هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ »^(٣) .

رميَ النَّبيُّ ﷺ
المُشركينَ بالحصي

ثمَّ أَخَذَ ﷺ كَفًّا مِنَ الْحَصْبَاءِ فرمى به وجوهَ الكُفَّارِ ، وقالَ : « شَاهَتِ الْوُجُوهُ » ، فما خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مِلَّتْ عَيْنُهُ تُرَابًا مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ ، فولَّوْا مُدبرينَ ، وهزَمَهُمُ اللهُ .

ما نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي
يومِ حُنينٍ

وَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ

= وقد أُنْتُسبَ النَّبِيُّ ﷺ لَجَدِّهِ لِأَنَّهُ كَانَ أَشْهَرَ وَأَذْكَرَ عِنْدَ الْعَرَبِ ، أَمَّا أَبُوهُ فَقَدِمَاتٌ وَهُوَ شَابٌّ .

(١) يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ : يَضْرِبُهَا بِرِجْلِهِ الشَّرِيفَةِ على كَبْدها لِتُسْرِعَ .

(٢) صَيِّبًا : شَدِيدَ الصَّوْتِ ، عَالِيَهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٧٧٥) . الْوَطِيسُ : الضَّرَابُ فِي الْحَرْبِ ، وَلَمْ يُسْمَعْ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ أَحَدٍ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ عَبَّرَ بِهِ عَنِ اسْتِبْكَاءِ الْحَرْبِ وَقِيَامِهَا عَلَى سَاقٍ .

حَنِينٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴿١﴾ ، وكانوا قالوا : لن نغلب اليومَ
 مِنْ قَلَّةٍ ﴿٢﴾ فَلَمْ تُعْنِ عَنْكُمْ / شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا
 رَحَبَتْ ﴿٣﴾ - أي : مع سَعَتِهَا - ﴿٤﴾ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ
 سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴿٥﴾ [سورة التَّوْبَةِ
 ٢٥/٩ - ٢٦] - أي : جبريلُ : ﴿٦﴾ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿٧﴾
 - أي : مُعَلِّمِينَ .-

ولَمَّا أَنهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ شَمِتَ بِهِمْ كَثِيرٌ مِنْ مُسْلِمِي الْفَتْحِ ^(١) ،
 فَقَالَ أَخٌ لَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ مِنْ أُمَّهِ ^(٢) : الْيَوْمَ بَطَلَ سِحْرُ مُحَمَّدٍ ، فَقَالَ
 لَهُ صَفْوَانُ : إِسْكُتْ ، فَضَّ اللَّهُ فَالَكَ - أي : كَسَرَهُ اللَّهُ - فَوَاللَّهِ لَأَنْ
 يَرُبَّنِي - أي : يَسُودَنِي - رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرُبَّنِي رَجُلٌ
 مِنْ هَوَازِنَ .

وعن شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْعَبْدَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :
 اسْتَدْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ (حَنِينٍ) لِأَقْتُلَهُ ، فَأَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي
 نَفْسِي ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ ، فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي ، وَقَالَ : « أَعِيدَكَ
 بِاللَّهِ يَا شَيْبَةُ » ^(٣) .

فَارْتَعَدَتْ فَرَائِصِي ، فَرَفَعَ يَدَهُ ، وَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ سَمْعِي
 وَبَصْرِي ، وَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَكَ عَلَى
 مَا فِي نَفْسِي .

وَأَمَّا بَعْتُ أَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيِّ إِلَى (أَوْطَاسٍ) ، وَكَانَتْ هَوَازِنُ قَدْ
 خَرَجَتْ مَعَهَا بِأَهْلِهَا وَأَمْوَالِهَا ، فَلَمَّا أَنهَزَمُوا أَنْحَازَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ

(١) كانوا حديثي عهد بالإسلام .

(٢) وهو : كَلْدَةُ بْنُ الْحَنْبَلِ .

(٣) أخرجه البيهقي في « الدلائل » ، ج ١٤٥ / ٥ . بنحوه .

بالأهل والمال إلى ناحية (أوطاس) ، عليهم دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ، فبعثَ النَّبِيُّ ﷺ أبا عامرٍ الأشعريَّ في جيشٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي آثَارِهِمْ ، فَأَذْرَكُوهُمْ ، فَنَاوَشُوهُمْ الْقِتَالَ ، فَاسْتَشْهَدَ أَبُو عامرٍ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ تِسْعَةَ إِخْوَةٍ ، فَقَتَلَهُ عَاشِرُهُمْ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ مِنْهُ ابْنُ أَخِيهِ أَبُو مُوسَى الْأَشعريُّ بِاسْتِخْلَافٍ مِنْهُ ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَقَتَلَ قَاتِلَ أَبِي عامرٍ ، وَهَزَمَهُمْ ، وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ ، وَكَانَتْ سَبَايَاهُمْ مِنَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ نَحْوَ سِتَّةِ آلَافٍ ، وَأَمَّا الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ فَلَا تُحْصَرُ عِدْداً ، فَأَمَرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ فَحُبِسَتْ لَهُ بِ (الْجِعْرَانَةِ) .

وفي « صحيح البخاري ومسلم » ، عن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ (حُنَيْنٍ) بَعَثَ أبا عامرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى (أوطاس) ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ - أَي : مُصَغَّراً - ابْنَ الصَّمَّةِ ، فَقَتَلَ / دُرَيْدَ ، [ق ١٩٠] وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ ، قَالَ أَبُو مُوسَى : وَبِعَثْنِي مَعَ أَبِي عامرٍ ، فَرُمِيَ أَبُو عامرٍ فِي رُكْبَتِهِ بِسَهْمٍ ، فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ فَأَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : يَا عَمُّ ، مَنْ رَمَاكَ ؟ ، فَقَالَ : ذَاكَ قَاتِلِي ، فَقَصَدْتُ إِلَيْهِ ، فَقَتَلْتُهُ ، ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عامرٍ : قَدْ قَتَلَ اللَّهُ صَاحِبَكَ ، فَقَالَ : فَأَنْزِعْ هَذَا السَّهْمَ ، وَأَقْرِءِ النَّبِيَّ ﷺ عَنِّي السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ يَسْتَغْفِرْ لِي ، وَأَسْتَخْلِفَنِي أَبُو عامرٍ عَلَى النَّاسِ ، ثُمَّ مَاتَ ، فَرَجَعْتُ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عامرٍ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ » ، فَقُلْتُ : وَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاسْتَغْفِرْ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَدْخَلًا كَرِيمًا » (١) .

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٤٠٦٨) . ومسلم برقم (١٦٥ / ٢٤٩٨) .

وَأَمَّا غَزْوَةُ الطَّائِفِ : فَإِنَّهُ ﷺ تَوَجَّهَ إِلَيْهَا لِقِتَالِ مَنْ شَرَدَ إِلَيْهَا مِنْ (حُنَيْنٍ) ، وَمَرَّ عَلَى طَرِيقِهِ بِحَصْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفِ النَّصْرِيِّ السَّابِقِ ذِكْرُهُ ، قَائِدِ هَوَازِنَ ، فَهَدَمَهُ ، ثُمَّ أَرْتَحَلَ ، فَحَاصَرَ أَهْلَ (الطَّائِفِ) بِضِعَاءٍ وَعَشْرِينَ لَيْلَةً مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ ، وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ رَمَاهُمْ بِالْمَنْجَنِقِ ، وَحَرَّقَ أَعْنَابَهُمْ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ قِيلَ لَهُ : إِدْعُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَهْدِ ثَقِيفًا وَأَنْتِ بِهِمْ » (١) .

فَهَدَاهُمُ اللَّهُ بِدَعْوَتِهِ ، فَأَتَوْا إِلَى (الْمَدِينَةِ) مُسْلِمِينَ ، بَعْدَ أَنْ تَقَدَّمَ قَبْلَهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ فَأَسْلَمَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَأَتَى بِهِمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مُسْلِمِينَ ، وَمِنْ شَعْرِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ حِينَ أَسْلَمَ ، [مِنْ الْكَامِلِ] (٢) :

مَا إِنْ (٣) رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ كَمِثْلِ مُحَمَّدٍ أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا أُجْتَدِيَ وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرُكَ عَمَّا فِي غَدٍ وَإِذَا الْكَتِيبَةُ عَرَدَتْ أَنْيَابُهَا بِالسَّمْهَرِيِّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنْدٍ (٤) فَكَأَنَّهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ وَسَطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرْصَدٍ (٥)

وفي « صحيح البخاري ومسلم » ، عن عبد الله بن عمر بن

إرتحال المسلمين

(١) أخرجه الترمذي ، برقم (٣٩٤٢) . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) ابن هشام ، ج ٣ / ٤٩١ .

(٣) إن : زائدة للتوكيد ، والمعنى : ما رأيتُ ما رأيتُ .

(٤) عَرَدَتْ أَنْيَابُهَا : قويت وأشدَّت . السَّمْهَرِيُّ : الرُّمَح . الْمُهَنْدُ : السَّيْف .

(٥) الْهَبَاءَةُ : الغبار يثور عن اشتداد الحرب . الْخَادِرُ : الأسد في عرينه . يصفه بالقوة ، لَأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ شَدِيدَ الْبَأْسِ لَخَوْفِهِ عَلَى أَشْبَالِهِ . الْمَرْصَدُ : المكان الَّذِي يَرْقُبُ مِنْهُ . وَيُصَفُّ بِالْيَقِظَةِ وَالِاتِّبَاهِ .

الخطابِ رضي الله / عنهما قال : لَمَّا حَاصَرَ النَّبِيُّ ﷺ (الطَّائِفَ) ، [ق١٩١] فَلَمْ يَنْلُ مِنْهُمُ شَيْئاً ، قَالَ : « إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ » ، فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَقَالُوا : نَذْهَبُ وَلَا نَفْتَحُهُ ؟ ، فَقَالَ : « إِغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ » فَغَدَوْا ، فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ ، فَقَالَ : « إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ » ، فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ (١) .

وَلَمَّا رَجَعَ ﷺ مِنَ (الطَّائِفِ) نَزَلَ بِـ (الْجِعْرَانَةِ) فَكَسَمَ بِهَا غَنَائِمَ (حُنَيْنٍ) ، وَأَعْطَى جَمَاعَةً مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبَهُمْ مِئَةً مِئَةً مِنَ الْإِبِلِ ، مِنْهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ : أَبُو سُفْيَانُ بْنُ حَرْبٍ ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ . وَمِنْ غَيْرِ قُرَيْشٍ : عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ .

وَأَعْطَى ﷺ [الْعَبَّاسُ] الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ الشَّاعِرَ خَمْسِينَ مِنَ الْإِبِلِ ، فَسَخَطَهَا ، إِذْ لَمْ يَجْعَلْهُ كَعُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ ، وَأَشَدَّ النَّبِيُّ ﷺ أَبْيَاتًا يَقُولُ فِيهَا ، [مِنَ الْمُتَقَارِبِ] (٢) :

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْدِ دِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ (٣)
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ
فَأَكْمَلَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِئَةً .

وَأَمَّا الْغَنَمُ : فَأَعْطَى مِنْهَا بَغِيرَ عَدَدٍ ، حَتَّى أَنْ أَعْرَابِيًّا رَأَى غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَقَالَ : مَا أَكْثَرَ هَذِهِ الْأَغْنَامَ ؟ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « هِيَ لَكَ » ، فَأَتَى بِهَا قَوْمَهُ ، وَقَالَ لَهُمْ : أَسْلِمُوا ، فَوَاللَّهِ إِنْ مُحَمَّدًا

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٤٠٧٠) . ومسلم برقم (١٧٧٨ / ٨٢) .

(٢) ابن هشام ، ج ٣ / ٤٩٣ .

(٣) العُبَيْد : أَسْمُ فَرَسِ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ .

لِيُعْطِيَ عَطَاءَ مَنْ لَا يَخَافُ الْفَقْرَ^(١) .

وفي « الصَّحَّاحِينَ » ، أَنَّهُ ﷺ نَادَى قَبْلَ الْقِسْمَةِ : « مَنْ أَقَامَ بَيْنَهُ عَلَى قَتِيلٍ قَتَلَهُ فَلَهُ سَلْبُهُ » ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ : فَقُمْتُ أَلْتَمَسُ بَيْنَهُ عَلَى قَتِيلِي ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَشْهَدُ لِي فَجَلَسْتُ ، ثُمَّ بَدَأَ لِي ، فَذَكَرْتُ أَمْرَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَجُلٌ : سَلَا حُ هَذَا الْقَتِيلِ الَّذِي يَذْكُرُ عِنْدِي ، فَأَرْضِهِ مِنْهُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - وَعِنْدَ أَحْمَدَ : فَقَالَ عُمَرُ ، وَجُمَعَ بَيْنَهُمَا بَأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا قَالَ - كَلَّا وَاللَّهِ ، لَا نُعْطِيهِ أَضْيَعًا^(٢) مِنْ قُرَيْشٍ [ق١٩٢] - تَصْغِيرُ ضَبْعٍ / بِمَعْجَمَةٍ - وَنَدَعُ أَسَدًا مِنْ أَسْوَدِ اللَّهِ يُقَاتِلُ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَذَاهُ إِلَيَّ^(٣) .

وَلَمَّا قَسَمَ هَذِهِ الْمَقَاسِمَ ، وَأَعْطَى هَذِهِ الْعَطَايَا ، شَرِهَتْ أَنْفُسُ الْأَعْرَابِ وَجُفَاءُ الْعَرَبِ ، مَعَ ضَعْفِ إِيْمَانِهِمْ حِينَئِذٍ إِلَى الْمَالِ ، فَالْحَوَا عَلَيْهِ ﷺ فِي السَّوَالِ ، حَتَّى أَضْطَرَّوهُ إِلَى سَمَرَةٍ فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ ، فَقَالَ : « أَعْطُونِي رِدَائِي ، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاءِ^(٤) نَعْمًا لَقَسَمْتُه بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذَّابًا وَلَا جَبَانًا » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٥) .

وَرَوَى أَيْضًا - [أَي : الْبُخَارِيُّ] - أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ : إِعْدِلْ ، فَقَالَ : « وَيَحْكُ ! إِنْ لَمْ أَعْدِلْ فَمَنْ يَعْدِلُ وَأَنَا حُرٌّ ؟ ! » ، قَالَ : هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ ، فَقَالَ ﷺ : « رَحِمَ اللَّهُ أَخِي مُوسَى ، قَدْ

أَمَرُ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ
التَّمِيمِي

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْمٍ (٢٣١٢/٥٨) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) يُرْوَى بِالضَّادِّ الْمَعْجَمَةِ وَالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ؛ تَصْغِيرُ ضَبْعٍ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ تَحْقِيرًا لَهُ . وَقَدْ ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ بِلَفْظٍ : « أَصْيَعٌ » ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الطُّيُورِ ضَعِيفٌ ؛ يَصْفَهُ بِالْعَجْزِ وَالضَّعْفِ وَالْهَوَانِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْمٍ (٤٠٦٧) .

(٤) الْعِضَاءُ : شَجَرٌ عَظِيمٌ لَهُ شَوْكٌ .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْمٍ (٢٦٦٦) . عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ ^(١) .

وكان ﷺ وَكَلَّ الْأَنْصَارَ إِلَى إِيْمَانِهِمْ ، فلم يُعْطِهِمْ مِنْ هَذِهِ الْمَقَاسِمِ شَيْئًا ، فوجدوا وَجَدًا شَدِيدًا ، ووقعَ في أَنْفُسِهِمْ مَا لم يَقَعْ قَبْلَ ذَلِكَ . وَأَنْشَدَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ ، [مِنْ الْبَسِيطِ] ^(٢) :

[زَادَتْ هُمُومٌ] فَدَمَعُ الْعَيْنِ يَنْحَدِرُ
سَحًّا إِذَا حَفَلَتْهُ عِبْرَةٌ دَرَّرُ ^(٣)
وَأَتِ الرَّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْتَمَنٍ
لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدِدَ الْبَشَرُ
عَلَامٌ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهِيَ نَازِحَةٌ
قُدَّامَ قَوْمٍ هُمْ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا
سَمَّاهُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا لِنَصْرِهِمْ
دِينَ الْهُدَى وَعَوَانَ الْحَرْبِ تَسْتَعِرُ ^(٤)
وَسَارَعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْتَرَفُوا
لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَامُوا وَمَا ضَجِرُوا ^(٥)
وَالنَّاسُ أَلْبُ عَلَيْنَا فَيْكَ لَيْسَ لَنَا
إِلَّا السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَا وَزَرُ ^(٦)

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٩٨١) . عَنْ أَبِيْن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَالْأَعْرَابِيُّ هُوَ : ذُو الْخُوَيْصِرَةِ حَرْقُوصُ بْنُ زَهِيرٍ .

(٢) ابْنُ هِشَامٍ ، ج ٣ / ٤٩٧ - ٤٩٨ .

(٣) سَخَّ : سَالَ . حَفَلَتْهُ : جَمَعَتْهُ . عِبْرَةٌ دَرَّرُ : دَمَعَتْ سَائِلَةً .

(٤) الْحَرْبُ الْعَوَانُ : الَّتِي قَاتَلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . تَسْتَعِرُ : تَشْتَدُّ وَتَشْتَعِلُ .

(٥) خَامُوا : جَبَنُوا .

(٦) أَلْبُ : مُجْتَمِعُونَ . الْوَزَرُ : الْمُلُجَأُ .

نُجَالِدُ النَّاسَ لَا نُبْقِي عَلَى أَحَدٍ

وَلَا نُضَيِّعُ مَا تَوْحَى بِهِ السُّورُ

ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ جَمَعَهُمْ وَخَطَبَهُمْ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ ، حَتَّى طَابَتْ أَنْفُسُهُمْ .

كما رواه البخاري ومسلم ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قَالَ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ طَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي رِجَالًا مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنِ الْمِثَّةِ مِنَ الْإِبِلِ ، فَقَالُوا : يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ! يُعْطِي قُرَيْشًا / وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ ، قَالَ أَنَسٌ : فَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ أَحَدًا غَيْرَهُمْ ، فَلَمَّا أَجْتَمَعُوا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ ؟ » ، فَقَالَ فَقَهَاءُ الْأَنْصَارِ : أَمَّا رُؤَسَاؤُنَا فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا ، وَأَمَّا أَنَاسٌ مِّنَّا حَدِيثُهُ أَسَنَانُهُمْ ، فَقَالُوا : يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ، يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ ؟ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي لَأُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ ، أَمَّا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ وَتَذْهَبُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ ؟ فَوَاللَّهِ لَمَّا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ » ، فَقَالُوا : قَدْ رَضِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(١) .

فَاتَعَلَّ

فِي سَبَبِ حَجَبِ
النَّبِيِّ ﷺ أَمْوَالِ هَوَازِنِ
عَنِ الْأَنْصَارِ

قوله : (لَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا) ، أَي : أَنَّهُ لَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا مِنْ أَصْلِ الْغَنِيمَةِ ، لَا مِنَ الْخُمْسِ الَّذِي أُعْطِيَ مِنْهُ الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ .

قَالَ الْعَجَّلَاءُ : وَسَبَبُهُ أَنَّهُمْ كَانُوا أَنهَزَمُوا ، فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَّا وَقَدْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٠٧٦) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٠٥٩/١٣٢) .

أَنهَزَمَ الْكُفَّارُ ، فَردَّ اللهُ أَمْرَ الْغَنِيْمَةِ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ ، فَفَعَلَ فِيهَا مَا فَعَلَ
لِلتَّأْلِيفِ ، وَوَكَّلَ الْأَنْصَارَ إِلَى إِيْمَانِهِمْ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

ثُمَّ إِنَّ وَفَدَ هَوَازِنَ جَاءُوا بَعْدَ قِسْمَةِ غَنَائِمِهِمْ مُسْلِمِينَ ،
وَمُنَاشِدِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِرِضَاعِهِ فِيهِمْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ غَنَائِمَهُمْ ، وَأَنشَدُوهُ
فِي ذَلِكَ أَشْعَاراً مِنْهَا ، [مِنَ الْبَسِطِ] (١) :

أُمْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا
إِذْ فُوكَ يَمَلَّوْهُ مِنْ مَخْضِهَا الدَّرَرُ
لَا تَجْعَلْنَا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ

وَأَسْتَبَقِ مِنَّا فَإِنَّا مَعْشَرُ زُهْرٍ
ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مَطْوِلاً ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ الْبُخَارِيُّ بِقَوْلِهِ فِي أَبْوَابِ
فَرْضِ الْخُمْسِ ، بَابٌ : وَمَنْ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِنَوَائِبِ
الْمُسْلِمِينَ ، مَا سَأَلَ هَوَازِنَ النَّبِيَّ ﷺ بِرِضَاعِهِ فِيهِمْ .

وَأَتَتْهُ أَيْضاً أُمُّهُ وَأَخْتُهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ : حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ وَبَنَتْهَا
الشَّيْمَاءُ ، فَبَسَطَ لَهُمَا رِدَاءَهُ وَأَجْلَسَهُمَا عَلَيْهِ وَرَقَّ لَهُمَا ﷺ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي « صَحِيحِهِ » ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ / قَامَ حِينَ جَاءَهُ [ق ١٩٤]
وَفَدَّ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ ، فَقَالَ
لَهُمْ : « إِنَّ مَعِيَ مَنْ تَرَوْنَ ، وَإِنَّ أَحَبَّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ ،
فَأَخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ : إِمَّا الْمَالَ وَإِمَّا السَّبْيَ » ، فَقَالُوا : إِنَّا
نَخْتَارُ سَبْيَنَا ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ فِي الْمُسْلِمِينَ ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ
أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ جَاءُوا تَائِبِينَ ، وَإِنِّي
قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُطَيَّبَ (٢) ذَلِكَ

(١) مِنْ قَوْلِ : زَهْرٍ بَنَ صُرْدَ الْجُشْمِيِّ السَّعْدِيِّ .

(٢) يُطَيَّبُ : يُحَلَّلُ وَيُيَسَّخ . وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِالشَّيْءِ : إِذَا سَمَحَتْ بِهِ مِنْ غَيْرِ
كِرَاهَةٍ وَلَا غَضَبٍ .

فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يَفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ » ، فَقَالَ النَّاسُ : قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ (١) .

ثُمَّ أَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ (الْجِعْرَانَةِ) مُحْرِمًا بِعُمْرَةٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، فَدَخَلَ (مَكَّةَ) فَقَضَى نُسْكَهُ ، وَأَسْتَخْلَفَ عَلَى (مَكَّةَ) عَتَابَ - بتشديد الفوقية - أَبْنِ أَسِيدٍ - بفتح الهمزة - فَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ - [أَي : الثَّامِنَةِ] - ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى (الْمَدِينَةِ) فَدَخَلَهَا فِي آخِرِ ذِي الْقَعْدَةِ .

عُمْرَةُ الْجِعْرَانَةِ
وَأَسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ ﷺ
عَتَابًا عَلَى الْحَجِّ

وَوُلِدَ لَهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ وَلَدُهُ إِبْرَاهِيمُ ، فَعَاشَ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ، وَكُسِفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَوْتِهِ ، فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ (٢) .

خَيْرُ وَلَادَةٍ إِبْرَاهِيمَ أَبْنِ
النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ

وَفِي « صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ » ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ فَوَجَدَهُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَجَعَلَتْ عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، فَقَالَ لَهُ : « يَا أَبْنِ عَوْفٍ ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ ، جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ » ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى ، وَقَالَ : « إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ » (٣) .

وَقَالَ : « إِنَّ لَهُ مُرَضِعًا فِي الْجَنَّةِ » (٤) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٤٠٢) . عَنْ الْمِسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) قُلْتُ : وُلِدَ إِبْرَاهِيمُ فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَمَانٍ ، وَمَاتَ وَهُوَ أَبْنُ سَنَةِ عَشْرٍ شَهْرًا ، فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ عَشْرِ . (أَنْظَرُ « مُسْنَدُ أَحْمَد » ، ج ٤ / ٢٨٣) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٢٤١) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٦٢ / ٢٣١٥) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٣١٦) . عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وفيهما - [أي : صحيح البخاري ومسلم] - أَنَّ النَّاسَ قَالُوا :
كُسِفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ ، فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ ، وَصَلَّى
صَلَاةَ الْكُسُوفِ ، فَأُطَالَ فِيهَا حَتَّى أَنْجَلَتْ ، ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ فَحَثَّهُمْ
عَلَى الصَّدَقَةِ وَالْعِتْقِ ، وَقَالَ : « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ،
يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ ، وَلَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ » ^(١) .

وفي السَّنةِ التَّاسِعَةِ : دَخَلَ النَّاسُ / فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، كَمَا [ق ١٩٥]
أَعْلَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رُسُولُهُ ﷺ بِذَلِكَ ، وَجَعَلَهُ عِلْمًا لِقُرْبِ أَجَلِهِ .
عام الوفود

وفي « الصَّحِيحَيْنِ » ، عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ عُمَرَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾
حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ ؟ ، فَقُلْتُ : هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ . قَالَ :
﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ - فَتَحْ (مَكَّةَ) - ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ - فَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجَلِكَ - ﴿ فَسَيَحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُمْ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [سورة النصر ١/١١٠ - ٣] فَقَالَ عُمَرُ :

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٠٠١) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٣/٩٠١) . عَنْ أَبِي
بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قُلْتُ : قَالَ أَبُو شَهْبَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : وَإِنَّ الْمُنْصِيفَ
لَيَقِفُ خَاشِعًا أَمَامَ هَذَا الْقَوْلِ الْحَكِيمِ ، الَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا
نَبِيًّا حَقًّا . فَلَوْ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا ، وَكَانَ طَالِبَ مُلْكٍ أَوْ زَعَامَةٍ ، أَوْ مَدْعِيًّا
نُبُوَّةٍ ؛ لَاسْتَغْلَّ أَعْتِقَادَ النَّاسِ هَذَا ، أَوْ عَلَى الْأَقْلِ يَسْكُتُ . وَأَيُّ عَظَمَةِ
نَفْسِيَّةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَلَّا يَنْسِيَ الرَّسُولُ ﷺ رِسَالَتَهُ فِي أَشَدِّ الْمَوَاقِفِ الَّتِي تَمَلُّ
النَّفْسَ غَمًّا وَحُزْنًا ، وَرَبِّمَا تَذْهِلُ الشَّخْصَ عَمَّا هُوَ حَقٌّ ، لِذَلِكَ لَا غُرُوبَ إِذَا
كَانَ الْمُسْتَشْرِقُونَ الَّذِينَ كَتَبُوا فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَتَنَاولُوا هَذِهِ الْقِصَّةَ
وَقَفُّوا مِنْهَا مَوْقِفَ الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا كِتْمَ إِعْجَابِهِمْ
وَإِكْبَارِهِمْ لِلنَّبِيِّ ، وَإِعْلَانِ عِرْفَانِهِمْ بِصَدَقِ إِنْسَانٍ لَمْ يَرْضَ فِي أَدَقِّ
الْمَوَاقِفِ إِلَّا الصَّدَقَ وَإِعْلَانِ الْحَقِّ . (السيرة النبوية ، ج ٢ / ٥٨٣) .

ما أَعْلَمُ منها إِلَّا ما تَعْلَمُهُ^(١) .

وفد بني حنيفة

وَمِنَ الْوُفُودِ : وَفَدَ عَلَيْهِ ﷺ وَفَدَ بَنِي حَنْفِيفَةَ ، عَلَيْهِمْ مُسْلِمَةُ الْكَذَّابِ .

وفي « صحيح البخاري ومسلم » ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قَدِمَ مُسْلِمَةُ الْكَذَّابِ فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ شِمَاسٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِطْعَةً مِنْ جَرِيدٍ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ ، فَجَعَلَ مُسْلِمَةُ يَقُولُ : إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ [مِنْ] بَعْدِهِ تَبَعْتُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أُعْطَيْتُكَهَا ، وَلَنْ تَعْدُو أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ ، وَلَكِنْ أَذْبَرْتَ لِيَعْقِرَنَّكَ^(٢) اللَّهُ ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا أُرِيتُ ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي » . ثُمَّ أَنْصَرَفَ عَنْهُ^(٣) .

قال ابن عباس : فسألتُ عن قولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا أُرِيتُ » ؟ فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَهْمَنِي شَأْنُهُمَا ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ أَنْفُخَهُمَا ، فَفَنَفَخْتُهُمَا ، فَطَارَا ، فَأَوَّلَتْهُمَا كَذَابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي ، أَحَدُهُمَا الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ [ق ١٩٦] وَالْآخَرُ / مُسْلِمَةُ الْكَذَّابِ »^(٤) .

وفي رواية : « فَأَوَّلَتْهُمَا الْكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا : صَاحِبَ (صَنْعَاءَ) وَصَاحِبَ (الْيَمَامَةِ) »^(٥) .

وفي رواية أخرى : « الْعَنْسِيُّ - أَيِ : الَّذِي قَتَلَهُ فَيْرُوزُ بْنُ (الْيَمَنِ) -

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٤٦٨٦) .

(٢) العقرُ : القتلُ والهلاكُ .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٤١١٥) . ومسلم برقم (٢٢٧٣/٢١) .

(٤) أخرجه البخاري ، برقم (٣٤٢٤) .

(٥) أخرجه مسلم ، برقم (٢٢٧٤) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وَالْآخَرُ مُسَيَّلَمَةُ الْكَذَّابُ - أَي : الَّذِي قَتَلَهُ وَحْشِيٌّ بِنُ حَرْبِ الْحَبَشِيِّ ،
قَاتِلُ حَمْزَةٍ فِي قِتَالِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ لِأَهْلِ الرَّدَّةِ (١) - .

وَكَانَ كُلُّ مَنْ مُسَيَّلَمَةً وَالْأَسْوَدُ أَدْعَى النُّبُوَّةَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَمِنَ الْوُفُودِ : وَفْدُ (نَجْرَانَ) ، وَفِيهِمْ نَزَلَتْ آيَةُ الْمُلَاعَنَةِ ، لَمَّا
حَاجُّوا النَّبِيَّ ﷺ فِي عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ [عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ] ، فَقَالُوا :
إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ ، وَكَانُوا نَصَارَى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا
وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [سورة آل عمران
٦١/٣] .

فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَفَاطِمَةَ تَمْشِي خَلْفَهُ وَعَلَيٌّْ
يَمْشِي خَلْفَهَا ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ قَالَ حَبْرَانِ مِنْهُمَا - السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ -
لَأَصْحَابِيهِمَا : لَا تَفْعَلُوا ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ لَاعْتَمْتُمْ هَذِهِ الْوُجُوهُ لَا تُفْلِحُوا أَبَدًا .
ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى الْجَزِيَّةِ ، وَبَعَثَ مَعَهُمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ .

وَفِي « صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ » ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : جَاءَ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ صَاحِبَا (نَجْرَانَ) إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : لَا تَفْعَلْ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ
نَبِيًّا فَلَا عَنَّا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا ، ثُمَّ قَالَا : إِنَّا نُعْطِيكَ
مَا سَأَلْتَنَا ، وَأَبْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا ، وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا ، فَقَالَ :
« لَا بُعْثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ » ، فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ » ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ : « هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ » (٢) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤١١٨) . عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤١١٩) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٥٥/٢٤٢٠) .

فَائِدَاتُهَا

الحُجَّةُ عَلَى النَّصَارَى
فِي شُبُهَتِهِمْ بِوَلَادَةِ
عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ

الأولى : وَجْهُ الحُجَّةِ عَلَى النَّصَارَى ، بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ [سورة آل عمران ٥٩/٣] : إِنَّ شُبُهَتَهُمْ فِيهِ كَوْنُهُ خُلِقَ مِنْ أُمِّ بَلَا أَبٍ ، فَاحْتَجَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ آدَمَ خُلِقَ مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَلَا أَبٍ ، وَلَيْسَ بِأَبْنِ اللَّهِ اتِّفَاقًا .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : والقِسْمَةُ تَقْتَضِي أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ :

[ق ١٩٧] قِسْمٌ خَلَقَهُ اللَّهُ / مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَلَا أَبٍ ، وَهُوَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَقِسْمٌ بَعْكِسِهِ ، وَهُوَ سَائِرُ ذُرِّيَّتِهِ .

وَقِسْمٌ مِنْ أَبٍ بَلَا أُمٍّ ، وَهِيَ حَوَاءُ .

وَبَقِيَ الْقِسْمُ الرَّابِعُ ، فَأَبْرَزَهُ اللَّهُ فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الثانية : قَالَ الْعُلَمَاءُ : إِذَا شَهِدَ الرَّسُولُ ﷺ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ بِفَضِيلَةٍ عَلَيْهِمْ وَجَبَ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُمْ فِي تِلْكَ الْفَضِيلَةِ ، فَيَجِبُ أَنْ نَقْطَعَ بِأَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ أَفْضَلُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَوِ غَيْرِهِمَا فِي فَضِيلَةِ الْأَمَانَةِ .

فِي شَهَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ
بِتَفْضِيلِ صَحَابَتِهِ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ

وَأَنَّ أَبَا ذَرٍّ حَيْثُ قَالَ فِيهِ : « أَصْدَقُكُمْ لَهْجَةً أَبُو ذَرٍّ » ^(١) فَصَارَ أَفْضَلَ مِنْهُمْ جَمِيعًا فِي تَحْرِيِ الصَّدَقِ .

وَأَنَّ عَلِيًّا أَفْضَاهُمْ ، حَيْثُ قَالَ : « أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ » ^(٢) .

وَأَنَّ مُعَاذًا أَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ حَيْثُ وَصَفَهُ بِذَلِكَ ^(٣) .

وَأَنَّ زَيْدًا أَفْرَضُهُمْ حَيْثُ وَصَفَهُ أَيْضًا بِذَلِكَ ^(٤) .

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو نَاجِيهِ ، بِرَقْم (١٥٦) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أَوْرَدَهُ أَبُو حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» ، ج ١٠ / ٥٩٠ . تَعْلِيْقًا .

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٣٨٧٩) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ .

وَالْأَفْضَلُ الْمُطْلَقُ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ السُّنَّةِ مَنْ جَمَعَ خِصَالَ الْفَضْلِ
كَأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حَيْثُ أَشَارَ إِلَيْهِ ﷺ بِقَوْلِهِ : « مَنْ أَصْبَحَ
مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِماً ؟ » ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ، فَقَالَ : « مَنْ عَادَ مِنْكُمْ
الْيَوْمَ مَرِيضاً ؟ » ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ، فَقَالَ : « مَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ
جَنَازَةً ؟ » ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا . الْحَدِيثُ (١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
أَجْمَعِينَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَمِنَ الْوُفُودِ : وَفَدُ أَهْلُ (الْيَمَنِ) ، فَبَشَّرَهُمُ ﷺ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ خيراً ، وَفَدُ أَهْلُ الْيَمَنِ
وَبَعَثَ مَعَهُمْ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَأَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَفِي « الصَّحِيحِينَ » ، جَاءَتْ بَنُو تَمِيمٍ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ : « أَبْشِرُوا يَا بَنِي تَمِيمٍ » ، فَقَالُوا : بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا ، فَتَغَيَّرَ
وَجْهُهُ ﷺ ، فَجَاءَ نَاسٌ مِنَ (الْيَمَنِ) ، فَقَالَ : « أَقْبِلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ
(الْيَمَنِ) ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ » ، فَقَالُوا : قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ
اللَّهِ (٢) .

فَقَالَ : « الْإِيمَانُ هَا هُنَا » ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى (الْيَمَنِ) (٣) .

وَفِي رَوَايَةٍ لَهُمَا - [أَي : الصَّحِيحِينَ] : « أَتَاكُمْ أَهْلُ (الْيَمَنِ) ،
هُمْ أَرْقُ أَفْئِدَةً ، وَأَلْيَنُ قُلُوباً . الْإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ ،
وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ » (٤) .

-
- (١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٠٢٨/٨٧) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وَزَادَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا أَجْتَمَعَنَ فِي أَمْرٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ » .
(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤١٢٥) . عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤١٢٦) . عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤١٢٧ - ٤١٢٩) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٨٢/٥٢) .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وفيهما - [أي : الصَّحِيحِينَ] : « أَنَّهُ ﷺ بَعَثَ أَبَا مُوسَى
الْأَشْعَرِيَّ ، وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى (الْيَمَنِ) ، وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
عَلَى مِخْلَافٍ ، قَالَ : « وَ (الْيَمَنُ) مِخْلَافَانِ » ، ثُمَّ قَالَ : « يَسْرَا
وَلَا تُعَسِّرَا ، وَبَشِّرَا وَلَا تَنْفَرَا » (١) .

[ق ١٩٨] وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ لِمُعَاذٍ : « إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ / كِتَابٍ ، فَإِذَا
جِئْتَهُمْ فَأَدْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ
اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ
خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ
فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ ، تُؤْخَذُ مِنْ
أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ
أَمْوَالِهِمْ (٢) ، وَآتَقِ دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ
حِجَابٌ » (٣) .

وَمِمَّا جَاءَ فِي فَضْلِ أَهْلِ (الْيَمَنِ) ، أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ
النَّاسَ : مَنْ أَجْوَدُ الْعَرَبِ ؟ ، قَالُوا : حَاتِمٌ ، قَالَ : فَمَنْ فَارِسُهَا ؟ ،
قَالُوا : عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ ، قَالَ : فَمَنْ شَاعِرُهَا ؟ ، قَالُوا : أَمْرُؤُ
الْقَيْسِ ، قَالَ : فَأَيُّ سَيْوِفِهَا أَقْطَعُ ؟ ، قَالُوا : الصَّمْصَامَةُ ، قَالَ :
كَفَى بِهَذَا فَضْلُ (الْيَمَنِ) .

وَأَنَّ أَبْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لِأَهْلِ (الْيَمَنِ) ؛ مِنَ السَّمَاءِ
نَجْمُهَا - أَي : سَهِيلٌ - وَمِنْ (الْكَعْبَةِ) رُكْنُهَا .

-
- (١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٠٨٦) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٧٣٣/٧) . عَنْ
أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَالْفَقْهُ يَمَانٍ مِنْ رَوَايَةِ مُسْلِمٍ .
(٢) كَرَائِمُ أَمْوَالِهِمْ : أَعَزُّ وَأَفْضَلُ أَمْوَالِهِمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ .
(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٠٩٠) . عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَقَدِمَ أَيْضاً عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى
 - بِالضَّمِّ - الْمُزَنِيُّ فَأَسْلَمَ ، وَأَعْتَذَرَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِمَّا سَبَقَ مِنْهُ ،
 وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَهْدَرَ دَمَهُ لَتَعْرِيزِهِ بِذِمَّتِهِ وَذِمَّ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ ، فِي شِعْرٍ لَهُ .

وَأَنْشَدَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ وَافَاهُ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ : (بِأَنْتَ سَعَادُ
 فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَثْبُوتٌ) ، وَمِنْهَا ، [مِنْ الْبَسِيطِ] (١) :

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
 وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
 مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً أَلْ
 قُرْآنَ فِيهِ مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ
 لَا تَأْخُذَنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَكَمْ
 أَذْنِبُ وَلَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الْأَقَاوِيلُ
 فَعَفَا عَنْهُ ، وَكَسَاهُ بَرْدَتُهُ . فَأَشْتَرَاهَا مِنْهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فِي
 أَيَّامِ خِلَافَتِهِ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَوْصَى أَنْ يَكْفَنَ فِيهَا .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - وَهِيَ التَّاسِعَةُ - فِي رَجَبٍ مِنْهَا : غَزَا النَّبِيُّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ
 غَزْوَةَ (تَبُوكَ) . وَهِيَ آخِرُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا النَّبِيُّ ﷺ وَسَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى
 سَاعَةَ الْعُسْرَةِ ، لَوُقُوعِهَا فِي شِدَّةٍ / الْحَرِّ . [١٩٩ق]

وَذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا لَمْ يَبْقَ لَهُ عَدُوٌّ مِنَ الْعَرَبِ ، أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالتَّهَيُّؤِ
 لَغَزْوِ الرُّومِ إِلَى (الشَّامِ) ، وَحَثَّ الْمَوَسِرِينَ مِنْهُمْ عَلَى إِعَانَةِ الْمُعَسَّرِينَ ،
 فَأَنْفَقَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ ذَهَباً ، وَحَمَلَ عَلَى
 تِسْعِ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ بَعِيراً ، وَخَمْسِينَ فَرَساً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَذَلِكَ أَلْفٌ ،

(١) ابن هشام ، ج ٣ / ٥٠٣ .

وبذلك سُمِّيَ اللهُ عنه مجهَّزَ جيشِ العُسرةِ ، حتَّى قالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْ عُثْمَانَ ، فَإِنِّي عَنْهُ رَاضٍ » (١) .
وقالَ : « ما ضَرَّ عُثْمَانَ ما عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ » (٢) .

وفي « صحيحي البخاريِّ ومُسلم » ، أَنَّ عُثْمَانَ رضيَ اللهُ عنه حينَ حوَصَرَ أَشْرَفَ عليهم ، وقالَ : أَنشدُكُمْ باللهِ ولا أَنشدُ إِلَّا أَصْحَابَ رَسولِ اللهِ ﷺ ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : « مَنْ جَهَّزَ جيشَ العُسرةِ فَلَهُ الجنةُ » ، فَجَهَّزْتُهُمْ ؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « مَنْ حَفَرَ بِئرَ رُومَةٍ فَلَهُ الجنةُ » ، فَحَفَرْتُهَا ؟ فَصَدَّقُوهُ فيما قالَ (٣) .

وأَوْعَبَ المُسلمونَ (٤) معَ رَسولِ اللهِ ﷺ حتَّى بلغوا سَبْعِينَ ألفاً ، ولم يَتَخَلَّفَ عنها إِلَّا مُنافِقٌ أو مَعذورٌ ، سِوَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ، الآتِي ذَكَرَهُمْ ، وَسِوَى عَلِيٍّ رضيَ اللهُ عنه .

ففي « الصَّحَّاحِينَ » ، أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلى (تَبوكَ) وَأَسْتَخْلَفَ عَلِيًّا رضيَ اللهُ عنه عَلَى (المَدِينَةِ) ، فقالَ : أَتَخَلِّفُنِي فِي الصَّبِيانِ والنِّسَاءِ ؟ ، فقالَ : « أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ؟ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ؟ » (٥) .

وفيهِما - [أَي : الصَّحَّاحِينَ] - أَنَّهُ ﷺ قالَ بـ (تَبوكَ) : « إِنَّ

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٤٩٧) . عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضيَ اللهُ عنه ، بِنَحْوِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٣٧٠١) . عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رضيَ اللهُ عنه .

(٣) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٦٢٦) .

(٤) أَوْعَبَ المُسلمونَ : خَرَجُوا كُلُّهُمْ إِلى الْغَزْوِ .

(٥) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤١٥٤) . وَمُسلم بِرَقْم (٣١/٢٤٠٤) . عَنْ

سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رضيَ اللهُ عنه .

بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ ، مَا قَطَعْنَا وادياً وَلَا شِعْباً إِلَّا وَهُمْ
مَعْنَاهُ (١) .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ أَيْضاً فِي الْمُعْذِرِينَ : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى
وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى
الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة ٩/٩١] .

وَأَنْزَلَ فِي الْمُنَافِقِينَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ
يَسْتَنْذِثُونَكَ / وَهُمْ أَغْيَاءٌ رَضُوا بَأَن يُكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ - أَي : [ق ٢٠٠]
النِّسَاء - ﴿ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة التوبة ٩/٩٣] .

وَفِي « الصَّحِيحِينَ » أَيْضاً ، أَنَّ الْأَشْعَرِيَّ أَرْسَلُوا أَبَا مُوسَى
الْأَشْعَرِيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُهُ الْحُمْلَانَ لَهُمْ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ ،
وَهِيَ غَزْوَةُ (تَبُوكَ) ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ » ، أَي :
لَا أَجِدُ شَيْئاً أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ - كَمَا فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى - فَرَجَعُوا
يَبْكُونَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ
قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا
أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ [سورة التوبة ٩/٩٢] . ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاعَ سِتَّةَ
أَبْعَرَةٍ فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَى أَبِي مُوسَى ، فَقَالَ : « خُذْهَا فَأَنْطَلِقْ بِهَا إِلَى
أَصْحَابِكَ » . وَمَضَى ﷺ بِسَبِيلِهِ (٢) .

وَفِي « الصَّحِيحِينَ » ، أَنَّهُ ﷺ لَمَّا مَرَّ بِالْحِجْرِ - دِيَارِ ثَمُودَ - قَالَ
لَأَصْحَابِهِ : « لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، أَن يُصِيبَكُمْ
مَا أَصَابَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ » ، ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ - أَي : غَطَّاهُ -

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٦٨٤) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤١٥٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٨/١٦٤٩) . عَنْ أَبِي
مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَأَسْرَعَ السَّيْرِ حَتَّى أَجَازَ الْوَادِي (١) .

وَلَمَّا أَتَتْهُي ﷺ إِلَى (تَبُوكَ) ، وَهِيَ أَدْنَى بِلَادِ الرُّومِ ، أَقَامَ بِهَا
بُضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ . وَصَالَحَ جُمْلَةً مِنْ أَهْلِ النَّاحِيَةِ عَلَى الْعِزْيَةِ ، ثُمَّ
رَجَعَ إِلَى (الْمَدِينَةِ) ، وَلَمْ يَلْقَ عَدُوًّا .

مُصَالِحَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَهْلَ
أَيْلَةٍ وَجُزْيَاءَ وَأَذْرَجَ

فَلَمَّا قَدِمَ (الْمَدِينَةَ) ، جَاءَ الْمُنَافِقُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ عَنْ تَخَلُّفِهِمْ
عَنْهُ ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ مَعْدِرَتَهُمْ ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ
إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾
الآيَاتِ ، إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة التَّوْبَةِ ٩/٩٤ - ٩٦] .

أَعْتَذَرُوا الْمُنَافِقِينَ عَنْ
تَخَلُّفِهِمْ

وَنَزَلَتْ فِيهِمْ سُورَةُ بَرَاءَةِ ، وَسَمَّاها أَبُو عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
الْفَاضِحَةَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى - وَقَالَ : لَمْ يَزَلْ يَنْزِلُ فِيهِمْ :
﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَمْ تَبْقَ
أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذَكَرَتْهُ .

أَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِفُوا ، وَهُمْ : كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ الْخَزَرَجِيُّ ،
وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْأَوْسِيِّ ، وَمُرَارَةَ / بْنُ الرَّبِيعِ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَخَلَّفُوا
لِنِفَاقٍ وَلَا لِعُذْرٍ ، بَلْ كَسَلًا مَعَ اسْتِطَاعَتِهِمْ ، كَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ
كَسَلًا ، فَاسْتَحَقُّوا الْعِقَابَ ، فَعُوقِبُوا ، ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

أَمْرُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ،
وَهِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ ،
وَمُرَارَةَ بْنِ الرَّبِيعِ

وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِمْ مَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي « صَحِيحَيْهِمَا » ،
عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمْ أَتَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ (تَبُوكَ) ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَشْهَدْ (بَدْرًا) ، وَلَمْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤١٥٧) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٣٩/٢٩٨٠) . عَنْ
أَبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

يُعَاتِبِ [اللهُ] أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا ، وَلَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا ، فَقُلْتُ : أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ يَوْمٍ أَوْ بِيَوْمَيْنِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَبَاطَأُ بِي الْأَمْرُ حَتَّى تَبَاعَدَ الْغَزْوُ ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ أَحْزَنُنِي أَنِّي لَا أَجِدُ إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ بِالنِّفَاقِ - أَيِ : مَعِيرًا بِهِ - أَوْ رَجُلًا مَمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعْفَاءِ ، فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَقَلَ رَاجِعًا طَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ : بِمَاذَا أَخْرَجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا ؟ ثُمَّ زَاحَ عَنِّي الْكَذِبُ ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَا أَخْرُجُ عَنْهُ بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ .

فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (الْمَدِينَةَ) جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ عِلَانِيَتَهُمْ ، وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَجِئْتُهُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَتَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ، ثُمَّ قَالَ : « مَا خَلَّفَكَ ؟ » ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بَعْدَ ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا^(١) ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَوْنُ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي ، لِيُوشِكَنَّ أَنْ يُسَخِطَكَ اللَّهُ عَلَيَّ ، وَلَوْنُ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ ، لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُدْرٍ ، فَقَالَ ﷺ : « أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ » ، فَقُمْتُ ، فَلَامَنِي رَجُلًا مِنْ بَنِي سَلِمْةَ - أَيِ : بِكسر اللام - أَنْ لَا أَكُونَ أَعْتَذَرْتُ كَمَا أَعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ ، فَقُلْتُ : هَلْ لَقِيَّ مَعِيَ هَذَا أَحَدٌ ؟ ، قَالُوا : نَعَمْ ؛ مُرَارَةً / بَنُ الرَّبِيعِ [ق٢٠٢] الْعَمْرِيُّ ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحِينَ ،

(١) مُقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ .

قد شهدا (بذراً) فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكر وهما لي ، ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة خاصة^(١) ، فأجبتنا الناس ، وتغيروا لنا ، حتى تنكرت الأرض ، فما هي بالأرض التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة .

فلما صليت صلاة الفجر ، وأنا على الحال التي ذكرها الله تعالى^(٢) ، وقد ضاقت علي الأرض بما رحبت ، وضائق نفسي ، سمعت وأنا جالس على ظهر بيتي صارخاً ، أوفى على (سَلْع)^(٣) ، يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، فخررت لله ساجداً ، وقد آذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا ، فذهبوا يُبشروننا ، فلما جاءني الذي سمعت صوته نزعْتُ له ثوبي ، فكسوته إياهما ببُشراه . ووالله ما أملك غيرهما يومئذ ، وأستعرت ثوبين فلبستُهما ، وأنطلقت إلى رسول الله ﷺ ، فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً ، فلما دخلت المسجد وسلمت على النبي ﷺ قال لي - ووجهه يَبْرِقُ مِنَ الشُّرُورِ - : « أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ » .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

(١) المعنى : نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا نحن الثلاثة مخصوصين من بين الناس .

(٢) وهي قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ [سورة التوبة ٩/ ١١٨] .

(٣) سَلْع : جبل معروف في المدينة

الرَّحِيمُ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿سورة

التوبة ١١٧/٩ - ١١٩ .

فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط ، بعد أن هداني للإسلام ،
أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ ، وأن لا أكون كذبتُهُ فأهلك
كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّاً
ما قال لأحد ، فقال : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا/ أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ [ق٢٠٣]
لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴾ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا
يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿سورة التوبة ٩٥/٩ - ٩٦﴾ (١) .

فَاتَعَلَّاهُ

في قبول الله تعالى
توبة كعب بن مالك
رضي الله عنه

في قوله ﷺ لكعب : « أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ » دليل واضح
أن توبة الله على عبده لا يتطرق إليها نقص ، إذ كعب أسلم وباع
بـ (العقبة) وشهد غير (بذر وتبوك) من المشاهد ، وكل هذه أيام
شريفة ، لكن عاقبتها غير مأمونة ، وبذلك يُعلم أن ثناء الله على من
أثنى عليه من عباده لا يتحوّل ذمّاً ، كثنائه على أصحاب نبيه صلى
الله عليه وسلم ورضي عنهم . وسيأتي تقرير ذلك في فصلٍ معقود
لفضليهم .

وفيها - [أي : السنة التاسعة] - في رجب : نعى لهم النبي ﷺ وفاة النجاشي
النجاشي ، وصلى عليه في المصلّى جماعة .

وفي « الصحيحين » ، أنه ﷺ نعى لهم النجاشي صاحب

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٤١٥٦) .

(الْحَبْشَةَ) فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، وَقَالَ : « اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ »^(١) .
وَصَفَّ بِهِمْ فِي الْمُصَلَّى ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَكَبَّرَ أَرْبَعًا .

حجُّ أبي بكر رضي الله عنه
وفي خاتمة هذه السنة - [أي : السنة التاسعة] - : حجَّ أبو بكر رضي الله عنه بالناس ، وكان النبي ﷺ همَّ أَنْ يَحُجَّ ، فذَكَرَ مَا أَعْتَادَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْجَهَالَاتِ فِي حَجِّهِمْ ، مَعَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْمُعَاهَدَةِ ، فَثَنَاهُ ذَلِكَ عَنِ الْحَجِّ ، وَأَمَرَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى الْحَجِّ ، وَبَعَثَ مَعَهُ بِصَدْرِ سُورَةِ بَرَاءَةٍ .

وَرَوَى « الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ » ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ بَعَثَهُ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي أَمَرَهُ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِي رَهْطٍ يُؤَدُّنَ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ : أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ .

قَالَ : فَنَبَذَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْعَامِ عُهودَهُمْ ، فَلَمْ يَحُجَّ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ الَّذِي حَجَّ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مُشْرِكٌ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْعَامِ الَّذِي حَجَّ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
[ق ٢٠٤] ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا / إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ [سورة التوبة ٩/ ٢٨] .

بَغَتْ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيَّأ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصَدْرِ
بَرَاءَةٍ
قَالَ : ثُمَّ أَرْدَفَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّنَ بَرَاءَةً .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَأَذَّنَ مَعَنَا بِبَرَاءَةٍ فِي أَهْلِ (مِنَى) ^(٢) .

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ أَمِيرًا ، ثُمَّ بَعَثَ بَعْدَهُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٢٦٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٩٥١/ ٦٣) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٣٧٨) .

عليّاً ، وأمره أن يتولّى نبذ العهود ، بأن يقرأ على الناس صدر سورة براءة ، لئلا يبقى للمشركين عُذرٌ ، إذ كان من عادتهم ألا يتولّى نبذ العقود إلا من تولّى عقدها ، وهو صاحبها ، أو رجلٌ من أهل بيته^(١) .

قال ابن إسحاق : فلما أدرك عليّ أبا بكرٍ ، قال له أبو بكرٍ : أأميرٌ أم مأمورٌ ؟ فقال : بل مأمورٌ ؟ ، ثم مضيا ، فكان عليّ يُنادي بـ (منى) : أن من كان له أجلٌ فله أربعة أشهرٍ ، ثم لا عهد له - أي : لقوله تعالى :- ﴿ فَمَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ [سورة التوبة ٢/٩] ^(٢) .

(١) قلتُ : قال أبو شعبة - رحمه الله - : وهنا شبهة نرى لزماً أن نعريض لها ، ونبين الحق فيها ، وهي : لم عدل النبي ﷺ عن تبليغ أبي بكرٍ صدر سورة براءة ووكّل ذلك إلى عليّ رضي الله عنهما ؟ والجواب : أن صدر سورة براءة تضمن نقض العهود المطلقة غير المقيدة بوقتٍ ، أو التي مدّتها فوق أربعة أشهرٍ فيما زاد عن أربعة أشهرٍ ، وكان العربُ تعارفوا فيما بينهم في عقد العقود ونقضها ألا يتولّى ذلك إلا سيّد القبيلة ، أو رجلٌ من رھطه ، فأراد الله عزّ وجلّ أن يكون المبلّغ عن النبيّ رجلاً من أهله ، حتّى يقطع ألسنة العرب بالاحتجاج على أمرٍ هو من تقاليدهم ، ولا سيّما أنّه ليس فيه منافاة للإسلام ، فلذلك تدارك النبيّ ﷺ الأمر . أخرج الترمذيّ وأحمد من حديث أنسٍ رضي الله عنه قال : بعث النبيّ ﷺ ببراءة مع أبي بكرٍ ، ثمّ دعا عليّاً فأعطاه إيّاها ، وقال : « لا ينبغي لأحد أن يبلّغ هذا إلا رجلاً من أهل بيتي » - كما ذكر أعلاه - أن جبريل عليه السلام هو الذي قال للنبيّ ﷺ : (إنّه لن يؤدّبها عنك إلا أنت أو رجلٌ منك) . فهذا هو السبب . لا ما زعمته الرافضة من أن ذلك للإشارة إلى أنّ عليّاً أحقّ بالخلافة من أبي بكرٍ رضي الله عنهما ، ولا أدري كيف غفلوا أو تغافلوا عن قول الصّدّيق رضي الله عنه له : أأميرٌ أم مأمورٌ ؟ فقال : بل مأمورٌ . وكيف يكون المأمور أحقّ بالخلافة من الأمير ؟ !! (أنظر السيرة النبويّة ، ج ٢ / ٥٣٩ - ٥٤٠) .

(٢) ابن هشام ، ج ٤ / ٥٤٣ - ٥٤٦ .

وروى الطبراني أن جبريل أتاه فقال له : (إِنَّهُ لَنْ يُؤَدِّيَهَا - أي : البراءة - إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ) (١) .

حَجَّةُ الْوَدَاعِ

وفي السَّنةِ العاشِرةِ : حَجَّ النَّبِيُّ ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ ، وَسمَّيت حَجَّةُ الْوَدَاعِ لَأَنَّهُ ﷺ ودَّعَ النَّاسَ فِيهَا . وَقَالَ : « خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجَّ بَعْدَ عَامِي هَذَا » (٢) .

وحجَّ ﷺ بأزواجهِ كُلِّهنَّ رضيَ اللهُ عَنْهُنَّ ، وبخُلُقٍ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رضيَ اللهُ عَنْهُمْ . فحضرها مِنَ الصَّحَابَةِ أربَعُونَ أَلْفًا ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَ بِهِ ﷺ ، فَعَلَّمَهُمُ الْمَنَاسِكَ ، وَأَبْطَلَ شَعَائِرَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَالَ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ : « أَلَا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ : كِتَابُ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ » قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَشْهَدُ » ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

[ق ٢٠٥] وَنَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ / عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [سورة المائدة ٣/٥] (٣) .

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي « مَسْنَدِهِ » ، بِرَقْم (١٢٩٩) . عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٢٩٧) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا .

(٣) قُلْتُ : وَهَذَا خَطَأٌ مَشْهُورٌ ؛ وَهُوَ مَا يَزْعُمُهُ الْبَعْضُ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَالْحَقُّ أَنَّ آخِرَ آيَةٍ نَزَلَتْ ، هِيَ : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة ٢٨١/٢] . وَالْمَرَادُ بِإِكْمَالِ الدِّينِ : إِمَامَ حُجَّتِهِمْ عَلَى حَسَبِ مَا شَرَعَ اللَّهُ ، وَإِذْلالَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ ، بِحَيْثُ لَمْ يَشَارِكْهُمْ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَهُوَ تَمَامُ النِّعْمَةِ عَلَيْهِمْ . وَإِمَامَ إِكْمَالِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ .

وكان نزولها يوم عرفة ، بعد العصر ، وهو ﷺ واقفٌ
بـ (عرفات) ، وذلك يوم الجمعة .

ولما سمعها عمرُ رضي الله عنه بكى ، فقال له النبي ﷺ :
« ما يُبْكِيكَ ؟ » ، قال : إِنَّهُ لَمْ يَكْمُلْ شَيْءٌ إِلَّا نَقَصَ . قال : « صَدَقْتَ »^(١) .

فعاش بعدها ﷺ نحو ثلاثة أشهر ، ولم ينزل بعدها حلالٌ
ولا حرامٌ ولا غيرُهُما مِنَ الأحكام .

وفي « صحيحي البخاري ومسلم » ، عن ابن عمر رضي الله
عنهما قال : كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحِجَّةِ الْوَدَاعِ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ،
فَلَا نَدْرِي مَا حِجَّةُ الْوَدَاعِ ؟ ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسِيحَ
الدَّجَالَ ، فَأُطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ ، وَقَالَ « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا وَقَدْ أُنْذِرَ
أُمَّتَهُ ، أُنْذِرُهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ فَمَا خَفِيَ
عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ
الْعَيْنِ الْيُمْنَى ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنْبَةٌ طَافِيَةٌ^(٢) » ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ
دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، فِي
شَهْرِكُمْ هَذَا ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ » ، قالوا : نعم ، قال : « اللَّهُمَّ أَشْهَدُ
- ثَلَاثًا - وَبِلَاكُم ، أَوْ وَيَحْكُم ، أَنْظَرُوا ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ،
يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ »^(٣) .

وفيهما - [أي : الصَّحِيحَيْنِ] - أَنَّ أَنَسًا مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا : لَوْ
نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : آيَةُ آيَةٍ هِيَ ؟ ، فَقَالُوا : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : زيادة الإيمان ونقصانه ، تعليقاً .

(٢) طافية : بارزة عن سطح وجهه .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٤١٤١) .

وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿١﴾ ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَاللَّهِ ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ مَكَانٍ أُنْزِلَتْ ، أُنْزِلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاقِفٌ بـ (عرفة) (١) .

ثُمَّ قَفَلَ ﷺ إِلَى (الْمَدِينَةِ) ، فَأَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ ذِي الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمَ وَصَفَرَ .

ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ إِلَى (الشَّامِ) ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُوطِئَ الْخَيْلَ تُخُومَ (الْبَلْقَاءِ) ، وَأَنْ يَحْرِقَ الْقَرْيَةَ الَّتِي عِنْدَ (مُوتَةَ) ، حَيْثُ قُتِلَ أَبُوهُ زَيْدٌ ، [ق٢٠٦] وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يُذَرِكَ ثَأْرَهُ / مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

سَرِيَّةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

فَطَعَنَ نَاسٌ فِي إِمَارَتِهِ لِحِدَاثَةِ سِنِّهِ ، وَلِكُونِهِ مَوْلًى ، وَقَالُوا : أَمَرَ غُلَامًا عَلَى جِلَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ (٢) ؟ .

وَأَبْتَدَأَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَرَضُ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ ، خَرَجَ فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْجِهَازِ ، وَبَطَاعَةَ مَنْ أَمَرَهُ عَلَيْهِمْ .

وَفِي « صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ » ، عَنْ أَبِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « إِنْ تَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطَعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَائِمْ اللَّهَ ، إِنْ كَانَ لَخَلِيفًا لِلإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ ، وَإِنْ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ بَعْدَهُ » (٣) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤١٤٥) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٣/٣٠١٧) .

(٢) قُلْتُ : ذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو جَرَرٍ فِي « الْفَتْحِ » ، ج ٨/١٥٢ : أَنَّ مِنْ بَيْنِ الْقَائِلِينَ فِي إِمْرَةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ : عِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِبْعَةَ الْمَخْزُومِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَرَدَّ عَلَيْهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ فَخُطِبَ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٥٢٤) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٦٣/٢٤٢٦) . قُلْتُ : =

فَأَخَذَ النَّاسُ فِي جَهَازِهِمْ ، فَثَقُلَ ﷺ ، فَأَقَامُوا يَنْتَظِرُونَ مَا اللَّهُ قَاضٍ فِي رَسُولِهِ .

وَكَانَ وَجَعُهُ ﷺ بِالْخَاصِرَةِ وَالصُّدَاعِ وَالْحُمَّى ، وَكَانَ يُوعَكُ مَرَضُ النَّبِيِّ ﷺ وَعَكًا شَدِيدًا ، وَكَانَ يُدَارُ بِهِ عَلَى نِسَائِهِ ، ثُمَّ أَسْتَأْذَنَهُنَّ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ ، فَأُذِنَ لَهُ .

فَلَمَّا عَجَزَ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى الصَّلَاةِ ، أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، فَصَلَّى بِهِمْ .

وفي « صحيح البخاري ومسلم » ، عن ابن مسعود رضي الله ^{أشداده مرض النبي ﷺ} عنه قال : دخلتُ على النَّبِيِّ ﷺ في مرضِهِ ، وَهُوَ يُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا ، فَمَسَسْتُهِ بِيَدِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا ، قَالَ : « أَجَلٌ ، إِنِّي لَأُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ » ، قُلْتُ : ذَلِكَ ، بَأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ ؟ قَالَ : « أَجَلٌ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى ، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ، إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ ، كَمَا تَحَاتُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا » (١) .

= وقد كَانَ تَأْمِيرُ أُسَامَةَ لِحَكْمَةِ بِالْغَةِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ ، إِذْ فِيهِ حُثٌّ عَلَى التَّضَحِّيَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالْحَرَصِ عَلَى الْاِقْتِصَاصِ مِنْ قَاتِلِي أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، كَمَا كَانَ فِيهِ قَضَاءٌ عَلَى الْعَنْجَبَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَالتَّقَاخُرِ بِالْأَنْسَابِ وَالْأَحْسَابِ ، وَتَقْرِيرٌ عَمَلِيٌّ لِمَبْدَأِ الْمَسَاوَاةِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَفِيهِ أَيْضًا تَهْيِئَةُ الْفُرْصِ لِلشَّبَابِ الصَّالِحِ ، وَإِثَارَةُ عَزَائِمِهِمْ وَهَمَمِهِمْ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ ، وَتَعْوِيدُهُمُ الْاضْطِلَاعَ بِالنَّبَاتِ الْجِسَامِ ، وَالْمَهَامِ الْعِظَامِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٣٢٤) . حَاتَتْ : تَسَاقَطَتْ .

أمر النبي ﷺ أبا بكر
رضي الله عنه أن يصلي
بالناس

وفيهما - [أي : الصحيحين] - عن عائشة رضي الله عنها
قالت : ثقل النبي ﷺ فقال : « ضعوا لي ماء في المِخضِبِ ^(١) » ،
ففعلنا ، فأغتسل ، فأغمي عليه ، ثم أفاق ، والناسُ عُكوفٌ في
المسجدِ بصلاةِ العِشاءِ الآخِرةِ ، فقال : « أصَلِّي الناسُ ؟ » ، قلنا :
[ق٢٠٧] لا ، هُم ينتظرونك ، فقال : « مروا أبا بكرٍ فليُصلِّ / بالناسِ » ^(٢) .

قالت : فراجعتُ رسولَ الله ﷺ في ذلك ، وما حمَلَنِي على
كثرةِ مُراجعتِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ في قلبي : أَن يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلًا قَامَ
مَقَامَهُ أَبَدًا ، ولا كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ أَحَدٌ إِلَّا تَشَاءَمَ النَّاسُ
بِهِ ، فَأَرَدْتُ أَن يَعدِلَ ذَلِكَ رسولُ الله ﷺ عن أبي بكرٍ ^(٣) .

فأرسلَ [النبي ﷺ] إلى أبي بكرٍ بِأَن يُصَلِّيَ بالناسِ ، فقال
أبو بكرٍ - وكان رجلاً رقيقاً- : يا عُمَرُ صلِّ بالناسِ ، فقال عُمَرُ :
أنتَ أحقُّ بذلك ، وصَلَّى أبو بكرٍ بالناسِ تلكَ الأيامَ .

ثم إنَّ النَّبِيَّ ﷺ - أي : بعدَ أيامَ - وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَةً ، فخرجَ
لصلاةِ الظُّهرِ بينَ رجلينِ ، وأبو بكرٍ يُصَلِّيُ بالناسِ ، فلَمَّا رآهُ أبو بكرٍ
ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ [النبي ﷺ] بِأَن لَا يَتَأَخَّرَ ، وقالَ :
« أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ » ، فأجلساهُ ، فجعلَ أبو بكرٍ يُصَلِّيُ وهو يَأْتُمُّ
بصلاةِ النَّبِيِّ ﷺ ، والناسُ يَأْتُمُونَ بصلاةِ أبي بكرٍ - أي : كالمُبلِّغِ
لَهُمْ ^(٤) - .

(١) المِخضِبُ : وعاءٌ من خشبٍ أو حجرٍ يغسل فيه الثياب .

(٢) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٦٣٣) . ومُسلم برقم (٩٠/٤١٨) .

(٣) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٤١٨٠) . ومُسلم ، برقم (٩٣/٤١٨) .

(٤) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٦٥٥) . ومُسلم برقم (٩٧/٤١٨) .

فَاتِلَةٌ

في أمر النبي ﷺ أبا
بكرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ

وفي «الصَّحِيحِينَ» ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَاجَعَتْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، تَقُولُ لَهُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ ، إِذَا قَرَأَ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ ، فَلَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ ، وَهُوَ يَقُولُ : « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » ، فَأَمَرْتُ حَفْصَةَ فَرَاغَتْهُ أَيْضاً ، فَقَالَ : « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » ، فَإِنْ كُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ (١) .

قَالَ الْعَجَّاءُ : وَجْهُ الْمُشَابَهَةِ : أَنَّ عَائِشَةَ أَضْمَرَتْ مَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِهَا : (وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ) - إِلَى آخِرِهِ - (وَأَظْهَرْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ) - إِلَى آخِرِهِ - فَأَشْبَهَتْ أَمْرَ الْعَزِيزِ ، الَّتِي أَسْتَدْعَتْ النِّسْوَةَ ، وَأَظْهَرْتُ إِكْرَامَهُنَّ بِالضِّيَافَةِ ، وَأَضْمَرْتُ أَنْ يَغْذُرْنَهَا فِي شَغْفِهَا بِحُبِّ يَوْسُفَ إِذَا رَأَيْنَهُ ، كَمَا صَرَّحَتْ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهَا : ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي لَمْتَنِي فِيهِ ﴾ [سورة يوسف ١٢/٣٢] . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

هَمْ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ
لأَصْحَابِهِ كِتَاباً

وفي «الصَّحِيحِينَ» عَنْهَا أَيْضاً ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ : « لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَأَبْنِهِ ، وَأَعْهَدَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ ، أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنِّونَ ، ثُمَّ قُلْتُ : يَا بَنِي اللَّهِ وَيَذْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ » (٢) .

[ق٢٠٨]

خُطِبَتْهُ ﷺ فِي النَّاسِ

وفيهما - [أَيْ : الصَّحِيحِينَ] - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ / رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَأَخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ » ، قَالَ : فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ - فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ ؟ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَأَخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ .-

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٦٤٧) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٩٤/٤١٨) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٣٤٢) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٣٨٧) .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكُ ، إِنَّ مِنْ أَمَنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامَ وَمَوَدَّتُهُ ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ ، إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ » (١) .

وفيهما - [أي : الصحيحين] - أَنَّهُ ﷺ دَعَا ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ ، فِي شَكْوَاهُ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا ، فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ ، ثُمَّ دَعَاها فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَضَحِكَتْ .

نَعِيَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ إِلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَبَشَّرَهُ لَهَا

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَأَلْتُهَا بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَقَالَتْ : أَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ ذَلِكَ فَبَكَيْتُ ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ يَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ (٢) . فَمَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَهُ بَسْتَةَ أَشْهُرٍ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَابَعَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ نَزُولَ الْوَحْيِ حِينَ تَوَفَّاهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ الْوَحْيُ ، ثُمَّ تَوَفَّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ (٣) .

كَثْرَةُ نَزُولِ الْوَحْيِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّنَةِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا

قَالَ الْعَلَاءُ : وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ الْوُفُودِ وَسُؤَالِهِمْ عَنِ الْأَحْكَامِ .
وفيه - [أي : الصحيحين] - عَنْهُ أَيْضًا قَالَ : لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الْكَرْبُ ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ : وَاكَرَبَ أَبَاهُ ، فَقَالَ لَهَا : « لَيْسَ عَلَيَّ أَبْيَكُ كَرَبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ » ، قَالَ : فَلَمَّا دَفَنَاهُ ، قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ : يَا أَنَسُ ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ الثَّرَابَ (٤) .

تَأَثَّرَ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا أَلَمَ بِأَبِيهَا ﷺ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٥٤ - ٣٤٥٤) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٤٢٧) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٤٥٠/٩٧) . عَنْ

عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٦٩٧) .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤١٩٣) .

وفي « الصحيحين » ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول : « إِنَّهُ لَنْ يُقْبَضَ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَيُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » ، فسمِعته في مرضه الَّذي مات فيه يقول ، وقد أَخَذَتْهُ بَحَّةٌ : ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء ٦٩/٤] (١) .

وفي رواية : ثُمَّ شَخَّصَ بَصْرُهُ / إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى » .

فقلتُ : إِذَا لَا يَخْتَارُنَا ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا ، وَهُوَ صَحِيحٌ (٢) .

وفي رواية أَنَّهُ قَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَأَرْحَمْنِي ، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى » (٣) .

وفي « الصحيحين » ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَمَا هُمْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي لَهُمْ ، لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ ، فنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ ، فَتَبَسَّمَ يَضْحَكُ ، فَكَصَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَقَالَ أَنَسٌ : وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلَاتِهِمْ فَرَحًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ : « أَنْ أَتَمُّوا صَلَاتَكُمْ » ، وَدَخَلَ الْحُجْرَةَ ، وَأَرْخَى السِّتْرَ ، وَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ (٤) .

-
- (١) أخرجه البخاري ، برقم (٤١٧٣) . ومُسلم برقم (٢٤٤٤/٨٧) .
 - (٢) أخرجه البخاري ، برقم (٤١٩٤) . عن عائشة رضي الله عنها .
 - (٣) أخرجه البخاري ، برقم (٤١٧٦) . عن عائشة رضي الله عنها .
 - (٤) أخرجه البخاري ، برقم (٤١٨٣) . ومُسلم برقم (٩٨/٤١٩) .

مُعَالَجَةُ النَّبِيِّ ﷺ
سَكَرَاتِ الْمَوْتِ

وفيهما - [أي : الصَّحِيحِينَ] - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ عِنْدَهُ رَكُوعَةٌ فِيهَا مَاءٌ ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِيهَا ، وَيَمْسَحُ بِهَا وَجْهَهُ ، وَيَقُولُ : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ » ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : « فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » ، حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ ﷺ (١) .

فَاتَعَلَّكُ

فِي حُبِّ الرَّسُولِ ﷺ
لِقَاءِ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى

قَالَ الْعِجْلَاءُ : إِنَّمَا لَمْ يَزَلْ يَكْرِّرُهَا لِأَنَّ التَّخْيِيرَ لَمْ يَزَلْ يُعَادُ عَلَيْهِ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تَتَضَمَّنُ حُبَّ لِقَاءِ اللَّهِ ، الَّذِي هُوَ لُبَّابُ التَّوْحِيدِ ، وَسِرُّ الذِّكْرِ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ ، وَمِنْهُ يُسْتَفَادُ أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ فِي نَجَاةِ الْمُحْتَضِرِ أَنْ يَتَلَقَّظَ بِ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ، إِذَا مَاتَ وَقَلْبُهُ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

عُمْرُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ
قُبُضِ

وَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » ، عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَمَكَثَ بِ(مَكَّةَ) ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ ، فَهَاجَرَ إِلَى (الْمَدِينَةِ) عَشَرَ سِنِينَ ، وَمَاتَ وَهُوَ أَبُو ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً (٢) .

دَهْشَةُ الْمُسْلِمِينَ لَوَفَاةِ
النَّبِيِّ ﷺ

وَلَمَّا قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَأَخْتَارَ لَهُ مَا عِنْدَهُ ؛ دَهَشَ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ دَهْشَةً عَظِيمَةً ، وَطَاشَتْ أَحْلَامُهُمْ لِعَظَمِ الْمُصِيبَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَثْبَتُ مِنَ الْعَبَّاسِ وَأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

[ق ٢١٠]

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ / فِي « الشَّمَائِلِ النَّبَوِيَّةِ » ، وَأَبْنُ مَاجَهَ فِي « السُّنَنِ » عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ (الْمَدِينَةَ) أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤١٨٤) . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٦٨٩) .

فيه أَظْلَمَ منها كُلُّ شَيْءٍ (١) .

وفي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ ، أَبُو عَمٍّ رَسُولِ

اللَّهِ ﷺ ، [مِنْ الْوَافِرِ] (٢) :

أَرَقْتُ فَبَاتَ لَيْلِي لَا يَزُولُ وَلَيْلُ أَخِي الْمُصِيبَةِ فِيهِ طُولُ
وَأَسْعَدَنِي الْبُكَاءُ وَذَاكَ فِيمَا أَصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ
لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ عَشِيَّةٌ قِيلَ قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ
وَأَضَحَّتْ أَرْضُنَا مِمَّا عَرَاهَا تَكَادُ بِنَا جَوَانِبُهَا تَمِيلُ
فَقَدْنَا أَلْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فِينَا يَرُوحُ بِهِ وَيَغْدُو جَبْرِئِيلُ
وَذَاكَ أَحَقُّ مَا سَأَلْتُ عَلَيْهِ نَفْسُ النَّاسِ أَوْ كَادَتْ تَسِيلُ
نَبِيٍّ كَانَ يَجْلُو الشَّكَّ عَنَّا بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا يَقُولُ
وَيَهْدِينَا فَمَا نَخْشَى ضَلَالًا عَلَيْنَا وَالرَّسُولُ لَنَا دَلِيلُ
أَفَاطِمُ إِنْ جَزَعْتَ فَذَاكَ عُذْرُ وَإِنْ لَمْ تَجْزَعِي ذَاكَ السَّبِيلُ
فَقَبْرُ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرِ وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ

وروى البخاريُّ في « صحيحه » ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ماتَ وأبو بكرٍ
رضيَ اللهُ عنه ب (العالِيَةِ) ، فقامَ عُمَرُ رضيَ اللهُ عنه يَقُولُ : وَاللَّهِ
ما ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالِ
وَأَرْجُلَهُمْ ، فجاءَ أبو بكرٍ فكشَفَ عَنْ وَجهِ رَسولِ اللهِ ﷺ وقَبَلَهُ ،
وقالَ : يَا أَبَيَّ أَنْتَ وَأُمِّي ، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
لَا يُذِيقُكَ اللهُ مَوْتَيْنِ ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مَتَّهَا .

ثمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا مَنْ كَانَ
يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ ماتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ

(١) أخرجه ابن ماجه ، برقم (١٦٣١) .

(٢) البداية والنهاية ، ج ٥ / ٢١٤ .

لا يموت ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [سورة الزمر ٣٩/٣٠] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران ١٤٤/٣] .

قال : فنشج^(١) الناس بالبكاء حينئذ ، وكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم يتلوها ، قال عمر رضي الله عنه : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت^(٢) ، وعلمت أن النبي ﷺ قد مات^(٣) .

وكانت وفاته ﷺ ضحى يوم الاثنين ، ثاني عشر ربيع الأول ، ودفن يوم الثلاثاء^(٤) .

زمن وفاة النبي ﷺ

وإنما تأخر دفنه لاختلافهم في موته ، حتى أزال الشك عنهم أبو بكر .

دفن النبي ﷺ

- (١) النشيج : صوت معه توجع وبكاء ، كما يردد الصبي بكاءه في صدره .
- (٢) عقرت (بضم العين) : أنهارت قواي وسقطت . وعقرت (بفتح العين) : دهشت وتحيرت .
- (٣) أخرجه البخاري ، برقم (٣٤٦٧ - ٤١٨٧) .
- (٤) قلت : اختلف أهل العلم في اليوم الذي توفي فيه ، بعد اتفاقهم على أنه يوم الاثنين في شهر ربيع الأول ، فذكر الواقدي وجمهور الناس : أنه الثاني عشر . وهذا لا يصح ، وقد جرى فيه على العلماء من الغلط ما علينا بيانه ، لأن حجة الوداع كانت وقفها يوم الجمعة ، فلا يستقيم أن يكون يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول ، سواء أتمت الأشهر كلها أم نقصت ، أو تم بعضها ونقص بعضها . قال الطبراني : يوم الاثنين ليلتين مضتا من شهر ربيع الأول . قال أبو بكر الخوارزمي : أول ليلة منه . وكلاهما ممكن . أما ما اختاره ابن إسحاق والواقدي وأبن سعد هنا فعليه مأخذ . (انظر الجامع في السيرة النبوية ، ج ٤ / ٥٨٢ . والسيرة النبوية ، ج ٢ / ٥٩٤) .

ثُمَّ اُخْتَلَفُوا أَيْضاً أَيْنَ يُدْفَنُ ؟ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : فِي مَسْجِدِهِ .
وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : فِي (البقيع) حَيْثُ دُفِنَ ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ وَأَصْحَابُهُ ،
وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : يُحْمَلُ إِلَى (الْقُدْسِ) عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ . حَتَّى أَزَالَ الشَّكَّ الصَّدِيقُ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا دُفِنَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ » .
أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي « الْمَوْطَأِ » ، وَأَبْنُ مَاجَه فِي « السُّنَنِ » (١) .

ثُمَّ إِنَّ الْأَنْصَارَ أَرَادُوا أَنْ يَتَمَيَّزُوا عَنِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَنْ يَعْقِدُوا
الْخِلَافَةَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، فَأَطْفَأَ اللَّهُ نَارَ الْفِتْنَةِ عَلَى يَدِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بِأَنَّ الْأُيُمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَلِهَذَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : (لَوْلَا أَبُو بَكْرٍ لَهَلَكْتَ هَذِهِ الْأُمَّةُ) .

وَفِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ
عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَطَبَ النَّاسَ فِي خِلَافَتِهِ - فَذَكَرَ
حَدِيثَ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ - فَقَالَ : إِنَّهُ كَانَ مِنْ خَيْرِنَا حِينَ تَوَفَّى اللَّهُ
نَبِيَّهُ ﷺ ، إِلَّا أَنَّ الْأَنْصَارَ خَالَفُونَا ، وَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي
سَاعِدَةَ ، وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ :
إِنْ طَلِقَ بَنُو إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ ،
فَقَالَ قَائِلُهُمْ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَكُتَيْبَةُ الْإِسْلَامِ - أَيِ الَّتِي اجْتَمَعَ إِلَيْهَا
أَحَادُ النَّاسِ - فَمِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَا ذَكَرْتُمْ فَيْكُمْ
مِنْ خَيْرٍ / فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ ، وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ
قُرَيْشٍ ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَباً وَدَاراً ، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ
الرَّجُلَيْنِ ، فَبَايَعُوا أَيْهُمَا شِئْتُمْ ، وَأَخَذَ بِيَدِي وَبِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ

(١) أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي « الْمَوْطَأِ » ، ج ١ / ٢٣١ . وَأَبْنُ مَاجَه بِرَقْم (١٦٢٨) .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . بِنَحْوِهِ .

الجراح ، وهو جالسٌ بيننا ، فلم أكره مما قال غيرها ، كان والله أن أقدم فيضرب عُنقي ، لا يُقرَّبني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، وكثر اللَّغَطُ^(١) ، وأرتفعت الأصوات ، حتى خفت من الاختلاف ، ما وجدنا فيما حَضَرنا من أمر أقوى من مُبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقناهم ولم تكن بيعة أن يُبايعوا رجلاً منهم بعدنا ، فإما أن نُبایعهم على ما لا نرضى ، وإما أن نخالفهم فيقع الفساد ، فقلت لأبي بكر : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ، ثم بايعته الأنصار ، ثم كانت بيعة العامة من الغد^(٢) .

وأما سيدنا علي رضي الله عنه وسائر بني هاشم فكانوا في وقت البيعة مشغولين بغسل رسول الله ﷺ وتكفينه ، فوقع في أنفسهم من استبداد أبي بكر وعمر وسائر المهاجرين والأنصار بالأمر عليهم .
وسبق أنها لم تقع عن رويّة ، إنما بادر إليها عمر خوفاً من الوقوع في الفتنة ، فلم يسأل أبو بكر منهم البيعة لانعقادها ، ولم يُبادروا هم إليها .

ثم إن فاطمة رضي الله عنها سألت أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من (خبر وفدك) ، وصدقات (المدينة) من أموال بني قينقاع والنضير وقريظة ، فأبى عليها أبو بكر ذلك ، وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا نورث ، ما تركناه صدقة » ، ولكني سأعول من كان النبي ﷺ يعوله ، وقال : لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يفعلهُ إلا عملتُ به ، فإنني أخشى إن تركتُ شيئاً من أمره أن أزيغ .

طلب فاطمة رضي الله عنها ميراثها من النبي ﷺ

(١) اللَّغَطُ : الصّوت والضّجيج .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٦٤٤٢) .

فوقعَ في نَفْسِهَا مِنْ ذَلِكَ ، فَهَجَرَتْ أَبَا بَكْرٍ إِلَى أَنْ مَاتَتْ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

فَلَمَّا مَاتَتْ أَرْسَلَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بَعْدَ أَنْ جَمَعَ بَنِي هَاشِمٍ -
إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَأْتِيَهُمْ وَحْدَهُ ، فَأَتَاهُمْ فَأَعْتَذَرَ / إِلَيْهِ عَلِيُّ مِنْ تَخْلُفِهِ ، [ق ٢١٣]
وَقَالَ : إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا فَضْلَكَ ، وَلَمْ نَحْسُدْكَ عَلَى خَيْرٍ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ ،
وَلَكِنَّكَ أَسْتَبَدَدْتَ بِالْأَمْرِ عَلَيْنَا ، فَفَاضَتْ عَيْنَا أَبِي بَكْرٍ ، وَأَعْتَذَرَ
إِلَيْهِمْ بِوُقُوعِ الْبَيْعَةِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ : مَوْعِدُكَ الْعَشِيَّةُ
لِلْبَيْعَةِ ، ثُمَّ رَاحَ بَيْنَ مَعَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَبَايَعُوهُ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، فَسَرَّ بِذَلِكَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، وَقَالُوا لِعَلِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَصَبْتَ ، أَصَبْتَ . رَوَى ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ^(١) .

وَرَوَى أَيْضاً - [أَي : الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ] - أَنَّ عَلِيًّا وَالْعَبَّاسَ سَأَلَا
مِنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَصِييَهُمَا مِنَ الصَّدَقَةِ السَّابِقِ ذَكَرُهَا .
سَأَلَ عَلِيُّ نَصِيبَ فَاطِمَةَ ، وَالْعَبَّاسُ هُوَ عَصْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَبَى
عَلَيْهِمَا .

ثُمَّ سَأَلَاهَا عُمَرَ فَأَبَى عَلَيْهِمَا ، وَأَسْتَشْهَدَ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ
مِنْهُمْ : عُثْمَانُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لَا نُورَثُ »

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٩٩٨) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٧٥٩/٥٢) . عَنْ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : قُلْتُ : اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ ؛ فَبَعْضُهُمْ ذَكَرَ أَنَّ عَلِيًّا
بَايَعَ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَفِي بَعْضِ
الْكَتَبِ مَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ فَاطِمَةَ كَانَتْ مِلْحَةً عَلَى مَبَايَعَةِ عَلِيٍّ . (انْظُرْ
الْإِمَامَةَ وَالسِّيَاسَةَ لِابْنِ قَتِيْبَةٍ) .

وَمَهْمَا يَكُنْ فَمَا صَحَّ مِنْ اخْتِلَافَاتٍ بَيْنَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُحْمَلُ عَلَى
أَحْسَنِ الْمَحَامِلِ ، وَأَحْسَنُ مَا يُقَالُ فِيهِ : إِنَّهُمْ بَشَرٌ .

فشهِدُوا ، وأَعْتَرَفَ بِذَلِكَ أَيْضاً عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِمَا صَدَقَاتِ (المدينة) ، عَلَى أَنْ يَعْمَلَا فِيهَا بِمَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَخَذَاهَا .

ثُمَّ إِنَّ عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَغَلَّبَ عَلَيْهَا ، فَلَمْ يُعْطِ عَمَّةُ الْعَبَّاسِ مِنْهَا شَيْئاً ، فَأَخْتَصَمَا إِلَى عُمَرَ لِيَقْسِمَها بَيْنَهُمَا نِصْفَيْنِ ، فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمَا ، وَكَرِهَ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهَا أَسْمُ الْقِسْمِ لثَلَا تَظُنَّ أَنَّهَا إِرْثٌ ، فَلَمْ يَسْعَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَدَّةَ خِلَافَتِهِ أَنْ يَعْمَلَ فِيهَا إِلَّا بِمَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ^(١) .

وَفِي « الصَّحِيحِينَ » أَيْضاً ، أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ أَرَدْنَ أَنْ يَبْعَثَنَّ عُثْمَانَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَسْأَلُنَّهُ مِيرَاثَهُنَّ ، فَقَالَتْ لَهُنَّ عَائِشَةُ : أَلَيْسَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ ، مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً؟ »^(٢) .

وَتُوفِيَ ﷺ عَنْ تِسْعِ زَوَاجٍ ، وَهُنَّ : عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، وَحَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ / ، وَجُؤَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْمُصْطَلِقِيَّةُ ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ الْأُمَوِيَّةُ ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ الْأَسَدِيَّةُ ، وَسَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ الْعَامِرِيَّةُ ، وَصَفِيَّةُ بِنْتُ حُبَيْبِ بْنِ أَخْطَبِ النَّضْرِيَّةُ الْإِسْرَائِيلِيَّةُ الْهَارُونِيَّةُ ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةُ ، وَأُمُّ سَلَمَةَ هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيَّةُ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ ، وَعَنْ سَائِرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَجْمَعِينَ .

زَوَاجُهُ ﷺ اللَّوَاتِي تُوْفِي عَنْهُنَّ [ق ٢١٤]

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٨٠٩) . عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٨٠٩) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٧٥٨ / ٥١) . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

تذكريك

فيه فصول في وجوب نصب الإمام ، وشروط الإمامة ، وفي الإمام (الطوبى لعذر رسول الله ﷺ)
وفي فضل الخلفاء الأربعة ، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

فَضَائِلُ فِي وَجوبِ نَصْبِ الْإِمَامِ

إِعلم أَنَّ مذهبَ أَهلِ السُّنَّةِ أَنَّ نَصْبَ الْإِمَامِ واجبٌ عَلَى الْأُمَّةِ ،
لِإجماعِ الصَّحابةِ رضيَ اللهُ عَنْهُمْ بعدَ وفاةِ رَسولِ اللهِ ﷺ ، عَلَى
أمتناعِ خُلُوِّ الوقتِ عَن خَلِيفَةٍ لَهُ وإِمَامٍ .

وقد قالَ الصِّدِّيقُ رضيَ اللهُ عَنْهُ في خطبتهِ في (سقيفة بني
سَاعِدَةَ) بَيْنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ : (أَلَا وَإِنَّ مُحَمَّدًا قد ماتَ ، وَأَنَّهُ
لا بُدَّ لِهَذَا الدِّينِ مِنْ إِمَامٍ يَقُومُ بِهِ) . فبادرَ الْكُلُّ إِلَى قَبولِ قولِهِ ، ولم
يَقُلْ أَحَدٌ لا حاجةَ لِي إِلَى ذلِكَ ، بل اتَّفَقُوا عَلَيْهِ ، وأَجتمعوا لَهُ ،
وتركوا لِسِدَّةِ أَهْتِمَامِهِمْ بِهِ أَهَمَّ الْأَشْياءِ عِنْدَهُمْ ؛ وَهُوَ تَجْهِيْزُ رَسولِ
اللهِ ﷺ كما سبقَ ، ثُمَّ لم يزلِ النَّاسُ بَعْدَهُمْ عَلَى ذلِكَ في جَمِيعِ
الْأَمْصارِ وَالْأَعْصارِ .

وأيضاً : فَإِنَّ نَصْبَ الْإِمَامِ يَتَضَمَّنُ دَفْعَ الضَّررِ ، لِأَنَّ النَّاسَ إِذا
كَانَ لَهُمْ رَئِيسٌ قَاهِرٌ أَنتَظَمَتْ مَصالِحُ دِينِهِمْ وَدُنْيائِهِمْ ، لِأَنَّ مَقاصِدَ
الشَّرْعِ الشَّرِيفِ فيما شَرَعَ اللهُ وَرَسولُهُ فِيهِ مِنَ الْأَحْكامِ وَالْحُدُودِ ،
وَإِظهارِ شَعائِرِ الدِّينِ ، إِنما هِيَ مَصالِحُ عائِدَةٌ إِلَى الْخَلْقِ ، إِما عاجِلاً
وَإِما آجِلاً .

ومعلومٌ أَنَّ ذلِكَ لا يَتِمُّ إِلَّا بِإِمَامٍ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ عِنْدَ اخْتِلافِهِمْ ،
وإِلَّا لَأَفْضَى ذلِكَ إِلَى الْهَلَاكِ . وَيَشْهَدُ لذلِكَ ما يثورُ مِنَ الْفِتَنِ عِنْدَ
موتِ الْأَئِمَّةِ ، بَحِثْ يُقَطَّعُ / بِأَنَّها لو تَمادَتْ لَتَعَطَّلَتْ أُمُورُ الْمَعَاشِ [ق ٢١٥]
وَالْمَعَادِ .

وقد سبق أَنَّ الشَّيْطَانَ - لعنَهُ اللهُ - أَطْلَعَ رَأْسَهُ ، ومَدَّ مِطَامِعَهُ ،
 وَأَوْقَدَ نَارَ الشَّتَاتِ ، وَنَصَبَ رَايَةَ الْخِلَافِ بَعْدَ مَوْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ،
 حَتَّى أَطْفَأَهَا اللهُ بِالصِّدِّيقِ ، مع أَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ،
 فما الظَّنُّ بغيرِهِمْ ؟

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
 بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٥١] .

وما أَحْسَنَ قَوْلَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - [مِنْ
 البسيط] :

اللهُ يُدْفَعُ بِالسُّلْطَانِ مُعْضِلَةً عَنْ دِينِنَا وَبِهِ إِصْلَاحُ دُنْيَانَا
 لَوْلَا الْأَيْمَةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْبًا لِأَقْوَانَا

فَصَائِلُ فِي شُرُوطِ الْإِمَامَةِ

وَحُدِّدَ الْإِمَامَةُ أَنَّهَا رِئَاسَةٌ عَامَّةٌ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا لِشَخْصٍ بِشُرُوطٍ ؛ وَهِيَ عَشْرَةٌ :

الْأَوَّلُ : أَنْ يَكُونَ ذَكَرًا ، إِذِ النِّسَاءُ نَاقِصَاتُ عَقْلِ وَدِينٍ ^(١) .

الثَّانِي : أَنْ يَكُونَ بِالْغَا ، لِقُصُورِ عَقْلِ الصَّبِيِّ .

الثَّالِثُ : أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا ، إِذْ لَا يَصْلُحُ الْمَجْنُونُ لِتَصَرُّفَاتِ نَفْسِهِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ ^(٢) .

الرَّابِعُ : أَنْ يَكُونَ حُرًّا ، إِذِ الْعَبْدُ مَشْغُولٌ بِخِدْمَةِ سَيِّدِهِ ، وَلِأَنَّهُ مُسْتَحَقَّرٌ تَسْتَكْفُ الثُّفُوسُ عَنْ الْإِنْقِيَادِ لَهُ ^(٣) .

الخَامِسُ : أَنْ يَكُونَ عَدْلًا ^(٤) ، لِأَنَّ الْفَاسِقَ غَيْرُ مَأْمُونٍ شَرْعًا ،

(١) وَلِقَوْلِهِ ﷺ : « لَنْ يُفْلَحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ أَمْرًا » .

(٢) وَلَا يَكْفِي فِيهِ الْحُدُّ الْأَدْنَى لِلْمَطَالِبَةِ بِالتَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ صَلَاةٍ وَصَوْمٍ وَنَحْوِهِمَا ، بَلْ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ رَجْحَانِ الرَّأْيِ ، بَأَن يَكُونَ صَاحِبَهُ صَحِيحَ التَّمْيِيزِ ، جَيِّدَ الْفِطْنَةِ ، بَعِيدًا عَنِ السَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ ، يَتَوَصَّلُ بِذِكَائِهِ إِلَى إِضْحَاحِ مَا أَشْكَلَ وَفَصَلَ مَا أَعْضَلَ .

(٣) وَلِأَنَّ نَقْصَ الْعَبْدِ عَنْ وِلَايَةِ نَفْسِهِ يَمْنَعُ مِنْ أَنْعِقَادِ وِلَايَتِهِ عَلَى غَيْرِهِ . وَلِأَنَّ الرِّقَّ كَمَا مَنَعَ مِنْ قَبُولِ الشَّهَادَةِ ، كَانَ أَوْلَى أَنْ يَمْنَعَ مِنْ نَفُوزِ الْحُكْمِ وَأَنْعِقَادِ الْوِلَايَةِ .

(٤) وَالْعَدَالَةُ : (أَي : الدِّبَانَةُ وَالْأَخْلَاقُ الْفَاضِلَةُ) ، وَهِيَ مَعْتَبَرَةٌ فِي كُلِّ وِلَايَةٍ ، وَهِيَ : أَنْ يَكُونَ صَادِقَ اللَّهْجَةِ ، ظَاهِرَ الْأَمَانَةِ ، عَفِيفًا عَنِ الْمَحَارِمِ ، مُتَوَقِّيًا الْمَأْنَمَ ، بَعِيدًا مِنَ الرِّيْبِ ، مَأْمُونًا فِي الرِّضَا =

فربّما ضيّع الحقوق ، وصرفَ الأشياءَ في غيرِ مَصَارِفِهَا .

السادسُ : أن يكونَ ذا رأيٍ وبصارةٍ بتدبيرِ الأمورِ ، لأنَّ المُغفَلَ لا يقومُ بأمرِ المُلكِ .

السابعُ : أن يكونَ شجاعاً ، لأنَّ الجبانَ لا قوَّةَ لَهُ على الذَّبِّ عَن حَوَزةِ الدِّينِ ، وحريمِ المُسلمينَ لجرأةِ العدوِّ عليه .

الثامنُ : أن يكونَ قُرَشِيّاً ؛ لقوله ﷺ : « الأئمةُ مِنْ قُرَيْشٍ »^(١) معَ عَمَلِ الصَّحابةِ رضيَ اللهُ عَنْهُمْ به ، وإجماعِهِمْ عليه ، وأمّا قوله ﷺ : « اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَلَوْ لِعَبْدٍ حَبَشِيٍّ »^(٢) فمحمولٌ على السَّمْعِ والطَّاعَةِ لأمرِاءِ الجيوشِ ونحوِهِمْ مِنْ وُلاةِ الإمامِ^(٣) .

[ق٢١٦] التاسعُ : أن يكونَ / عالِماً مُجتهداً في أصولِ الدِّينِ وفروعه ، ولُغةِ العربِ وأعرابها ، مُستغلاً بالفتوى في الحوادثِ ، لأنَّ الجاهِلَ أو القاصِرَ عن رُتبةِ الاجتهادِ لا يَتِمَكَّنُ مِنْ حَفْظِ العقائدِ ، وحلِّ الشُّبُهَةِ ، وإقامةِ الحُججِ والبراهينِ ، ولا مِنْ فصلِ الخصوماتِ عندَ النزاعِ^(٤) .

= والغضب ، مستعملاً لمروءة مثله في دينه ودينه . وفي الجملة : هي ألتزام الواجبات الشرعية ، والامتناع عن المنكرات والمعاصي المحرمة في الدين .

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ، برقم (١١٨٥٩) ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٦٧٢٣) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) قلتُ : وكذلك إذا دعتِ الضَّرورةُ لذلك ، كما وقع بالنسبة لخلفاء بني عُثمان .

(٤) ويستحب له أن يعرف أيضاً أحوال العصر ، وما يطرأ عليه من تغيُّرات وتطوُّرات سياسيَّة وأقتصاديَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة .

العاشرُ : أَنْ تُعَقَّدَ الْإِمَامَةُ طَوْعاً ، إِمَّا بِأَنْ يُبَايَعَهُ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ^(١) كَأَبِي بَكْرٍ ، أَوْ يَسْتَخْلِفَهُ إِمَامٌ سَابِقٌ جَامِعٌ لَشُرُوطِ الْإِمَامَةِ كَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الشُّرُوطُ فِي عَاقِدِي
الْبَيْعَةِ لِلْإِمَامِ وَشُرُوطُ
صِحَّةِ الْبَيْعَةِ

وَشُرْطُ الْعَاقِدَيْنِ : أَنْ يَكُونَا عُدُولاً ، ذَوِي رَأْيٍ وَمَعْرِفَةٍ بِالمَصَالِحِ ، وَلَا يَشْتَرُطُ فِي صِحَّةِ الْبَيْعَةِ إِجْمَاعُ الْحَاضِرِينَ مِنْهُمْ بِلَدِّهَا ، مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ ، فَضْلاً عَنْ إِجْمَاعِ أَهْلِ الْأَقْطَارِ ، لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَفْتَقِرُوا فِي عَقْدِهَا لِأَبِي بَكْرٍ إِلَى حُضُورِ عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ وَسَائِرِ بَنِي هَاشِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، بَلْ يُكْتَفَى بِبَيْعَةِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي ثُبُوتِ الْإِمَامَةِ لِمَنْ عَقَدَهَا لَهُ ، وَوَجُوبِ اتِّبَاعِ الْمَعْقُودِ لَهُ عَلَى سَائِرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، لَا كِتْفَاءِ الصَّحَابَةِ مَعَ صَلَابَتِهِمْ فِي الدِّينِ بِعَقْدِ عُمَرَ لِأَبِي بَكْرٍ كَمَا سَبَقَ ، وَعَقْدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ لِعُثْمَانَ كَمَا سَيَأْتِي .

انْعِقَادُ الْإِمَامَةِ لِلْإِمَامِ
الَّذِي تَمَّ السَّبْقُ لِأَهْلِ
الْحَلِّ وَالرَّبْطِ فِي
عَقْدِهَا لَهُ

ثُمَّ إِذَا انْعَقَدَتِ الْإِمَامَةُ لِشَخْصٍ لَمْ يَجْزُ عَقْدُهَا لِآخَرَ لِأَدَائِهِ إِلَى ثَوْرَانِ الْفِتْنَةِ ، فَإِنْ أَتَفَقَ التَّعَدُّدُ فَالْإِمَامَةُ لِلْسَّابِقِ ، وَغَيْرُهُ بَاغٍ إِنْ أَصَرَّ ، فَيَجِبُ أَنْ يُقَاتَلَ حَتَّى يَفِيَّ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، فَإِنْ جُهِلَ السَّابِقُ بَطَلَ فِي الْجَمِيعِ ، وَأَسْتُؤِنَفَ الْعَقْدُ لِمَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْاِخْتِيَارُ .

جَوَازُ خَلْعِ الْإِمَامِ
وَعَزْلِهِ

ثُمَّ إِذَا وُجِدَ مِنَ الْإِمَامِ مَا يَقْتَضِي اخْتِلَالَ أُمُورِ الدِّينِ ، وَاتْتَقَاضَ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ ؛ جَازَ لِأَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ خَلْعُهُ وَعَزْلُهُ ، كَمَا كَانَ لَهُمْ نَصْبُهُ أَبَدَاءً ، إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَضَرَّةُ فِي خَلْعِهِ أَعْظَمَ مِنَ الْمَضَرَّةِ فِي تَقْرِيرِهِ ، فَيُحْتَمَلُ أَدْنَى الْمَضَرَّتَيْنِ .

(١) وَهَمَّ الْعُلَمَاءُ الْمُخْتَصِّصُونَ (أَيَ : الْمُجْتَهِدُونَ) ، وَالرُّؤَسَاءُ ، وَوُجُوهُ النَّاسِ ؛ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِاخْتِيَارِ الْإِمَامِ نِيَابَةً عَنِ الْأُمَّةِ .

ولا يجوز لأهل الحل والعقد أن يُنصبوا فاقداً لبعض الشرائط مع وجود الكامل .

عدم الجواز لأهل
الحل والعقد تقليد
الإمامة لمن فقد بعض
شروطها بوجود الكامل
المستوفي جميع
شروطها

نعم لهم نصب المفضول مع وجود الأفضلي ، إذا كان المفضول أصلاً ، إذ المعتبر في ولاية كل أمر والقيام / به معرفة مصالحه ومفاسده ، والقوة على القيام بلوازمه ومقاصده ، ورُبَّ مفضول في علمه وعمله هو بالرئاسة أعلم ، وبشرائطها أقوم . [ق ٢١٧]

وكذا يجوز لأهل الحل والعقد عند فقد الكامل نصب فاقداً لبعض الشرائط السابقة ، دفعاً للمفاسد التي لا تندفع إلا بنصب الأئمة - وبعض الشر أهون من بعض - والله يعلم المفسد من المصلح .

فَضْلُكَ فِي الْإِمَامَةِ الْحَقِّ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ سَلَفًا وَخَلَفًا عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ الْحَقَّ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، ثُمَّ عَلِيٌّ . عَلَى تَرْتِيبِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وَأَجْمَعَ مُعْظَمُ الْأُمَّةِ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُنْصَ عَلَى خِلَافَةِ رَجُلٍ مُعَيَّنٍ ، بَلْ أَشَارَ إِلَى مَا سَيَكُونُ بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ وَصِيَّةٍ بِذَلِكَ ، كَقَوْلِهِ : « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » ^(١) [وقوله] : « وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ » ^(٢) .

وَبُثِّنَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ : قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ وَأَنَا حَاضِرٌ غَيْرُ غَائِبٍ ، وَصَحِيحٌ غَيْرُ مَرِيضٍ ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُقَدِّمَنِي قَدَّمَنِي ، أَفَلَا نَرْضَى لِدُنْيَانَا مَنْ رَضِيَهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِدِينِنَا ؟ ^(٣) .

قَالَ الْعِجْلَاءُ : وَهَلْ بَقِيَ مِنْ أَمْرِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ الْإِمَامَةِ فِي الصَّلَوَاتِ إِلَّا جَبَايَةُ الزَّكَوَاتِ ؟ وَكَيْفَ يَحْسُنُ لِي أَوْ لْغَيْرِي أَنْ يُعْزَلَ أَبُو بَكْرٍ عَنِ الْإِمَامَةِ فِي الصَّلَوَاتِ ، أَوْ يَكُونَ غَيْرُهُ خَلِيفَةً مَأْمُومًا بِهِ فِي الصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ شَعَائِرِ الدِّينِ ؟

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٣٦٧٢) . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١١/٢٣٨٧) . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٣) سِيرَ أَعْلَامُ النَّبَلَاءِ ، (سيرة الخلفاء الراشدين) ، ص ١١ - ١٢ .

قُلْتُمْ : وَسَبَقَ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا أُعْطِيَ عُثْمَانُ وَشَيْبَةُ مِفْتَاحَ (الكعبة) قَالَ : « خُذَاهَا خَالِدَةَ تَالِدَةَ ، لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ »^(١) .
فَالْإِمَامَةُ أَوْلَى .

قال الشيخُ الرَّبَّانِيُّ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - فِي « شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ » : (وَخِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمْ تَكُنْ بِنَصٍّ صَرِيحٍ ، بَلْ بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَلَى عَقْدِهَا لَهُ ، فَقَدَمُوهُ لَشُهْرَةِ فَضْلِهِ عِنْدَهُمْ ، وَلَوْ كَانَ هُنَاكَ نَصٌّ صَرِيحٌ عَلَيْهِ ، أَوْ عَلَى غَيْرِهِ ؛ لَمْ تَقَعِ الْمُنَازَعَةُ أَوَّلًا مِنْ / الْأَنْصَارِ - أَيِ : بِقَوْلِهِمْ : (مِنْ أَمِيرٍ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ) - وَلِذَلِكَ حَافِظُ النَّصِّ مَا مَعَهُ ، وَلِرَجْعُوا إِلَيْهِ - أَيِ : كَمَا أَحْتَجُّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْأَنْصَارِ بِقَوْلِهِ ﷺ : « الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ » وَرَجْعُوا إِلَيْهِ - قَالَ : لَكِنْ تَنَازَعُوا أَوَّلًا ، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)^(٢) .

قَالَ : (وَأَمَّا مَا تَدَّعِيهِ الشَّيْعَةُ مِنَ النَّصِّ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَبَاطِلٌ ، لَا أَصْلَ لَهُ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ . وَأَوَّلُ مَنْ كَذَّبَهُمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَلَوْ كَانَ عِنْدَهُ نَصٌّ لَذَكَرَهُ ، وَلَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ ذَكَرَهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ)^(٣) أَنْتَهَى .

تفنيد آراء الشيعة في
استخلاف الرسول ﷺ
علياً

قَالَ الْعَلَمَاءُ : وَلَوْ كَانَ ثُمَّ نَصٌّ لَتَوَاتَرَ ، وَلَمْ يُمَكِّنْ سِتْرُهُ عَادَةً ، إِذْ ذَلِكَ مِمَّا تَتَوَقَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ . وَإِذَا لَمْ يَكُنْ نَصٌّ فَالْبَيْعَةُ لَمْ تَوْجَدْ لَغَيْرِ أَبِي بَكْرٍ إِجْمَاعًا ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْإِمَامُ الْحَقُّ ، ثُمَّ مَنْصُوبُهُ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ الْمُجْمَعُ عَلَى عَقْدِ الْخِلَافَةِ لَهُ ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ .

- (١) ذكره ابن سيّد الناس في « عيون الأثر » ، ج ١٧٨ / ٢ .
(٢) شرح صحيح مسلم ، للنووي ، ج ١٥ / ١٢٦ . بتصريفٍ من المؤلف .
(٣) شرح صحيح مسلم ، للنووي ، ج ١٥ / ١٢٦ . بتصريفٍ من المؤلف .

قَالَ الْعَجَلَاءُ : وَأَمَّا مَا تَدَّعِيهِ الشَّيْعَةُ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ أَظْهَرَ النَّصْرَ فَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ، فَمِنْ أَكَاذِبِهِمُ الشَّيْعَةُ الَّتِي ظَاهِرُهَا الرَّفْضُ ، وَبَاطِنُهَا الْكُفْرُ الْمَحْضُ ، لِإِزْرَائِهِمْ^(١) بِذَلِكَ عَلَى الصَّحَابَةِ ، الَّذِينَ نَقَلُوا هَذَا الدِّينَ وَحَمَلُوهُ ، إِذْ لَوْ أَجْمَعُوا عَلَى نَبَذِ وَصِيَّةِ نَبِيِّهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِ وَقَبْلَ دَفْنِهِ ، لَرَدَّتْ رَوَايَتُهُمْ وَبَطَلَتْ عِدَالَتُهُمْ ، وَبَطَلَ حِينُذِ هَذَا الدِّينِ مِنْ أَصْلِهِ ، الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ أَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

مبايعة عليّ أبا بكر
وعُمَرَ وعُثْمَانَ
رضي الله عنهم

وقد اجتمعت الأُمّة على أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُنَازِعْ أَبَا بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ ، وَبَايَعَ أَبَا بَكْرٍ وَتَرْضَى عَنْهُ وَعَنْ عُمَرَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا ، وَأَنَّهُ عَقَدَ الْخِلَافَةَ لِعُثْمَانَ بَعْدَ أَنْ خَلَا دَسْتُ الْخِلَافَةِ^(٢) وَشَغَرَ ، فَلَوْ كَانَ عِنْدَهُ نَصْرٌ ، أَوْ كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرَى أَنَّهُ يَتَعَيَّنُ لِلْخِلَافَةِ ، لَنَازَعَهُمْ كَمَا نَازَعَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةَ فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ .

وما يَزْعُمُهُ الْمُبْطِلُونَ مِنْ مُدَاهَنَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي دِينِ اللَّهِ ، يَتَحَاشَى عَنْهُ مَنْصَبُ عَلِيٍّ الْعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَيْفَ وَهُوَ الَّذِي تُضْرَبُ بِشَجَاعَتِهِ الْأَمْثَالُ ، وَتَبْطُلُ عِنْدَهُ الْأَبْطَالُ ؟ مَعَ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ عِزَّةِ الْعَشِيرَةِ نُخْبَةِ بَنِي / هَاشِمٍ ، وَبَيْنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي [ق ٢١٩] اللَّهُ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، يَشْهَدُ لَهُمُ الْقُرْآنُ بِهَجْرِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْأَهْلَ وَالْأَوْطَانَ .

وَإِذَا كَانَ أَبُو طَالِبٍ قَاوِمٌ قُرَيْشًا كُلِّهَا ، كَمَا سَبَقَ عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِ ، [مِنَ الْكَامِلِ]^(٣) :

(١) أَرَزَى : عَابَهُ وَأَدْخَلَ عَلَيْهِ أَمْرًا يَرِيدُ أَنْ يُلَبَّسَ عَلَيْهِ بِهِ .

(٢) دَسْتُ الْخِلَافَةِ : مَنْصَبُ الْخِلَافَةِ .

(٣) دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ ، ج ٢ / ١٨٨ .

وَاللّٰهُ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أَوْسَدَ فِي الثَّرَابِ دَفِينًا
فَكَيْفَ يَجُوزُ لِمَنْ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ أَنْ يَنْسُبَ إِلَى أَخِي الرَّسُولِ ،
وَبَعْلِ الْبَتُولِ ، الْأَسَدِ الْمَوَاتِبِ ، لَيْثِ بَنِي غَالِبٍ ؛ أَنَّهُ نَبَذَ وَصِيَّةَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ أَوْ دَاهَنَ فِي دِينِ اللَّهِ ؟

﴿ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النور

. [١٦/٢٤

قَالَ الْعَلَنَاءُ : وما يتمسك به الشيعة من الظواهر التي توهم كون
علي رضي الله عنه متعيناً للإمامة ، معارض بنصوص كثيرة ، تشير
إلى تعيين الصديق تلويحاً ، بل تصريحاً ، يجب تقريرها ، وتأويل
ما عارضها ، لانعقاد الإجماع على مقتضاها .

وقد قام الدليل المتواتر القطعي على عصمة الصحابة ، فمن
بعدهم من القرون ؛ من أن يجتمعوا على الضلال ، وقد سمّاهم
الله : خير أمة ، فلو تعاونوا على الإثم والعدوان - كما يزعم أهل
الباطل والبهتان - لكانوا شر أمة ، كيف وقد وعد الله من أتبع غير
سبيلهم ؟ فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى
وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

[سورة النساء ١١٥/٤] .

فَضْلُكَ

فِي فَضْلِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ الْأُئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ أَثْنَانِ » (١) .

قَالَ الْعَلَاءُ : هُوَ خَيْرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ - أَي : لَا تُزِيلُوا الْخِلَافَةَ مِنْ قُرَيْشٍ -

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ مَا أَقَامُوا الدِّينَ » . متفقٌ عليهما (٢) .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَصْخَلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [سورة النور ٥٥/٢٤] .

وُثِّبَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَضُوضًا » (٣) / .

[ق ٢٢٠]

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٣٣١٠) . ومسلم برقم (١٨٢٠/٤) . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٣٣٠٩) . عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه الترمذي ، برقم (٢٢٢٦) ؛ بنحوه . عن سفينة مولى رسول الله رضي الله عنه . مُلْكٌ عَضُوضٌ : فِيهِ عَسْفٌ وَظَلَمٌ .

فدَلَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ بِوَعْدِ اللَّهِ الْحَقِّ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَا بَدَأَ أَنْ يُقِيمَ اللَّهُ لَهَا خُلَفَاءَ بَعْدَ نَبِيِّهَا ، يُمَكِّنُ لَهُمُ الدِّينَ الَّذِي أَرْضَى لَهُمْ وَيُبَدِّلَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، وَذَلِكَ إِنْ كَانَ فِي حَقِّ مَنْ بَعْدَ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ الْأَئِمَّةِ فَبَاطِلٌ أَتْفَاقًا ، وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ فَهُمْ الَّذِينَ صَدَقَ وَعْدُ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَتَعَيَّنَ حِينَئِذٍ صِحَّةُ خِلَافَتِهِمْ ، وَصِحَّةُ تَرْتِيبِهِمْ ، لِأَنَّ الطَّرْفَيْنِ مِنَ الْأَرْبَعَةِ ، وَهُمَا : أَبُو بَكْرٍ وَعَلِيٌّ دُونَ الْوَسْطِ فِي تَحْقِيقِ التَّمْكِينِ الْمَوْعُودِ فِي الدِّينِ ؛ إِذِ الصَّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا قَاتَلَ أَهْلَ الرَّدَّةِ لِيَعُودُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا قَاتَلَ الْفِتَّةَ الْبَاغِيَّةَ لَتَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ .

وَحَقِيقَةُ التَّمْكِينِ فِي الدِّينِ إِنَّمَا حَصَلَ فِي مَدَّةِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَإِذَا صَدَقَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فِي الْوَسْطِ ، وَجَبَ صِدْقُهُ فِي الطَّرَفِ الْأَوَّلِ قَطْعًا ، وَفِي الْآخِرِ إِجْمَاعًا .

وَأَمَّا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ : فَفِيهِ حُكْمٌ مِنْهُ ﷺ بِأَنَّ مَدَّةَ الْقَائِمِينَ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَهُ - أَيِ : عَلَى مَا كَانَ هُوَ عَلَيْهِ ﷺ - ثَلَاثُونَ سَنَةً ، وَذَلِكَ هُوَ قَدْرُ مَدَّةِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ مَعَ أَيَّامِ خِلَافَةِ سَيِّدِنَا الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

لِأَنَّ الصَّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَوَّعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ رَسُولُ ﷺ ، فِي سَقِيفَةِ (بَنِي سَاعِدَةَ) ، ثُمَّ بَوَّعَ لَهُ بَيْعَةُ الْعَامَّةِ مِنْ غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ كَمَا سَبَقَ .

وَتُوفِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لثَمَانِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى ، سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ ، فَمَدَّةُ خِلَافَتِهِ سَنَتَانِ وَشَهْرَانِ وَنِصْفُ شَهْرٍ ، وَسَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ مَاتَ ثَلَاثُ وَسِتُّونَ سَنَةً كَسَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَدُفِنَ مَعَهُ فِي حُجْرَتِهِ .

وفاء أبي بكر الصديق
رضي الله عنه

وَعَهْدَ بِالْخِلَافَةِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَالَ : وَلَيْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرُهُمْ . وَتَوَفَّى عُمَرُ شَهِيداً فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، سَنَةً ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، فَمُدَّةُ خِلَافَتِهِ / عَشْرُ سِنِينَ وَسِتَّةُ أَشْهُرٍ . [ق٢٢١]

وَأَوْصَى بِالْخِلَافَةِ شُورَى بَيْنَ سِتَّةٍ مِنَ الْعَشْرَةِ . وَهُمْ : عُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَسَعْدٌ ، فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ بَعْدَ شِدَّةِ الْبَحْثِ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَبَايَعُوهُ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ السَّبْتِ ، غُرَّةَ الْمُحَرَّمِ ، أَوَّلَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ .

وَقُتِلَ بـ (المدينة) شهيداً يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، سَنَةً خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، فَمُدَّةُ خِلَافَتِهِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً ، وَقَدْ قَارَبَ ثَمَانِينَ سَنَةً ، وَدُفِنَ بـ (البقيع) .

وبويعَ لعلِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فِي دَارٍ مِنْ دَوْرِ الْأَنْصَارِ ، ثُمَّ بُويعَ لَهُ بَيْعَةُ الْعَامَّةِ مِنَ الْغَدِ فِي (الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ) ، وَقُتِلَ بـ (الكوفة) شهيداً صُبْحَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ الْمُعَظَّمِ ، سَنَةً أَرْبَعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَمُدَّةُ خِلَافَتِهِ أَرْبَعُ سِنِينَ وَتِسْعَةُ أَشْهُرٍ - بِتَقْدِيمِ التَّاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

فَضْلُكَ

في ذكر شي من فضائل الصحابة

رضي الله عنهم أجمعين

أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ خَيْرَ الصَّحَابَةِ وَأَفْضَلَهُمْ عَلَى مَا رَتَّبُوهُ هُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَمَنْ قَدَّمُوهُ فَهُوَ الْمُقَدَّمُ ، وَمَنْ أَخَّرُوهُ فَهُوَ الْمُؤَخَّرُ ، إِذْ حَقِيقَةُ الْفَضْلِ مَا هُوَ فَضْلٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَذَلِكَ غَيْبٌ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

وقد وردَ مِنْ ثَنَائِهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ عُمُومًا وَخُصُوصًا نصوصٌ لَا يُدْرِكُ دَقَائِقَهَا ، وَيَعْرِفُ حَقَائِقَهَا إِلَّا الصَّحَابَةُ الَّذِينَ سَمِعُوهَا وَحَمَلُوهَا ، وَعَرَفُوا أَسْبَابَهَا ، وَقَرَأَتْ أَحْوَالَهَا ، وَشَاهَدُوا مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَامِلُ بِهِ أَصْحَابَهُ ، وَيُخَصُّ بِهِ بَعْضَهُمْ دُونَ بَعْضٍ مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّعْظِيمِ ، فَوَجِبَ الرُّجُوعُ فِي ذَلِكَ إِلَى الصَّحَابَةِ الَّذِينَ شَاهَدُوا الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ ، وَعَلِمُوا بِقِرَائِنِ الْأَحْوَالِ مَرَاتِبَ التَّفْضِيلِ .

وقد أَجْمَعُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - مِنْ غَيْرِ تَوْقُفٍ وَلَا تَرَدُّدٍ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ - عَلَى أَنَّ أَفْضَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ .

[ق ٢٢٢] وفي « صحيح البخاري ومسلم » ، / كُنَّا نُفَاضِلُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فنقول : أَفْضَلُهُمْ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، فَلَا يُنْكَرُ عَلَيْنَا (١) .

وفي رواية : ثُمَّ تَتْرُكُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ (٢) .

وفيها - [أي : الصَّحَّاحِينَ] - عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

(١) أخرجه البخاري، برقم (٣٤٥٥). عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٣٤٩٤). عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

رضي الله عنهما - وهو أبُنُ الحَنَفِيَّةِ - قال : قلتُ لأبي : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بعدَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ ، فقال : أبو بكرٍ ، قلتُ : ثمَّ مَنْ ؟ ، قال : عُمَرُ^(١) .
وَأَتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ خَيْرَ الصَّحَابَةِ : الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ .

فَالْأَهْلُ السُّنَّةِ : ثُمَّ تَمَامُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، ثُمَّ بَقِيَّةُ أَهْلِ (بَدْرٍ) ، ثُمَّ أَهْلُ (أُحُدٍ) ، ثُمَّ أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ .

قالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - : (وَأَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ : أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، وَقَدَّمَ جَمَاهُورُهُمْ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ ، وَلِهَذَا اخْتَارَتْهُ الصَّحَابَةُ لِلْخِلَافَةِ وَقَدَّمُوهُ ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِالتَّرْتِيبِ)^(٢) . أَنتَهَى .

قُلْتُ : وَلِهَذَا عَقَدَ الصَّحَابَةُ الْخِلَافَةَ لِلصَّدِيقِ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ ، وَعَقَدَهَا أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ ، وَتَوَقَّفَ عُمَرُ فِيمَنْ يَعْقِدُهَا لَهُ .

وقالَ الإمامُ الْجَلِيلُ الْحَافِظُ أَبُو عُمَرَ يَوْسُفُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ الْمَالِكِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - فِي « شَرْحِ مَوْطَأِ الْإِمَامِ مَالِكٍ » - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - : (أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا : أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، وَوَقَّفَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ . وَأَمَّا الْيَوْمُ فَلَا يَخْتَلِفُ الْخَلْفُ فِي أَنَّ التَّرْتِيبَ : عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ . قَالَ : وَعَلَيْهِ عَامَّةُ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِنْ لَدُنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَهَلْمُ جَرًّا) . أَنتَهَى .

قَالَ الْعِجْلِيُّ : وَلَوْلَا فَهْمُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمَا رَتَّبُوا الْأَمْرَ كَذَلِكَ ، إِذْ كَانُوا لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةٌ لَا تَمِمْ ، وَلَا يَصْرِفُهُمْ عَنِ الْحَقِّ صَارِفٌ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْمِ (٣٤٦٨) .

(٢) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمَ ، لِلنَّوَوِيِّ ، ج ١٥ / ١٢١ - ١٢٢ . بِتَصْرِيفٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِ .

فَضْلُكَ

في أدلة فضل الخلفاء الأربعة

رضوان الله عليهم

وَمِنَ الْأَدَلَّةِ الشَّاهِدَةِ عَلَى فَضْلِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ،
الموجبة لهم زيادة المزية على غيرهم :

قوله ﷺ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا » ،
فضائل الصديق رضي الله عنه [ق ٢٢٣] متفق / عليه (١) .

زاد في رواية : « وَلَكِنَّ أَخُوَ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ » (٢) .
وفي أخرى : « وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي » (٣) . أي : أَنْ تَسْمِيَنِي لَهُ
بما سمّاه الله به مِنَ الْأَخُوَّةِ وَالصُّحْبَةِ فِي الْغَارِ أَفْضَلُ مِنْ وَصْفِي لَهُ
بِالْحُلَّةِ .

[وفي رواية] : إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ،
متفق عليه (٤) .

[وقوله] : « إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي فَقُلْتُ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :
صَدَقْتَ ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ » ، متفق عليه (٥) .

-
- (١) أخرجه البخاري ، برقم (٣٤٥٤) . ومسلم برقم (٢٣٨٢ / ٢) . عن أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه .
- (٢) أخرجه البخاري ، برقم (٣٤٥٧) . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
- (٣) أخرجه مسلم ، برقم (٢٣٨٣ / ٣) . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما .
- (٤) أخرجه البخاري ، برقم (٣٤٥٤) . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
- (٥) أخرجه البخاري ، برقم (٣٤٦١) . عن أبي الدرداء عويمر بن مالك
رضي الله عنه .

[وقوله]: « فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - » ، مَتَّقْ عَلَيْهِ ^(١) .

[وقوله]: « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » ، مَتَّقْ عَلَيْهِ ^(٢) .

[وقوله]: « إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنَّيٌّ ، أَوْ يَقُولَ قَائِلٌ : أَنَا أَوْلَى بِالْأَمْرِ ، وَيَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ » ، مَتَّقْ عَلَيْهِ ^(٣) .

وقوله ﷺ لَمَّا رَجَفَ بِهِ (أُحْدٌ) وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ : « أَتُبْتُ أَوْ أَسْكُنُ أُحْدٌ ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ » ، مَتَّقْ عَلَيْهِ ^(٤) .

وَالْخِطَابُ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مَحْمُولٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، إِقَامَةٌ لَهُ مَقَامَ مَنْ يَفْعَلُ ، لِتَحْرُكِهِ ، مَعَ قَوْلِهِ ﷺ : « مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ » ^(٥) .

وقالوا: سُبْحَانَ اللَّهِ أَبْقَرُهُ تَتَكَلَّمُ وَذُنُبٌ يَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « فَإِنِّي أَوْ مِنْ بَذَلِكَ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ » ^(٦) ، مَتَّقْ عَلَيْهِ .

-
- (١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٤٦١) ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٦٣٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٩٤ / ٤١٨) . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .
(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٣٤٢) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١١ / ٢٣٨٧) . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .
(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٤٧٢) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٥) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي « مُسْنَدِهِ » ، بِرَقْم (١٣٩٢٣) ؛ بَنَحُوهُ . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٢٨٤) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣ / ٢٣٨٨) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقيلَ لَهُ : مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : « عَائِشَةُ » ، قيلَ :
وَمِنْ الرِّجَالِ ؟ قَالَ : « أَبُوهَا » ، قيلَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « عُمَرُ » ،
مَتَّقٌ عَلَيْهِ (١) .

فضائلُ عُمَرَ رضيَ اللهُ
عنه
[وقوله ﷺ] : « إِيْهِ يَا أَبْنَ الْخَطَّابِ ، وَاللهِ مَا سَلَكَتَ فَجًّا إِلَّا
سَلَكَ الشَّيْطَانُ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ » متَّقٌ عليه (٢) . أَي : أَنَّ الْحَقَّ يَدُورُ
مَعَهُ أَيْنَمَا دَارَ ، فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَكِنَّ لَكَ
عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [سورة الحجر ١٥/٤٢] .

وشهادته ﷺ بَأَنَّ عُمَرَ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ - بفتح المُهمَلَتَيْنِ ، أَي :
من أَهْلِ الإِلْهَامِ الْمَوَافِقِ لِلصَّوَابِ -

وَأَنَّهُ ﷺ رَأَى عَلَيْهِ قَمِيصاً ضَافِياً يَجْرُهُ ، وَأَوَّلُهُ بُوْفُورِ الدِّينِ فِي
أَيَّامِهِ . مَتَّقٌ عليه (٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ [سَقَى] سَقَى فَضْلَةً مِنَ اللَّبَنِ عُمَرَ ، وَأَوَّلُهُ بِالْعِلْمِ ، مَتَّقٌ عليه (٤) .
وَأَنَّ عُمَرَ سَقَى النَّاسَ حَتَّى أَرَوَاهُمْ ، مَتَّقٌ عليه (٥) . وَأَوَّلُهُ
الْعِلْمَاءُ بِكَثْرَةِ الْخَيْرَاتِ وَالْفَتْوحَاتِ فِي أَيَّامِهِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٤٦٢) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٨/٢٣٨٤) . عَنْ
عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٤٨٠) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٢/٢٣٩٦) . عَنْ
سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٥/٢٣٩٠) . عَنْ أَبِي
سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٨٢) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٦/٢٣٩١) . عَنْ
عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٣٤٣٤) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٩/٢٣٩٣) . عَنْ
عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .

وقوله ﷺ : « بَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ » - يعني : فضائل عثمان رضي الله عنه عثمان - متفق عليه^(١) .

[ق٢٢٤] وقوله / ﷺ : « لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » ، فأعطاها علياً . متفق عليه^(٢) .

مع قوله [ﷺ] : « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » ، متفق عليه^(٣) .

هذا مع ما أشتهر للصادق رضي الله عنه مِنْ سَبَقِهِ إِلَى التَّصَدِيقِ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ ، وَكَثْرَةِ التَّصَدُّقِ غَيْرَ مَرَّةٍ بِجَمِيعِ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا كَانَ يَعْرِفُهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ مِنْ شِدَّةِ اخْتِصَاصِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَقُرْبِهِ مِنْهُ ، وَمَجَاوِرَتِهِ لَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا ، ثُمَّ مَا أَيْدَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الثَّبَاتِ عِنْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَوَعْظِهِ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ إِطْفَاءِ نَارِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ تَنَازُعِ الصَّحَابَةِ ، وَجِهَادِ أَهْلِ الرَّدَّةِ ، حَتَّى اسْتَقَامَ الدِّينُ ، وَمِنْ تَقْوَاهُ الْمَعْرُوفِ ، وَصَنَائِعِهِ لِلْمَعْرُوفِ ، وَكَمَالِ النَّفْسِ ، وَرُسُوخِ الْقَدَمِ فِي التَّوْحِيدِ ، وَوَقْرِ الْيَقِينِ فِي الصَّدْرِ .

ومع ما عُرِفَ لِلْفَارُوقِ رضي الله عنه مِنْ عِزَّةِ الْإِسْلَامِ بِإِسْلَامِهِ مِنْابُ عُمَرُ رضي الله عنه أَبْتَدَاءً وَأَنْتَهَاءً ، وَمِنْ الشَّدَّةِ فِي الدِّينِ ، وَالْجَمْعِ فِي السِّيَاسَةِ بَيْنَ

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٣٤٧١) . ومسلم برقم (٢٤٠٣/٢٨) . عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٣٤٩٩) . ومسلم برقم (٢٤٠٧/٣٥) . عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٣٥٠٣) . ومسلم برقم (٢٤٠٤/٣١) . عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

العُنفِ واللينِ ، وكثرةِ الفتوحاتِ ، وموافقةِ رأيه للوحي في غيرِ مرّةٍ ، وعدلهِ ، وإحسانهِ ، وحُسنِ سيرتهِ المشهورةِ ، حتّى قال أهلُ السّيرِ : لو أنّ هذهِ الأمّةَ فاخَرَتُ جميعَ الأممِ بسيرةِ عُمَرَ لَفَخَرَتُها ، إذ لم يُعَلَمَ أنّ ملكاً من المُتقدِّمينَ والمُتأخِّرينَ سارَ سيرتهُ .

مناقبُ عثمانَ رضي الله عنه

ومعَ شهادةِ الرّسولِ ﷺ لعثمانَ الشّهِيدِ باستحياءِ الملائكةِ الكرامِ منه إجلالاً واحتراماً ، وضربه له بسهمه وأجره يومَ (بذرٍ) ، وضربه بيدهِ اليمنى على اليُسرى عنه في بيعة الرّضوان ، وتزويجه له بأبنتيه رضي الله عنهما ، ثمّ قال : « لو كانَ عِنْدِي ثَلَاثَةُ لَزَوَّجْتُكُهَا »^(١) ، معَ ما أَشْتَهَرَ مِنْ جمعه لمصاحفِ القرآنِ ، ومواظبتهِ على تلاوتهِ ، وكثرةِ الصّيامِ والقيامِ ، وشفقتهِ على الأمّةِ بوضعِ السّلاحِ تورّعاً منه عَنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ ، وصدقاتِهِ المشهورةِ ؛ كتجهيزِ جيشِ / العُسرةِ وحفرِ بئرِ (رُومَة) الموعودِ عليها بالجنّةِ .

مناقبُ عليّ رضي الله عنه

ومعَ شهادتهِ ﷺ للمُرَضّى عليّ بن أبي طالبٍ بأنّه أَقْضَاهُمْ ، وأنّه قائدُ الفِئَةِ النّاجيةِ ، وتقتُلُ عَمَاراً الفِئَةِ الباغيةِ ، وتزويجه له بأبنته فاطمةَ الزّهراء - سيّدةِ نساءِ أهلِ الجنّةِ ، وأمّ الحسَنِ والحسينِ ، سِبْطِي المُصْطَفَى ﷺ - معَ ما أَشْتَهَرَ مِنْ قِدَمِ إسلامِهِ ، ورُسوخِ عِلْمِهِ ، وزُهدِهِ ، وشجاعتهِ في نُصرةِ دينِ اللهِ ، وشرفِ القرابةِ القُربى مِنْ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلّمَ ، ورضيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

ومَنْ نظَرَ بعينِ البصيرةِ في مناقِبِ الخُلفاءِ الأربعةِ الواردةِ في « الصّحيحينِ » ، أو في أحدهما - كما أوردناه ، ولم تَمِلْ بهِ الأهواءُ - ظهرَ له إصَابَةُ الصّحابةِ في ترتيبِهِم في الفضلِ على ترتيبِهِم في الخِلافةِ .

﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحديد ٥٧/ ١٠] .

(١) أوردَه ابن كثير في « البداية والنهاية » ، ج ٣٩/٥ .

فَضْلُكَ

فِي أدلّةِ فضْلِ الصحابةِ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ أَجْمَعِينَ

الَّذِي عَلَيْهِ جَمْهُورُ الْمُحَدِّثِينَ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ اجْتَمَعَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَلَوْ لِحِظَةٍ فَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ .

وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِهِمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِنَ آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ مَا لَا يُحْصَى .

فَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ :
« خَيْرُكُمْ - وَفِي رِوَايَةٍ - خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ - أَيِ :
التَّابِعُونَ - ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ - أَيِ : تَابِعُو التَّابِعِينَ - »^(١) .

قَالَ الشَّيْخُ مُحِبِّي الدِّينِ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - : (وَرِوَايَةُ
« خَيْرُ النَّاسِ » عَلَى عُمُومِهَا ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ جُمْلَةُ الْقُرُونِ السَّابِقَةِ
وَاللَّاحِقَةِ ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ تَفْضِيلُ أَهْلِ قَرْنِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ ، إِذِ الْمُرَادُ جُمْلَةُ الْقُرُونِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُلِّ قَرْنٍ بِجُمْلَتِهِ .
قَالَ : وَالْمُرَادُ بِالْقَرْنِ : الصَّحَابَةُ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ : التَّابِعُونَ ، ثُمَّ
الَّذِينَ يَلُونَهُمْ : تَابِعُو التَّابِعِينَ)^(٢) . أُنْتَهَى .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٥٠٩) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٥٣٣/٢١١) . عَنْ
عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . الْقَرْنُ : أَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ ، وَهُوَ مَقْدَارُ التَّوَسُّطِ
فِي أَعْمَارِ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ ، مَأْخُوذٌ مِنَ الْإِقْتِرَانِ ، وَكَأَنَّهُ الْمَقْدَارُ الَّذِي يَقْتَرِنُ فِيهِ
أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي أَعْمَارِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ . وَقِيلَ : الْقَرْنُ : أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَقِيلَ
ثَمَانُونَ ، وَقِيلَ : مِثَّةٌ ، وَقِيلَ : هُوَ مُطْلَقٌ مِنَ الزَّمَانِ [النِّهَايَةِ فِي غَرِيبِ
الْحَدِيثِ ، ج ٤ / ٥١ . (أَنْصَارِي)] .

(٢) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، لِلنَّوَوِيِّ ، ج ١٦ / ٦٩ . بِتَصْرِيفٍ مِنَ الْمُؤَلَّفِ .

قُلْتُمْ : وَأَوَّلُ قَرْنِ الصُّحْبَةِ مِنْ مَبْعَثِهِ ﷺ إِلَى مَوْتِ آخِرِهِمْ مَوْتًا ؛ وَهُوَ أَبُو الطُّفَيْلِ عَلَى رَأْسِ عَشْرِ بَعْدَ الْمِئَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ ، لِمِئَةِ [ق٢٢٦] / مِنْ الْوَفَاةِ ، وَهُوَ أَيْضًا آخِرُ قَرْنِ التَّبَعِيَّةِ لَتَعَذُّرِهَا حِينَئِذٍ ، وَأَوَّلُهُ مِنْ الْوَفَاةِ لَتَعَذُّرِ الصُّحْبَةِ حِينَئِذٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَالَ الْعَلَاءُ : وَإِنَّمَا كَانُوا خَيْرَ الْقُرُونِ بِشَهَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ لَهُمْ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ ؛ مِنْ الْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ وَالتَّقْوَى ، وَالشَّدَّةِ فِي الدِّينِ ، وَالرَّحْمَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَنُصْرَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ ، وَبَذْلِ النَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ وَبَيْعِهَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِثَارِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَكَوْنِهِمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، وَالْحَاضِرِينَ عَلَى الْفُوزِ وَالْفَلَاحِ وَالْبِشَارَةِ بِأَعْلَى الْجَنَانِ وَجِوَارِ الرَّحْمَنِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

وَمَدْحُ اللَّهِ لَا يَتَبَدَّلُ ، وَوَعْدُهُ لَا يُخْلَفُ وَلَا يَتَحَوَّلُ ، إِذْ هُوَ سُبْحَانَهُ الْمُطَّلَعُ عَلَى عَوَاقِبِ الْأُمُورِ ، وَالْعَالِمُ بِخَائِنَةِ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، فَلَا يَمْدَحُ جَلًّا وَعَلَا إِلَّا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ الْحُسْنَى ، وَكَانَ مَمْدُوحًا فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة التوبة ٩/ ١٠٠] .

وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْالِيكُمُ اللَّهُ خَيْرَاتٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة

التوبة ٩/ ٨٨ - ٨٩] .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ فَمَا كَانَ لَهُمْ أَلَّا يَفْعَلُوا فِي سُبُلِ اللَّهِ يَقْتُلُونَ وَيُفْسِدُونَ ﴿سورة التوبة ١١١/٩﴾ .

وقال تعالى : ﴿ تَحَمَّدَ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ الآية [سورة الفتح ٢٩/٤٨] .

وقال تعالى في حقِّ المهاجرين : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ / وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [سورة الحشر ٨/٥٩] .

[وقال تعالى] في حقِّ الأنصار : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الحشر ٩/٥٩] .

[وقال تعالى] في حقِّ التابعين لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَهُمْ ، السَّالِمِينَ مِنْ غُلِّ الْقُلُوبِ - جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهُمْ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة الحشر ١٠/٥٩] .

وقال ﷺ : « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَتَفَقَّ مِثْلَ (أَحَدٍ) ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » ، متفقٌ عليه^(١) .

قال الشيخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ - رحمه الله تعالى - : (ومعنى

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٣٤٧٠) . ومسلم برقم (٢٥٤٠/٢٢١) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الحديث : لو أنفقَ أَحَدُكُمْ في سبيلِ اللهِ مثلَ (أُحِدٍ) ذهباً ما بلغَ ثوابُهُ ثوابَ نفقةِ أَحَدِهِمْ مُدّاً مِنْ طعامٍ ولا نصيفَةً . قَالَ : وسببُ ذلكَ كونُ نفقتِهِم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم في وقتِ الضَّرورةِ وضيقِ الحالِ ، وفي نصرَتِهِ ﷺ ، وحمايةِ دينِهِ وإِعزازِهِ ، وكذلكَ كانَ جِهَادُهُم وسائرُ طاعاتِهِمْ ، وذلكَ معدومٌ فيمنَ بعدَهُم ، معَ أَنَّ فضيلةَ الصُّحبةِ ولو بلحظةٍ لا تُوازيها فضيلةُ ، ولا تُنالُ درجتُها بشيءٍ ، وذلكَ فضلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ واللهُ ذو الفضلِ العَظيمِ ^(١) أَنتهى .

والمخاطبُ بقولِهِ : « لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي » الأُمَّةُ ، أو أَنَّهُ نَزَلَ السَّابَّ مِنْزِلَةً مَنْ لَيْسَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، أو خَصَّ بالصُّحبةِ السَّابِقِينَ مِنْهُمْ ، كما وَرَدَ في سببِ الحديثِ أَنَّ خالِدَ بْنَ الوليدِ سَبَّ عبدَ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ .

قَالَ الْعَجَّلَاءُ : وإذا ثبتَ ثناءُ اللهِ ورسولِهِ عليهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم بكلِّ فضيلةٍ [ق٢٢٨] ، والشَّهادةُ لَهُم بالمناقبِ الجَليلةِ ، فَأَيُّ دينٍ / يَبْقَى لِمَنْ نَبَذَ كِتَابَ اللهِ وراءَ ظَهْرِهِ ، فنسبَهُم إلى باطِلٍ ، أيقولُ هَذَا الجاهِلُ : بَأَنَّ اللهَ - تعالى - عَمَّا يَقولُ الظَّالِمونَ عُلُوّاً كبيراً - لَمَّا وصفَهُم وأثنى عليهم كانَ جاهِلاً بما يؤوَلُ إليه حالُهُم ، فتبدَّلَ قولُهُ الحقَّ باطلاً ، والصَّدقَ كذباً ، أَمْ كانَ عالِماً بذلكَ ، ولكِنَّهُ خانَ رسولَهُ بالثناءِ على مَنْ لَيْسَ أَهلاً للثناءِ ، ورضيَ لرسولِهِ المُجتبى عندهُ بصُحبةِ الفاسِقينَ ، ومُصافاةِ المُنافقينَ .

كَلَّا ، واللهِ لقدَ كانوا أَحَقَّ بتلكَ الفضائلِ وأهلَها . ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ [سورة الأحزاب ٤٠/٣٣] .

(١) شرح صحيح مُسلم ، للنَّووي ، ج١٦/٧٦ . بتصريفٍ مِنَ المؤلِّفِ .

وكانوا كما وصفهم الله : ﴿ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/ ٢٣] .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَمَا وَصَفْتَهُمْ مِنْ أَنَّهُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ ، وَنُثْنِي عَلَيْهِمْ بِمَا أَثْنَيْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضَائِلِ الْجَمَّةِ ، وَنَعْتَقُدُ أَنَّهُمْ قَدْ قَلَّدُوا رِقَابَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ الْمِنَّةَ ؛ لِأَنََّّهُم الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، حَتَّى قَرَّرُوا هَذَا الدِّينَ ، ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى النَّاسِ كَمَا نَقَلُوهُ ، بِإِذْنٍ فِي ذَلِكَ غَايَةَ الْجُهِدِ وَالنُّصْحِ ، وَنَعْتَقُدُ وَجُوبَ تَعْظِيمِهِمْ وَأَحْتِرَامِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ ، وَالْكَفَّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا يورِدُهُ الْإِخْبَارِيُّونَ عَنْهُمْ ، مِمَّا لَا يَسْلُمُ مِنْ مِثْلِهِ بَشَرٌ ، إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ ، وَهُمْ غَيْرُ مَعْصُومِينَ ، وَحَمَلُوا مَا صَحَّ عَنْهُمْ مِنَ الْهَفَوَاتِ الَّتِي هِيَ قَطْرَةٌ كَدِرَةٌ فِي بَحْرِ صَافٍ مِنْ مُحَاسِنِهِمْ عَلَى أَحْسَنِ الْمَحَامِلِ ، وَتَأْوِيلِهِ بِمَا يَلِيقُ بِجَلَالَةِ قَدْرِهِمْ ، وَلَا يُحْرَمُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ حُرِمَ التَّوْفِيقَ .

اللَّهُمَّ فَانْفَعْنَا بِحَبِّهِمْ ، وَأَعْصِمْنَا عَنْ سَبِّهِمْ ، وَأَحِينَا عَلَى سُبُطِهِمْ ، وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِمْ ، وَأَحْشِرْنَا فِي زُمْرَتِهِمْ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وما أحسنَ قولَ صاحبِ البردة - رحمه الله تعالى - فيهم ، [من البسيط] (١) :

مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ
حَتَّى حَكَّوْا بِالْقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضْمٍ (٢)

(١) البردة ، في جهاد النبي ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(٢) الْوَضْمُ : مَا يَضَعُ الْقَصَابُ اللَّحْمَ عَلَيْهِ مِنْ خَشَبَةٍ أَوْ نَحْوِهَا . وَالْمَرَادُ هُنَا : أَنَّهُ ﷺ مَازَالَ يَقَاتِلُ الْكُفَّارَ حَتَّى تَرَكَهُمْ قَتْلَى مُعْدِينَ لِأَكْلِ السَّبَاعِ وَالطُّيُورِ لِحُومِهِمْ .

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ
بِكُلِّ قَرَمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَا قَرِمٌ^(١)
يَجْرُ بِحَرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِغَةٍ
يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُلْتَطِمٌ^(٢)
مِنْ كُلِّ مُتَّدِبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبٌ
يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكَفْرِ مُضْطَلِمٌ^(٣)
[ق٢٢٩] / حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ
مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةُ الرَّحِمِ
مَكْفُولَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ
وَحَيْرٍ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَيْتَمْ^(٤)

-
- (١) الْقَرَمُ : السَّيِّدُ الشُّجَاعُ . الْقَرَمُ : شَدِيدُ الشَّهْوَةِ إِلَى اللَّحْمِ .
(٢) الْخَمِيسُ : الْجَيْشُ الْعَظِيمُ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مَرَكَّبٌ فِي خَمْسِ قَوَائِمٍ ؛
الْمَقْدَمَةُ ، وَالْمِيمَنَةُ ، وَالْمِيسِرَةُ ، وَالْقَلْبُ ، وَالْمَوْخِرَةُ . السَّابِغَةُ :
الْخَيْلُ . كَأَنَّمَا تَسْبِغُ مَسْرَعَةً فِي طَلَبِ الْكَفَّارِ .
(٣) يَسْطُو : يَصُولُ . بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكَفْرِ : أزال الكفار من أصلهم .
مُضْطَلِمٌ : مَهْلِكٌ لَهُمْ .
(٤) الْبَعْلُ : الزَّوْجُ . تَيْتَمْ : تَفَقَّدُ الْأَبَ . تَيْتَمْ : تَفَقَّدَ الزَّوْجَ ، وَالْأَيْمُ : مَنْ
لَا زَوْجَ لَهَا .

الخاتمة

في ذكر شئ من سيرة علي عليه السلام في أموره الشخصية وأفعاله القدرية

الباب الأول

في أحوال النفس

وفي فصول كسبعة : في خمسة خلقات عليها السلام ، وخمس خلقه ، ودون عقله ،
وخمس عشرته ، وسماحيته ، وشجاعته ، وزُفرو .

فَضْلُكَ فِي حُسْنِ خَلْقِكَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِعلم أَنَّ مَنْ نَظَرَ إِلَى خِصَالِ الْكَمَالِ وَجَدَ نَبِيَّنا ﷺ حَائِزاً لَجميعِها ، مُحِيطاً بِشَتَاتِها .

أَمَّا حُسْنُ خَلْقِهِ ﷺ : فَقَدَ كَانَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً ، وَأَكْمَلَهُمْ صُورَةً . وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقاً ، حَتَّى كَانَ الشَّمْسُ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ ، إِذَا ضَحِكَ تَلَأُلاً وَجْهُهُ تَلَأُؤُ الْقَمَرِ لَيْلَةً الْبَدْرُ ، أَجْمَلُ النَّاسِ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَحْلَاهُمْ وَأَحْسَنَهُمْ مِنْ قَرِيبٍ . يَقُولُ نَاعِثُهُ : لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ .

وَكَانَ لَهُ شَعْرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ ، فَإِذَا جَاوَزَهَا قَصَّهُ .

وَكَانَ ﷺ نَظِيفَ الْجِسْمِ ، طَيِّبَ الطَّيِّبِ وَالْعَرَقِ طَبْعاً ، لَا يُشْمُ عَنَبٌ وَلَا مِسْكٌ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِهِ ، يُصَافِحُ الْمُصَافِحَ فَيَطْلُ يَوْمَهُ يَجِدُ رِيحَ يَدِهِ ، سِوَاءُ مَسَّهَا بِطَيِّبٍ أَمْ لَا ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ فَيُعْرِفُ مِنْ بَيْنِ الصَّبِيَّانِ بَرِيحَهُ ، وَلَا يَمُرُّ فِي طَرِيقٍ فَيَتْبَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا عَرَفَ أَنَّهُ سَلَكَهُ مِنْ طَيِّبِهِ ، لَمْ يَكُنْ مِنْهُ شَيْءٌ يُكْرَهُ ﷺ .

فَاتِّعَلِّمْ

فِي أَشْبِهِ النَّاسِ صُورَةً
بِالنَّبِيِّ ﷺ

أَشْبَهُ النَّاسِ صُورَةً بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَوْلَادِهِ : فَاطِمَةُ ، وَأَبْنَاهَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ أَرْبَعَةٌ : وَهُمْ : بَنُو أَعْمَامِهِ الثَّلَاثَةُ : جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَقُتَيْبُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، وَأَبُو سُفْيَانَ الْمَغِيرَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَالسَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ جَدُّ الْإِمَامِ

الشافعي رضي الله عنهم .

وقد نظم - هؤلاء الأربعة مع الحسن بن علي - بعض الفضلاء

[ق ٢٣٠] فقال / ، [من البسيط] :

بِخَمْسَةِ شُبَّهٍ^(١) الْمُخْتَارُ مِنْ مُضَرٍ

يَا حُسْنَ مَا خُوِّلُوا مِنْ وَجْهِهِ الْحَسَنِ

كَجَعْفَرٍ وَأَبْنِ عَمِّ الْمُصْطَفَى قُتْمٍ

وَسَائِبٍ وَأَبِي سُفْيَانَ وَالْحَسَنِ^(٢)

(١) في « فتح الباري » : (بخمسة أشبهوا) .

(٢) وقد أوصلهم الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (ج ٩٧ / ٧) إلى خمسة عشر شخصاً ، ونظمهم وحقق الكلام في أمرهم تحقيقاً نفيساً ، فقال - من نظم الإمام أبي الوليد بن الشحنة قاضي حلب - :

وخمسَ عشرٍ لهم بالمصطفى شبه

سبطاهُ وابنا عقيلي سائبٌ قُتْمُ

وجعفرٌ وابنه عبدان مسلمٌ أبو

سفيان كابس عثمٌ ابن النجاد هم

فَضْلُكَ فِي حُسْنِ خُلُقِكَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَأَمَّا حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ : فقد كانت فيه الأخلاق الحميدة ، والآداب المجددة ، جميعها على الانتهاء في كمالها ، والاعتدال في غايتها ، حتى أثنى الله عليه بذلك ، فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم ٤/٦٨] .

وفي « الصحيحين » : كان خُلُقُهُ الْقُرْآنَ (١) - أي : مطبوعاً على ما أحتوى عليه من العدل والإحسان ، وإيتاء ذي القربى ، أخذاً للعفو ، أمراً بالعرف ، معرضاً عن الجاهلين - إلى غير ذلك . وقال ﷺ : « بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » (٢) .

وكان ﷺ مجبولاً عليها في أصل خلقته ، مطبوعاً عليها في أول فطرته ؛ بالجود الإلهي ، والتخصيص الرحماني ، ثم أزداد كمالاً بترادف نفحات الكرم ، وإشراق أنوار المعارف والحكم ، وطلوع شمس النبوة والرسالة ، وأتساق بذر الخلة والمحبة ، إلى ما لا يحيط به الوصف ، ولا يدرّكه الوهم ، ولا يعلمه إلا مانحه ومُسْئِديه ، ومُعِيدُ الفضل ومُبدِيه .

(١) أخرجه مسلم ، برقم (١٣٩/٧٤٦) . عن عائشة رضي الله عنها ، وهذا الحديث انفرد به مسلم دون البخاري .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » ، برقم (٨٧٢٩) . ومالك في « الموطأ » ، كتاب (٤٧) ، برقم (٨) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فَضْلُكَ فِي وَفُورِ عَقْلِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَأَمَّا وَفُورُ عَقْلِهِ وَذِكَاؤُ لُبِّهِ ﷺ : فَمَنْ تَأَمَّلَ حُسْنَ تَدْبِيرِهِ ﷺ
لِأُمُورِ بَوَاطِنِ الْخَلْقِ وَظَوَاهِرِهِمْ ، وَسِيَاسَتِهِ لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، مَعَ
عَجِيبِ شَمَائِلِهِ ، وَغَرِيبِ سِيرِهِ ، فَضْلاً عَمَّا نَشَرُهُ مِنَ الْعِلْمِ ، وَقَرَّرَهُ
مِنَ الشَّرْعِ ، وَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ مَلَكُوتِ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ ، وَآيَاتِ
قُدْرَتِهِ ، وَأَظْلَعَهُ عَلَيْهِ مِمَّا كَانَ وَمِمَّا سَيَكُونُ ، وَمَعَ مَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ
جَوَامِعِ كَلِمِهِ ، وَبِدَائِعِ حِكْمِهِ ، وَمَعَ التَّأْيِيدِ الْإِلَهِيِّ وَالْعِصْمَةِ بِالْوَحْيِ
السَّمَاوِيِّ ، فَإِنَّهُ يَقْتَضِي الْعَجَبَ ، وَيَذْهَبُ بِهِ الْفِكْرُ ، وَيَعْلَمُ يَقِيناً
مُصَدِّقاً قَوْلَهُ تَعَالَى تَشْرِيفاً لَهُ وَتَكْرِيماً وَتَعْظِيماً : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ
تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ [سورة النساء ١١٣/٤] .

وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَالَ : قَرَأْتُ فِي أَحَدٍ وَسَبْعِينَ
[ق ٢٣١] كِتَاباً ، فَوَجَدْتُ فِيهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُعْطِ جَمِيعَ الْأَوَّلِينَ / وَالْآخِرِينَ مِنَ
الْعَقْلِ فِي جَنْبِ عَقْلِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا كَحَبَّةِ رَمَلٍ مِنْ رِمَالِ الدُّنْيَا .

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَقْلَ عُنْصُرُ الْأَخْلَاقِ الشَّرِيفَةِ ، وَمِنْهُ يَنْبَعُ الْعِلْمُ
وَالْمَعْرِفَةُ ، فَيَحَسِبُ عَقْلُهُ ﷺ كَانَتْ عُلُومُهُ وَمَعَارِفُهُ ، وَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ أَحْسَنُ النَّاسِ خَلْقاً وَعِلْماً وَمَعْرِفَةً وَعَقْلاً ، وَذَلِكَ سَجِيَّةً فِيهِ وَطَبْعاً

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ صَاحِبِ الْبُرْدَةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِيهَا ، [مِنْ

الْبسيط] (١) :

وصف ما أمتاز به
النبي ﷺ في خلقه
وخلق

(١) البُرْدَةُ ، فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ ، ص ١٤ .

فَاَقَ النَّبِيِّنَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
 وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ
 وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ
 غَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ^(١)
 وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ
 مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكَمِ
 فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصَوْرَتُهُ
 ثُمَّ أَصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِيءُ النَّسَمِ^(٢)
 مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكِ فِي مَحَاسِنِهِ
 فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ

(١) الْعَرْفُ : أَخَذُ الْمَاءِ بَرَاةَ الْيَدِ . الرَّشْفُ : أَخَذُ الْمَاءِ بِالشَّفَتَيْنِ ، وَهُوَ
 غَيْرُ الْمَصِّ . الدَّيَمُ : جَمْعُ دَيْمَةٍ ؛ وَهِيَ الْمَطَرُ الدَّائِمُ .
 (٢) النَّسَمُ : جَمْعُ نَسَمَةٍ ؛ وَهِيَ الْإِنْسَانُ . الْبَارِي : الْخَالِقُ .

فَضْلُكَ فِي حُسْنِ عَشْرَةٍ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَأَمَّا حُسْنُ عَشْرَتِهِ ﷺ وَوَفُورُ شَفَقَتِهِ وَرَحِمَتِهِ : فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التَّوْبَةِ ١٢٨/٩] .

وفي « الصَّحِيحِينَ » ، أَنَّهُ ﷺ كَانَ أَوْسَعَ النَّاسِ صَدْرًا ، وَأَكْرَمَهُمْ عَشْرَةً ، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً - أَي : خَبِيرَةً - (١)

قَدْ وَسَّعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ ، فَصَارَ لَهُمْ أَبًا ، وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً (٢) .

يُؤَلَّفُهُمْ وَلَا يُنْفَرُهُمْ ، وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ ، وَيَحْذَرُ النَّاسَ ، وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بَشْرَةً ، وَيَتَعَهَّدُ أَصْحَابَهُ ، وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ نَصِييَهُ ، وَلَا يَخْسَبُ جَلِيسُهُ أَنْ أَحَدًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، وَمَنْ جَالَسَهُ صَابِرُهُ حَتَّى يَنْصَرِفَ ، وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا ، أَوْ بِمِيسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ (٣) .

وَمَا أَخَذَ أَحَدٌ بِيَدِهِ فَأَرْسَلَهَا حَتَّى يُرْسِلَهَا إِلَّا خِذًّا (٤) .

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٣٧١٨) . عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ . وَالْحَدِيثُ لَيْسَ فِي الصَّحِيحِينَ .

(٢) الشُّفَا ، لِلْقَاضِي عِيَاض ، ج ١/ ٢٤٦ .

(٣) الشُّفَا ، لِلْقَاضِي عِيَاض ، ج ١/ ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٤) الشُّفَا ، لِلْقَاضِي عِيَاض ، ج ١/ ٢٤٨ .

وكان يُجيب مَنْ دَعَاهُ مِنْ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ ، أَوْ غَنِيٍّ أَوْ فَقِيرٍ ،
وما دَعَاهُ أَحَدٌ إِلَّا قَالَ : « لَبَّيْكَ » (١) .

ويعودُ المَرَضَى ، ويَقْبَلُ عُذْرَ الْمُعْتَذِرِ ، ويَقْبَلُ الهَدِيَّةَ وَيُكَافِيءُ
عليها ، وَيُمَازِحُ أَصْحَابَهُ . وَلَكِنْ لَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا ، وَيُخَالِطُهُمْ
ويَحَادِثُهُمْ ، وَيَضَعُ أَطْفَالَهُمْ فِي حِجْرِهِ / ، وَيُدَاعِبُ صَبِيَانَهُمْ ، [ق ٢٣٢]
ويَدْعُوهُمْ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِمْ (٢) .

ويبدأ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ وَالْمُصَافَحَةِ ، وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ
حَتَّى يَنْتَهِيَ (٣) .

وكانَ مَجْلِسُهُ مَجْلَسَ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ ، وَصِدْقٍ وَأَمَانَةٍ ، إِذَا تَكَلَّمَ
أَطْرَقَ جَلْسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ .

(١) الشُّفَا ، لِلْقَاضِي عِيَّاض ، ج ١/ ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢) الشُّفَا ، لِلْقَاضِي عِيَّاض ، ج ١/ ٢٤٨ .

(٣) الشُّفَا ، لِلْقَاضِي عِيَّاض ، ج ١/ ٢٤٩ .

فَضْلُكَ فِي سَمَاحَتِهِ وَجُودِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَأَمَّا سَمَاحَتُهُ وَجُودُهُ ﷺ : فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ كَانَ بِالْمَحَلِّ الْأَكْمَلِ .
وَفِي « الصَّحِيحِ » ، أَنَّهُ ﷺ كَانَ أَجُودَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ ، وَأَجُودُ
مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ^(١) .

وَأَنَّهُ كَانَ إِذَا لَقِيَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجُودَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ
الْمُرْسَلَةِ^(٢) .

وَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ : « لَا »^(٣) .

وَسَبَقَ أَنَّهُ أَعْطَى رَجُلًا مِنْ غَيْرِ سَوَالٍ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَرَجَعَ
إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ : يَا قَوْمَ أَسْلِمُوا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ
لَا يَخَافُ الْفَاقَةَ^(٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَوْ كَانَ عِنْدِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعْمًا لَقَسَمْتُه
بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا »^(٥) .

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٣٠٨ / ٥٠) . عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٦) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٦٨٧) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٣١٢ / ٥٧) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
الْفَاقَةُ : الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٦٦٦) . عَنْ جُبَيْرِ بْنِ الْمُطْعِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . =

وفي « الصحيحين » ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَا أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ لِي مِثْلُ (أُحَدٍ) ذَهَبًا ، تُمَسِّي عَلَيَّ ثَالِثَةً وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ ، هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا » وَحِثَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَلْفَهُ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ (١) .

وَأَنَّهُ ﷺ جَاءَهُ مَالٌ مِنَ (الْبَحْرَيْنِ) - أَي : نَحْوُ مِثَّةِ أَلْفٍ - فَأَمَرَ بِطَرَحِهِ عَلَى نَطْعٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَصَلَّى الْعَصْرَ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَيْهِ ، فَمَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى فَرَّقَهُ عَطَاءٌ (٢) .

= العِضَاءُ : شَجَرٌ عَظِيمٌ لَهُ أَشْوَاكٌ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٩١٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٣٢/٩٤) . عَنْ

أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) ذَكَرَهُ أَبُو سَيِّدِ النَّاسِ فِي « عَيُونِ الْأَثَرِ » ، ج ٢/٣٢٩ . وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ ،

بِرَقْم (٦٠/٢٣١٤) ؛ نَحْوَهُ . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

النَّطْعُ : بَسَاطٌ مِنَ الْجِلْدِ .

فَضْلُكَ فِي شَجَاعَتِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَأَمَّا شَجَاعَتُهُ ﷺ : فقد كَانَ فِي ذَلِكَ بِالْمَكَانِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ^(١) .
بِذَلِكَ وَصَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ ، فقد حَضَرَ الْمَوَاقِفَ الصَّعْبَةَ ، وَفَرَّ
الْكُمَاةَ مِنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرَحُ ، وَمُقْبِلٌ لَا يَتَزَحَّجُ ، كَمَا
سَبَقَ فِي يَوْمِ (أُحُدٍ) ، وَيَوْمِ (حُنَيْنٍ)^(٢) .
وَتَبَتَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ - وَهُوَ الْبَطْلُ الْمِقْدَامُ
وَاللَّيْثُ الضَّرْعَامُ - : كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْوُطَيْسُ ، وَاشْتَدَّ الْبَأْسُ ،
[ق ٢٣٣] وَأَحْمَرَّتِ الْحَدَقُ ؛ أَتَقِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ / ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ
إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ ، وَكَانَ أَشْجَعُنَا مَنْ كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ^(٣) .
وَسَبَقَ قَوْلُ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي يَوْمِ (حُنَيْنٍ) : وَأَنَا آخِذٌ
بِلِجَامِ بَغْلَتِهِ ﷺ ، أَكْفُهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ^(٤) .
وَقَوْلُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ
يَفِرَّ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَبْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ
بِلِجَامِهَا يَكْفُهَا وَهُوَ يَقُولُ :

« أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ ، أَنَا أَبْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ »

فَمَا رُئِيَ [مِنَ النَّاسِ] يَوْمَئِذٍ أَشَدَّ مِنْهُ ﷺ^(٥) .

-
- (١) الشُّفَا ، لِلْقَاضِي عِيَّاض ، ج ١ / ٢٣٥ .
 - (٢) الشُّفَا ، لِلْقَاضِي عِيَّاض ، ج ١ / ٢٣٦ .
 - (٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٧٧٦ / ٧٩) . عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 - (٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٧٧٥ / ٧٦) .
 - (٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٨٧٧) .

فَضْلُكَ فِي زُهْدِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَأَمَّا زُهْدُهُ ﷺ فِي الدُّنْيَا ، وَإِيثارُهُ لِلْعُقْبَى : فَحُسْبُكَ مَا اشْتَهَرَ عَنْهُ مِنْ تَقَلُّلِهِ مِنْهَا ، وَإِعْرَاضِهِ عَنْ زَهْرَتِهَا ، أَمْتِثَالاً لِقَوْلِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [سورة طه ٢٠ / ١٣١] .

وَكَانَ ﷺ - كَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ نَقْلُهُ الْأَخْبَارِ عَنْهُ - مُقْتَصِراً فِي نَفَقَتِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ عَلَى قَدْرِ الضَّرُورَةِ مِنْهَا ، وَلَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ أَنْ تُجْعَلَ لَهُ بِطَحَاءَ (مَكَّةَ) ذَهَباً ، أَوْ أَنْ تَكُونَ الْجِبَالُ ذَهَباً لَا حِسَابَ عَلَيْهِ فِيهَا ، فَأَخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيّاً ، عَبْدًا ، يَجُوعُ يَوْمًا ، وَيَشْبَعُ يَوْمًا ، ثُمَّ جِيئَتْ إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ مِنَ الْغَنَائِمِ وَالْخُمْسِ وَالزَّكَاةِ وَالْجَزْيَةِ وَالْهَدِيَّةِ فَصَرَفَهَا فِي مَصَارِفِهَا ، وَقَوَّى الْمُسْلِمِينَ بِهَا ، وَسَدَّ بِهِ فَاغْتَهُمْ ، وَأَغْنَى بِهِ عِيْلَتَهُمْ ^(١) ، وَلَمْ يَسْتَأْثِرْ مِنْهَا بِشَيْءٍ دُونَهُمْ .

وَفِي « الصَّحِيحِينَ » : مَا شَبَعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعاً حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا ^(٢) .

وَإِنَّا كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ، ثُمَّ الْهِلَالِ ، ثُمَّ الْهِلَالِ ، ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ ، وَمَا أُوقِدَ فِي آيَاتِ النَّبِيِّ ﷺ نَارٌ ، [قَالَ : يَا خَالَهْ ،

(١) عِيْلَتُهُمْ : فَقَرْمُهُمْ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥١٠٧) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٩٧٠ / ٢١) . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ ؟ قَالَتْ : الْأَسْوَدَانِ مَا هُوَ إِلَّا التَّمْرُ وَالْمَاءُ^(١) .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ كَثِيرًا مَا يُرَى عَاصِبًا بَطْنَهُ مِنَ الْجُوعِ^(٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ مَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ^(٣) .

[ق ٢٣٤]

وصف زهد النبي ﷺ

وما أحسن قول / صاحب البردة فيها ، [من البسيط]^(٤) :

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى

أَنْ أُشْتَكَّتْ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَرَمٍ

وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى

تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الْأَدَمِ^(٥)

وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ

عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيُّمَا شَمِّ^(٦)

وَأَكْثَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ

إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ^(٧)

وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةٌ مَنْ

لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٢٤٢٨) . عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه مسلم ، برقم (١٤٣/٢٠٤٠) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٤١٩٧) . عن عائشة رضي الله عنها .

(٤) البردة ، في مدح النبي ﷺ ، ص ١٢ .

(٥) السَّغَبُ : الجوع . الكَشْحُ : الخاصرة . الْمُتْرَفُ : التَّعْوِمَةُ المفرطة .

الْأَدَمُ : الجلد .

(٦) الشُّمُّ : الإِبَاءُ وَعِزَّةُ النَّفْسِ . أَي : أَعْرَضَ إِعْرَاضًا شَدِيدًا عَلِمَا مِنْهُ ﷺ

بَأَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى .

(٧) الزُّهْدُ : تَرْكُ الشَّيْءِ وَقَلَّةُ الرَّغْبَةِ فِيهِ مَعَ مِيلِ النَّفْسِ إِلَيْهِ . الضَّرُورَةُ : شِدَّةُ

الْحَاجَةِ . الْعِصَمُ : الْوَقَايَةُ مِنَ الزَّلَلِ .

الْبَابُ الثَّانِي فِي أَقْوَالِ الْقَدِيسَةِ

وفيه فصول عشرة : في ذكره لربه في سلاحي الصلاة ، وفي الصلاة ، وفي ليله الصلاة ،
وفي المرض وتوابعه ، وفي القبر ، وفي السفر ، وفي الشجر ،
وفي الخمر ، وفي المعاش ، وفي المعاشرة .

فَضْلُكَ

في سوابق الصلوة

أما سوابق الصلوة : ففي أذكاره ﷺ إذا أستيقظ من نومه ، وإذا لبس ثوبه ، وإذا خرج من بيته ، وفي قضاء الحاجة ، وفي الطهارة ، وفي التوجه إلى المسجد ، وعند سماع الأذان .

فثبت عنه ﷺ أنه كان إذا أوى إلى فراشه قال : « بِأَسْمِكَ اللَّهُمَّ أحيًا وأموتُ » . وإذا أستيقظ قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » ، رواه البخاري (١) .

وروى ابن السني أنه ﷺ قال : « ما من عبد يقول حين رَدَّ اللهُ إليه روحه : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ؛ إلا غفر الله ذنوبه ، وإن كانت مثل زبد البحر » (٢) .

وفي « سنن أبي داود » ، أنه ﷺ كان إذا أستيقظ من النوم قال : « لا إله إلا أنت ، سبحانك اللهم أستغفرك لذنبي ، وأسألك رحمتك ، رب زدني علماً ، ولا تزعج قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من لَدُنْكَ رحمةً ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » (٣) .

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٦٩٥٩) . عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه ابن السني ، في « عمل اليوم والليلة » ، برقم (١٠) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أبو داود ، برقم (٥٠٦١) . عن عائشة رضي الله عنها .

وفي « صحيح البخاري ومسلم » ، أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ مِنْ
[ق ٢٣٤] نَوْمِهِ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَرَأَ الْآيَاتِ الْعَشْرَ الْخَوَاتِمَ / مِنْ سُورَةِ
آلِ عِمْرَانَ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إِلَى آخِرِ
السُّورَةِ (١) .

وُثِّبَ عَنْهُ ﷺ إِذَا لَبَسَ ثَوْباً جَدِيداً ، فَقَالَ : الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ ،
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، رواهُ أَبُو الشَّيْنِ (٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ لَبَسَ ثَوْباً جَدِيداً ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
كَسَانِي مَا أُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي ، وَأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي حَيَاتِي ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى
الثَّوْبِ الَّذِي أَخْلَقَ فَتَصَدَّقَ بِهِ ، كَانَ فِي حِفْظِ اللَّهِ ، وَفِي كَنْفِ اللَّهِ ،
وَفِي سِتْرِ اللَّهِ حَيًّا وَمَيِّتاً » ، رواهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ ، وَقَالَ : صَحِيحُ
الْإِسْنَادِ (٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ رَأَى عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَوْباً جَدِيداً ، فَقَالَ :
« الْبَسْ جَدِيداً ، وَعِشْ حَمِيداً ، وَمُتْ شَهِيداً » ، رواهُ أَبُو مَاجَه
وَأَبُو الشَّيْنِ (٤) .

وُثِّبَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ، قَالَ : « بِأَسْمِ اللَّهِ ،
دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ

-
- (١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٤٨/٢٥٦) . عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْنِ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٢٧١) . عَنْ أَبِي
سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٣٥٦٠) . عَنْ أَبِي أُمَامَةَ صُدِّيِّ بْنِ عَجْلَانَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَأَخْلَقَ : بَلَّيَ . كَنْفَ اللَّهِ : حُرْزَهُ وَسْتَرَهُ .
(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو مَاجَه ، بِرَقْم (٣٥٥٨) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلِمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ » ، رواه أصحاب السنن الأربعة بإسنادٍ صحيحٍ ؛ وهم أبو داودَ والترمذي والنسائي وأبنُ ماجه ، وقال الترمذي : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ^(١) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَالَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ : بِأَسْمِ اللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، يُقَالُ لَهُ حِينَئِذٍ - أَي : تَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ - : هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيتَ ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ ، وَقَالَ لَشَيْطَانٍ آخَرَ : كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ ؟ »^(٢) .

وُثِبَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ دُخُولِ الْخَلَاءِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ » ، مَتَّقٌ عَلَيْهِ^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ : « غُفْرَانُكَ » ، رواه أبو داودَ بإسنادٍ صحيحٍ^(٤) .

وُثِبَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ دَعَاؤُهُ ﷺ فِي الْوُضُوءِ عَلَيْهِ » ، رواه أبو داودَ وغيره^(٥) .

(١) أخرجه أبو داود ، برقم (٥٠٩٤) . والترمذي برقم (٣٤٢٧) . والنسائي برقم (٥٥٣٩) . وأبن ماجه برقم (٣٨٨٤) . عن أُمِّ سَلَمَةَ هِنْدَ بِنْتِ أُمِّيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٢) أخرجه أبو داود ، برقم (٥٠٩٥) . عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٥٩٦٣) . ومُسلم برقم (٣٧٥/١٢٢) . عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . الْخُبْثُ وَالْخَبَائِثُ : ذُكُورُ الشَّيَاطِينِ وَإِنَاثُهُمْ .

(٤) أخرجه أبو داود ، برقم (٣٠) . عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .
(٥) أخرجه أبو داود ، برقم (١٠١) . وأبن ماجه برقم (٣٩٨) . عن سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي أَثْنَاءِ وَضُوئِهِ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، [ق٢٣٦] وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي ، وَبَارِكْ / لِي فِي رِزْقِي » ، رواه النسائي وابن السنني بإسنادٍ صحيح^(١) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ - أَي : بعد الفراغ - : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، [إِلَّا] فَتُحِتَ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » ، رواه مسلم^(٢) والترمذي وزاد : « اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ »^(٣) .

وُثِّبَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ مَا يَقُولُهُ إِذَا خَرَجَ مِنَ بَيْتِهِ . دعاؤه ﷺ إذا خرج إلى الصلاة

وزاد في « صحيح مسلم » ، وقال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نوراً ، وَفِي لِسَانِي نوراً ، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نوراً ، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نوراً ، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نوراً ، وَمِنْ أَمَامِي نوراً ، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نوراً ، وَمِنْ تَحْتِي نوراً ، اللَّهُمَّ اعْطِنِي نوراً »^(٤) .

وزاد ابن السنني : « اللَّهُمَّ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّ مَخْرَجِي هَذَا ، فَإِنَّهُ لَمْ أَخْرُجْهُ أَشْراً وَلَا بَطْراً ، وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً ، خَرَجْتُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ، وَاتَّقَاءَ سَخَطِكَ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيدَنِي مِنْ

(١) أخرجه ابن السنني في « عمل اليوم والليلة » ، برقم (٢٨) . عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم ، برقم (١٧/٢٣٤) . عن عتبة بن عامر رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الترمذي ، برقم (٥٥) . عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٤) أخرجه مسلم ، برقم (١٨١/٧٦٣) . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

النَّارِ وَتَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ» (١) .

وُثِّبَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ قَالَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ؛ قَالَ الشَّيْطَانُ : حَفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ » ، رواه أبو داود بإسناد حسن (٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ أَفْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ » ، رواه مُسْلِمٌ (٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ : « بِأَسْمِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ » ، وَإِذَا خَرَجَ قَالَ : « بِأَسْمِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ » (٤) .

وُثِّبَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ » ، مَتَّقٍ عَلَيْهِ (٥) .

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ

(١) أخرجه ابن السنِّي في «عمل اليوم والليلة» ، برقم (٨٤) . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه أبو داود ، برقم (٤٦٦) . عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه مُسْلِمٌ ، برقم (٦٨/٧١٣) . عن أبي أُسَيْدٍ مالك بن ربيعة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه ابن السنِّي في «عمل اليوم والليلة» ، برقم (٨٨) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري ، برقم (٥٨٦) . ومُسلم برقم (١٠/٣٨٣) . عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه .

ما يقول ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [ق٢٣٧] بِهَا / عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنَزَلَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ ^(١) - أي : وجبت - .

قُلْتُ : هُكَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ : « أَنَا هُوَ » وَالْأَفْصَحُ : أَنْ أَكُونَ أَنَا إِيَّاهُ ^(٢) .

وروى البخاريُّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ - أي : بَعْدَ الْفَرَاغِ - اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(٣) .

(١) أخرجه مُسلم ، برقم (٣٨٤ / ١١) . عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٢) قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله تعالى في «صحيح مسلم» ، ج ١ / ٢٨٩ : « أَنَا هُوَ » ؛ خبرٌ كَانَ وَقَعَ مَوْقِعَ إِيَّاهُ ، هَذَا عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ « أَنَا » تَأْكِيدًا لِلزَّمِيرِ الْمُسْتَرِ فِي « أَكُونَ » ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ « أَنَا » مُبْتَدَأُ وَ « هُوَ » خَبَرُهُ ، وَالْجُمْلَةُ خَيْرٌ أَكُونَ .

(٣) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٥٨٩) . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

فَضْلُكَ فِي الصَّلَاةِ

وَأَمَّا أَذْكَارُهُ ﷺ فِي الصَّلَاةِ : فِي الْإِفْتِتَاحِ ، وَالْقِيَامِ ،
وَالرُّكُوعِ ، وَالْإِعْتِدَالِ ، وَالسُّجُودَيْنِ ، وَالْجُلُوسِ بَيْنَهُمَا ، وَفِي
التَّشَهُّدِ وَمَا بَعْدَهُ .

فَثَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَفْتَتَحَ الصَّلَاةَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ ،
وَإِذَا كَبَّرَ لِلرُّكُوعِ ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ رَفَعَهُمَا كَذَلِكَ أَيْضاً ،
وَقَالَ : « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » ، ثُمَّ قَالَ : « رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ » ،
وَكَانَ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي السُّجُودِ . مَتَّقُ عَلَيْهِ (١) .

وَأَنَّهُ ﷺ حِينَ يَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ يَرْفَعُ يَدَيْهِ ، ثُمَّ يَضَعُ يَدَهُ الْيُمْنَى
عَلَى الْيُسْرَى . رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢) .

وَفِي الْبُخَارِيِّ : كَانَ النَّاسُ يُؤْمَرُونَ فِي الصَّلَاةِ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ
يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى ذِرَاعِهِ الْيُسْرَى (٣) .

قَالَ الْعَلَنَاءُ : وَالْحِكْمَةُ فِي هَذِهِ الْهَيْئَةِ ، أَنَّهُ صِفَةُ الْعَبْدِ الْمُسْتَسْلِمِ
لِمَوْلَاهُ .

وُثِبَتْ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ بَعْدَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ
وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكَ أَسْمُكَ ، وَتَعَالَى جَدُّكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ » ، رَوَاهُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٧٠٢) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٢/٣٩٠) . عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٥٤/٤٠١) . عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٧٠٧) . عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الترمذي وأبو داود وأبن ماجه^(١) .

وَأَنَّهُ [ﷺ] سَمِعَ رَجُلًا قَالَ بَعْدَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ : اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ، فَقَالَ : « عَجِبْتُ
لَهَا ، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ الْجَنَّةِ » ، رواه مُسْلِمٌ^(٢) .

وروى مُسْلِمٌ أَيْضًا أَنَّهُ [ﷺ] كَانَ يَقُولُ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ :
« وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ، وَمَا أَنَا مِنَ
[٢٣٨ق] الْمُشْرِكِينَ / ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،
لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ »^(٣) ، رواه أَبْنُ
حَبَّانٍ فِي « صَحِيحِهِ » وَزَادَ بَعْدَ حَنِيفًا : « مُسْلِمًا »^(٤) .

وروى الْبُخَارِيُّ أَنَّهُ [ﷺ] كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٢٤٢) . وَأَبُو دَاوُدَ بِرَقْم (٧٧٥) . وَأَبْنُ مَاجَه
بِرَقْم (٨٠٤) . عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٥٠/٦٠١) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٠١/٧٧١) . عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ . قُلْتُ : قَالَ مُحَمَّدٌ فَوَادَ عَبْدِ الْبَاقِي فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» ،
ج ١/٥٣٤ : وَجَّهْتُ وَجْهِيَ : قَصَدْتُ بَعَادَتِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ ، أَيْ : ابْتَدَأَ خَلْقَهَا . حَنِيفًا : قَالَ الْأَكْثَرُونَ : مَعْنَاهُ مَائِلًا إِلَى
الَّذِينَ وَالْحَقُّ ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ ، وَأَصْلُ الْحَنِفِ : الْمَيْلُ . وَيَكُونُ فِي
الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَيَنْصَرَفُ إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ الْقَرِينَةُ ، وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِالْحَنِيفِ
هَنَا ؛ الْمُسْتَقِيمُ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الْحَنِيفُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . النَّشُكُ : الْعِبَادَةُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ النَّسِيكَةِ ؛ وَهِيَ
الْفِضَّةُ الْمَذَابَةُ الْمَصْفَاةُ مِنْ كُلِّ خَلْطٍ . وَالنَّسِيكَةُ : مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى .

(٤) أَخْرَجَهُ أَبْنُ بَلْبَانَ فِي «الْإِحْسَانِ» ، بِرَقْم (١٧٧١) . عَنْهُ .

خَطَايَايَ ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ
خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ
بِالْمَاءِ وَالتَّلَجِ وَالْبَرَدِ « (١) .

وُثِبَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ » ، رواه أصحابُ السُّنَنِ
الأربعة (٢) .

وُثِبَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَا صَلَاةَ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ » ، مَتَّقْ
عَلَيْهِ (٣) .

ولَفِظُ أَبِي خُزَيْمَةَ وَأَبْنِ حَبَّانَ فِي « صَحِيحَيْهِمَا » : « لَا تُجْزَى
صَلَاةٌ لَا يُقْرَأُ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ » (٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ عَدَّ الْبِسْمَلَةَ آيَةً مِنَ الْفَاتِحَةِ . رواه أَبُو خُزَيْمَةَ وَالْحَاكِمُ
وَصَحَّاحُهُ (٥) .

(١) أخرجه البخاري ، برقم (٧١١) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي ، برقم (٢٤٢) . وأبو داود برقم (٧٧٥) . عن
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وأخرجه ابن ماجه ، برقم (٨٠٧) .
عن جبير بن مطعم رضي الله عنه . نفخ الشيطان : الكبير ، ونفثه :
الشعر . وهمزه : الجنون .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٧٣٣) . ومسلم برقم (٣٩٤/٣٤) . عن
عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

(٤) أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » ، برقم (٤٩٠) . وانظر « الإحسان » ،
برقم (١٧٨٩) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » ، برقم (٤٩٣) . والحاكم في
« المستدرک » ، ج ١/ ٢٣٢ . عن أم سلمة رضي الله عنها .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِذَا قَالَ الْإِمَامُ : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ فَقُولُوا : آمِينَ ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ - أَي : فِي حَالَةِ التَّامِينَ - قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ - أَي : فِي السَّمَاءِ كَمَا فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى - غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ، مَتَّقْ عَلَيْهِ (١) .

وُثِبَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ سُورَةً ، إِلَّا فِي الثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ . مَتَّقْ عَلَيْهِ (٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الصُّبْحِ وَالظُّهْرِ بِطَوَالِ الْمُفْصَلِ ، وَفِي الْعَصْرِ وَالْعِشَاءِ بِأَوْسَاطِهِ ، وَفِي الْمَغْرِبِ بِقِصَارِهِ . رَوَاهُ النَّسَائِيُّ (٣) .

وَأَوَّلُ الْمُفْصَلِ الْحُجُرَاتُ (٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صُبْحِ الْجُمُعَةِ : ﴿ اَلَمْ * تَنْزِيلُ ﴾ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى ، وَفِي الثَّانِيَةِ : ﴿ هَلْ أَتَى ﴾ ، مَتَّقْ عَلَيْهِ (٥) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، رَقْم (٧٤٩) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٧٢/٤١٠) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٧٢٨) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٥٥/٤٥١) . عَنْ الْحَارِثِ بْنِ رَبِيعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ ، بِرَقْم (٩٨٢) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) الْمُفْصَلُ : مِنْ أَوَّلِ الْحُجُرَاتِ إِلَى آخِرِ الْمُصْحَفِ فِي الْأَصَحِّ . أَوْ مِنْ (الْجَانِيَةِ) ، أَوْ (قَافٍ) ، عَنْ التَّوَوِّيِّ . أَوْ مِنْ (الْصَّافَاتِ) ، أَوْ (الْصَّفِّ) ، أَوْ (تَبَارَكَ) ، عَنْ ابْنِ أَبِي الصَّيْفِ . أَوْ (الْفَتْحِ) ، عَنْ الدِّزْمَارِيِّ . أَوْ (الْأَعْلَى) ، عَنْ الْفِرْكَاحِ . أَوْ (الضُّحَى) ، عَنْ الْخَطَّابِيِّ . وَسَمِيَ لِكَثْرَةِ الْفُصُولِ بَيْنَ سُورِهِ ، أَوْ لِقَلَّةِ الْمَنْسُوخِ فِيهِ . (أَنْصَارِي) .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٨٥١) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٦٥/٨٨٠) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَأَنَّهُ ﷺ قَرَأَ فِي رَكَعَتَيْ سُنَّةِ الْفَجْرِ بِسُورَتِي : الْإِخْلَاصِ
وَالْكَافِرُونَ . رواه مُسْلِمٌ ^(١) .

وُثِّبَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا رَكَعَ كَبَّرَ مَعَ ابْتِدَاءِ الْهُوِيِّ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ
حَذَوْ مَنْكِبَيْهِ ، وَيَقُولُ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ » ثَلَاثًا ، رواه في [ق ٢٣٩]
التَّكْبِيرِ وَالرَّفْعِ الشَّيْخَانِ ^(٢) . وَفِي التَّسْبِيحِ مُسْلِمٌ ^(٣) ، وَفِي تَثْلِيثِ
التَّسْبِيحِ أَبُو دَاوُدَ ^(٤) .

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ أَيْضًا فِي رُكُوعِهِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ :
« اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي
وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي » ^(٥) .

زَادَ ابْنُ حَبَّانَ : « وَمَا أَسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » ^(٦) .

وُثِّبَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ رَفَعَ يَدَيْهِ قَائِلًا :
« سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » ، فَإِذَا أَنْتَصَبَ قَالَ : « رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ » ،
مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(٧) .

-
- (١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٩٨/٧٢٦) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 - (٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٧٠٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٢/٣٩٠) . عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
 - (٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٠٣/٧٧٢) . عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 - (٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٨٨٦) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 - (٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٠١/٧٧١) . عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 - (٦) انْظُرْ «الْإِحْسَانُ» ، بِرَقْم (١٩٠١) . عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 - (٧) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٧٥٦) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٨/٣٩٢) . عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِذَا قَالَ الْإِمَامُ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ،
فَقُولُوا : رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ
مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ، مَتَّقُ عَلَيْهِ (١) .

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَزِيدُ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ : « مِلْءَ السَّمَاوَاتِ ،
وَمِلْءَ الْأَرْضِ ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ ،
أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ ، وَكُنَّا لَكَ عَبْدٌ ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ،
وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ » (٢) .

أَذْكَارُهُ ﷺ فِي السُّجُودِ

وَثَبَتْ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُكَبِّرُ لَهُوِيَّهِ إِذَا سَجَدَ . مَتَّقُ عَلَيْهِ (٣) .

زَادَ الْبُخَارِيُّ : بَلَا رَفَعَ لِيَدَيْهِ (٤) .

زَادَ أَصْحَابُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةُ : وَيَضَعُ رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ كَفَّيْهِ (٥) .

زَادَ مُسْلِمٌ وَيَقُولُ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى » (٦) . زَادَ أَبُو دَاوُدَ :

« ثَلَاثًا » (٧) .

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَنَّهُ ﷺ [كَانَ يَزِيدُ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ] فِي سَجُودِهِ
فَيَقُولُ [: « اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَلَكَ أَسَلَمْتُ ،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٧٦٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٤٠٩/٧١) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٤٧٧/٢٠٥) . عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٧٥٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٣٩٣/٣٣) . عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٧٠٢) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٥) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٢٦٨) . وَالنَّسَائِيُّ بِرَقْم (١١٥٤) . وَأَبُو دَاوُدَ

بِرَقْم (٨٣٨) . وَابْنُ مَاجَةَ بِرَقْم (٨٨٢) . عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٦) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٧٧٢/٢٠٣) . عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٧) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٨٦٩) . عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » (١) .

وروى مُسلمٌ أيضاً أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ ، وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ » (٢) .

وُثِّبَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَكْبِّرُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٣) .
أَذْكَارُهُ ﷺ فِي جُلُوسِهِ
بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ

زَادَ التِّرْمِذِيُّ : وَيَجْلِسُ [ﷺ] مُفْتَرِشًا . وَقَالَ : حَسَنٌ صَحِيحٌ (٤) .

زَادَ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهٍ ثُمَّ يَقُولُ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَأَرْحَمْنِي ، وَأَجْبِرْنِي ، / وَأَرْفَعْنِي ، وَأَهْدِنِي ، وَأَرْزُقْنِي ، وَعَافِنِي » (٥) .
[٢٤٠ق]

وروى البُخَارِيُّ أَنَّهُ ﷺ إِذَا كَانَ فِي وَتَرٍ مِنْ صَلَاتِهِ لَمْ يَنْهَضْ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَاعِدًا - أَي : لِلِاسْتِرَاحَةِ - (٦) .

وروى البُخَارِيُّ وَمُسلمٌ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِلْمُسَيِّءِ فِي صَلَاتِهِ : « إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاسْبِغِ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ ، ثُمَّ أَقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ، ثُمَّ أَرْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ أَرْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ جَالِسًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ أَرْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ

(١) أخرجه مُسلم ، برقم (٧٧١ / ٢٠١) . عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مُسلم ، برقم (٤٨٢ / ٢١٥) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البُخَارِيُّ ، برقم (٧٧٠) . ومُسلم برقم (٣٩٢ / ٢٨) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه التِّرْمِذِيُّ ، برقم (٢٩٢) . عن وائل بن حُجْر رضي الله عنه .

(٥) أخرجه أبو داود ، برقم (٨٥٠) . وابن ماجه برقم (٨٩٨) . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٦) أخرجه البُخَارِيُّ ، برقم (٧٨٩) . عن مالك بن الحُوَيْرِث رضي الله عنه .

قَائِمًا ، ثُمَّ أَفْعَلَ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا » (١) .

فَاعِلَةٌ

فيما يُتْلَى من القرآن في
الصَّلَاة

قَالَ أَبُو دَقِيقٍ الْعِيدِ : ظَاهِرُ الْحَدِيثِ الدَّلَالَةُ عَلَى وَجوبِ مَا ذُكِرَ
فِيهِ ، وَعَدَمِ وَجوبِ مَا لَمْ يُذَكَّرْ فِيهِ ؛ وَذَلِكَ مُتَوَقِّفٌ عَلَى جَمْعِ طُرُقِهِ ،
وَالْأَخْذُ بِالزَّائِدِ فَالزَّائِدِ ، فَلَأَبِي دَاوُدَ : « ثُمَّ أَقْرَأَ بِأَمِّ الْقُرْآنِ » (٢) ، وَكَذَا
لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ وَأَبْنِ حَبَّانَ وَزَادَا : « ثُمَّ يَمَاشِثُ » (٣) ، وَحِينَئِذٍ إِنْ عَارَضَ
الْوَجوبَ أَوْ عَدِمَهُ دَلِيلٌ أَقْوَى مِنْهُ عُيِّلَ بِهِ .

وُثِبَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمُ التَّشَهُّدَ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :
« التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ » ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤) .

أَذْكَارُهُ ﷺ فِي التَّشَهُّدِ

وَأَنَّهُمْ قَالُوا : كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ : « قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى
آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ
عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » ، مَتَّقٌ عَلَيْهِ (٥) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٨٩٧) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٤٥/٣٩٧) ، عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٨٥٦) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي « مُسْنَدِهِ » ، بِرَقْم (١٨٥١٦) . عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٦٠/٤٠٣) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٩٩٦) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٦٦/٤٠٦) . عَنْ
كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَاتَعَلَّ

في قول: السَّلام عليك
أيها النبيُّ

إِنَّمَا لَمْ يَقُلْ لَهُمْ قُولُوا : الصَّلَاةُ عَلَيْكَ - بِالْخِطَابِ - كَمَا فِي :
(السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ) بَلْ جَعَلَهَا دُعَاءً مِنَ اللَّهِ لَهُ ، لِتَكُونَ صَلَاةً
صَالِحَةً فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ .

وقد ثبتَ في البُخاريِّ : إِنَّمَا كُنَّا نَقُولُ : السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا
النَّبِيُّ ، وَهُوَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، فَلَمَّا قُبِضَ قُلْنَا : السَّلامُ / عَلَى النَّبِيِّ (١) . [ق٢٤١]
فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْخِطَابَ إِنَّمَا وَقَعَ بِطَرِيقِ الاسْتِصْحَابِ الَّذِي لَمْ يَحْسُنْ
تَغْيِيرُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ﷺ ، وَإِنَّهُ غَيْرُ مُتَعَيِّنٍ .

وَبُثِّتَ أَنَّهُ ﷺ عَلَّمَهُمُ التَّشَهُّدَ ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهِ : « ثُمَّ لِيَتَخَيَّرَ مِنْ
الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو » ، مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ
مِنْ أَرْبَعٍ : مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا
وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ » ، مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي آخِرِ التَّشَهُّدِ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ
وَمَا أَخَّرْتُ . وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَسْرَفْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ
مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ عَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُعَاءً يَدْعُو بِهِ فِي

(١) أخرجه البخاريُّ، برقم (٥٩١٠) . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٨٠٠) . ومسلم برقم (٥٨/٤٠٢) . عن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاريُّ ، برقم (١٣١١) . ومسلم برقم (١٣٠/٥٨٨) . عن
أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه مسلم ، برقم (٧٧١) . عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

صَلَاتِهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَأَرْحَمَنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » ، مَتَّقْ عَلَيْهِ (١) .

وَبُثَّ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَتَحَلَّلُ مِنَ الصَّلَاةِ بِالسَّلَامِ يَقُولُ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » ، مَرَّتَيْنِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، مُلْتَفِتًا فِي الْأُولَى حَتَّى يُرَى خَدُّهُ الْأَيْمَنُ ، وَفِي الثَّانِيَةِ حَتَّى يُرَى خَدُّهُ الْأَيْسَرُ . رواه الدارقطني وأبو حبان في « صحيحه » (٢) .

وَبُثَّ أَنَّهُ ﷺ عَلَّمَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْ يَقُولَ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ : « اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ » ، رواه أصحابُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةِ (٣) . والبيهقي ، وزاد الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي آخِرِهِ (٤) .

وَأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ ابْنَ الْحَنْفِيَّةِ قَالَ : إِنَّ هَذَا الدُّعَاءَ هُوَ الَّذِي [ق٢٤٢] / كَانَ أَبِي يَدْعُو بِهِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ فِي قُنُوتِهِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٧٩٩) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٧٠٥/٤٨) . عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو حَبَانَ ، انْظُرْ «الْإِحْسَانُ» ، بِرَقْم ١٩٩٠ . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٤٦٤) . وَالتَّسَائِيُّ بِرَقْم (١٧٤٥) . وَأَبُو دَاوُدَ بِرَقْم (١٤٢٥) . وَأَبْنُ مَاجَهَ بِرَقْم (١١٧٨) . عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٣٥/٥٩١) . عَنْ ثَوْبَانَ بْنِ بَجْدَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَضْلُكَ

فِي لَوَاحِقِ الصَّلَاةِ

وَأَمَّا لَوَاحِقُ الصَّلَاةِ : ففِيمَا كَانَ يَقُولُهُ ﷺ بَعْدَ السَّلَامِ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَفِي أَذْكَارِهِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ ، وَفِي أَذْكَارِهِ فِي أَوْقَاتِ مُتَفَرِّقَةٍ ، وَفِي أَذْكَارِهِ فِي التَّلَاوَةِ ، وَفِي أَدْعِيَةٍ مَأْثُورَةٍ عَنْهُ ، وَفِي أَذْكَارِهِ عِنْدَ النَّوْمِ .

فَثَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَنْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ أَسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا ، دَعَاؤُهُ ﷺ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الصَّلَاةِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ ، وَمِنْكَ السَّلَامُ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ » ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ ^(١) .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ » ، مَتَّقٍ عَلَيْهِ ^(٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِئَةِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ ^(٣) .

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٣٥/٥٩١) . عَنْ ثُوبَانَ بْنِ بَجْدَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٨٠٨) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣٧/٥٩٣) . عَنْ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٤٦/٥٩٧) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : « يَا مُعَاذُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ ، وَأَوْصِيكَ ، لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ » ، رواه أبو داود والنسائي ، بإسنادٍ صحيح^(١) .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ - أَي : فَرَّغَ مِنْهَا - مَسَحَ جَبْهَتَهُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ، ثُمَّ قَالَ : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنِّي الْهَمَّ وَالْحَزْنَ » ، رواه أَبُو السَّنِيِّ^(٢) .

وروى أيضاً - [أَي : أَبُو السَّنِيِّ] - أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَنْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ » [٢٤٣] ، وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ / أَلْقَاكَ^(٣) .

وَبُثِّتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ ؛ تَامَّةً ، تَامَّةً ، تَامَّةً » ، رواه التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَعَدَ فِي مُصَلَاةٍ حِينَ يَنْصَرِفُ ، مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتِي الضُّحَى ، لَا يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » ، رواه الإمام أحمد وأبو داود^(٥) .

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (١٥٢٢) . وَالنَّسَائِيُّ بِرَقْم (١٣٠٣) .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو السَّنِيِّ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (١١٢) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو السَّنِيِّ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (١٢١) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٥٨٦) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي « مُسْنَدِهِ » ، بِرَقْم (١٥١٩٦) . وَأَبُو دَاوُدَ بِرَقْم (١٢٨٧) . عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، عَشْرَ مَرَّاتٍ ؛ كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَمُحِيتَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ ، وَكَانَ يَوْمُهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، وَحُرِّسَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَلَمْ يَنْبَغِ لِدَنْبٍ أَنْ يُذْرِكَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا الشُّرْكُ بِاللَّهِ تَعَالَى » ، رواه الترمذي ، وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ^(١) .

دَعَاؤُهُ ﷺ فِي الصُّبْحِ
وَالْمَسَاءِ

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ ، وَمَسَاءٍ كُلِّ لَيْلَةٍ : بِأَسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ » ، رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ^(٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَبُوؤُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوؤُ لَكَ بِذَنْبِي - أَي : أَقْرُ - فَاعْفُرْ لِي ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ - أَي : أَعْمَالِي السَّيِّئَةِ - مَنْ قَالَ ذَلِكَ حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ حِينَ يُمَسِي فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ » ، رواه البخاري^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ / : « مَنْ قَالَ أَوَّلَ نَهَارِهِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا [ق٢٤٤] أَنْتَ ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، أَعْلَمُ

(١) أخرجه الترمذي ، برقم (٣٤٧٤) . عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٣٨٨) . عن عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٥٩٦٤) . عن شدد بن أوس رضي الله عنه .

أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا . اللَّهُمَّ
إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ
رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ؛ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَمَنْ قَالَهَا
آخِرَ النَّهَارِ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يُصْبِحَ » ، رواه أَبُو الشَّيْثَانِ (١) .

وفي رواية : « لَمْ يُصِبْهُ فِي نَفْسِهِ وَلَا أَهْلِهِ وَلَا مَالِهِ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ » (٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ
لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ ؟ فَقَالَ : « أَمَا إِنَّكَ لَوْ قُلْتَ حِينَ أُمْسَيْتَ : أَعُوذُ
بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ؛ لَمْ تَضُرَّكَ » ، رواه مُسْلِمٌ (٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ : « اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا ، وَبِكَ
أُمْسَيْنَا ، وَبِكَ نَحْيَا ، وَبِكَ نَمُوتُ ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ » . وَإِذَا أُمْسَى
قَالَ : « اللَّهُمَّ بِكَ أُمْسَيْنَا ، وَبِكَ أَصْبَحْنَا » إِلَى آخِرِهِ ، رواه أَبُو دَاوُدَ
وَالْتِّرْمِذِيُّ وَأَبْنُ مَاجَه ، بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ (٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ، وَحِينَ يُمْسِي : رَضِيتُ بِاللَّهِ
رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا ؛ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ
يُرْضِيَهُ » ، رواه أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ بِأَسَانِيدٍ جَيِّدَةٍ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : هَذَا
حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ ، وَالْحَاكِمُ وَقَالَ : صَحِيحُ الْإِسْنَادِ (٥) .

(١) أخرجه أَبُو الشَّيْثَانِ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٥٧) . عَنْ
أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أخرجه أَبُو الشَّيْثَانِ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٥٨) .

(٣) أخرجه مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٧٠٩) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أخرجه أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٥٠٦٨) . وَالتِّرْمِذِيُّ بِرَقْم (٣٣٩١) . وَأَبْنُ

مَاجَه بِرَقْم (٣٨٦٨) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) أخرجه التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٣٣٨٩) . وَالْحَاكِمُ فِي « الْمُسْتَدْرَكِ » ،

ج ١ / ٥١٨ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمَسِّي : اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ ، أَشْهَدُكَ وَأُشْهَدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ ؛ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ؛ أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ . فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ ؛ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ . وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا ؛ أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلَاثَةً / أَرْبَاعَهُ مِنَ النَّارِ . فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا ؛ [ق ٢٤٥] أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ » ، رواه أبو داود ، بإسنادٍ جيّد^(١) .

وروى أيضاً بأسانيد جيّدة ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ : اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحَدِّكَ ، لَا شَرِيكَ لَكَ ، لَكَ الْحَمْدُ ، وَلَكَ الشُّكْرُ ؛ فَقَدْ آدَى شُكْرُ يَوْمِهِ . وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمَسِّي ؛ فَقَدْ آدَى شُكْرَ لَيْلَتِهِ »^(٢) .

وفي « صحيح مُسلم » ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ »^(٣) .

وَبُثِّتَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ بَعْدَ رَكْعَتَيْ الْفَجْرِ ، وَهُوَ جَالِسٌ : دَعَاؤُهُ ﷺ فِي أَوْقَاتِ مُتَفَرِّقَةٍ
« اللَّهُمَّ رَبِّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمُحَمَّدٍ [النَّبِيِّ] ﷺ : أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ ، [ثَلَاثَ مَرَّاتٍ] » ، رواه أَبُو الشَّيْنِيِّ^(٤) .

وروى أيضاً - [أَي : أَبُو الشَّيْنِيِّ] - أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَالَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

-
- (١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٥٠٦٩) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 - (٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٥٠٧٣) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَنَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 - (٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٩/٢٦٩٢) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 - (٤) أَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْنِيِّ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (١٠٣) . عَنْ عَامِرِ بْنِ أَسَاةٍ الْهَذَلِيِّ مَرْفُوعاً .

الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَاتَّوْبُ إِلَيْهِ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ ، وَلَوْ
كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ »^(١) .

وروى أيضاً - [أي : ابن السنِّي] - أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا طَلَعَتِ
الشَّمْسُ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَلَّلَنَا الْيَوْمَ - أَي : أَلْبَسَنَا - عَافِيَتَهُ ، وَجَاءَ
بِالشَّمْسِ مِنْ مَطْلَعِهَا . اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَشْهَدُ لَكَ بِمَا شَهِدْتَ بِهِ
لِنَفْسِكَ ، وَشَهِدْتَ بِهِ مَلَائِكَتِكَ ، وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ ، وَأُولُوا الْعِلْمِ مِنْ
خَلْقِكَ ؛ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . أَكْتُبُ شَهَادَتِي بَعْدَ شَهَادَةِ مَلَائِكَتِكَ وَأُولِي الْعِلْمِ ،
وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ بِمِثْلِ مَا شَهِدْتَ بِهِ فَأَكْتُبُ شَهَادَتِي مَكَانَ شَهَادَتِهِ »^(٢) .

وروى أبو داود والترمذي أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ عِنْدَ
أَذَانِ الْمَغْرِبِ : « اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا إِقْبَالُ لَيْلِكَ ، وَإِدْبَارُ نَهَارِكَ ،
وَأَصْوَاتُ دُعَاتِكَ ؛ فَاعْفِرْ لِي »^(٣) .

[ق٢٤٦] وروى ابنُ السنِّي أَنَّهُ ﷺ / كَانَ يَقُولُ بَعْدَ أَنْ يُصَلِّيَ سُنَّةَ
الْمَغْرِبِ : « يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ »^(٤) .

وروى أبو داود والنسائي بالإسنادِ الصَّحِيحِ ، أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا

(١) أخرجه ابنُ السنِّي في « عمل اليوم والليلة » ، برقم (٨٣) . عن أنس بن
مالك رضي الله عنه .

(٢) أخرجه ابنُ السنِّي في « عمل اليوم والليلة » ، برقم (١٤٧) . عن
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أبو داود ، برقم (٥٣٠) . والترمذي برقم (٣٥٨٩) . عن أمِّ
سَلَمَةَ هند بنت أمية رضي الله عنها .

(٤) أخرجه ابنُ السنِّي في « عمل اليوم والليلة » ، برقم (٦٥٨) . عن أمِّ
سَلَمَةَ رضي الله عنها .

سَلَّمَ مِنَ الْوِثْرِ قَالَ : « سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ »^(١) . زَادَ النَّسَائِيُّ :
« ثَلَاثَ مَرَّاتٍ »^(٢) .

وَرَوَى أَيْضاً - [أَي : أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ] - أَنَّهُ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] كَانَ يَقُولُ
بَعْدَ الْوِثْرِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ
عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ
عَلَى نَفْسِكَ » ، وَرَوَاهُ أَيْضاً التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ^(٣) .

وَبُثِّنَ أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَهُ بِهِ
حَسَنَةٌ ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا » ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ
حَسَنٌ^(٤) .

وَأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ » ، رَوَاهُ
النَّسَائِيُّ وَأَبْنُ مَاجَهَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ^(٥) .

وَأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ ، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ .
وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ . وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ
الْمُقْنَطِرِينَ » - أَي : مِمَّنْ كُتِبَ لَهُ قِنطَارٌ مِنَ الْأَجْرِ - رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ
وَأَبْنُ خُزَيْمَةَ فِي « صَحِيحِهِ »^(٦) .

وَأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ

-
- (١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (١٤٣٠) . عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٢) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ ، بِرَقْم (١٧٣٤) . عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْرَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (١٤٢٧) . وَالنَّسَائِيُّ بِرَقْم (١٧٤٧) . وَالتِّرْمِذِيُّ
بِرَقْم (٣٥٦٦) . عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٢٩١٠) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٥) أَخْرَجَهُ أَبْنُ مَاجَهَ ، بِرَقْم (٢١٥) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٦) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (١٣٩٨) . وَأَبْنُ خُزَيْمَةَ (١١٤٤) . عَنْ
عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

كَفَتَاهُ « - أَي : مِنْ كُلِّ سَوْءٍ ، وَعَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ - مَتَّقُ عَلَيْهِ ^(١) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ » ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضاً ^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « آيَةُ الْكُرْسِيِّ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ » ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ ^(٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « سُورَةُ الْبَقَرَةِ فِيهَا آيَةٌ ، هِيَ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ ، [٢٤٧] لَا تُقْرَأُ / فِي بَيْتٍ فِيهِ شَيْطَانٌ إِلَّا خَرَجَ مِنْهُ ، وَهِيَ آيَةُ الْكُرْسِيِّ » ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّاحُهُ ^(٥) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « يَسُ قَلْبُ الْقُرْآنِ ، لَا يَقْرُؤُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ بِهَا وَجَهَ اللَّهِ ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ » ، رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَأَبْنُ مَاجَهَ وَالْحَاكِمُ ، وَقَالَ : صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ^(٦) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٧٢٢) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٨٠٧/٢٥٥) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٢٠٤) . عَنْ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمَعْلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٦٢٦٧) . عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٥٨/٨١٠) ؛ بَنَحُوهُ . عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٢٨٧٨) . وَالْحَاكِمُ فِي « الْمُسْتَدْرَكِ » ، ج ٢ / ٢٦٠ . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٦) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي « مُسْنَدِهِ » ، بِرَقْم (١٩٧٨٩) . وَأَبُو دَاوُدَ بِرَقْم (٣٢٢١) . وَأَبْنُ مَاجَهَ بِرَقْم (١٤٤٨) . عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِنَّ سُوْرَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ، ثَلَاثُونَ آيَةً ؛ شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ ، وَهِيَ ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ » ، رواه أصحاب السنن الأربعة وابن حبان في « صحيحه » والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد^(١) .

وفي رواية للحاكم : « وَدِدْتُ أَنَّهَا فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ »^(٢) .

وفي أخرى له وللنسائي : « مَنْ قَرَأَ ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ كُلَّ لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطْنَبَ ، وَمَنَعَهُ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ »^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : « إِقْرَأْ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ حِينَ تُصْبِحُ وَحِينَ تُمَسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ » ، رواه أبو داود والنسائي والترمذي بالأسانيد الصحيحة ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح^(٤) .

وَبُثِّنَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ » ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [سورة غافر ٤٠/٦٠] رواه أصحاب السنن الأربعة ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وابن حبان في « صحيحه » ،

(١) أخرجه الترمذي ، برقم (٢٨٩١) . وأبو داود برقم (١٤٠٠) . وابن ماجه برقم (٣٧٨٦) . والحاكم في « المستدرک » ، ج ٢/٤٩٨ . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرک » ، ج ١/٥٦٥ . عنه .

(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرک » ، ج ٢/٤٩٨ . والنسائي في « عمل اليوم والليلة » ، برقم (٧١١) . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الترمذي ، برقم (٣٥٧٥) . وأبو داود برقم (٥٠٨٢) . عن عبد الله بن حبيب رضي الله عنه .

والحاكِمُ ، وقال : صحيحُ الإسنادِ^(١) .
وأنَّهُ ﷺ قال لبعضِ أصحابِهِ : « إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ ، فَاحْمَدِ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَصَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ ، ثُمَّ ادْعُ بِمَا تُحِبُّ » ، رواه الإمامُ أحمدُ وأصحابُ السُّنَنِ الأربعةُ وأَبْنُ حَبَّانَ فِي « صحيحه »^(٢) .
وأنَّهُ ﷺ كَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ : « ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ » [سورة البقرة ٢٠١/٢] ، رواه البُخَارِيُّ^(٣) .
وأنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَتِ الْجَنَّةُ - أَي : بِلِسَانِ الْمَقَالِ ، وَقِيلَ : لِسَانِ الْحَالِ - : اللَّهُمَّ ادْخُلْهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ أَسْتَجَارَ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَتِ النَّارُ : اللَّهُمَّ أَجِرْهُ » [ق٢٤٨] ، رواه التِّرْمِذِيُّ / والنَّسَائِيُّ وَأَبْنُ مَاجَه وَابْنُ حَبَّانَ فِي « صحيحه » ، والحاكِمُ ، وقال : صحيحُ الإسنادِ^(٤) .
وأنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابُ الدُّعَاءِ فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ ، وَمَا سُئِلَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ الْعَافِيَةَ ، وَأَنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ » ، رواه الحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ^(٥) .

-
- (١) أخرجه التِّرْمِذِيُّ ، برقم (٣٢٤٧) . وأبو داود برقم (١٤٧٩) . وأَبْنُ مَاجَه برقم (٣٨٢٨) . عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٢) أخرجه التِّرْمِذِيُّ ، برقم (٣٤٧٦) . والنَّسَائِيُّ برقم (١٢٨٤) . عن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٣) أخرجه البُخَارِيُّ ، برقم (٦٠٢٦) . عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٤) أخرجه التِّرْمِذِيُّ ، برقم (٢٥٧٢) . والنَّسَائِيُّ برقم (٥٥٢١) . وأَبْنُ مَاجَه برقم (٤٣٤٠) . والحاكِمُ فِي «المستدرک» ، ج ١/ ٥٣٤ . عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٥) أخرجه الحَاكِمُ فِي «المستدرک» ، ج ١/ ٤٩٨ . عن عبد الله بن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَأَنَّهُ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي ﴿ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿ ، فَقَالَ لَهُ : « لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالْأَسْمِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ » ، رواه أبو داود وأبو ماجه والترمذي ، وقال : حديث حسن ، وأبو حبان في « صحيحه » ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد^(١) .

وَأَنَّهُ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، فَقَالَ : « قَدْ أُسْتَجِيبَ لَكَ ، فَسَلْ » ، رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن^(٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِمَنْ يَقُولُ : يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، فَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا ، قَالَ لَهُ الْمَلَكُ : إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَسَلْ » ، رواه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « دَعْوَةُ أَخِي ذِي النُّونِ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ؛ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أُسْتَجِيبَ لَهُ » ، رواه الترمذي والنسائي والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد^(٤) .

(١) أخرجه أبو داود ، برقم (١٤٩٣) . وأبو ماجه برقم (٣٨٥٧) . والترمذي برقم (٣٤٧٥) . والحاكم في « المستدرک » ، ج ١ / ٥٠٤ . عن بريدة بن الحبيب رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي ، برقم (٣٥٢٧) . عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرک » ، ج ١ / ٥٤٤ . عن أبي أمامة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الترمذي ، برقم (٣٥٠٥) . والحاكم في « المستدرک » ، ج ١ / ٥٠٥ . عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ » ، رواه النَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ^(١) .

وَبُثِّتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِعَلِيِّ وَفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا فَكَبِّرَا اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، [ق٢٤٩] وَأَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ » ، مَتَّقٍ عَلَيْهِ^(٢) / .

وَفِي رَوَايَةٍ : « فَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ »^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ فِي يَدَيْهِ ، وَقَرَأَ بِالْمُعَوَّذَاتِ ، وَمَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ ، مَتَّقٍ عَلَيْهِ^(٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ، وَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مُنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ . فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ » ، مَتَّقٍ عَلَيْهِ^(٥) .

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٣٥٥٨) . عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٩٥٩) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٧٢٧/٨٠) . عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٧٢٧/٨٠) . عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٩٦٠) . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . النَّفْثُ : نَفْحٌ لَطِيفٌ بِلَا رِيْقٍ . (أَنْصَارِيُّ) .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٩٥٢) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٧١٠/٥٦) . عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

فَضْلُكَ

في المرض وتوابعه

وَأَمَّا أَذْكَارُهُ فِي الْمَرَضِ وَتَوَابِعِهِ : مِنْ فَضِيلَةِ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ ،
وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى ، وَمَا يَقُولُهُ الْمَرِيضُ وَالْعَائِدُ وَالْمُحْتَضِرُ وَالْمُصَابُ
وَالْمُعْزَى لَهُ ، وَفَضْلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ وَحُضُورِ دَفْنِهِ ، وَمَا يَقُولُهُ
زَائِرُ الْقُبُورِ .

فَثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ ،
وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا ؛ إِلَّا
كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ » ، مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(١) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ ، أَوْ سَافَرَ ؛ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِثْلَ
مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا » ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : « ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ
جَسَدِكَ ، وَقُلْ : بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا . وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ
وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَازِرُ » ، مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(٣) .

زَادَ مَالِكٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ : وَأَنَّهُ - [أَبِي : عُثْمَانُ بْنُ
أَبِي الْعَاصِ] - فَعَلَ ذَلِكَ ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ مَا كَانَ بِهِ ^(٤) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٣١٨) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٥٧٣/٥٢) . عَنْ أَبِي

سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . الْوَصَبُ : الْوَجَعُ اللَّازِمُ . النَّصَبُ : التَّعَبُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٢٨٣٤) . عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٢٠٢/٦٧) . عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٢٠٨٠) . وَأَبُو دَاوُدَ بِرَقْم (٣٨٩١) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا ؛ لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ » ، رواه الترمذی ، وقال : حديث حسن^(١) .

[ق ٢٥٠] وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ عَادَ مَرِيضًا ، لَمْ يَحْضُرْ / أَجَلُهُ ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، أَنْ يَشْفِيكَ ؛ إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ » ، رواه أبو داود والنسائي والترمذی ، وقال : حديث حسن^(٢) ، وأبو حبان في « صحيحه » ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط البخاري^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَا تَكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ » ، رواه أبو ماجه والترمذی ، وقال : حديث حسن^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا عَوَّذَ الْمَرِيضَ ، مَسَحَهُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ ، أَذْهَبِ الْبَاسَ ، أَشْفِهِ أَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا » ، - أي : لا يترك - متفق عليه^(٤) .
وفي رواية لهما : « لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ »^(٥) .

(١) أخرجه الترمذی ، برقم (٣٤٣١) . عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذی ، برقم (٢٠٨٣) . وأبو داود برقم (٣١٠٦) . والحاكم

في « المستدرک » ، ج ١ / ٣٤٢ . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه أبو ماجه ، برقم (٣٤٤٤) . والترمذی برقم (٢٠٤٠) . عن عتبة بن عامر رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري ، برقم (٥٤١١) . ومسلم برقم (٤٦/٢١٩١) . عن عائشة رضي الله عنها .

(٥) أخرجه البخاري ، برقم (٥٤١٠) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وَبُثِّتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ ، جَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتَهُ ، وَأَحْسَنَ عُقْبَاهُ ، وَجَعَلَ لَهُ خَلْفًا يَرْضَاهُ » ، رواه الطبراني بإسنادٍ لا بأسَ به (١) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : مَا لِعَبْدِي [الْمُؤْمِنِ] عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّةً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ أَحْتَسِبُهُ ؛ إِلَّا الْجَنَّةَ » ، رواه البخاري (٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ : قَبِضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَيَقُولُ : قَبِضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَيَقُولُ : مَاذَا قَالَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : حَمْدَكَ وَأَسْتَرْجَعَ . فَيَقُولُ اللَّهُ : أَبْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ، وَسَمِّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ » ، رواه الترمذي ، وقال : حديثٌ حسنٌ . وأَبْنُ حَبَّانَ فِي « صَحِيحِهِ » (٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « عُودُوا الْمَرْضَى ، وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ ؛ تَذَكَّرْكُمْ عِبَادَةُ الْمَرْضَى الْآخِرَةِ » ، رواه الإمام أحمد والبخاري وأَبْنُ حَبَّانَ فِي « صَحِيحِهِ » (٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا أَبْنُ آدَمَ : مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ؟ قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟

(١) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ، ج ٢ / ٣٣١ . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٦٠٦٠) . عن أبي هريرة رضي الله عنه . قبضتُ صَفِيَّةً : أَمْتُ حَبِيْبَةٍ ؛ كالولد والأخ ، وكلٌّ من يحب الإنسان .

(٣) أخرجه الترمذي ، برقم (١٠٢١) . عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ، برقم (١١٠٥٣) . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

[٢٥١ق] قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ / أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضٌ فَلَمْ تَعُدْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ؟ يَا ابْنَ آدَمَ : أَسْتَطَعْمُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ؟ قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ أَسْتَطَعْمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ؟ يَا ابْنَ آدَمَ : أَسَسَقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي ؟ قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ أَسَسَقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ؟ » ، رواه مسلم^(١) .

ما يقوله المريض
والعائذ والمحتضر

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِيُضْرَّ نَزْلَ بِهِ ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا ، فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي » ، متفق عليه^(٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ : « لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » ، رواه مسلم^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ - أَيِ : قَاطِعِهَا - يَعْنِي الْمَوْتَ ، فَإِنَّهُ مَا كَانَ فِي قَلِيلٍ إِلَّا أَجْزَلُهُ ، وَلَا فِي كَثِيرٍ إِلَّا قَلَلُهُ » ، رواه الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ^(٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ سُئِلَ عَنْ أَكْيَسِ النَّاسِ - أَيِ : أَعْقَلِهِمْ - وَأَحْزَمِ النَّاسِ

(١) أخرجه مسلم ، برقم (٤٣/٢٥٦٩) . عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٥٩٩٠) . ومسلم برقم (١٠/٢٦٨٠) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم ، برقم (٢٨٧٧) . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٤) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ، ج ١٠/٣٠٩ . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

- أي : أَشَدَّهُمْ حَذَرًا - فَقَالَ : « أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا ، وَأَكْثَرُهُمْ لَهُ اسْتِعْدَادًا ؛ أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ ، ذَهَبُوا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَكَرَامَةِ الْآخِرَةِ » ، رواه ابن ماجه بإسنادٍ جيد ، والطبراني بإسنادٍ حسن^(١) .

وأنه ﷺ دخلَ على شاب ، وهو في الموت ، فقال : « كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ » قَالَ : أَرْجُو اللَّهَ ، وَأَخَافُ ذُنُوبِي ، قَالَ ﷺ : « لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو ، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ » ، رواه الترمذي وابن ماجه بإسنادٍ حسن^(٢) .

وأنه ﷺ قَالَ : « لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ، رواه مسلم^(٣) .
والترمذي وزاد : « مَنْ كَانَ / آخِرُ كَلَامِهِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ »^(٤) . [ق٢٥٢]

فضل الصلاة على
الطيب وحضور دفنه

وثبت أنه ﷺ مرّوا عليه بجنّازة فأنشؤا عليها خيراً ، فقال : « وَجَبَتْ » ، ومرّوا عليه بجنّازة فأنشؤا عليها شراً ، فقال : « وَجَبَتْ » ، ثُمَّ قَالَ : « مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ » ، متفق عليه^(٥) .

وثبت أنه ﷺ قَالَ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ » ، متفق عليه^(٦) .

-
- (١) أخرجه ابن ماجه ، برقم (٤٢٥٩) . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
(٢) أخرجه الترمذي ، برقم (٩٨٣) . وابن ماجه برقم (٤٢٦١) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٣) أخرجه مسلم ، برقم (١/٩١٦) . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
(٤) أخرجه الترمذي ، برقم (٩٧٧) . عن أم سلمة رضي الله عنها .
(٥) أخرجه البخاري ، برقم (١٣٠١) . ومسلم برقم (٦٠/٩٤٩) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٦) أخرجه البخاري ، برقم (١٢٣٥) . ومسلم برقم (١٠٣/١٦٥) . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وَبُثِّبَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ عَزَى مُصَاباً فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ » ، رواه الترمذي والبيهقي^(١) .

وَأَنَّهُ ﷺ أَرْسَلَ إِلَى إِحْدَى بَنَاتِهِ فَقَالَ : « مُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ ، وَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى » ، مَتَّقْ عَلَيْهِ^(٢) .

وَبُثِّبَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ ، مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ » ، مَتَّقْ عَلَيْهِ^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ صُفُوفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » ، رواه أبو داود والترمذي ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ ، وَأَبْنُ حَبَّانَ فِي « صَحِيحِهِ »^(٤) .

وَبُثِّبَ أَنَّهُ ﷺ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ ، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ وَأَعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ ، وَأَغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالتَّلَجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا ، كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ ، وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ

(١) أخرجه الترمذي ، برقم (١٠٧٣) . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٦٩٤٢) . ومسلم برقم (١١/٩٢٣) . عن أسامة بن زيد رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (١٢٦١) . ومسلم برقم (٥٢/٩٤٥) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أبو داود ، برقم (٣١٦٦) . والترمذي برقم (١٠٢٨) . عن مالك بن هبيرة رضي الله عنه .

القَبْرِ ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ » ، رواه مُسْلِمٌ^(١) .

وفي رواية : « وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ ، وَعَذَابِ النَّارِ »^(٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا ، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا ، وَذَكَرْنَا وَأُنْثَانَا ، وَشَاهِدِنَا / وَغَائِبِنَا . اللَّهُمَّ مَنْ [ق٢٥٣] أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ . اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ » ، رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ وَالحَاكِمُ ، وَقَالَ : صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ^(٣) .

وَبُثِّنَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ ، وَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ : « اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ ، وَأَسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ ؛ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ » ، رواه أَبُو دَاوُدَ وَالبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ^(٤) .

وَبُثِّنَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ قَالَ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ مَا يَقُولُهُ زَائِرُ الْقُبُورِ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ » ، رواه مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَأَبْنُ مَاجَةَ بِأَسَانِيدٍ صَحِيحَةٍ^(٥) .

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْمٍ (٨٥ / ٩٦٣) عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْمٍ (٨٦ / ٩٦٣) . عَنْهُ أَيْضاً .

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْمٍ (٣٢٠١) . وَالتِّرْمِذِيُّ بِرَقْمٍ (١٠٢٤) . وَالحَاكِمُ فِي « الْمُسْتَدْرَكِ » ، ج ١ / ٣٥٨ . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْمٍ (٣٢٢١) . عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْمٍ (١٠٢ / ٩٧٤) . وَالنَّسَائِيُّ بِرَقْمٍ (٢٠٣٩) . وَأَبْنُ مَاجَةَ بِرَقْمٍ (١٥٤٦) . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

فَضْلُكَ فِي الصَّيَامِ

وَأَمَّا أَذْكَارُهُ ﷺ فِي الصَّيَامِ : فُتِبَتْ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَى ، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ » ، رواه التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ فِي « مُسْنَدِهِ » (١) .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ ، قَالَ : « هِلَالُ رُشْدٍ وَخَيْرٍ ، هِلَالُ رُشْدٍ وَخَيْرٍ ، هِلَالُ رُشْدٍ وَخَيْرٍ ، آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ - ثَلَاثًا - [ثُمَّ يَقُولُ] : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا » (٢) .

وُثِبَتْ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « الصَّيَامُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ ، فَلَا يَزِفْتُ ، وَلَا يَجْهَلُ ، وَإِنْ أَمْرُ قَاتِلَةٍ أَوْ شَاتِمَةٍ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ - مَرَّتَيْنِ - » ، مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٣) .

نَهَى ﷺ عَنِ الرَّفَثِ

وُثِبَتْ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ ، قَالَ : « ذَهَبَ الظَّمَأُ ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » ، رواه أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ (٤) .

مَا كَانَ يَقُولُهُ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ

- (١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٣٥١٥) . وَالدَّارِمِيُّ بِرَقْم (١٦٨٧) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
- (٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٥٠٩٢) . عَنْ قَتَادَةَ بْنِ دَعَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
- (٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٧٩٥) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١١٥١/١٦٠) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
- (٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٢٣٥٧) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

زَادَ أَبُو دَاوُدَ : « اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ »^(١) . دعاء الصائِمِ

زَادَ أَبُو السُّنِّيِّ : « فَتَقَبَّلْ مِنِّي ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »^(٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِنَّ لِلصَّائِمِ / [عِنْدَ فِطْرِهِ] لَدَعْوَةَ مَا تُرَدُّ » ، [ق ٢٥٤] رواه أَبُو مَاجَه وَابْنُ السُّنِّيِّ^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ عِنْدَ قَوْمٍ دَعَا لَهُمْ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ » ، رواه أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ وَابْنُ السُّنِّيِّ^(٤) .

وَبُثِّتَ أَنَّهُ ﷺ أَمَرَ مَنْ صَادَفَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ أَنْ يَقُولَ : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ ، تُحِبُّ الْعَفْوَ ، فَاعْفُ عَنِّي » ، رواه التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَه بِأَسَانِيدٍ صَحِيحَةٍ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٥) .

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٢٣٥٨) . عَنْ مُعَاذِ بْنِ زُهْرَةَ مَرْفُوعاً .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو السُّنِّيِّ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٤٨٠) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو مَاجَه ، بِرَقْم (١٧٥٣) . وَابْنُ السُّنِّيِّ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٤٨١) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٣٨٥٤) . وَابْنُ السُّنِّيِّ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٤٨٢) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٣٥١٣) . وَابْنُ مَاجَه بِرَقْم (٣٨٥٠) . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

فَضْلُكَ فِي السَّفَرِ

وَأَمَّا أَذْكَارُهُ [ﷺ] فِي السَّفَرِ : فَثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمُ
الاستخارةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ؛ كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ .

[يَقُولُ ﷺ] : « إِذَا هَمَّ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : اللَّهُمَّ
إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ
الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَامُ
الْغُيُوبِ . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ - خَيْرٌ
لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي ، وَعَاقِبَةُ أَمْرِي - أَوْ قَالَ : فِي عَاجِلِ أَمْرِي -
وَأَجَلِهِ فَأَقْدِرْهُ لِي ، وَيَسِّرْهُ لِي ، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ . وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ
هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي ، وَعَاقِبَةُ أَمْرِي - أَوْ قَالَ : عَاجِلِ
أَمْرِي - وَأَجَلِهِ فَأَصْرِفْهُ عَنِّي ، وَأَصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَأَقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ
كَانَ ، ثُمَّ رَضْنِي بِهِ » ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١) .

قَالَ الْعَلَنَاءُ : وَيَقْرَأُ فِيهِمَا بَعْدَ الْفَاتِحَةِ بِسُورَتَيْ : الْإِخْلَاصِ (٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَا خَلَفَ أَحَدٌ عِنْدَ أَهْلِهِ خَيْرًا مِنْ رَكَعَتَيْنِ
يَرْكَعُهُمَا عِنْدَهُمْ حِينَ يُرِيدُ سَفَرًا » ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ (٣) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٦٠١٩) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) سُورَتَا الْإِخْلَاصِ : هُمَا : ﴿ قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . (أَنْصَارِي) .

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو أَبِي شَيْبَةَ فِي « الْمَصْنَفِ » ، (١/١٠٥/١) . عَنْ الْمُطْعِمِ بْنِ
الْمُقَدِّمِ مَرْفُوعاً .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : وَيَقْرَأُ فِيهِمَا بَعْدَ الْفَاتِحَةِ بِالْمَعْوِذَتَيْنِ .

وَبُثِّنَ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يُرِدْ سَفَرًا إِلَّا قَالَ حِينَ يَنْهَضُ مِنْ جُلُوسِهِ : دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا سَافَرَ : « اللَّهُمَّ إِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ ، وَبِكَ اعْتَصَمْتُ . اللَّهُمَّ اكْفِنِي مَا أَهَمَّنِي ، وَمَا لَمْ أَهْتَمَّ لَهُ . اللَّهُمَّ زَوِّدْنِي التَّقْوَى ، وَاعْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَوَجِّهْنِي لِلْخَيْرِ أَيْنَمَا تَوَجَّهْتُ » (١) .

وَأَنَّهُ ﷺ / قَالَ : « مَنْ أَرَادَ سَفَرًا فَلْيَقُلْ لِمَنْ يُخَلْفُ : أَسْتَوْدِعُكُمْ » [ق ٢٥٥]
 اللَّهُ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ ، رَوَاهُ أَبُو الشَّيْبِ (٢) .

وَلَأَحْمَدَ : « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَسْتَوْدِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ » (٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ وَدَّعَ رَجُلًا فَقَالَ لَهُ : « أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ ، وَأَمَانَتَكَ ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ » ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ
 صَحِيحٌ (٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ وَدَّعَ رَجُلًا آخَرَ فَقَالَ لَهُ : « زَوِّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ ، وَيَسِّرْ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ » ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ (٥) .

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْبِ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٤٩٥) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْبِ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٥٠٥) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي « مُسْنَدِهِ » ، بِرَقْم (٥٥٧٣) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٢٦٠٠) . وَالتِّرْمِذِيُّ بِرَقْم (٣٤٤٣) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٥) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٣٤٤٤) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وروى أيضاً أنه ﷺ ودّع آخرَ فقال له : « أوصيك بتقوى الله ،
والتكبير على كل شرف » ، فلما ولى قال : « اللهم أطو له البعد ،
وهون عليه السفر » ، قال الترمذي : حديث حسن^(١) .

ما كان يقول ﷺ إذا
ركب راحلته

وثبت أنه ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفرٍ كبيرٍ
ثلاثاً ، ثم قال : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ *
وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ [سورة الزخرف ١٣/٤٣ - ١٤] ، اللهم إنا نسألك في
سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى . اللهم هون علينا
سفرنا هذا ، وأطو عنا بعده . اللهم أنت الصاحب في السفر ،
والخليفة في الأهل والمال والولد . اللهم إنا نعوذ بك من وعاء
السفر - أي : شدته - وكآبة المنظر - أي : تغيره - وسوء المنقلب
- أي : المرجع - في المال والأهل والولد .

وإذا رجع قالهن ، وزاد فيهن : « آيئون ، تائبون ، عابدون ،
ساجدون ، لربنا حامدون » ، رواه مسلم^(٢) ، وأبو داود وزاد :
وكان النبي ﷺ وجيوشه إذا علوا الثنايا كبروا ، وإذا هبطوا
سبحوا^(٣) .

قال العلماء : والحكمة : الإشارة إلى أن له سبحانه الشرف على
كل شرف ، وأنه منزّه عن الخفض ، جلّ وعلا .

وثبت عنه ﷺ أنه قال : « أمان لأمتي من الغرق ، إذا
ركبوا البحر أن يقولوا : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ جَعَلَهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ

دعاء ركوب السفينة

(١) أخرجه الترمذي ، برقم (٣٤٤٥) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .
الشرف : المكان المرتفع .

(٢) أخرجه مسلم ، برقم (٤٢٥ / ١٣٤٢) . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه أبو داود ، برقم (٢٥٩٩) . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

رَجِمَ ﴿ [سورة هود ٤١/١١] ، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ / وَالْأَرْضُ جَمِيعًا [ق٢٥٦] قَبَضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [سورة الزمر ٣٩/٦٧] ، رواه ابنُ السُّنِّي (١) .

وُثِبَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِذَا أَنْفَلْتِ دَابَّةٌ أَحَدَكُمْ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ : يَا عِبَادَ اللَّهِ أَحْبِسُوا ، يَا عِبَادَ اللَّهِ أَحْبِسُوا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَرْضِ حَاضِرًا سَيَحْبِسُهُ » ، رواه ابنُ السُّنِّي (٢) .

وُثِبَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ أَوْ جَرَسٌ » ، رواه مُسْلِم (٣) .

وُثِبَ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَرِ قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا إِلَّا قَالَ حِينَ يَرَاهَا : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ ، نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرِ أَهْلِهَا وَخَيْرِ مَا فِيهَا ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا » ، رواه النَّسَائِيُّ . وَأَبْنُ السُّنِّي وَزَادَ : « اللَّهُمَّ أَرْزُقْنَا حِمَاهَا - أَي : صِحَّتْهَا - وَأَعِزَّنَا مِنْ وَبَاهَا ، وَحَبِّبْنَا إِلَى أَهْلِهَا ، وَحَبَّبْ صَالِحِي أَهْلِهَا إِلَيْنَا » (٤) .

وُثِبَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ مِنْزِلًا دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا نَزَلَ مِنْزِلًا »

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ السُّنِّي فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٥٠٠) . عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ السُّنِّي فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٥٠٨) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٠٣/٢١١٣) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » بِرَقْم (٥٤٣) . وَأَبْنُ السُّنِّي فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٥٢٤) . عَنْ صُهَيْبِ بْنِ سَنَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ
ذَلِكَ » ، رواه مُسْلِمٌ والإمامُ مالِكٌ والترمذِيُّ^(١) .

وَأَنَّهُ ﷺ لَمَّا رَأَى (المدينة) قَالَ : « تَائِبُونَ ، آيِبُونَ ، عَابِدُونَ ،
سَاجِدُونَ ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ » ، وَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى قَدِمَ
(المدينة) ، مَتَّقٌ عَلَيْهِ^(٢) .

دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا رَجَعَ مِنَ
السَّفَرِ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْمِ (٥٤/٢٧٠٨) . وَمَالِكٌ فِي « الْمَوْطَأِ » ، كِتَابِ
(٥٤) ، بِرَقْمِ (٣٤) . وَالتِّرْمِذِيُّ بِرَقْمِ (٣٤٣٧) . عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْمِ (٢٩١٩) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ (٤٢٩/١٣٤٥) . عَنْ
أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَضْلُكَ فِي الْحَجِّ

وَأَمَّا أَذْكَارُهُ ﷺ فِي حَجِّهِ : فثبت أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » ، مَتَّقُ عَلَيْهِ ^(١) .
وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً » ، مَتَّقُ عَلَيْهِ ^(٢) .
وزاد مُسلمٌ : « مَعِيَ » ^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ » ، مَتَّقُ عَلَيْهِ ^(٤) .

زادَ أحمدُ وأَبْنُ خُزَيْمَةَ والحاكِمُ : قِيلَ / : وَمَا بِرُّهُ ؟ قَالَ : [٢٥٧] « إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطِيبُ الْكَلَامِ » ^(٥) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، الدَّرْهَمُ فَضْلُ النَّفَقَةِ فِي الْحَجِّ بِسَبْعِ مِئَةِ دِرْهَمٍ » ، رواه الإمامُ أحمدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ ^(٦) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٤٤٩) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣٥٠/٤٣٨) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٧٦٤) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٢٥٦/٢٢٢) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٢٥٦/٢٢١) . عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٦٨٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣٤٩/٤٣٧) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي « مُسْنَدِهِ » ، بِرَقْم (١٤٠٧٣) . وَالْحَاكِمُ فِي « مُسْنَدِهِ » ، ج ١/٤٨٣ . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٦) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي « مُسْنَدِهِ » ، بِرَقْم (٢٢٤٩١) . عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ما لا يُباح للمُحَرَّم
بحج وعمره

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَا يَلْبَسُ الْمُحَرَّمُ الْقُمُصَ ، وَلَا الْعَمَائِمَ ، وَلَا السَّرَاوِيلَ ، وَلَا الْبِرَانِسَ ، وَلَا الْخِفَافَ »^(١) .

فضل التَّلبية

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ مُلَبٍّ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ » ، رواه التِّرْمِذِيُّ وَأَبْنُ مَاجَهَ وَأَبْنُ خُزَيْمَةَ فِي « صَحِيحِهِ » وَالْحَاكِمُ ، وَقَالَ : صَحِيحٌ عَلَى شَرِّهِمَا^(٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَظُلُّ مُحَرَّمًا إِلَّا غَابَتِ الشَّمْسُ بِذُنُوبِهِ » ، رواه التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٣) .

فضل يوم عرفات

وَبُثِّتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِأَهْلِ عَرَفَاتٍ مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ فَيَقُولُ : أَنْظِرُوا إِلَيَّ عِبَادِي هَؤُلَاءِ جَاءُواَنِي شَعْنًا غَيْرًا » ، رواه الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبْنُ حَبَّانَ فِي « صَحِيحِهِ » وَالْحَاكِمُ ، وَقَالَ : صَحِيحٌ عَلَى شَرِّهِمَا^(٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبِيدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَإِنَّهُ لَيَذْنُو - [أَي] : يَتَجَلَّى - ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ » ، رواه مُسْلِمٌ^(٥) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِنَّ أَسْتَلامَ الْحَجَرِ وَالرُّكْنَ الْيَمَانِيِّ يَحُطُّ الْخَطَايَا »^(٦) .

-
- (١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٤٦٩) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْم (٨٢٨) . وَأَبْنُ مَاجَهَ بِرَقْم (٢٩٢١) . وَالْحَاكِمُ فِي « الْمُسْتَدْرَكِ » ، ج ١ / ٤٥١ . عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو مَاجَهَ ، بِرَقْم (٢٩٢٥) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي « مُسْنَدِهِ » ، بِرَقْم (٧٩٨٦) . وَالْحَاكِمُ فِي « الْمُسْتَدْرَكِ » ، ج ١ / ٤٦٥ . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . أَشْعَثُ الشَّعْرِ : مَلْبَدٌ وَغَيْرُ مَمَشَّطٍ . الْغُبْرُ : يَعْلُوهُ التُّرَابُ .
(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٣٤٨) . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .
(٦) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي « مُسْنَدِهِ » ، بِرَقْم (٤٤٤٨) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

فضل الطواف بالبيت

[وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ] : « مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ لَمْ يَرْفَعْ قَدَمًا وَلَمْ يَضَعْ قَدَمًا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ . وَمَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ سُبُوعًا وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ » ، رواه الإمام أحمد والترمذي وأبو خزيمة في « صحيحه » والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد^(١) .

فضل استلام الحجر الأسود

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ : « وَاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ ، يَشْهَدُ لِمَنْ أَسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ » ، رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن ، وأبو خزيمة وأبو حبان في « صحيحهما »^(٢) .

[ق ٢٥٨] نزول الرحمة على حجاج البيت

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « يُنَزِّلُ اللَّهُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى حُجَّاجِ بَيْتِهِ / الْحَرَامِ عَشْرِينَ وَمِئَةَ رَحْمَةٍ ، سِتِّينَ لِلطَّائِفِينَ ، وَأَرْبَعِينَ لِلْمُصَلِّينَ ، وَعَشْرِينَ لِلنَّازِلِينَ » ، رواه البيهقي بإسناد حسن^(٣) .

قُلْتُ : وفيه : « أَنَّ الطَّوْفَ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ » .

غفران ذنوب الحاج

وُثِبَتْ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِذَا خَرَجَ الْحَاجُّ مِنْ بَيْتِهِ لَمْ تَخْطُ رَاحِلَتُهُ خُطْوَةً إِلَّا كُتِبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ وَحُطَّ بِهَا خَطِيئَةٌ ، فَإِذَا وَقَفَ بِعَرَفَاتٍ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ قَطْرِ السَّمَاءِ ، وَعَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ ، وَإِذَا رَمَى الْجِمَارَ لَا يَذْرِي أَحَدٌ مَا لَهُ حَتَّى يُوفَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا حَلَقَ شَعْرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا قَضَى آخِرَ طَوَافِهِ

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » ، برقم (٢٧٨٣٧) . والترمذي برقم (٩٥٩) . والحاكم في « المستدرک » ، ج ١/ ٤٨٩ . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الترمذي ، برقم (٩٦١) . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه البيهقي في « الشعب » ، برقم (٤٠٥١) . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » ، رواه الطبراني والبخاري وأبو حنبل في « صحيحه »^(١) .

رمي الجمار

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَمَّا أَتَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ الْمَنَاسِكَ عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ (جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ) ، فَرَمَاهُ إِبْرَاهِيمُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ » ، رواه أبو خزيمة في « صحيحه » والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما^(٢) .

قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ : فَأَرْمُوا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ تَرْمُونَ .

وَأَنَّهُ ﷺ سُئِلَ عَنْ حَصِي الرَّمْيِ ؟ فَقَالَ : « مَا تُقْبَلُ مِنْهَا رُفِعَ ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَرَأَيْتُمُوهَا مِثْلَ الْجِبَالِ » ، رواه الطبراني والحاكم وقال : صحيح الإسناد^(٣) .

ماء زمزم

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ : مَاءُ زَمْزَمَ ، فِيهِ طَعَامُ الطُّغَمَاءِ - أَيِ : الْمُشْبِعُ مِنَ الْجُوعِ - وَشِفَاءُ السُّقَمِ » ، رواه الطبراني وأبو حنبل في « صحيحه »^(٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ » ، رواه الدارقطني والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد^(٥) .

(١) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ، ج ٣/ ٢٧٤ . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه أبو خزيمة ، برقم (٢٩٦٧) . والحاكم في « المستدرک » ، ج ١/ ٤٦٦ . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ، ج ٣/ ٣٦٠ . والحاكم في « المستدرک » ، ج ١/ ٤٧٦ . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الطبراني في « الكبير » ، برقم (١١١٦٧) . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه الدارقطني في « سننه » ، ج ٢/ ٢٨٩ . والحاكم في « المستدرک » ، ج ١/ ٤٧٣ . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وَبُثَّتْ أَنَّهُ ﷺ وَقَّتْ لِلْإِحْرَامِ بِالْحَجِّ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ : (ذَا الْحَلِيفَةِ) . وَلِأَهْلِ الشَّامِ : (الْجُحْفَةِ) . وَلِأَهْلِ نَجْدٍ : (قَرْنًا) . وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ : (يَلْمَلَمَ) ^(١) .

وَأَنَّهُ ﷺ أَعْتَسَلَ لِإِحْرَامِهِ . رواه الترمذي ^(٢) .
وَأَعْتَسَلَ أَيْضاً لِدُخُولِ (مَكَّةَ) . متفق عليه ^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَدْخُلُ (مَكَّةَ) مِنَ (الثَّيَّةِ الْعُلْيَا) ، وَيَخْرُجُ مِنَ (الثَّيَّةِ دُخُولُهُ مَكَّةَ السُّفْلَى) . متفق عليه ^(٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ / كَانَ إِذَا أَبْصَرَ (الْبَيْتَ) رَفَعَ يَدَيْهِ وَدَعَا : « اللّهُمَّ زِدْ [٢٥٩] هَذَا الْبَيْتَ تَشْرِيفاً وَتَعْظِيماً ، وَتَكْرِيماً وَبِرّاً وَمَهَابَةً ، وَزِدْ مَنْ شَرَفَهُ وَكَرَّمَهُ ؛ مِمَّنْ حَجَّهْ أَوْ أَعْتَمَرَهُ تَشْرِيفاً وَتَكْرِيماً وَتَعْظِيماً وَبِرّاً » ، رواه الإمام الشافعي في « مُسْنَدِهِ » والبيهقي ^(٥) .

وَأَنَّهُ ﷺ دَخَلَ (الْمَسْجِدَ) مِنْ بَابِ (بَنِي شَيْبَةَ) ، وَقَالَ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ : « اللّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ ، وَمِنْكَ السَّلَامُ ، فَحِينَا رَبَّنَا بِالسَّلَامِ » ، رواه البيهقي ^(٦) .

وَأَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ ﷺ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ . متفق عليه ^(٧) .

طوافه ﷺ بالبيت

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٤٥٤) . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الترمذي ، برقم (٨٣٠) . عن زيد بن ثابت رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم ، برقم (٢٢٧/١٢٥٩) . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه البخاري ، برقم (١٥٠٠) . ومسلم برقم (٢٢٣/١٢٥٧) . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه البيهقي في « سننه » ، ج ٥/٧٣ . عن مكحول رحمه الله .

(٦) أخرجه البيهقي في « سننه » ، ج ٥/٧٢ . عن عطاء رحمه الله .

(٧) أخرجه البخاري ، برقم (١٥٣٦) . ومسلم برقم (١٩٠/١٢٣٥) . عن عائشة رضي الله عنها .

وُثِبَتْ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ بِمَنْزِلَةِ الصَّلَاةِ ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَلَّ فِيهِ النُّطْقَ ، فَمَنْ نَطَقَ فَلَا يَنْطِقُ إِلَّا بِخَيْرٍ » ، رواه الحاكم ، وقال : صحيحٌ على شرطِ مُسلم^(١) .

وُثِبَتْ أَيْضاً أَنَّهُ ﷺ لَمَّا قَدِمَ (مَكَّةَ) ، أَتَى (الْحَجَرَ) فَأَسْتَلَمَهُ ، ثُمَّ مَشَى عَنْ يَمِينِهِ فَرَمَلَ ثَلَاثاً ، وَمَشَى أَرْبَعاً^(٢) .

وَرَوَى الشَّيْخَانُ أَنَّهُ ﷺ أَسْتَلَمَ (الْحَجَرَ) ، ثُمَّ قَبَّلَهُ ، ثُمَّ وَضَعَ جَبْهَتَهُ الْكَرِيمَةَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ طَوْفَةٍ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ فِي كُلِّ طَوْفَةٍ وَلَا يَقْبَلُهُ ، وَأَنَّهُ كَانَ لَا يَسْتَلِمُ الرُّكْنَيْنِ اللَّذَيْنِ يَلِيَانِ (الْحَجَرَ) - بِكسر الحاء -^(٣) .

أَسْتَلَمَهُ ﷺ الرُّكْنَ
الْأَسْوَدَ وَتَقَبَّلَهُ

وُثِبَتْ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ الْيَمَانِيَيْنِ^(٤) : « ﴿ رَبَّنَا ءَاثِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ » ، رواه أَبُو دَاوُدَ^(٥) .

دَعَاؤُهُ ﷺ بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ
الْيَمَانِيَيْنِ

وَرَوَى أَيْضاً أَنَّهُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَعْتَمَرُوا مِنْ (الْجِعْرَانَةِ) ، فَرَمَلُوا بِالْبَيْتِ ، وَأَضْطَبَعُوا ، فَجَعَلُوا أَرْدِيَّتَهُمْ تَحْتَ أَبَاطِهِمْ ، وَأَطْرَافَهَا عَلَى عَوَاتِقِهِمُ الْيُسْرَى^(٦) .

أَضْطَبَعُوهُ وَرَمَلُوهُ ﷺ فِي
الطَّوَافِ

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» ، ج ٢/ ٢٦٧ . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٢١٨ / ١٥٠) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٥٠٦) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٤) الرُّكْنَانِ الْيَمَانِيَانِ : هُمَا الرُّكْنُ الْأَسْوَدُ وَالرُّكْنُ الْيَمَانِيُّ ، وَإِنَّمَا قِيلَ : (الْيَمَانِيَانِ) لِلتَّغْلِيْبِ .

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (١٨٩٢) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٦) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» ، بِرَقْم (٣٥٠٢) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ =

وُثِبَتْ أَنَّهُ صَلَّى بَعْدَ الطَّوَافِ رَكَعَتَيْنِ خَلْفَ (المَقَامِ) . مَتَّقُ صَلَاتُهُ ﷺ رَكَعَتِي الطَّوَافِ وَأَسْتَلِمُهُ الْحَجَرُ ثَانِيَةً عَلَيْهِ .

زَادَ مُسْلِمٌ : يَقْرَأُ فِي الْأُولَى : ﴿ قُلْ يَتَائِبُ الْكَافِرُونَ ﴾ .
وَفِي الثَّانِيَةِ : الْإِخْلَاصُ (١) .

وُثِبَتْ أَنَّهُ ﷺ أَسْتَلَمَ (الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ) بَعْدَ أَنْ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ خَلْفَ (المَقَامِ) .

ثُمَّ خَرَجَ لِلسَّعْيِ مِنْ بَابِ (الصَّفا) / وَبَدَأَ بِالصَّفا ، وَقَالَ : [ق٢٦٠] «أَبْدَوْوا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» ، وَقَرَأَ : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ سَعْيُهُ ﷺ بَيْنَ الصَّفا وَالْمَرْوَةِ [سورة البقرة ١٥٨/٢] ، فَرَفَعَ عَلَى (الصَّفا) ، حَتَّى رَأَى (الْبَيْتَ) ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ ، وَقَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [وَحْدَهُ] ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » ، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ . قَالَ [مِثْلَ] هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَفَعَلَ عَلَى (الْمَرْوَةِ) كَمَا فَعَلَ عَلَى (الصَّفا) (٢) .

وُثِبَتْ أَنَّهُ ﷺ صَلَّى بِالنَّاسِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمْعًا فِي وَقْتِ الظُّهْرِ بِ(نَمِرَةٍ) ، ثُمَّ وَقَفَ بِ(عَرْفَةَ) إِلَى الْغُرُوبِ . ثُمَّ أَفَاضَ إِلَى (الْمُزْدَلِفَةِ) ، فَلَمَّا وَصَلَهَا صَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمْعًا فِي وَقْتِ

= رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . رَمَلَ : أَسْرَعَ الْمَشْيَ فِي الطَّوَافِ . اضْطَبَعَ : الضَّيْعُ : مَا تَحْتَ الْإِبْطِ . وَطَافَ مُضْطَبِعًا : إِذَا أَخَذَ الْإِزَارَ فَجَعَلَ وَسْطَهُ تَحْتَ إِبْطِهِ الْأَيْمَنِ وَأَلْقَى طَرَفِيهِ عَلَى كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ مِنْ جِهَتَيْ صَدْرِهِ وَظَهْرِهِ .
الْعَوَاتِقُ : مَا بَيْنَ الْمَنْكَبِ وَالْعُنُقِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٥٢٣) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٢١٨/١٤٧) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

العشاء ، متفقٌ عليه^(١) .

دعاؤه ﷺ يومَ عرفة

وثبت أنه ﷺ قال : « خَيْرُ الدُّعَاءِ : دُعَاءُ يَوْمِ (عَرَفَةَ) ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي - أَيِ : يَوْمِ (عَرَفَةَ) - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » ، رواه الترمذي^(٢) والبيهقي وزاد : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا . اللَّهُمَّ أشرحْ لي صَدْرِي ، وَيسِّرْ لي أَمْرِي »^(٣) .

وروى البيهقي أيضاً أنه ﷺ قال : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَقِفُ عَشِيَّةَ (عَرَفَةَ) بِالْمَوْقِفِ ، فَيَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِوَجْهِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ؛ مِثَّةَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ يَقْرَأُ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ مِثَّةَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ - وَعَلَيْنَا مِنْهُمْ - مِثَّةَ مَرَّةٍ إِلَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا مَلَأْتُكَ ، مَا جَزَاءُ عَبْدِي هَذَا ، هَلَّلَنِي ، وَأَتْنِي عَلَيَّ ، وَعَلَى نَبِيِّ ، أَشْهَدُكُمْ يَا مَلَأْتُكَ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ ، وَشَفَعْتُهُ فِي نَفْسِهِ ، وَلَوْ سَأَلَنِي عَبْدِي هَذَا لَشَفَعْتُهُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ »^(٤) .

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٥٨٨)، بنحوه . عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الترمذي ، برقم (٣٥٨٥) . عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه البيهقي ، ج ٥ / ١١٧ . عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البيهقي في « الشعب » ، برقم (٤٠٧٤) . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

وَبُثِّنَ أَنَّهُ ﷺ بَاتَ بِ (مُزْدَلِفَةَ) حَتَّى صَلَّى الصُّبْحَ بِهَا بَغْلَسٍ . مَبِيتُهُ ﷺ بِمُزْدَلِفَةَ
مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١) .

زَادَ مُسْلِمٌ : فَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ / رَكِبَ الْقَصْوَاءَ ، حَتَّى أَتَى [ق ٢٦١]
(الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ) ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، وَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى ، وَكَبَّرَ ،
وَهَلَّلَ ، وَوَحَّدَ ، وَلَمْ يَزَلْ واقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى
(مِنَى) ، فَلَمَّا أَتَى (الْجَمْرَةَ) رَمَاهَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ
حَصَاةٍ ، ثُمَّ ذَبَحَ ، ثُمَّ حَلَقَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى (مَكَّةَ) ، فَطَافَ بِ (الْبَيْتِ)
طَوَافَ الرُّكْنِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى (مِنَى) (٢) .

وَبُثِّنَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « اللَّهُمَّ أَرْحِمِ الْمُحَلِّقِينَ » ، فَقَالُوا : دَعَاؤُهُ ﷺ لِلْمُحَلِّقِينَ
وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَرْحِمِ الْمُحَلِّقِينَ » ،
قَالُوا : وَالْمُقَصِّرِينَ ؟ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ : « وَالْمُقَصِّرِينَ » ، مَتَّفَقٌ
عَلَيْهِ (٣) .

وَبُثِّنَ أَنَّهُ ﷺ مَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ يَوْمئِذٍ قُدِّمَ وَلَا أُخِّرَ - أَيِ : مِنْ
الرَّمْيِ وَالْحَلْقِ وَالذَّبْحِ وَالطَّوَافِ - إِلَّا قَالَ : « أَفْعَلْ وَلَا حَرَجَ » ،
مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ بَاتَ بِ (مِنَى) لِيَالِي الشَّرِيقِ ، يَرْمِي كُلَّ يَوْمٍ إِلَى
(الْجَمَرَاتِ الثَّلَاثِ) ، كُلَّ جَمْرَةٍ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ ، يَبْدَأُ بِ (الْجَمْرَةِ)

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢٩٢/١٢٨٩) .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٤٧/١٢١٨) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٦٤٠) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٣١٧/١٣٠١) . عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٦٤٩) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٣٢٧/١٣٠٦) . عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَابْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

الأولى) ، التي تلي (مسجد الحيف) ، ثم (الوسطى) ، ثم (جمرة العقبة) ، بعد أن تزول الشمس ، ويغتسل ، وقبل أن يصلي الظهر ، ويقف عند (الأولى والثانية) طويلاً ، يذكر الله تعالى ويدعو ، ولا يقف عند (الثالثة) ، وأنصرف بعد الرمي من عندها في اليوم الثالث إلى (مكة) ، فنزل بـ (المحصب) ، فصلّى به الظهر والعصر جمعاً . متفق عليه^(١) .

نهى ﷺ عن صيام أيام التشريق
وثبت أنه ﷺ قال : « أيام التشريق : أيام أكل وشرب ، وذكر لله تعالى » ، رواه مسلم^(٢) .

أمره ﷺ بطواف الوداع
وثبت أنه ﷺ لما فرغ من أعمال الحج ، طاف بـ (البيت) للوداع . رواه البخاري^(٣) .

وأنه ﷺ قال : « لا ينفرون أحد حتى يكون آخر عهده بـ (البيت) » ، رواه مسلم^(٤) . وأبو داود وزاد - أي : الطواف^(٥) - .

وروى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بـ (البيت) ، إلا أنه خفف عن المرأة الحائض^(٦) .

(١) أخرجه البخاري ، برقم (١٦٦٦) . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . المكان الذي تنتظم فيه الجمرات الثلاث .

(٢) أخرجه مسلم ، برقم (١١٤١/١٤٤) . عن نبيسة بن عبد الله الهذلي رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (١٦٦٩) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) أخرجه مسلم ، برقم (٣٧٩/١٣٢٧) . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه أبو داود ، برقم (٢٠٠٢) . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٦) أخرجه البخاري ، برقم (١٦٦٨) . ومسلم برقم (٣٨٠/١٣٢٨) . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وَبُثِّتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ ، وَلِمَنْ أَسْتَغْفَرَ لَهُ » [ق ٢٦٢] دعاؤه ﷺ للحاج
 الحاجُّ ، رواه البيهقي والحاكم ، وقال : صحيحٌ على شرطِ
 مُسلم^(١) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ لَغُلَامٍ رَجَعَ مِنَ الْحَجِّ : « قَبِلَ اللَّهُ حَجَّكَ ، وَغَفَرَ
 ذَنْبَكَ ، وَأَخْلَفَ نَفَقَتَكَ » ، رواه أَبُو السُّنِّي^(٢) .

وَرَوَى الدَّارِقُطْنِيُّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ فَضْلُ زِيَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ
 شَفَاعَتِي »^(٣) .

وَرَوَى أَبُو عَدِيٍّ فِي « الْكَامِلِ » أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَجَّ فَلَمْ
 يَزُرْنِي ، فَقَدْ جَفَانِي »^(٤) .

وَبُثِّتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ
 الْجَنَّةِ ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي » ، مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٥) .
 وَلَا بِنِ عَسَاكِرَ : « مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمَنْبَرِي »^(٦) .

- (١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي « الْمُسْتَدْرَكِ » ، ج ١ / ٤٤١ . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
- (٢) أَخْرَجَهُ أَبُو السُّنِّي فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٥٣٣) . عَنْ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
- (٣) أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي « سَنَنِهِ » ، ج ٢ / ٢٧٨ . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُمَا .
- (٤) أَخْرَجَهُ أَبُو عَدِيٍّ فِي « الْكَامِلِ فِي الضُّعْفَاءِ » ، ج ٧ / ٢٤٨٠ . عَنْ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
- (٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٧٨٩) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٣٩١ / ٥٠٢) . عَنْ
 أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
- (٦) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي « مُسْنَدِهِ » ، بِرَقْم (١١٢١٦) . عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَاتَعَلَّاهُ

في المسافة بين قبر
الرَّسُولِ ﷺ ومنبره

قُدِّرَ ما بين القبرِ والمنبرِ ثلاثة وخمسون ذراعاً .

والجمهورُ على أَنَّ الحديثَ على ظاهرِهِ ، فيُنْقَلُ ذلكُ المكانُ
بعينه إلى الجنَّةِ لشرفِهِ .

وروى أبو داودَ بإسنادٍ صحيحٍ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « ما مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ
عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ » (١) .
رَدَّهُ ﷺ السَّلَامَ عَلَى
مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشَرَّفَ وعَظَّمَ وكرَّمَ .

وروى الشَّيْخُ محيي الدِّينِ النَّوَوِيُّ ، عن العُتْبِيِّ - رحمه الله
تعالى ، بفوقيةٍ قبل المُوَحَّدة - قالَ : كُنْتُ جالِساً عندَ قبرِ النَّبِيِّ ﷺ ،
فجاءَ أعرابيٌّ فقالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يا رسولَ اللَّهِ ، سَمِعْتُ اللَّهَ سُبْحانَهُ
وتعالى يقولُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا
اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ [سورة النساء ٦٤/٤] ،
وقد جئتُكَ مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلَى رَبِّي ، ثُمَّ أَنشَأَ
يقولُ ، [مِنْ البسيط] :

يا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي التُّرْبِ أَعْظَمُهُ فُطابَ مِنْ طِيْبِهِنَّ الْقاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِداءُ لِقَبْرِ أَنْتَ ساكِنُهُ فِيهِ الْعَفافُ وَفِيهِ الْجودُ وَالْكَرَمُ
أَنْتَ النَّبِيُّ الَّذِي تُرْجى شِفاعَتُهُ عِنْدَ الصَّراطِ إِذا ما زَلَّتِ الْقَدَمُ

قالَ : ثُمَّ أَنْصَرَفَ . فأخَذَتْنِي سِنَّةٌ ، فرأيتُ النَّبِيَّ ﷺ في النَّومِ ،

[ق٢٦٣] فقالَ لي : يا عُتْبِيُّ ، إلْحَقِ الأعرابيَّ ، فبَشِّرْهُ بأنَّ اللَّهَ قد غَفَرَ لَهُ (٢) / .

(١) أخرجه أبو داود ، برقم (٢٠٤١) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الأذكار ، للنَّوَوِيِّ ، ص ٢٩٨ .

فَضْلُكَ فِي الْجِهَادِ

وَأَمَّا أَذْكَارُهُ ﷺ فِي الْجِهَادِ : فَنَبَتْ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، ثُمَّ قَالَ : « أَعْزُوا بِأَسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، وَلَا تَغْدِرُوا ، وَلَا تُمَثِّلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا » ، مَتَّقُوا عَلَيْهِ (١) .

قُلْتُ : كَذَا عَزَاهُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي « أَذْكَارِهِ » إِلَى الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ؛ وَإِنَّمَا أوردَهُ الْحُمَيْدِيُّ فِي « أَفْرَادِ مُسْلِمٍ » ، وَهُوَ كَذَلِكَ ، فَإِنِّي لَمْ أَظْفَرْ بِهِ فِي الْبُخَارِيِّ ، بَعْدَ بُلُوغِ الْجُهْدِ فِي الْكَشْفِ عَنْهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ (٢) .

وَنَبَتْ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَىٰ بِغَيْرِهَا . مَتَّقُوا عَلَيْهِ (٣) .

وَنَبَتْ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا صَبَحَ (خَيْبَرَ) قَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ ، خَرَبَتْ (خَيْبَرُ) ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » ، مَتَّقُوا عَلَيْهِ (٤) .

وَرَوَى أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « دَعْوَتَانِ لَا تُرَدَّانِ : الدُّعَاءُ عِنْدَ النَّدَاءِ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، (١٧٣١/٣) . عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) وَمَا قَالَهُ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - هُوَ الصَّوَابُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْمٍ (٢٧٨٧) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (٢٧٦٩/٥٤) . عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَرَوَى : أَخْفَى وَاسْتَرْ وَأَوْهَمَ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْمٍ (٣٩٦٢) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (١٣٦٥/٨٧) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

- أي : الأذان - وَحِينَ الْبَاسِ - أي : القتال - ، رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح^(١) .

دَعَاؤُهُ ﷺ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ
وُثِّبَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا غَزَا قَالَ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضْدِي ، وَنَصِيرِي ، بِكَ أَحُولُ ، وَبِكَ أَصُولُ ، وَبِكَ أَقَاتِلُ » ، رواه أبو داود والترمذي والنسائي^(٢) .

دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا خَافَ قَوْمًا
وُثِّبَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا قَالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ » ، رواه بإسنادٍ صحيحٍ أبو داود والنسائي^(٣) .

كَرَاهِيَتُهُ ﷺ تَمَنِّيَ لِقَاءَ الْعَدُوِّ
وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَذَرُونَ مَا يَنْتَلِكُكُمْ اللَّهُ بِهِ مِنْهُمْ ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَقُولُوا : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وَرَبُّهُمْ ، وَقُلُوبُنَا وَقُلُوبُهُمْ بِيَدِكَ ، وَإِنَّمَا تَغْلِبُهُمْ أَنْتَ » ، رواه أبو الشَّيْبَانِيِّ^(٤) .

دَعَاؤُهُ ﷺ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى عَدُوِّهِ
وَرَوَى أَيْضًا - [أي : أَبُو الشَّيْبَانِيِّ] - أَنَّهُ ﷺ قَالَ لَمَّا لَقِيَ الْعَدُوَّ - أي : يَوْمَ (بَذْرِ) - : « يَا مَالِكَ يَوْمَ الدِّينِ ، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ » . قَالَ الرَّاوي : فَلَقَدْ رَأَيْتُ / الرِّجَالَ صَرَغُوا تَضَرُّبُهَا الْمَلَائِكَةُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا ، وَمِنْ خَلْفِهَا^(٥) .

-
- (١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٢٥٤٠) . عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٢٦٣٢) . وَالتِّرْمِذِيُّ بِرَقْم (٣٥٨٤) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . أَحُولُ : أَصْرَفُ كَيْدِ الْعَدُوِّ وَأَدْفَعُ شَرِّهِ . أَصُولُ : أَسْطُو وَأَقْهَرُ .
(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٥٣٧) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْبَانِيِّ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٦٦٨) . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْبَانِيِّ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٣٣٤) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقد سبقَ في آخرِ خطبة الجهادِ ، وفي غزوة (بدرٍ) ما قاله ﷺ
عند لقاءِ العدوِّ .

وثبتَ أيضاً أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ - وفي روايةٍ مُسلمٍ - إِذَا
حَزَبُهُ أَمَرُ - بِالْمُوحَّدَةِ ، أَي : كَرَبَهُ - : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ
الْحَلِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ
السَّمَاوَاتِ ، وَرَبُّ الْأَرْضِ ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ » ، مَتَّفَقٌ
عَلَيْهِ^(١) .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ غَزْوٍ ، أَوْ حُجٍّ ، أَوْ عُمْرَةٍ ، يُكَبِّرُ
عَلَى كُلِّ شَرْفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثًا ، ثُمَّ يَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،
آيِبُونَ ، تَائِبُونَ ، عَابِدُونَ ، سَاجِدُونَ ، لِرَبَّنَا حَامِدُونَ ، صَدَقَ اللَّهُ
وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » ، رواه البخاري^(٢) .

(١) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٥٩٨٥) . ومُسلم برقم (٢٧٣٠) . عن
عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاريُّ ، برقم (١٧٠٣) . عن عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما .

فَضْلُكَ

فِي الْمَعَاشِ

وَأَمَّا أَذْكَارُهُ ﷺ فِي الْمَعَاشِ : فَنَبَتْ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا قُرَّبَ إِلَيْهِ الطَّعَامُ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، بِأَسْمِ اللَّهِ » ، رواه أَبُو السُّنِّي (١) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ لَغُلَامٍ كَانَ تَطِيئُ يَدُهُ فِي الصَّحْفَةِ : « يَا غُلَامُ ، سَمِّ اللَّهَ ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ » ، مَتَّقْ عَلَيْهِ (٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ فِي أَوَّلِهِ ، فَلْيَقُلْ : بِأَسْمِ اللَّهِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ » ، رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ ، قَالَ الشَّيْطَانُ - [أَيْ : لِأَعْوَانِهِ] - : لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عِنْدَ دُخُولِهِ ، قَالَ الشَّيْطَانُ : أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ . وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ ، قَالَ :

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو السُّنِّي فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٤٥٧) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٠٦١) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٠٨/٢٠٢٢) . عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . تَطْيِئُ : تَتَحَرَّكُ وَتَمْتَدُّ . الصَّحْفَةُ : إِنَاءٌ يَسْعُ مَا يَشْبَعُ خَمْسَةً .

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٣٧٦٧) . وَالتِّرْمِذِيُّ بِرَقْم (١٨٥٨) . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

أَدْرَكْتُمْ الْمَيِّتَ وَالْعِشَاءَ » ، رواه مُسْلِمٌ^(١) .

وَبِتَّ أَنَّهُ ﷺ / مَا عَابَ طَعَامًا قَطُّ ، إِنْ أَشْتَهَاهُ أَكَلَهُ ، وَإِنْ كَرِهَهُ [ق ٢٦٥] تَرَكَهُ . مَتَّقُ عَلَيْهِ^(٢) .

وَلِمُسْلِمٍ : وَإِنْ لَمْ يَشْتَهِهِ سَكَتَ^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ قِيلَ لَهُ : أَحَرَامُ الضَّبِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « لَا ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي ، فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ »^(٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ - أَي : كُرَاعِ شَاةٍ - لَأَجَبْتُ ، وَلَوْ أَهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ ، مَتَّقُ عَلَيْهِ^(٥) .

وَبِتَّ أَنَّهُ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الْأُدْمَ ، فَقَالُوا : مَا عِنْدَنَا إِلَّا خَلٌّ ، فَدَعَا بِهِ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُ ، وَيَقُولُ : « نِعَمَ الْأُدْمُ الْخَلُّ » ، رواه مُسْلِمٌ^(٦) .

وَبِتَّ أَنَّ رَجُلًا دَعَا النَّبِيَّ ﷺ لَطَعَامٍ صَنَعَهُ لَهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنْ هَذَا اتَّبَعَنَا ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ » قَالَ : لَا ، بَلْ آذَنُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . مَتَّقُ عَلَيْهِ^(٧) .

(١) أخرجه مُسْلِمٌ ، برقم (١٠٣/٢٠١٨) . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (٥٠٩٣) . ومُسلم برقم (١٨٧/٢٠٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مُسْلِمٌ ، برقم (١٨٨/٢٠٦٤) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري ، برقم (٥٠٧٦) . عن خالد بن الوليد رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري ، برقم (٢٤٢٩) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الكرَاعُ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ : مَا دُونَ الرُّكْبَةِ مِنَ السَّاقِ .

(٦) أخرجه مُسْلِمٌ ، برقم (١٦٦/٢٠٥٢) . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٧) أخرجه البخاري ، برقم (٥١٤٥) . ومُسلم برقم (١٣٨/٢٠٣٦) . عن

عُقْبَةَ بْنِ عَمْرِو رضي الله عنه .

وَبِتَّ أَنَّهُ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ : « كُلْ بِيَمِينِكَ » ، قَالَ : لَا أَسْتَطِيعُ ، قَالَ : « لَا أَسْتَطِيعُ » ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ ، فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ . رواه مُسْلِمٌ ^(١) .

وَبِتَّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « أَجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ ، وَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ » ، رواه أَبُو دَاوُدَ وَأَبْنُ مَاجَه ^(٢) .

وَبِتَّ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَّغَ مِنَ الطَّعَامِ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، حَمْدًا كَثِيرًا ، طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ ، وَلَا مَكْفُورٍ ، وَلَا مُودَّعٍ ، وَلَا مُسْتَعْنَى عَنْهُ رَبَّنَا » ، رواه الْبُخَارِيُّ ^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا » ، رواه مُسْلِمٌ ^(٤) .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَّغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ » ، رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ^(٥) .

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا أَكَلَ وَشَرِبَ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى » [٢٦٦] ، وَسَوَّغَهُ وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا ، رواه بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٠٧/٢٠٢١) . عَنْ سَلْمَةَ بِنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٣٧٦٤) . وَأَبْنُ مَاجَه بِرَقْم (٣٢٨٦) . عَنْ وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥١٤٣) . عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . غَيْرَ مَكْفِيٍّ : أَي : مَا أَكَلْنَاهُ لَيْسَ كَافِيًا عَمَّا بَعْدَهُ ، بَلْ نَعْمَتِكَ مُسْتَمِرَّةٌ عَلَيْنَا ، غَيْرَ مُنْقَطِعَةٍ طَوِيلُ أَعْمَارِنَا . وَلَا مَكْفُورٍ : غَيْرَ مُجْحُودِ فَضْلِهِ وَلَا تَنْكَرِ نِعْمَتِهِ . وَلَا مُودَّعٍ : مِنَ الْوَدَاعِ ، أَي : لَيْسَ آخِرَ طَعَامِنَا .

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٨٩/٢٧٣٤) . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٣٨٥٠) . وَالتِّرْمِذِيُّ بِرَقْم (٣٤٥٧) . عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أبو داود والنسائي^(١) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ ؛ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ، رواه أبو داود وأبن ماجه والترمذي ، وقال : حديث حسن^(٢) .

وَبُثِّتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ طَعَامًا ، فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا ، فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ ، وَزِدْنَا مِنْهُ . فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزَى عَنْ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ غَيْرَ اللَّبَنِ » ، رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن^(٣) .

وَبُثِّتَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا شَرِبَ مِنَ الْإِنَاءِ تَنَفَّسَ ثَلَاثَةَ أَنْفَاسٍ ، يَحْمَدُ اللَّهَ فِي كُلِّ نَفَسٍ ، وَيَشْكُرُهُ فِي آخِرِهِنَّ . رواه أبو السني^(٤) .

وَبُثِّتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ؛ فَلْيُكْرِمِ ضَيْفَهُ » ، مَتَّقْ عَلَيْهِ^(٥) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « أَذْيَبُوا طَعَامَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ [وَالصَّلَاةِ] ، وَلَا تَتَمَاوَا عَلَيْهِ فَتَقْسُوا [لَهُ] قُلُوبُكُمْ » ، رواه أبو السني^(٦) .

-
- (١) أخرجه أبو داود ، برقم (٣٨٥١) . عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .
 - (٢) أخرجه أبو داود ، برقم (٤٠٢٣) . وأبن ماجه برقم (٣٢٨٥) . والترمذي برقم (٣٤٥٨) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
 - (٣) أخرجه الترمذي ، برقم (٣٤٥٥) . عن خالد بن الوليد رضي الله عنه .
 - (٤) أخرجه أبو السني في « عمل اليوم والليلة » ، برقم (٤٧١) . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
 - (٥) أخرجه البخاري ، برقم (٥٦٧٢) . ومسلم برقم (٧٤/٤٧) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .
 - (٦) أخرجه أبو السني في « عمل اليوم والليلة » ، برقم (٤٨٨) . عن عائشة رضي الله عنهما .

فَضْلُكَ

في المعاشرة

إِفْشاءُ السَّلامِ

وَأَمَّا أَذْكَارُهُ فِي الْمُعَاشَرَةِ : كَالسَّلَامِ ، وَاللِّقَاءِ ، وَتَشْمِيتِ
الْعَاطِسِ ، وَالِدُّعَاءِ لِلْمَتَزَوِّجِ وَلِلْمَوْلُودِ ، وَتَسْمِيَةِ الْمَوْلُودِ ، وَنَحْوِهِمْ .
فَثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتُّ : إِذَا لَقِيْتَهُ
فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا أَسْتَنْصَحَكَ فَأَنْصَحْ لَهُ ، وَإِذَا
عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ » ،
رَوَاهُ مُسْلِمٌ ^(١) .

وَتَبَيَّنَ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ ﷺ : أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « تُطْعِمُ الطَّعَامَ ،
وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ » ، مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(٢) .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ :
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ثُمَّ جَلَسَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :
[ق ٢٦٧] « عَشْرٌ » ، فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ : السَّلَامُ / عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ
وَجَلَسَ فَقَالَ : « عِشْرُونَ » ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ : « ثَلَاثُونَ » . قَالَ
التِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ ^(٣) .

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْمِ (٥/٢١٦٢) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْمِ (١٢) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ (٦٣/٣٩) . عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، بِرَقْمِ (٢٦٨٩) . عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وفي رواية لأبي داود زاد : ثم أتى آخرُ فقال : السَّلامُ عليكم
ورحمَةُ اللهِ وبركاته ومغفرته ، فقال : « أربعون » ، وقال : « هكذا
تكونُ الفضائلُ » (١) .

وثبت أنه ﷺ قال : « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلامِ » ،
رواهُ أبو داودُ بإسنادٍ جيِّدٍ والترمذيُّ ، وقال : حديثٌ حسنٌ (٢) .

وثبت أنه ﷺ مرَّ على صبيانٍ فسَلَّمَ عليهم . متفقٌ عليه (٣) .
وأنَّهُ [ﷺ] مرَّ على نِسوةٍ فسَلَّمَ عليهنَّ . رواهُ أبو داودَ وأَبْنُ
ماجه والترمذيُّ ، وقال : حديثٌ حسنٌ (٤) .

وثبت أنه ﷺ قال : « يُسَلِّمُ الرَّائِبُ عَلَى الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي
عَلَى الْقَاعِدِ ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ » ، متفقٌ عليه (٥) .
زاد البخاريُّ : « وَالصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ » (٦) .

وثبت أنه ﷺ قال : « إِذَا أَنْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ ،
فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ ، فَلْيَسِتِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ » ، رواهُ

(١) أخرجه أبو داود ، برقم (٥١٩٥) . عنه .

(٢) أخرجه أبو داود ، برقم (٥١٩٧) . والترمذيُّ برقم (٢٦٩٤) . عن
أبي أمامة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٥٨٩٣) . ومسلم برقم (١٤/٢١٦٨) . عن
أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أبو داود ، برقم (٥٢٠٤) . وأَبْنُ ماجه برقم (٣٧٠١) .
والترمذيُّ برقم (٢٦٩٧) . عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها .

(٥) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٥٨٧٨) . ومسلم برقم (١/٢١٦٠) . عن
أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٥٨٧٧) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

أبو داود بإسنادٍ جيّدٍ والترمذي ، وقال : حديثٌ حسنٌ^(١) .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « الْاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ ، وَإِلَّا فَارْجِعْ » ، مَتَّقٍ عَلَيْهِ^(٢) .

أَسْتَحْبَابُ الْاسْتِئْذَانِ
ثَلَاثًا

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِنَّمَا جُعِلَ الْاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ » ، مَتَّقٍ عَلَيْهِ^(٣) .

تَحْرِيمُ النَّظَرِ فِي بَيْتِ
غَيْرِهِ

وَأَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَيْهِ [ﷺ] فَقَالَ لَهُ : « أَرْجِعْ ، فَقُلْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ » ، أَدْخُلُ » ، رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديثٌ حسنٌ^(٤) .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا » ، رواه أبو داود والترمذي وأبو ماجه^(٥) .

أَسْتَحْبَابُ الْمُصَافَحَةِ

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الْغِلُّ مِنْ قُلُوبِكُمْ ، وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا ، وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ » ، رواه الإمام مالك^(٦) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِذَا أَلْتَقَى الْمُسْلِمَانِ فَتَصَافَحَا ، وَحَمِدَا اللَّهَ

(١) أخرجه أبو داود ، برقم (٥٢٠٨) . والترمذي برقم (٢٧٠٦) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم ، برقم (٣٤/٢١٥٣) . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٥٨٨٧) . ومسلم برقم (٤٠/٢١٥٦) . عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الترمذي ، برقم (٢٧١٠) . عن كلدة بن حنبل رضي الله عنه .

(٥) أخرجه أبو داود ، برقم (٥٢١٢) . والترمذي برقم (٢٧٢٧) . وأبو ماجه برقم (٣٧٠٣) . عن البراء بن عازب رضي الله عنهما .

(٦) أخرجه مالك في « الموطأ » ، كتاب (٤٧) ، برقم (١٦) . عن عطاء بن مسلم الخراساني مرفوعاً .

تعالى ، وَاسْتَغْفِرَا ، غَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمَا » ، رواه أَبُو السَّنِيِّ (١) . [ق٢٦٨]

وروى أيضاً - [أي : أَبُو السَّنِيِّ] - ما أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِ
رَجُلٍ ففَارَقَهُ حَتَّى قَالَ : « اللَّهُمَّ » إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ
حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » (٢) .

وَبَيَّنَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ ،
فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ
يَقُولَ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ . وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا
تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا أَسْتَطَاعَ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ
الشَّيْطَانُ » ، رواه البخاري (٣) .

وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ : « فَإِذَا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَلْيَقُلْ :
يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بِالْكُم » (٤) - أي : شَأْنَكُمْ - .

وَبَيَّنَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا جَاءَهُ الْعُطَاسُ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ ،
وَخَفَضَ بِهَا صَوْتَهُ . رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ
صَحِيحٌ (٥) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ ، فَإِنَّ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو السَّنِيِّ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (١٩٣) . عَنْ
الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو السَّنِيِّ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » ، بِرَقْم (٢٠٤) . عَنْ
أَنْسَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَالْآيَةُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ٢/٢٠١ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٨٧٢) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٨٧٠) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٥٠٢٩) . وَالتِّرْمِذِيُّ بِرَقْم (٢٧٤٥) . عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الشَّيْطَانُ يَدْخُلُهُ» ، رواه مُسلم^(١) .

خطبة النكاح

وَبُتَّ أَنَّهُ ﷺ عَلَّمَهُمْ خُطْبَةَ النِّكَاحِ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾
[سورة آل عمران ١٠٣/١٠٣] ، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [سورة النساء ١/٤] ، ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/٧٠ - ٧١] . رواه أصحاب السنن الأربعة .
وقال الترمذي : حديث حسن^(٢) .

وَبُتَّ أَنَّهُ ﷺ دَعَا لِلْمُتَزَوِّجِ : « بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ » ، متفق عليه^(٣) . /

وعند أبي داود والترمذي وابن ماجه : « بَارَكَ اللَّهُ لَكَ ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ » ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح^(٤) .

(١) أخرجه مسلم ، برقم (٥٧/٢٩٩٥) . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي ، برقم (١١٠٥) . والنسائي برقم (١٤٠٤) . وأبو داود

برقم (١٠٩٧) . وابن ماجه برقم (١٨٩٢) . عن عبد الله بن مسعود

رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري ، برقم (٦٠٢٤) . ومسلم برقم (٥٤/٧١٥) . عن

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه أبو داود ، برقم (٢١٣٠) . والترمذي برقم (١٠٩١) . وابن

ماجه برقم (١٩٠٥) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وُثِبَتْ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا جَامَعَ أَهْلَهُ قَالَ : بِأَسْمِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ، فَقَضِيَ بَيْنَهُمَا بِوَلَدٍ لَمْ يَضُرَّهُ » ، مَتَّقَى عَلَيْهِ ^(١) . وفي رواية للبُخَارِيِّ : « لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا » ^(٢) .

وُثِبَتْ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ » ، رواه أَبُو دَاوُدَ لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبْنُ حَبَّانَ فِي « صَحِيحِهِ » وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ ^(٣) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « السُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَ لَهُ » ، رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبْنُ خُزَيْمَةَ فِي « صَحِيحِهِ » ^(٤) .

وفي « صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ » ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبْشَةِ يَلْعَبُونَ فِي (الْمَسْجِدِ) ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَسْأَمُ ، فَأَقْدُرُوا قَدَرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السَّنَّ ، الْحَرِيصَةَ عَلَى اللَّهْوِ ^(٥) .

وُثِبَتْ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ حَسَنُ مُعَاشَرَةِ الْأَهْلِ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ »

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (١٤١) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (١٤٣٤/١١٦) . عَنْ

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٦٠٢٥) . عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٢٠٨٥) . وَالتِّرْمِذِيُّ بِرَقْم (١١٠١) . وَالحَاكِمُ

فِي « الْمُسْتَدْرَكِ » ، ج ٢/١٦٩ . عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٢٠٨٣) . وَالتِّرْمِذِيُّ بِرَقْم (١١٠٢) . عَنْ

عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٤٩٣٨) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٨٩٢/١٨) .

الْحَبْشَةُ : هُمْ جَنْسٌ مِنَ السُّودَانِ مَشْهُورٌ .

خُلُقًا ، وَلَظْفَهُمْ لِأَهْلِهِ » ، رواه الترمذي والنسائي^(١) .

وثبت أنه ﷺ أَذَنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح^(٢) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ وَلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيَمْنَى ، وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى ؛ لَمْ تَضُرَّهُ أُمُّ الصَّبِيَانِ » . رواه ابنُ السُّنِّي^(٣) .

ما جاء في أحكام
المولود

وثبت أنه ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالصَّبِيَانِ فَيَدْعُو لَهُمَا بِالْبَرَكَةِ ، وَيُحَنِّكُهُمَا . رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح^(٤) .

وثبت أنه ﷺ أَمَرَ بِتَسْمِيَةِ الْمَوْلُودِ يَوْمَ سَابِعِهِ ، وَوَضَعَ الْأَذَى عَنْهُ وَالْعَقَّ . رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن^(٥) .

وَرَوَى أَيْضًا - [أَيْ : التَّرْمِذِيُّ] - أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « كُلُّ غُلَامٍ / رَهِيْنٌ بِعَقِيْقَتِهِ ، تُذْبِحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ ، وَيُخْلَقُ ، وَيُسَمَّى » . قَالَ التَّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ^(٦) .

وثبت أنه ﷺ قَالَ : « إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ ، وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ ؛ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ » ، رواه أبو داود بإسنادٍ جَيِّدٍ^(٧) .

(١) أخرجه الترمذي ، برقم (٢٦١٢) . عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه أبو داود ، برقم (٥١٠٥) . والترمذي برقم (١٥١٤) . عن أسلم مولى رسول الله .

(٣) أخرجه ابن السُّنِّي ، برقم (٦٢٣) . عن الحسين بن علي رضي الله عنهما . أُمُّ الصَّبِيَانِ : التَّابِعَةُ مِنَ الْجَنِّ .

(٤) أخرجه أبو داود ، برقم (٥١٠٦) . عن عائشة رضي الله عنها .

(٥) أخرجه الترمذي ، برقم (٢٨٣٢) . عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٦) أخرجه الترمذي ، برقم (١٥٢٢) . عن سَمُرَةَ بن جندب رضي الله عنه .

(٧) أخرجه أبي داود ، برقم (٤٩٤٨) . عن أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ » ، رواه مُسْلِمٌ^(١) .

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : « تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ » ، رواه أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ^(٢) .

وفي « صحيح البخاري ومسلم » ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « إِنَّ أَخْنَعَ أَسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ - أَي : أَوْضَعَ وَأَذَلَّ - رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكِ الْأَمْلاكِ » . زَادَ مُسْلِمٌ : « لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ » . قَالَ أَبُو عِيْنَةَ : وَمِثْلُ مَلِكِ الْأَمْلاكِ شَاهَانُ شَاهٍ . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٣) .

وَبُثِيَ أَنَّهُ ﷺ غَيَّرَ أَسْمَ حَزْنٍ ، فَقَالَ : « أَنْتَ سَهْلٌ » ، رواه الْبُخَارِيُّ^(٤) .

وغيرَ أَسْمَ عَاصِيَةَ ، فَقَالَ : « أَنْتِ جَمِيلَةٌ » ، رواه مُسْلِمٌ^(٥) .

وغيرَ أَسْمَ أَصْرَمَ ، فَقَالَ : « أَنْتَ زُرْعَةُ » ، رواه أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ^(٦) .

وَسَمَّى حَرْبًا : « سِلْمًا » ، رواه أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا^(٧) .

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (٢١٣٢) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٤٩٥٠) . وَالنَّسَائِيُّ بِرَقْم (٣٥٦٥) . عَنْ أَبِي وَهْبٍ الْحَبْشِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٨٥٣) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٠ / ٢١٤٣) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْم (٥٨٣٧) . عَنْ الْمُسَيَّبِ بْنِ حَزْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، بِرَقْم (١٤ / ٢١٣٩) . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٦) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٤٩٥٤) . عَنْ أُسَامَةَ بْنِ أَخْدَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٧) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِرَقْم (٤٩٥٦) . عَنْ حَزْنِ بْنِ أَبِي وَهْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَبُثِّتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « تَسَمَّوْا بِأَسْمِي ، وَلَا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي » ،
مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(١) .

قَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : ذَهَبَ
الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى تَحْرِيمِ التَّكْنِي بِأَبِي الْقَاسِمِ
مُطْلَقًا ، أَخَذًا بِظَاهِرِ النَّهْيِ ، وَذَهَبَ مَالِكٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى أَنَّ
النَّهْيَ خَاصٌّ بِحَيَاتِهِ ﷺ .

قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ : وَهُوَ قَوِيٌّ ، لِأَنَّ الْأَئِمَّةَ الْأَعْلَامَ لَا يَزَالُونَ
يَكْتَنُونَ بِأَبِي الْقَاسِمِ فِي جَمِيعِ الْأَعْصَارِ ، فَيَكُونُونَ قَدْ فَهِمُوا مِنَ
النَّهْيِ ذَلِكَ لِمَا هُوَ مَشْهُورٌ مِنْ نَدَاءِ الْيَهُودِ بِحَضْرَتِهِ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ،
وَيَقُولُونَ أَرَدْنَا غَيْرَكَ لِلْإِيذَاءِ ، وَقَدْ زَالَ هَذَا الْمَعْنَى . وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٢) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، بِرَقْمِ (٣٣٤٥) . وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ (٣/٢١٣٣) عَنْ
جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) الْأَذْكَارُ ، لِلنَّوَوِيِّ ، ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .

فصل اختتام

قال ﷺ : « مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ / ذَلِكَ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ » ، رواه أبو داود والنسائي والترمذي ، وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ، وأبْنُ حَبَّانَ فِي « صَحِيحِهِ » (١) .

وروى الحافظ أبو نُعَيْمٍ ، عن عليّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمَكْيَالِ الْأَوْفَى فَلْيَقُلْ فِي آخِرِ مَجْلِسِهِ - أَوْ حِينَ يَقُومُ - : ﴿ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [سورة الصّافات ٣٧ / ١٨٠ - ١٨٢] .

تَمَّ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعُونِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ ، وَيَرْزُقَنَا الْعَمَلَ بِمَا فِيهِ ، وَشَفَاعَةَ قَائِلِهِ يَوْمَ لِقَائِهِ ﷺ .

(١) أخرجه الترمذي ، برقم (٣٤٣٣) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

خاتمة مخطوط (دار الكتب المصرية) : ووافق الفراغ منه ظهر
يوم الإثنين المبارك ، فجر الشهور محرم سنة ١١٠٤ هـ ، أحسن الله
ختامه ، وصلى الله على سيدنا محمد أفضل الصلاة والسلام .

خاتمة مخطوط (مكتبة الأحقاف ، بتريم) : آخر بصيرة
الحضرة الأحمديّة الشّاهية بسيرة الحضرة الأحمديّة النّبويّة ، تأليف
الإمام الهمام العلامة جمال الدين محمد بن عمر بحرق ، رضي الله
عنه ، ونفع به ، آمين .

وكان الفراغ من رقم ذلك يوم الأربعاء سادس عشر شهر
القعدة ، سنة ١٢٤١ هـ ، إحدى وأربعين ومائتين وألف ، والحمد
لله رب العالمين .

خاتمة مخطوط (الأنصاري) : وكان الفراغ من نسخ هذه السيرة
المباركة نهار الإثنين ثاني وعشرين يوماً عن محرم الحرام في البلد
الحرام ، أحد شهور سنة ٩٣٨ من الهجرة النبويّة ، على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام ، على يد العبد الفقير إلى كرم الله الغني :
علي بن عبد الناصر المصري ، لنفسه ولمن شاء الله من بعده .
بلغت بحمد الله في الخط آخره

وسوف ألاقى بعد دُنْيَايَ آخره
فيا قارئاً خطي إذا ما قرأته
فكن داعياً أن يرحم الله ساطره
يجبك كريم بل يُثَبِّك بِمِثْلِ ما
دَعَوْتَ فَمَهُمَا شِئْتَ فَلَتَكُ ذَاكِرَهُ
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم .

مِلَّاحِقُ الْكِتَابِ

تَبَيُّنُ تَارِيخِيِّ مَتَسِيلِ لأحداث سيرة النبوة وأهم التشريعات (*)

الحدث	التاريخ	الصفحة
- ولادة النَّبِيِّ ﷺ	١٢ ربيع الأول - عام الفيل	١٠٥-٥٩
- خروج النَّبِيِّ ﷺ مع أمِّه إلى (المدينة) ووفاتها	السَّنة السادسة من مولده	١١٢-٥٩
- وفاة جدِّه عبد المطلب وكفالة عمِّه أبي طالب له	السَّنة الثامنة من مولده	١١٥-٦٠
- خروج النَّبِيِّ ﷺ مع عمِّه أبي طالب في تجارة إلى (الشَّام)	السَّنة الثانية عشرة من مولده	١١٥-٦٠
- شهود النَّبِيِّ ﷺ حرب الفجار	السَّنة الرَّابعة عشرة من مولده	١١٦-٦٠
- شهود النَّبِيِّ ﷺ حلف الفضول	السَّنة العشرين من مولده	١١٦-٦٠
- خروج النَّبِيِّ ﷺ مع ميسرة غلام خديجة في تجارة لها	السَّنة الخامسة والعشرين من مولده	١١٦-٦٠
- زواج النَّبِيِّ ﷺ من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها	السَّنة الخامسة والعشرين من مولده	١١٧-٦٠
- بنيان الكعبة ومشاركة النَّبِيِّ ﷺ	السَّنة الخامسة والثلاثين من مولده	١١٩-٦٠
- حبُّ النَّبِيِّ ﷺ للخلوة	السَّنة الثامنة والثلاثين من مولده	١٢٠-٦٠
- بدء الوحي	السَّنة الأربعين من مولده وهي (السَّنة الأولى للبعثة)	١٢٠-٦١
- هجرة الحبشة الأولى	رجب - السَّنة الخامسة للبعثة	١٨٦-٦١
- هجرة الحبشة الثانية	السَّنة السادسة للبعثة	١٨٩-٦١
- صحيفة المقاطعة	محرم - السنة السابعة للبعثة	١٨٩-٦١
- نقض الصَّحيفة	السَّنة التاسعة للبعثة	١٨٩-٦١
- وفاة أبي طالب	السَّنة العاشرة للبعثة	١٩٢-٦١
- وفاة خديجة رضي الله عنها	السَّنة العاشرة للبعثة	١٩٣-٦١

(*) انظر ص (٨) فقرة (٦).

الحدث	التاريخ	الصفحة
- زواج النَّبِيِّ ﷺ من سودة بنت زَمْعَةَ رضي الله عنها	السَّنة العاشرة للبعثة	
- اشتداد إيذاء قريش للنَّبِيِّ ﷺ بعد وفاة أبي طالب	السَّنة العاشرة للبعثة	
- خروج النَّبِيِّ ﷺ إلى (الطائف)	السَّنة العاشرة للبعثة	١٩٧-٦٢
- عرضُ النَّبِيِّ ﷺ نفسه على القبائل ومن يَقدِّم مَكَّة من الأشراف	ذي القعدة - السَّنة العاشرة للبعثة	
- عقد نكاح عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما	شَوَّال السَّنة الحادية عشرة للبعثة	٢٠٣
- الإسراء والمعراج	رمضان - السَّنة الثَّانية عشرة للبعثة	٢١٦-٦٢
- فرض الصلاة	بعد الإسراء - السَّنة الثَّانية عشرة للبعثة	٢١٦-٦٢
- ابتداء أمر الأنصار	ذي الحِجَّة - السَّنة الثَّانية عشرة للبعثة	٢٠١-٦٢
- بيعة العقبة الأولى	ذي الحِجَّة - السَّنة الثَّانية عشرة للبعثة	٢٠٢-٦٢
- بعث مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى (المدينة) وانتشار الإسلام فيها	السَّنة الثَّانية عشرة للبعثة	٢٠٣-٦٢
- بيعة العقبة الثَّانية	السَّنة الثَّالثة عشرة للبعثة	٢٠٤-٦٢
- هجرة النَّبِيِّ ﷺ إلى (المدينة)	صفر - السَّنة الرَّابعة عشرة للبعثة. وهي (السَّنة الأولى للهجرة)	٢٠٩-٦٣
- بناء المسجد النَّبَوِيِّ	صفر - السَّنة الأولى للهجرة	٢٥٥-٦٣
- مشروعية الأذان	السَّنة الأولى للهجرة	٢٦٢-٦٣
- المؤاخاة بين المسلمين	جمادى الآخرة - السَّنة الأولى للهجرة	٢٦٤

الحدث	التاريخ	الصفحة
- فرضُ الجهاد	السَّنة الأولى للهجرة	٢٦٢-٦٣
- سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه إلى (ساحل البحر)	رمضان - السَّنة الأولى للهجرة	
- سرية عبيد بن الحارث رضي الله عنه إلى (ثنية المَرَة)	شوال - السَّنة الأولى للهجرة	
- زواج النَّبي ﷺ من عائشة رضي الله عنها	شوال - السَّنة الأولى للهجرة	٢٧٣-٦٣
- سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى (الخرَّار) من أرض الحجاز	ذي القعدة - السَّنة الأولى للهجرة	
- غزوة وَدَّان (الأبواء)	صفر - السَّنة الثانية للهجرة	
- غزوة بُواط من ناحية (رضوى)	ربيع الأوَّل - السَّنة الثانية للهجرة	
- غزوة العُسيْرة من بطن (ينبع)	جمادى الآخرة - السَّنة الثانية للهجرة	
- غزوة سَفَوان (بدر الأولى)	جمادى الأولى - السَّنة الثانية للهجرة	
- سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى (نخلة)	رجب - السَّنة الثانية للهجرة	
- صرفُ القِبلة	رجب - السَّنة الثانية للهجرة	٢٦٤-٦٣
- فرض الصَّيام والزَّكاة	شعبان - السَّنة الثانية للهجرة	٢٦٧-٦٣
- سرية عمير بن عدي رضي الله عنه لقتل عصماء بنت مروان	السَّنة الثانية للهجرة	
- غزوة بدر الكبرى	١٧ رمضان - السَّنة الثانية للهجرة	٢٦٨-٦٣
- وفاة رقية بنت النَّبي ﷺ	رمضان - السَّنة الثانية للهجرة	
- زواجُ علي بن أبي طالب من فاطمة رضي الله عنهما	مرجعهُ من بدر - السَّنة الثانية للهجرة	
- سرية سالم بن عُمير رضي الله عنه لقتل أبي عَفْكَ	شوال - السَّنة الثانية للهجرة	

الحدث	التاريخ	الصفحة
- غزوةُ بني قَيْنُقَاعِ	شوال - السَّنةُ الثَّانيةُ للهجرة	٢٧٧-٦٤
- غزوةُ السَّوِيْقِ	شوال - السَّنةُ الثَّانيةُ للهجرة	
- غزوةُ بني سُلَيْمٍ (غزوةُ قَرْقَرَةَ الكُدْرِ)	شوال - السَّنةُ الثَّانيةُ للهجرة	
- سَرِيَّةُ مُحَمَّدٍ بنِ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِقَتْلِ كَعْبِ بنِ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيِّ	ربيع الأوَّل - السَّنةُ الثَّالثةُ للهجرة	٢٧٤-٦٤
- غزوةُ ذِي أَمْرٍ (غزوةُ غَطَفَانَ بنِ جَدٍ)	ربيع الأوَّل - السَّنةُ الثَّالثةُ للهجرة	
- سَرِيَّةُ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الْقَرَدَةِ	ربيع الأوَّل - السَّنةُ الثَّالثةُ للهجرة	
- غزوةُ الْفُرْعِ من بُحْرَانَ	ربيع الآخر - السَّنةُ الثَّالثةُ للهجرة	
- سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَتِيكَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِقَتْلِ سَلَامِ بنِ أَبِي الْحَقِّيقِ	جمادى الأولى - السَّنةُ الثَّالثةُ للهجرة	٢٧٤-٦٤
- زَوَاجُ أُمِّ كَلْثُومٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	شعبان - السَّنةُ الثَّالثةُ للهجرة	
- زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	رمضان - السَّنةُ الثَّالثةُ للهجرة	
- زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ زَيْنَبِ بِنْتِ خَزِيمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	١٤ شَوَّال - السَّنةُ الثَّالثةُ للهجرة	
- غزوةُ أُحُدٍ	١٥ شَوَّال - السَّنةُ الثَّالثةُ للهجرة	٢٧٧-٦٤
- غزوةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ	محرم - السَّنةُ الرَّابِعةُ للهجرة	٢٨٣-٦٥
- سَرِيَّةُ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى (قَطَنَ)	صفر - السَّنةُ الرَّابِعةُ للهجرة	
- سَرِيَّةُ الرَّجِيعِ	صفر - السَّنةُ الرَّابِعةُ للهجرة	٢٨٦-٦٥
- سَرِيَّةُ بَثْرَ مَعُونَةَ	ربيع الأوَّل - السَّنةُ الرَّابِعةُ للهجرة	٢٨٨-٦٥
- غزوةُ بَنِي النَّضِيرِ	ربيع الأوَّل - السَّنةُ الرَّابِعةُ للهجرة	٢٩٠-٦٦
- تحريم الخمر	شعبان - السَّنةُ الرَّابِعةُ للهجرة	
- غزوةُ بَدْرِ الْآخِرَةِ		

الحدث	التاريخ	الصفحة
- زواج النَّبِيِّ ﷺ من أمِّ سلمة رضي الله عنها	شوال - السَّنة الرَّابِعة للهجرة	
- غزوة دُومَةِ الْجَنْدَل	ربيع الأوَّل - السَّنة الخامسة للهجرة	
- غزوة بني الْمُصْطَلِق	شعبان - السَّنة الخامسة للهجرة	٢٩٤-٦٧
- حديثُ الإفك	شعبان - السَّنة الخامسة للهجرة	٢٩٨-٦٨
- زواج النَّبِيِّ ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها	ذي القعدة - السَّنة الخامسة للهجرة	٣١٦-٦٩
- زواج النَّبِيِّ ﷺ من جويرية بنت الحارث رضي الله عنها	شعبان - السَّنة الخامسة للهجرة	
- غزوة الخندق (الأحزاب)	شوال - السَّنة الخامسة للهجرة	٣٠٧-٦٨
- غزوة بني قُريظة	ذي القعدة - السَّنة الخامسة للهجرة	٣١٣-٦٩
- سرِّيَّة مُحَمَّد بن مسلمة رضي الله عنه إلى (الْقُرْطَاء)	محرم - السَّنة السادسة للهجرة	
- غزوة بني لَحِيان	ربيع الأوَّل - السَّنة السادسة للهجرة	
- سرِّيَّة عُكَّاشَة بن مِحصن رضي الله عنه إلى (العَمْر)	ربيع الأوَّل - السَّنة السادسة للهجرة	
- سرِّيَّة مُحَمَّد بن مَسْلَمَة رضي الله عنه إلى (ذِي الْقَصَّة)	ربيع الأوَّل - السَّنة السادسة للهجرة	
- سرِّيَّة أَبِي عُبَيْدَة بن الجراح رضي الله عنه إلى (ذِي الْقَصَّة)	ربيع الآخر - السَّنة السادسة للهجرة	
- سرِّيَّة زَيْد بن حارثة رضي الله عنه إلى بني سُلَيْم بـ (الْجَمُوم)	ربيع الآخر - السَّنة السادسة للهجرة	
- سرِّيَّة زَيْد بن حارثة رضي الله عنه إلى (العِيص)	جمادى الأولى - السَّنة السادسة للهجرة	

الحدث	التاريخ	الصفحة
- سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى (الطرف)	جمادى الآخرة - السنة السادسة للهجرة	
- سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى (وادي القرى)	رجب - السنة السادسة للهجرة	
- سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر بـ (فدك)	شعبان - السنة السادسة للهجرة	
- سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى (دومة الجندل)	شعبان - السنة السادسة للهجرة	
- سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى (مدين)	السنة السادسة للهجرة	
- سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى بني فزارة بـ (وادي القرى)	رمضان - السنة السادسة للهجرة	
- سرية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لقتل اليُسَير بن رزام	شوال - السنة السادسة للهجرة	
- سرية كُز بن جابر الفهري رضي الله عنه إلى (العُرينين)	شوال - السنة السادسة للهجرة	
- أمر الحُدَيْبِيَّة	ذي القعدة - السنة السادسة للهجرة	٦٩-٣٢٢
- بيعه الرضوان	السنة السادسة للهجرة	٦٩-٣٢٣
- بعث النبي ﷺ الرُّسُل بكتبه إلى الملوك	محرم - السنة السابعة للهجرة	٧٠-٣٣١
- سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى (جذام)	السنة السابعة للهجرة	
- غزوة ذي قرد أو (الغابة)	صفر - السنة السابعة للهجرة	
- غزوة خيبر	صفر - السنة السابعة للهجرة	٧١-٣٣٧
- زواج النبي ﷺ من صفية بنت حيي	جمادى الأولى - السنة السابعة للهجرة	٧١-٣٤٠

الحدث	التاريخ	الصفحة
- زواج النَّبِيِّ ﷺ من أُمِّ حَبِيبَةَ بنت أبي سفيان رضي الله عنهما	السَّنة السَّابعة للهجرة	
- غزوة ذات الرِّقاع (غزوة نجد)	جمادى الأولى - السَّنة السَّابعة للهجرة	٢٩٣-٦٦
- سرِّيَّةُ أبي بكر رضي الله عنه إلى بني كِلاب بـ (نجد)	شعبان - السَّنة السَّابعة للهجرة	
- سرِّيَّةُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى (تُرَبَّة)	شعبان - السَّنة السَّابعة للهجرة	
- سرِّيَّةُ بشير بن سعد الأنصاري رضي الله عنه إلى (فَدَك)	شعبان - السَّنة السَّابعة للهجرة	
- سرِّيَّةُ غالب بن عبد الله اللَّيْثِي رضي الله عنه إلى أرض بني مُرَّة	رمضان - السَّنة السَّابعة للهجرة	
- سرِّيَّةُ بشير بن سعد الأنصاري رضي الله عنه إلى (يَمَنٍ وجَناب)	شَوَّال - السَّنة السَّابعة للهجرة	
- عُمَرَةُ القُضاء	ذي القعدة - السَّنة السَّابعة للهجرة	٣٤١-٧٢
- زواج النَّبِيِّ ﷺ من ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها	آخر ذي القعدة - السَّنة السَّابعة للهجرة	٣٤١-٧٢
- سرِّيَّةُ ابن أبي العَوجاء السُّلَمِيَّ رضي الله عنه إلى (بني سُلَيم)	ذي الحِجَّة - السَّنة السَّابعة للهجرة	
- وفاة زينب بنت النَّبِيِّ ﷺ	محَرَّم - السَّنة الثَّامنة للهجرة	
- سرِّيَّةُ خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى (قيس) من قُرَيش	السَّنة الثَّامنة للهجرة	
- سرِّيَّةُ غالب بن عبد الله اللَّيْثِي رضي الله عنه إلى عنه إلى بني المُلوَّح بـ (الكديد)	صفر - السَّنة الثَّامنة للهجرة	

الحدث

التاريخ

الصفحة

صفر - السَّنة الثَّامنة للهجرة	- سرِّيَّةُ غالب بن عبد الله اللَّيْثِي رضيَ اللهُ عنه إلى مُصَّاب أصحاب بشير بن سعد ب(فَدَك)
ربيع الأوَّل - السَّنة الثَّامنة للهجرة	- سرِّيَّةُ شُجاع بن وهبِ الأَسديّ إلى بني عامر ب(السِّي)
ربيع الأوَّل - السَّنة الثَّامنة للهجرة	- سرِّيَّةُ كعب بن عُمر الغفاريّ رضيَ اللهُ عنه إلى (ذات أطلاق)
جمادى الأولى - السَّنة الثَّامنة للهجرة	- غزوةُ مؤتة
جمادى الآخرة - السَّنة الثَّامنة للهجرة	- سرِّيَّةُ عمرو بن العاصي رضيَ اللهُ عنه إلى (ذات السلاسل)
رجب - السَّنة الثَّامنة للهجرة	- سرِّيَّةُ أبي عُبيدة بن الجراح رضيَ اللهُ عنه إلى (سيف البحر) أو (سرِّيَّةُ الخَبط)
شعبان - السَّنة الثَّامنة للهجرة	- سرِّيَّةُ أبي قتادة بن رُبَيعٍ رضيَ اللهُ عنه إلى (خَضِرَة) بنجد
شعبان - السَّنة الثَّامنة للهجرة	- سرِّيَّةُ ابن أبي حَذَرْد رضيَ اللهُ عنه إلى (الغابة)
رمضان - السَّنة الثَّامنة للهجرة قبل الفتح	- سرِّيَّةُ ابن أبي حَذَرْد رضيَ اللهُ عنه إلى (بطن إَضَم)
رمضان - السَّنة الثَّامنة للهجرة	- غزوةُ فتح مَكَّة
رمضان - السَّنة الثَّامنة للهجرة	- تحريمُ بيع الخمر والميتة ونكاح المتعة
رمضان - السَّنة الثَّامنة للهجرة	- زواج النَّبيِّ ﷺ من مُلَيْكَة بنت كعب
رمضان - السَّنة الثَّامنة للهجرة	- غزوةُ حُنين
رمضان - السَّنة الثَّامنة للهجرة	- سرِّيَّةُ أَوْطاس
شَوَّال - السَّنة الثَّامنة للهجرة	- سرِّيَّةُ الطُّفيل بن عمرو الدَّوسِيّ رضيَ اللهُ عنه إلى (ذي الكَفَّين)

الحدث	التاريخ	الصفحة
- غزوة الطائف	شوال - السنة الثامنة للهجرة	٣٥٨-٧٤
- عمرة الجعرانة	ذي القعدة - السنة الثامنة للهجرة	٣٦٤-٧٤
- زواج النبي ﷺ من عمرة بنت يزيد الكلابية، ولم يدخل بها	ذي القعدة - السنة الثامنة للهجرة	
- ولادة إبراهيم ابن النبي ﷺ	ذي الحجة - السنة الثامنة للهجرة	٣٦٤-٧٥
- عام الوفود	السنة التاسعة للهجرة	٣٦٥-٧٥
- بعث العمال والأمرء على الصدقات	محرم - السنة التاسعة للهجرة	
- سرية قطبة بن عامر رضي الله عنه إلى (خنعم)	صفر - السنة التاسعة للهجرة	
- سرية الضحّاك بن سفيان إلى (بني كلاب)	ربيع الأول - السنة التاسعة للهجرة	
- سرية علقمة بن مجزّر المدلجي رضي الله عنه إلى (ذي قرد)	ربيع الآخر - السنة التاسعة للهجرة	
- سرية عكاشة بن محصن رضي الله عنه إلى (الجناب)	ربيع الآخر - السنة التاسعة للهجرة	
- سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى (الفلس)	ربيع الآخر - السنة التاسعة للهجرة	
- وفاة النجاشي	رجب - السنة التاسعة للهجرة	٣٧٧-٧٦
- غزوة تبوك	رجب - السنة التاسعة للهجرة	٣٧١-٧٦
- وفاة أمّ كلثوم رضي الله عنها	شعبان - السنة التاسعة للهجرة	
- نزول آيات تحريم الربا	السنة التاسعة للهجرة	
- بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى (اليمن)	السنة التاسعة للهجرة	
- حجّ أبي بكر رضي الله عنه بالناس وبعث النبي عليّاً رضي الله عنه بصدر براءة	ذي الحجة - السنة التاسعة للهجرة	٣٧٨-٧٧

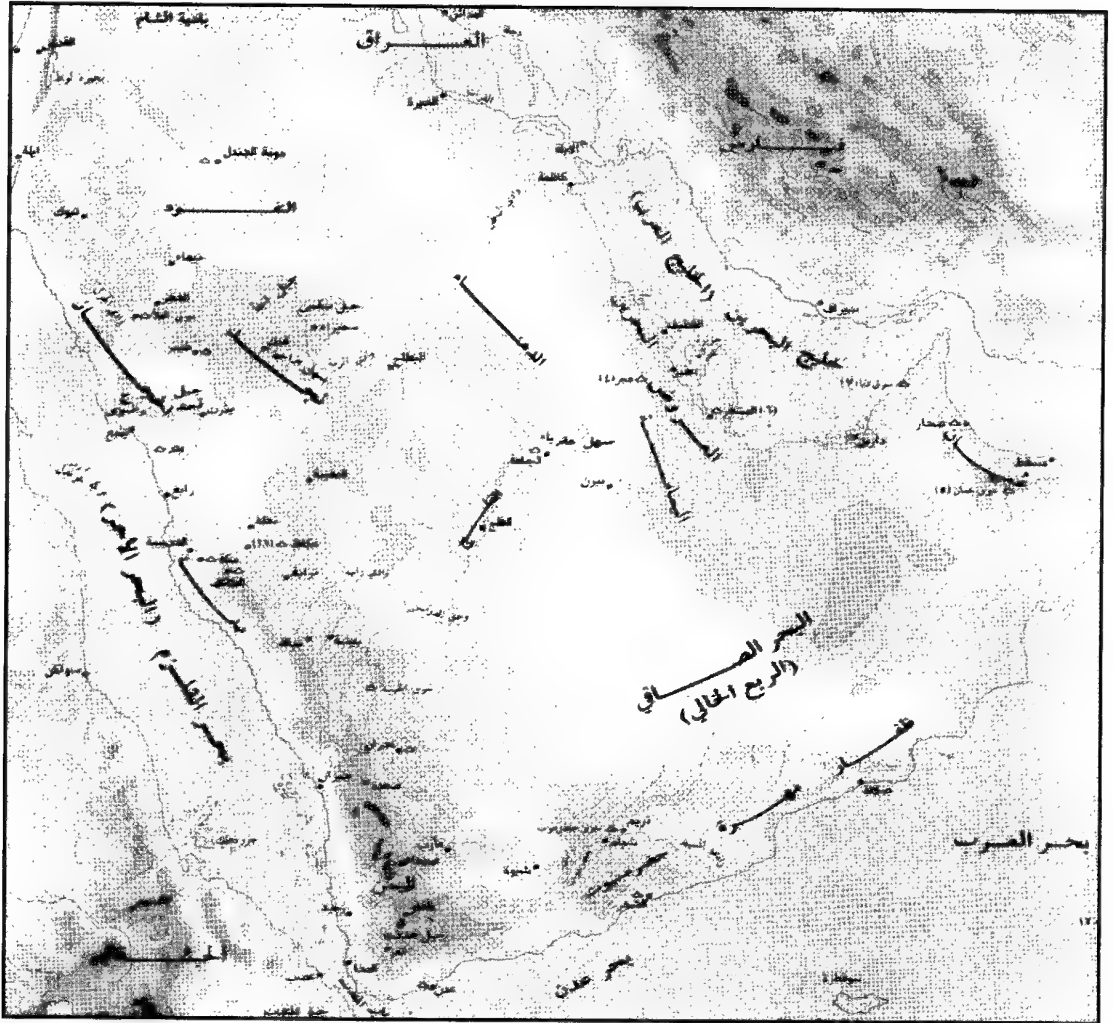
الحدث	التاريخ	الصفحة
- زواج النَّبِيِّ ﷺ من الشَّنبَاء بنت عمرو الغفاريَّة	ربيع الأوَّل - السَّنة العاشرة للهجرة	
- وفاة إبراهيم ابن النَّبِيِّ ﷺ	ربيع الأوَّل - السَّنة العاشرة للهجرة	٣٦٤-٧٥
- سرِّيَّة خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني الحارث بن كعب بـ(نجران)	ربيع الآخر - السَّنة العاشرة للهجرة	
- بعث النَّبِيُّ ﷺ عمرو بن حَزْم رضي الله عنه إلى (اليمن) لِيَقْقَهُمْ فِي الدِّين	جمادى الأولى - السَّنة العاشرة للهجرة	
- سرِّيَّة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى مَذْحِج بـ(اليمن)	رمضان - السَّنة العاشرة للهجرة	
- زواج النَّبِيِّ ﷺ من أسماء بنت النُّعْمان الكِنْدِيَّة	السَّنة العاشرة للهجرة	
- زواج النَّبِيِّ ﷺ من قَتِيلَة بنت قيس	السَّنة العاشرة للهجرة	
- حَجَّة الوداع	ذي الحِجَّة - السَّنة العاشرة للهجرة	٣٨٠-٧٧
- سرِّيَّة أُسامَة بن زيد رضي الله عنهما	آخر صفر - السَّنة الحادية عشرة للهجرة	٣٨٢-٧٨
- وفاة النَّبِيِّ ﷺ	٢ ربيع الأوَّل - السَّنة الحادية عشرة للهجرة	٣٨٨-٧٨
- أمر سقيفة بني ساعدة	ربيع الأوَّل - السَّنة الحادية عشرة للهجرة	٣٩١
- مبايعة أبو بكر الصَّدِّيق رضي الله عنه بالخلافة	ربيع الأوَّل - السَّنة الحادية عشرة للهجرة	٣٩١

تَبَيُّنُ أَبْسَامِ وَفُودِ الْقِبَا ئِلِ الَّتِي جَاءَتْ تَبَايُجَ بِالْإِسْلَامِ

اسم الوفد وزمن قدومه	اسم الوفد وزمن قدومه
وفدُ كِنَانَةَ (٩ هـ)	وفود الجن (١٠ قبل البعثة)
وفدُ ثَقِيف (ذي الحِجَّة - ٩ هـ)	وفدُ مُزَيْنَةَ (رجب - ٥ هـ)
وفدُ الدَّارِيَّيْنِ (٩ هـ)	وفدُ أَشْجَع (ذي القعدة - ٥ هـ)
وفدُ مُرَّة (٩ هـ)	وفدُ خُشَيْن (صفر - ٧ هـ)
وفدُ فَرَارَةَ (٩ هـ)	وفدُ دَوْس (جُمادى الأولى - ٧ هـ)
وفدُ هَمْدَانَ (٩ هـ)	وفدُ بَكْر بن وائل (جُمادى الأولى - ٨ هـ)
وفدُ سَعْد بن بَكْر (٩ هـ)	وفدُ شَيْبَانَ (جُمادى الأولى - ٨ هـ)
وفدُ عبدِ الْقَيْسِ	وفدُ بني عبد بن عدي (شعبان - ٨ هـ)
الوفادة الأولى (٥ هـ)	وفدُ أَسْلَم (شعبان - ٨ هـ)
الوفادة الثانية (٩ هـ)	وفدُ بني سُلَيْم (شعبان - ٨ هـ)
وفدُ نَجْرَانَ (٩ هـ)	وفدُ هِوَا زَن (ذي القعدة - ٨ هـ)
وفدُ بني تَهْدٍ (٩ هـ)	وفدُ ثَعْلَبَةَ (ذي القعدة - ٨ هـ)
وفدُ بني عامر بن صَعْصَعَةَ (٩ هـ)	وفدُ صُدَاء (ذي القعدة - ٨ هـ)
وفدُ بني حَنِيفَةَ (٩ هـ)	وفدُ ثُمَالَةَ وَالْحَدَّادَانَ (ذي القعدة - ٨ هـ)
وفدُ أَزْدِ عُمَانَ (٩ هـ)	وفدُ بَاهِلَةَ (ذي القعدة - ٨ هـ)
وفدُ بَهْرَاء (٩ هـ)	وفدُ جَرَم (ذي القعدة - ٨ هـ)
وفدُ بني سَعْدِ هَذَنِيمٍ (٩ هـ)	وفدُ بني تَمِيم (محرم - ٩ هـ)
وفدُ مُجَيْبٍ (٩ هـ)	وفدُ بني عُدْرَةَ (محرم - ٩ هـ)
وفدُ كِلَاب (٩ هـ)	وفدُ بني أَسَد (محرم - ٩ هـ)
وفدُ بني الْبَكَّاء (٩ هـ)	وفدُ يَلِيٍّ (ربيع الأول - ٩ هـ)
وفدُ صَرْدِ بن عبد الله بن الْأَزْدِ (٩ هـ)	وفدُ طِيٍّ (٩ هـ)
وفدُ جُرَش (٩ هـ)	وفدُ بَجِيلَةَ (٩ هـ)
وفدُ حُوْلَانَ (شعبان - ١٠ هـ)	وفدُ خَثْعَمٍ (٩ هـ)

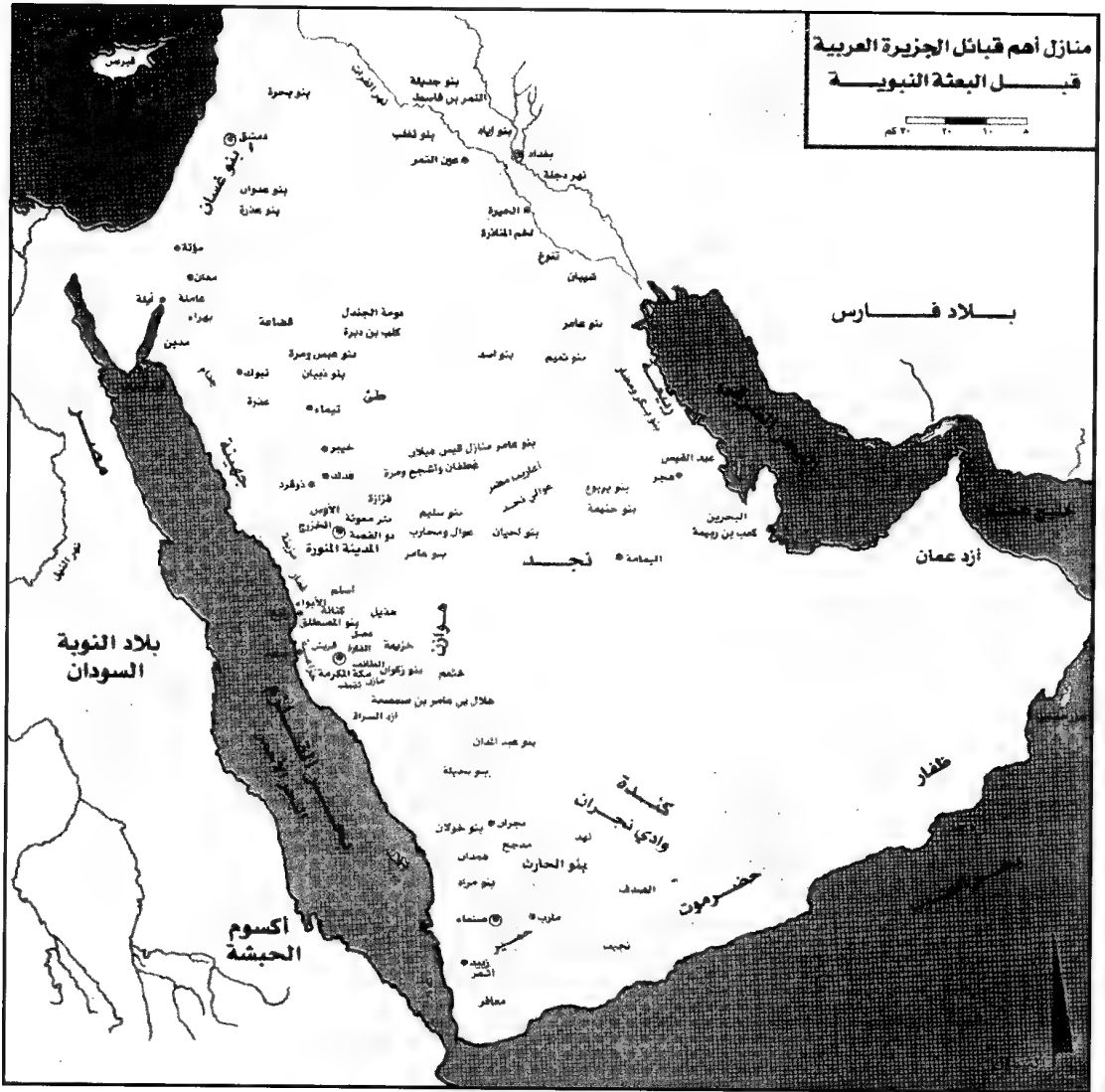
اسم الوفد وزمن قدومه	اسم الوفد وزمن قدومه
وفد هلال بن عامر	وفد غسان (رمضان - ١٠ هـ)
وفد غافق	وفد غامد (رمضان - ١٠ هـ)
وفد بارق	وفد سلامان (شوال - ١٠ هـ)
وفد مَهْرَة	وفد مُراد (١٠ هـ)
وفد جيشان	وفد بني زَيْد (١٠ هـ)
وفد تغلب	وفد بني عَبَس (١٠ هـ)
وفد عَنَزَة	وفد الصَّدِف (١٠ هـ)
وفد جُعْفِي	وفد الرَّهَوِيِّينَ من مَذْحِج (ذي الحجة - ١٠ هـ)
وفد عَنَس	وفد كِنْدَة (ذي الحجة - ١٠ هـ)
وفد بني أَجَا	وفد حَضْرَمَوْت (ذي الحجة - ١٠ هـ)
وفد بني كُلْفَة	وفد بني مُحَارِب (ذي الحجة - ١٠ هـ)
وفد بني زُهَيْر بن أَفْيَس	وفد رُوَّاس بن كِلَاب
وفد بني مَالِك بن حَنْبَل	وفد بني الْمُتَمَقِق
قدوم بني سُلَيْم بن جَابِر الهُجَيْمِي	وفد قَشِير بن كَعْب
وفد السَّبَاع !!	وفد بني كَلْب
وفد النَّخَع (آخر الوفود - ١١ هـ)	

المخطوطات والمصوّرات



منازل أهم قبائل الجزيرة العربية
قبل البعثة النبوية

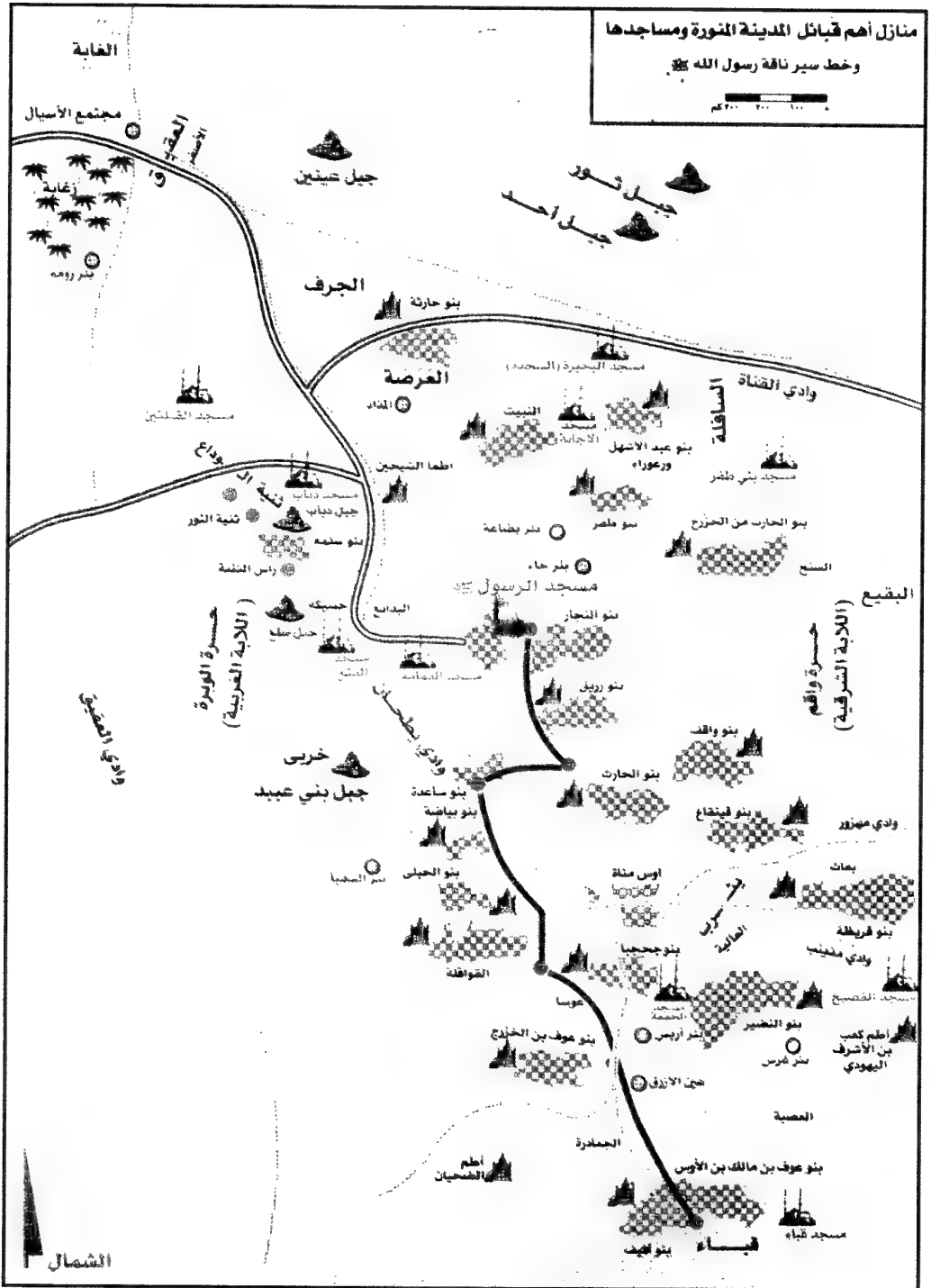
٠ ٢٠ ٤٠ كم



منازل أهم قبائل المدينة المنورة ومساجدها

وخط سير ناقة رسول الله ﷺ

١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ م



قبل غزوة بدر

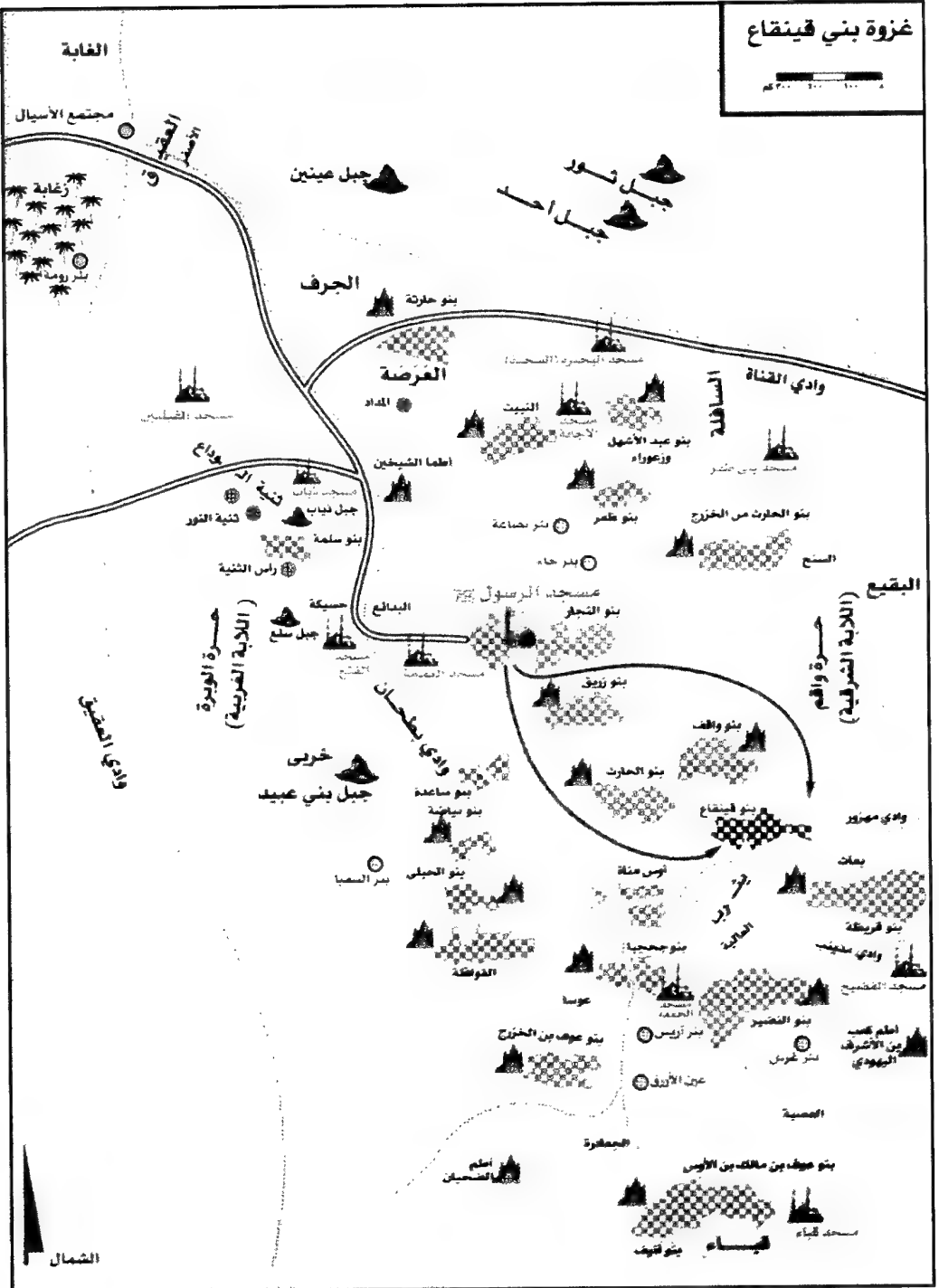
70



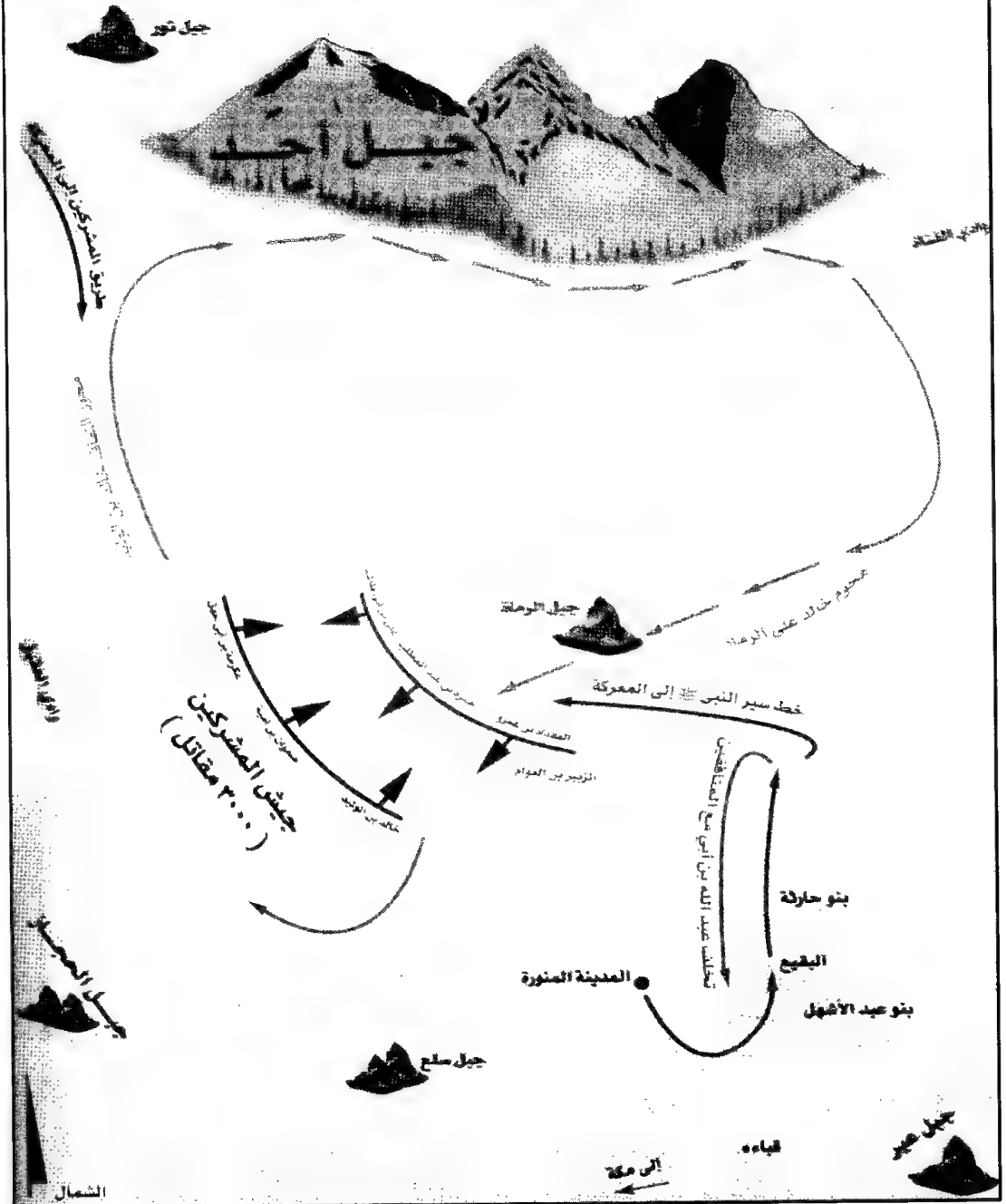


غزوة بني قينقاع

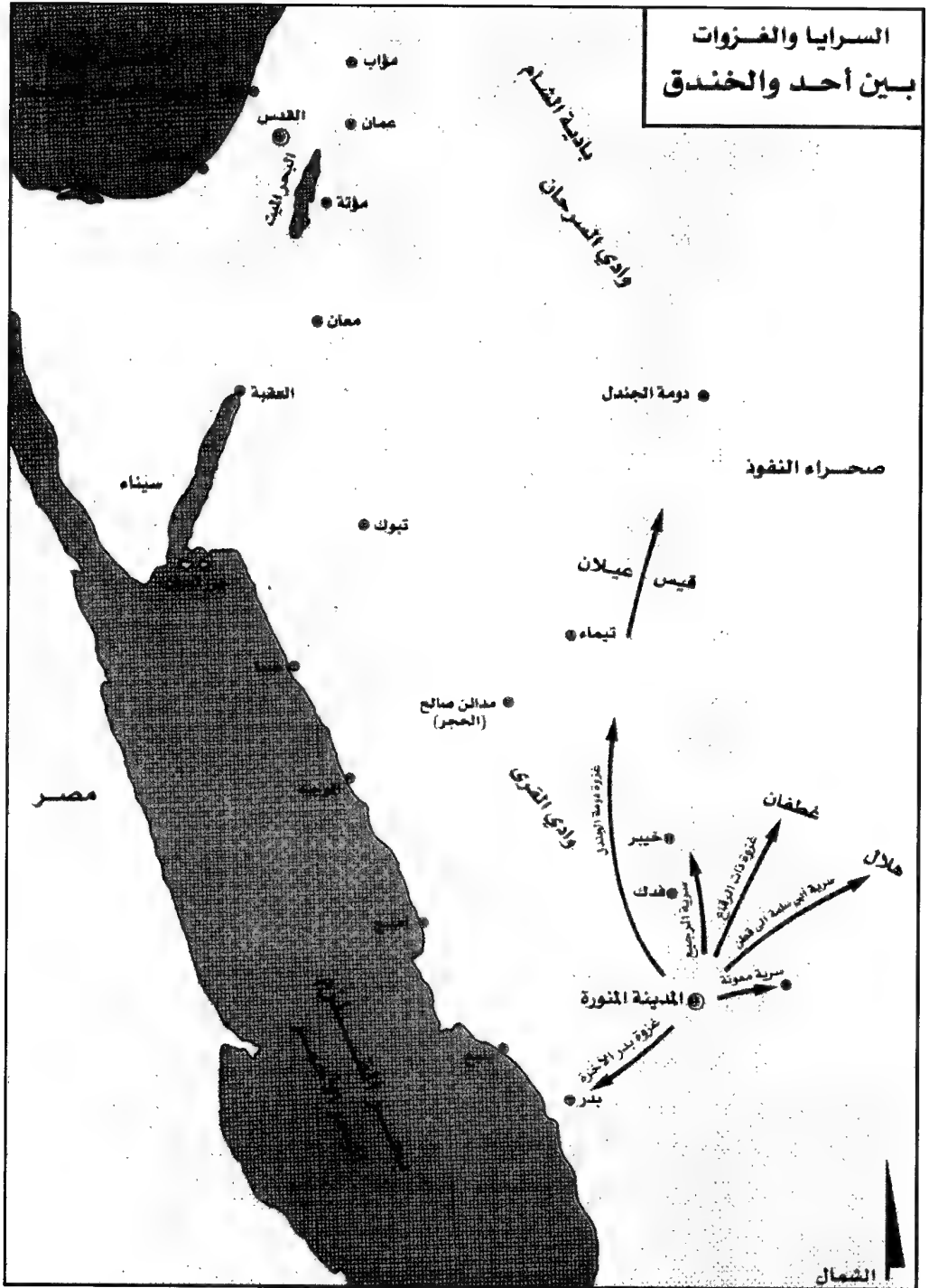
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ ٦٠٠ ٧٠٠ ٨٠٠ ٩٠٠ ١٠٠٠



غزوة أحد

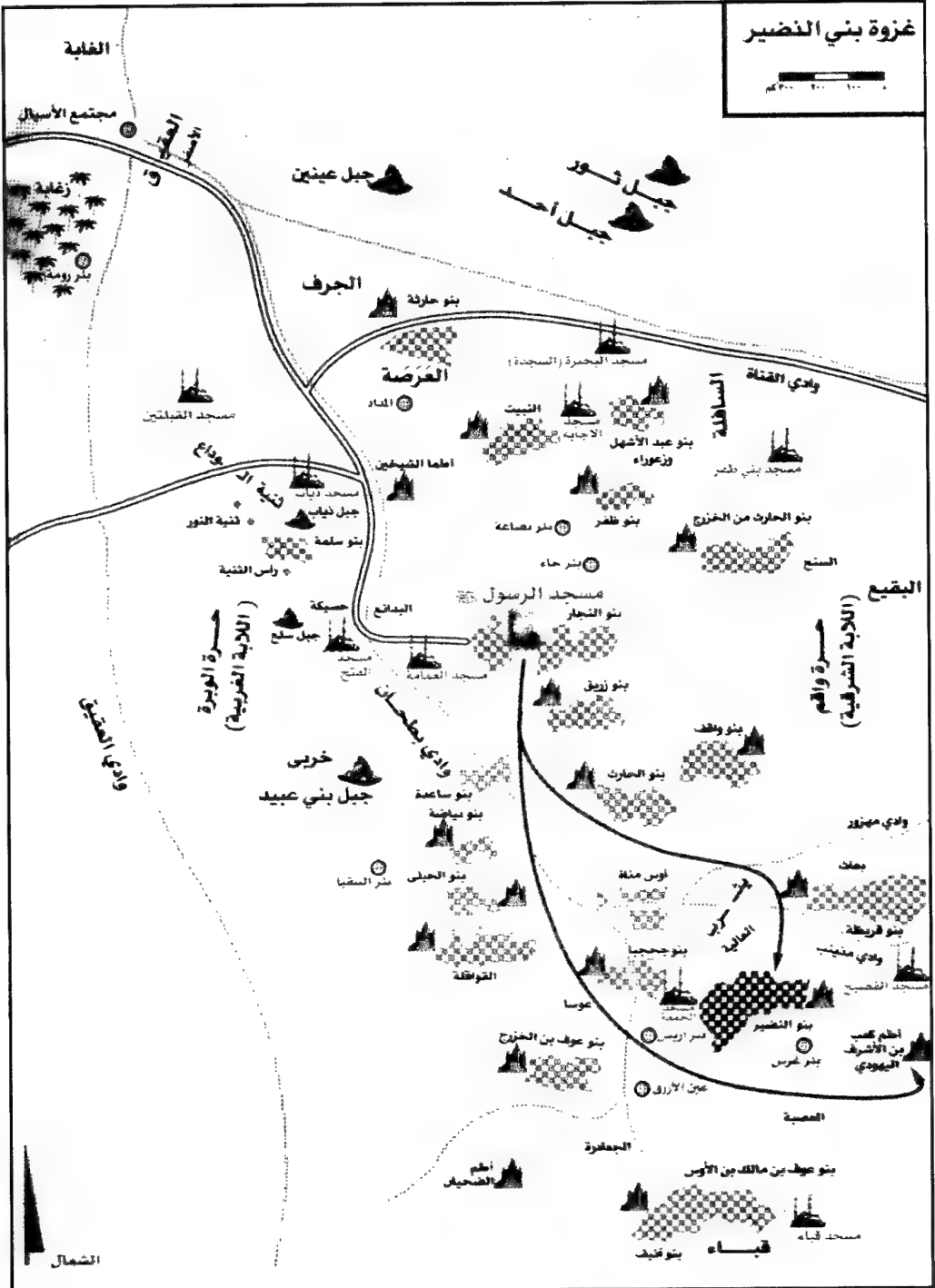


السرايا والغزوات بين أحد والخندق



غزوة بني النضير

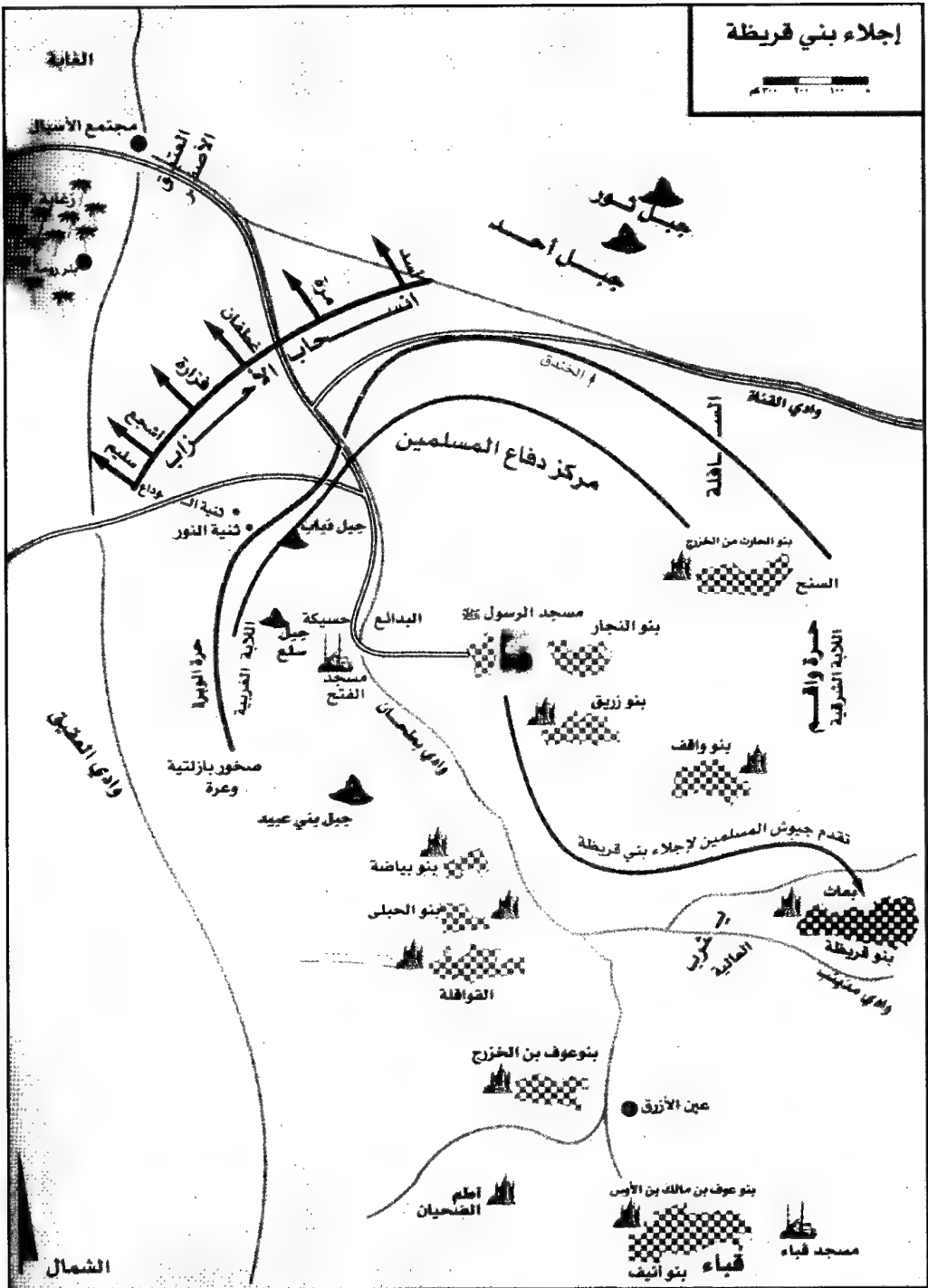
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ كم

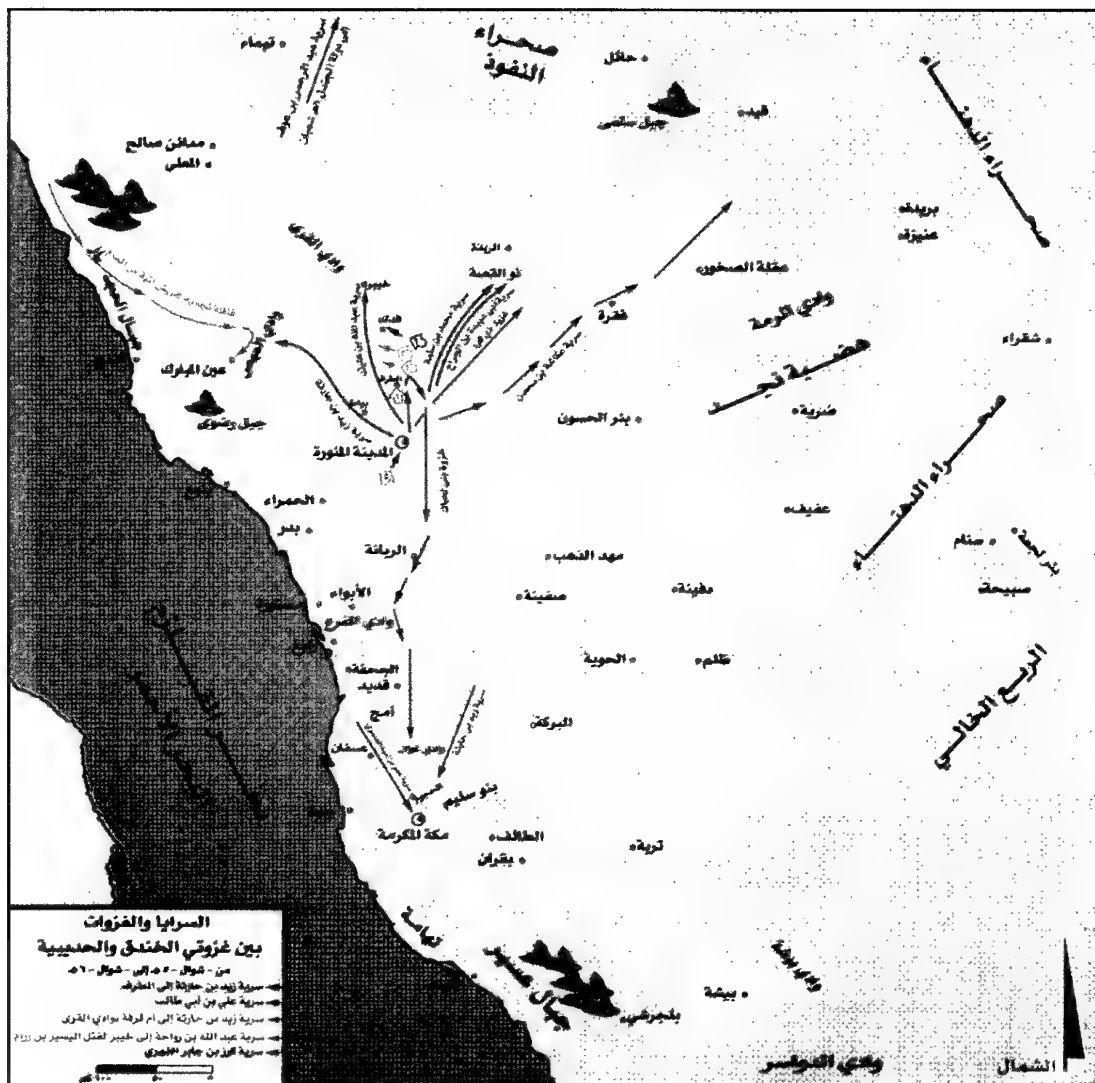


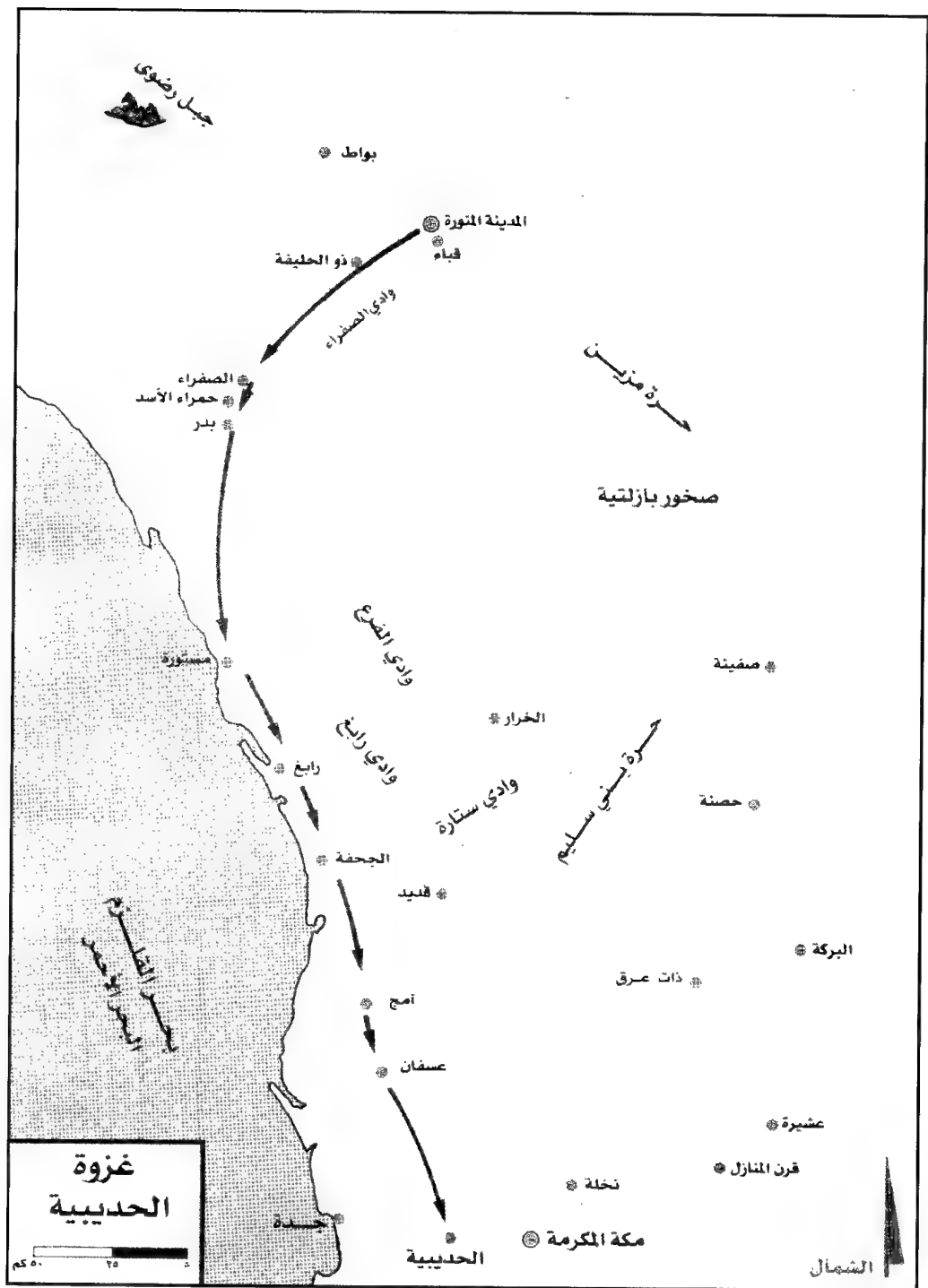
۴۰۰ ۳۰۰ ۲۰۰ ۱۰۰ ۰



إجلاء بني قريظة

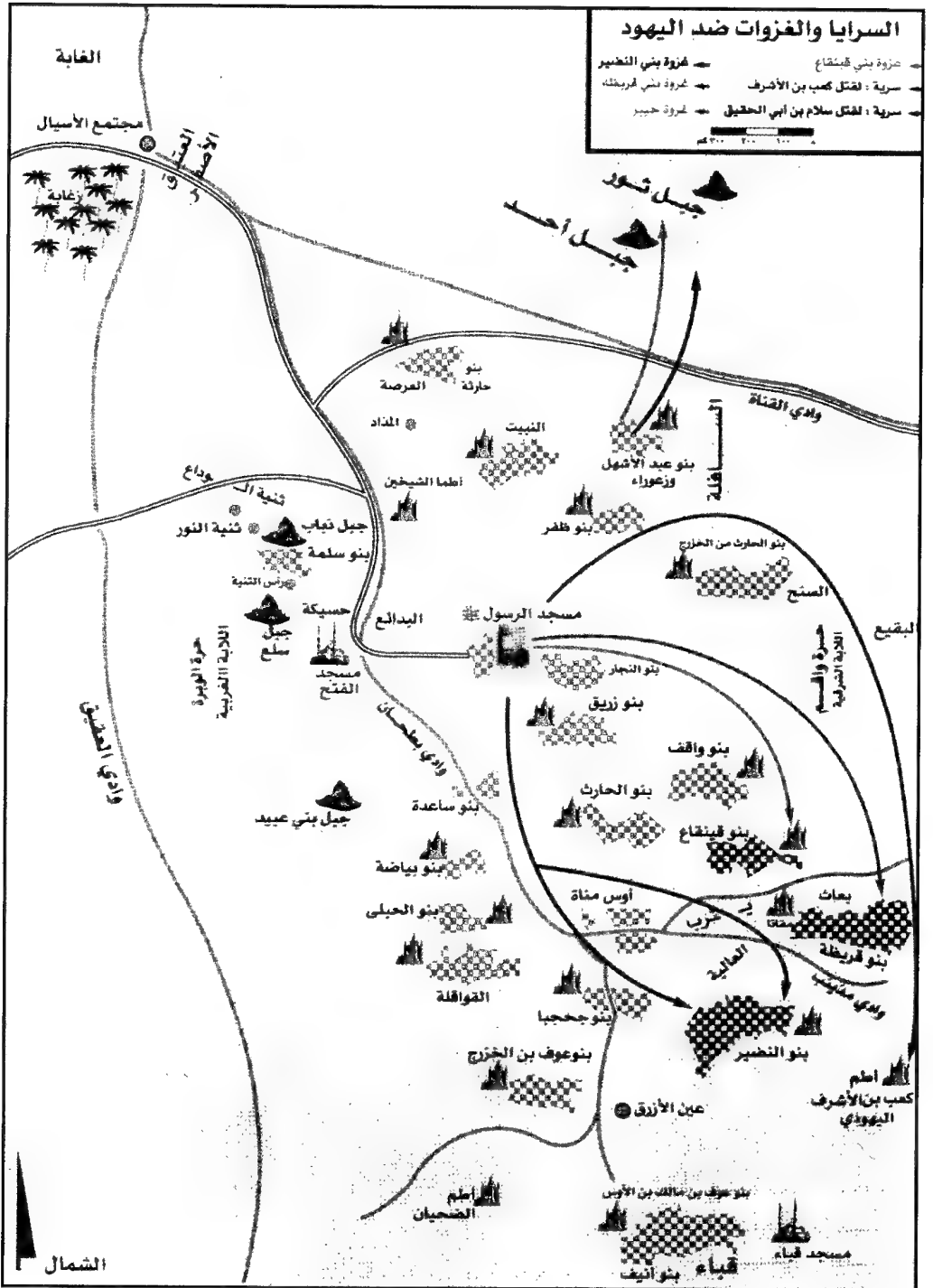






السرايا والغزوات ضد اليهود

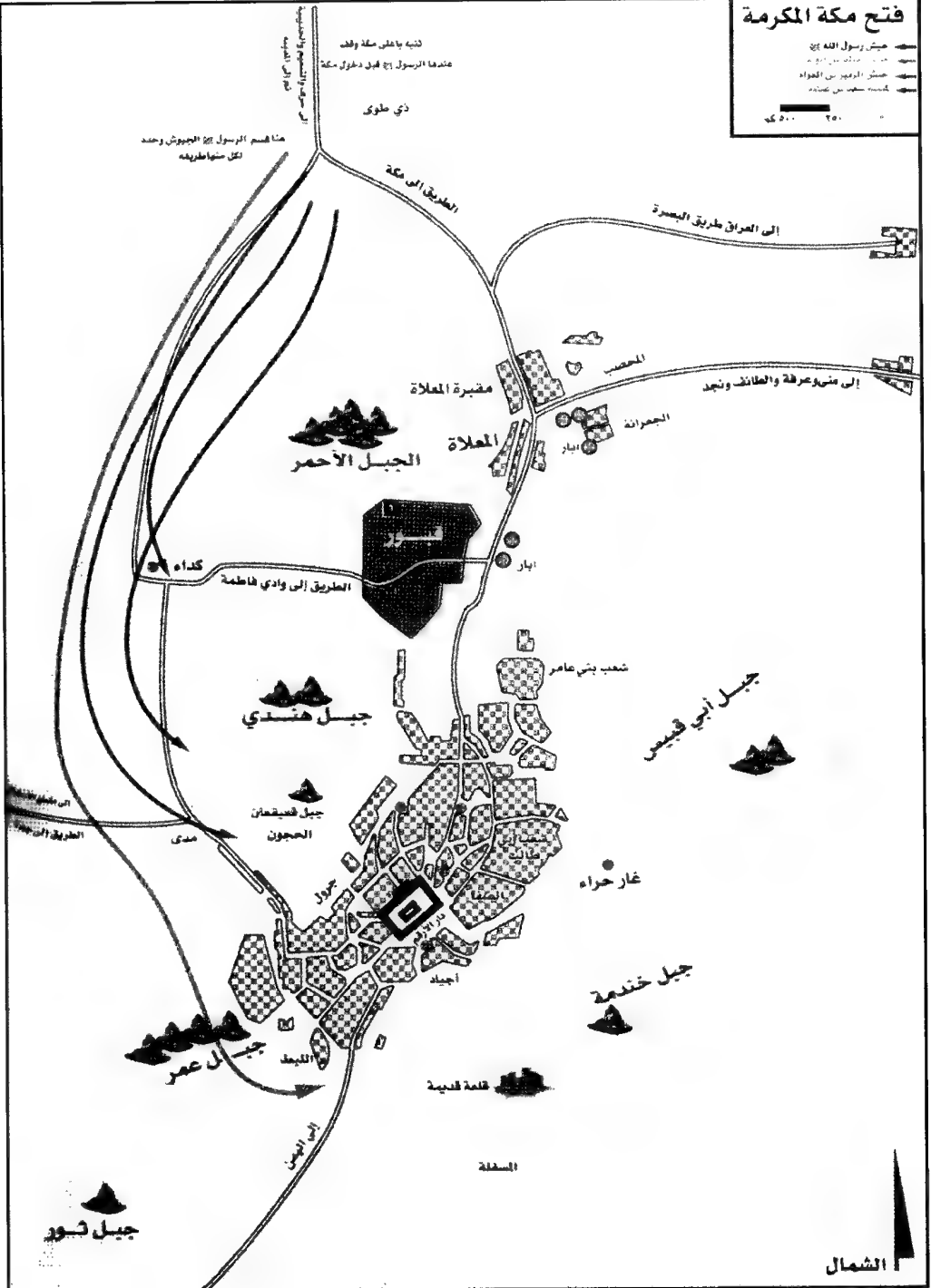
عزوة بني هنتاع	عزوة بني النضير
سرية : لقتل كعب بن الأشرف	عزوة بني قريظة
سرية : لقتل سلام بن أبي الحقيق	عزوة حبيب



فتح مكة المكرمة

- جيش رسول الله ﷺ
- جيش بني النضير
- جيش الروم من الحوارة
- كتيبة حذاف بن كعب

٢٥٠ ٥٠٠ كم

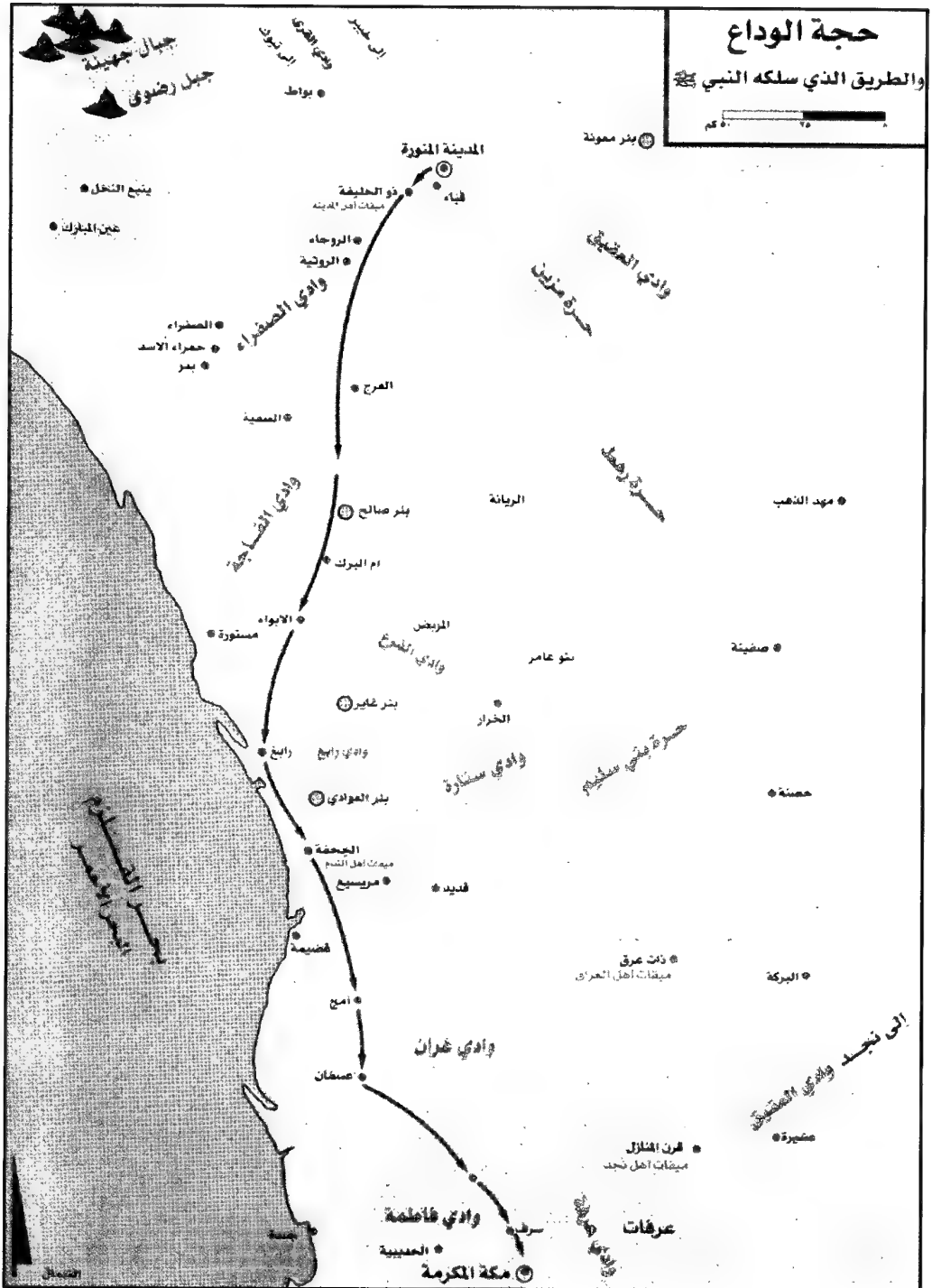




حجة الوداع

والطريق الذي سلكه النبي ﷺ

٥٠ كم



المواقيت وأعلام الحرم والطرق المؤدية لهما

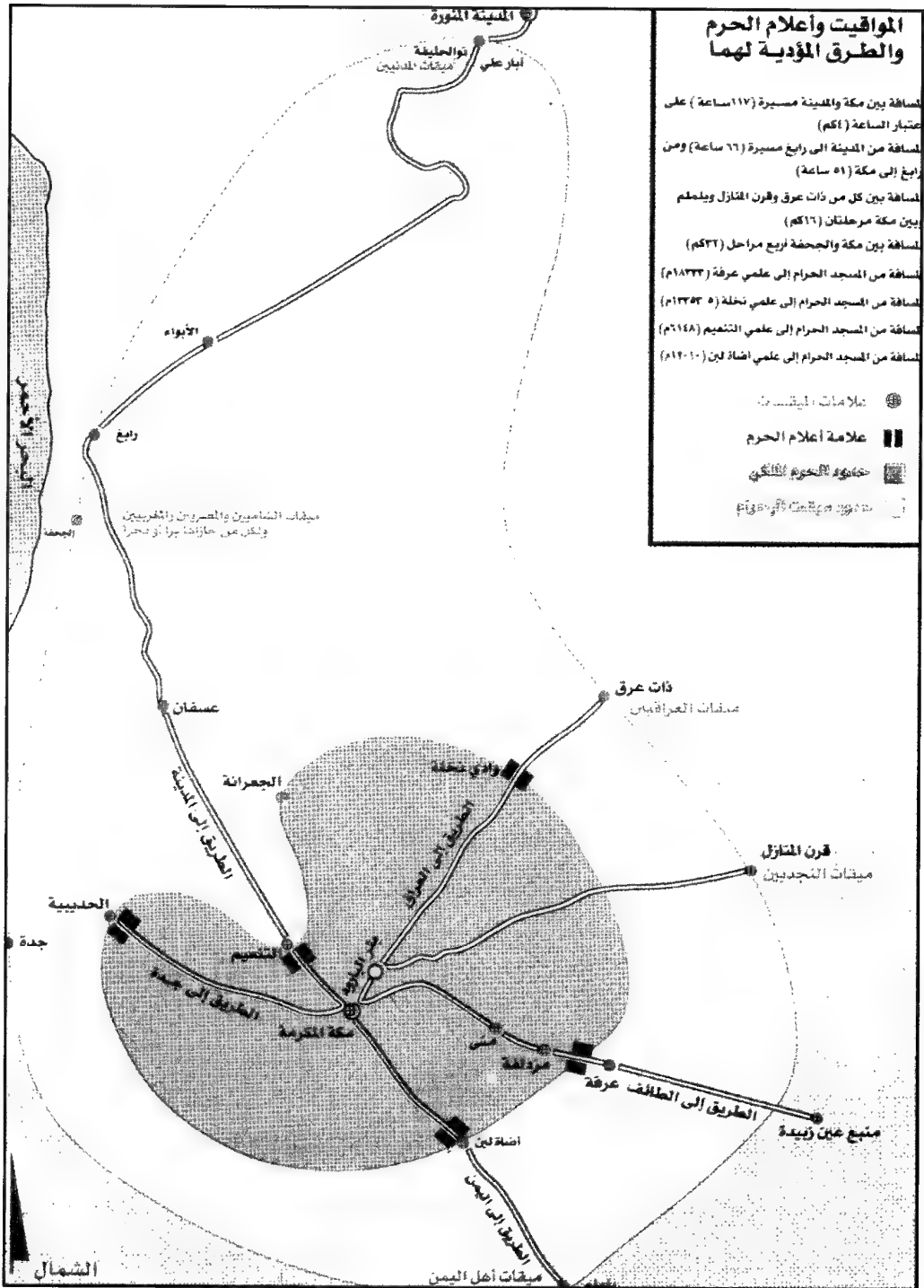
لمسافة بين مكة والمدينة مسيرة (١١٧ ساعة) على اعتبار الساعة (٤ كم)
 لمسافة من المدينة إلى رابغ مسيرة (٦٦ ساعة) ومن رابغ إلى مكة (٥١ ساعة)
 للمسافة بين كل من ذات عرق وقرن المنازل ويبلغ بين مكة ومرحلتان (١٦ كم)
 للمسافة بين مكة والجحفة أربع مراحل (٣٢ كم)
 للمسافة من المسجد الحرام إلى علمي عرفة (١٨٣٣ م)
 للمسافة من المسجد الحرام إلى علمي نخلة (١٣٥٣ م)
 للمسافة من المسجد الحرام إلى علمي التعميم (١٤٨ م)
 للمسافة من المسجد الحرام إلى علمي أضالين (١٠١ م)

تلازمات الميقات

علامة أعلام الحرم

خانات الحرمين الشريفين

مواقع الحج والعمرة



شَبْتٌ مضمون الكتاب

الصفحة

الموضوع

٩	كلمة لا بدّ منها
١٣	تمهيد : بقلم العلامة عبد الله بن محمّد الحبشي
١٦	مقدمة التحقيق
٢٣	نبذة يسيرة عن حياة الإمام بحرق رحمهُ الله تعالى (مؤلّف الكتاب)
٢٩	ترجمة السُّلطان مظفر بن محمود بايقرا الكجراتي (المهدى إليه هذا الكتاب)
٣٣	عيّنات من المخطوطات المستعان بها في تحقيق هذا الكتاب
٤٥	المقدمة

٥١

القسم الأوّل : قسم المبادئ والسّوابق

٥٣	خطبة في التعريف بمولده الشّريف وقدره العليّ المُنيف
٥٩	الباب الأوّل : في سرد مضمون هذا الكتاب
٨١	الباب الثّاني : في شرف مكّة والمدينة بلديّ مولده ونشأته ووفاته وهجرته ﷺ وشرف قومه ونسبه ومآثر آبائه وحسبه
٨١	فَضْلُ مَكَّة المَكْرَمَة
٨٢	فائدة : في فضل الصّلاة في مكّة على الصّلاة في غيرها
٨٣	فَضْلُ المَدِينَة المَنوَرَة
٨٥	المُفاضلة بين مكّة والمدينة
٨٨	النسب الأكبر لنبينا ﷺ
٩٠	صفة عبد الله بن عبد المُطَلَب والدِ رسولِ الله ﷺ
٩٠	صفة عبد المُطَلَب جدّ رسولِ الله ﷺ
٩٠	حفر بئر زمزم ، ونذر عبد المُطَلَب بذبح ولده عبد الله

٩١

أَصْحَابُ الْفِيلِ وَمَا جَرَى لَهُمْ

٩٣

خَبَرُ هَاشِمٍ

٩٤

خَبَرُ عَبْدِ مَنَافٍ

٩٤

خَبَرُ قُصَيِّ

٩٥

صِفَةُ آبَائِهِ ﷺ

الباب الثالث : في ذكر من بشر به قبل ظهوره ، وما أسفر قبل بزوغ شمس نبوته
من صبح نوره ﷺ

٩٧

عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُبَشِّرُ بِهِ ﷺ

٩٧

كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ يُبَشِّرُ بِهِ ﷺ

٩٧

تُبَّعٌ يُبَشِّرُ بِهِ ﷺ

٩٧

عَبْدُ الْمُطَّلِبِ يُبَشِّرُ بِهِ ﷺ

٩٨

حَجَبُ الشَّيَاطِينِ عَنِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ عِنْدَ قُرْبِ مَبْعَثِهِ

٩٨

أَرْتَجَاجُ إِيْوَانَ كَسْرَى لَيْلَةَ وَلادته ﷺ

٩٩

عِصْصَا يُبَشِّرُ بِهِ ﷺ

١٠٠

سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنٍ يُبَشِّرُ بِهِ ﷺ

١٠٠

الرَّاهِبُ بَحِيرَا يُبَشِّرُ بِهِ ﷺ

١٠١

ثَنِي بَحِيرَا نَفَرَا مِنَ النَّصَارَى عَنْ قَتْلِ الرَّسُولِ ﷺ

١٠١

الرَّاهِبُ نَسْطُورٌ يُبَشِّرُ بِهِ ﷺ

١٠١

قُسٌّ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي يُبَشِّرُ بِهِ ﷺ

١٠٢

زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ ثَقِيلٍ يُبَشِّرُ بِهِ ﷺ

١٠٣

سَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ يُبَشِّرُ بِهِ ﷺ

١٠٣

وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ يُبَشِّرُ بِهِ ﷺ

١٠٣

- الباب الرابع : في ذكر مولده الشريف ورضاعته ونشأته إلى حين أوان بعثته ﷺ ١٠٥
- مولدُهُ ﷺ وتاريخُهُ ومكانُ ولادَتِهِ ١٠٥
- صفةُ مولدِهِ ﷺ ١٠٥
- الآياتُ التي وقعت ليلة مولدِهِ ﷺ ١٠٦
- فائدة التحقيق : في رمي الشياطين بالشُّهْب ١٠٦
- رضاعَتُهُ ﷺ ١٠٧
- رضاعَتُهُ ﷺ من حليلة السَّعدِيَّة ١٠٧
- حادِثَةُ شَقِّ صَدْرِهِ ﷺ ١١٠
- خوفُ حليلةَ على النَّبيِّ ﷺ وردُّهُ إلى أُمِّهِ ١١١
- وفاةُ أَمَنَةِ ١١٢
- أُمُّ أَيْمَنَ تَحْتَضِنُ النَّبِيَّ ﷺ ١١٢
- ما يتعلَّقُ بأبويه ﷺ ١١٣
- فائدة عظيمة : في إحياء والدي النَّبيِّ ﷺ لَهُ ١١٣
- تنبؤُ سيفِ بنِ ذِي يَزَنَ والكُهَّانَ بمبعث النَّبيِّ ﷺ ١١٥
- وفاةُ جدِّهِ عبدِ المُطَّلَبِ وكفالةُ أَبِي طالِبٍ للنَّبيِّ ﷺ ١١٥
- خروجُ النَّبيِّ ﷺ إلى الشَّامِ مع عمِّهِ أَبِي طالِبٍ وقصَّةُ الرَّاهِبِ بِحِيرَا ١١٥
- شُهوْدُ النَّبيِّ ﷺ حَرْبِ الفِجَارِ ١١٦
- شُهوْدُ النَّبيِّ ﷺ حِلْفِ الفُضُولِ ١١٦
- خروجُ النَّبيِّ ﷺ إلى الشَّامِ في تجارةٍ لخديجةَ رضي اللهُ عنها ١١٧
- فائدة : في تظليل النَّبيِّ ﷺ بالغمام ١١٧
- مرورُ النَّبيِّ ﷺ بالرَّاهِبِ نَسْطُورِ ١١٧
- خطبةُ خديجةَ لرسولِ الله ﷺ وزواجهُ منها ١١٧

- فائدة : في التفاضل بين خديجة وعائشة رضي الله عنهما ١١٨
- بنيان الكعبة ومشاركة النبي ﷺ ١١٩
- ترادف علامات النبوة عليه ﷺ ١١٩
- حب النبي ﷺ للخلوة ١٢٠
- الرؤيا الصادقة ١٢٠
- تسليم الحجر والشجر عليه ﷺ ١٢٠
- الباب الخامس : في إثبات أن دينه ﷺ ناسخ لكل دين ، وأنه خاتم النبيين ، وعموم رسالته إلى الناس أجمعين ، وتفضيله على جميع النبيين والمرسلين ١٢٣
- تفضيل النبي ﷺ على الأنبياء والمرسلين ١٣٣
- فائدة : في الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر ١٣٧
- الباب السادس : في ذكر بعض ما أشتهر من معجزاته ، وظهر من علامات نبوته ، في حياته ﷺ ١٣٩
- أنشاق القمر ١٣٩
- رد الشمس وحبسها له ﷺ ١٤٠
- نبع الماء من بين أصابعه ﷺ ١٤١
- فائدة : في طلبه ﷺ فضل ماء ١٤١
- إكثار الطعام ١٤٤
- تكليم الحجر والشجر له ﷺ ١٤٧
- شهادة الحيوانات له ﷺ ١٥٠
- شهادة الضب ١٥٠
- حديث الذئب للراعي ١٥١
- سجود الغنم له ﷺ ١٥٢

- ١٥٢ خضوعُ الجَمَلِ لَهُ ﷺ
- ١٥٢ قِصَّةُ الطَّيِّبَةِ
- ١٥٣ ذراعُ الشَّاةِ المسمومة
- ١٥٤ الأَسَدُ يَدُلُّ رَسولَ النَّبِيِّ ﷺ على الطَّرِيقِ
- ١٥٤ إِبْرَاءُ المَرَضِيِّ وذوي العاهات
- ١٥٤ رَدُّ عَيْنٍ بَعْدَ قَلْعِهَا
- ١٥٥ شفاءُ عيني عليّ
- ١٥٥ رَدُّهُ يَدًا بَعْدَ ما قُطِعَتْ
- ١٥٥ حَياءُ في الجارية مِنْ أَثَرِ لُقْمَتِهِ ﷺ
- ١٥٥ إِجَابَةُ دَعَائِهِ ﷺ
- ١٥٥ دَعَاؤُهُ ﷺ للمدينة
- ١٥٦ دَعَاؤُهُ ﷺ لَأَنَسِ بْنِ مالِكٍ
- ١٥٦ البركةُ في مالِ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ
- ١٥٧ دَعَاؤُهُ ﷺ بالسُّقْيَا
- ١٥٧ دَعَاؤُهُ ﷺ لابنِ عَبَّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُما
- ١٥٧ دَعَاؤُهُ ﷺ لِعَليٍّ رضيَ اللهُ عَنْهُ
- ١٥٧ دَعَاؤُهُ ﷺ لِفاطمةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا
- ١٥٧ دَعَاؤُهُ ﷺ لِلنَّابِغَةِ
- ١٥٨ دَعَاؤُهُ ﷺ على كِسْرَى
- ١٥٨ دَعَاؤُهُ ﷺ على عُتْبَةَ بنِ أَبِي لهبٍ
- ١٥٨ دَعَاؤُهُ ﷺ على مُحَلَّم بنِ جَثَّامَةَ
- ١٥٨ دَعَاؤُهُ ﷺ على بِشْرِ بنِ راعي العير

- ١٥٨ كراماته وبركاته فيما لمسه وباشره ﷺ
- ١٥٨ فرس أبي طلحة رضي الله عنه
- ١٥٩ نشاط جمل جابر رضي الله عنه
- ١٥٩ بئر دار أنس رضي الله عنه
- ١٥٩ بئر رائقته المسك
- ١٥٩ غرس النخيل لسلمان رضي الله عنه
- ١٥٩ فائدة : في وزن القطعة التي أعطاها النبي ﷺ لسلمان
- ١٦٠ سيف عكاشة رضي الله عنه
- ١٦٠ ماء يتحول إلى لبن وزبد
- ١٦٠ غرة عائذ بن عمرو رضي الله عنه
- ١٦٠ بريق وجه قتادة بن ملحان رضي الله عنه
- ١٦٠ ساق عبد الله بن عتيك رضي الله عنه
- ١٦١ أمر الكذبة
- ١٦١ يوم حنين
- ١٦١ خالد وشجرة النبي ﷺ
- ١٦١ ما أطلع عليه ﷺ من الغيوب وما سيكون
- ١٦٣ جمع الأرض له ﷺ
- ١٦٣ لا يدخل المدينة من أرادها بسوء
- ١٦٤ ظهور الأمن والفتوح
- ١٦٤ ذهاب دولة الفرس والروم
- ١٦٤ فتح الله على الأمة

- ١٦٤ أختلافُ الأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَفْتَرَا قِهْمِ
- ١٦٤ أَسْتَحْلَالُ الزَّنا وَالرِّبَا وَشُرْبُ الْخَمْرِ
- ١٦٥ الْفِتْنُ فِي آخِرِ الزَّمانِ
- ١٦٦ نَزولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
- ١٦٦ فِي إعْجَازِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ
- ١٦٩ إِخْبَارُ الْقُرْآنِ عَنِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ
- ١٦٩ إعْجَازُ النِّظْمِ وَالْأُسْلُوبِ
- الباب السابع : فِي بَعْضِ سِيرَتِهِ ﷺ مِمَّا لاقاهُ مِنْ حِينَ بَعَثَهُ اللهُ إِلَيْهِ أَنْ هَاجَرَ إِلَى اللهِ تَعَالَى ١٧٣
- ١٧٣ الْفِتْرَةُ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
- ١٧٣ زَمَنُ الرِّسَالَةِ
- ١٧٣ قِصَّةُ بَدْءِ الْوَحْيِ
- ١٧٤ تَحَقُّقُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِنَ الْوَحْيِ
- ١٧٦ فِتْرَةُ الْوَحْيِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ ذَلِكَ
- ١٧٦ شَكْوَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَزولُ الضُّحَى
- ١٧٧ حُجْبُ الشَّيَاطِينِ عَنِ اسْتِراقِ السَّمْعِ عِنْدَ مَبِيعَتِهِ ﷺ
- ١٧٧ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ سِرًّا
- ١٧٨ الْجَهْرُ بِالْدَّعْوَةِ
- ١٧٨ مَوْقِفُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إِثْرَ جَهْرِهِ بِالْدَّعْوَةِ
- ١٧٨ أَبُو طَالِبٍ بَيْنَ نُصْرَتِهِ لِلرَّسُولِ ﷺ وَتَخْلِيهِ عَنْهُ
- ١٨٠ اشْتِدَادُ قُرَيْشٍ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ
- ١٨٠ حَشْدُ أَبِي طَالِبٍ مُؤَيِّدِهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ

- ١٨٠ قصيدةُ أبي طالبِ اللَّامِيَّةُ
- ١٨٢ فائدة : في تشریف بني المُطَلَّب بتسميتهم أهل البيت
- ١٨٣ دعوةُ النَّبِيِّ ﷺ النَّاسَ بالحكمة والموعظة الحسنة
- ١٨٣ تعذيبُ المُسلمينَ
- ١٨٣ تعذيبُ آل ياسرٍ رضيَ اللهُ عنهم
- ١٨٣ أوَّلُ شهيدٍ في الإسلام
- ١٨٣ تعذيبُ بلالٍ رضيَ اللهُ عنه
- ١٨٤ عُتقاءُ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنه
- ١٨٤ فائدة : في أَنَّ الْأَتَقَى هو الْأَفْضَلُ عند الله
- ١٨٤ شكوى المسلمين إلى رسول الله ﷺ مِنَ التَّعْذِيبِ
- ١٨٥ فائدة : في فضل من ثَبَّتَ على إيمانه
- ١٨٦ الهجرةُ الأولى إلى الحَبْشَةِ
- ١٨٧ الهجرةُ الثانيةُ إلى الحَبْشَةِ
- ١٨٧ وفدُ قريشٍ إلى الحَبْشَةِ لاسترداد المُهاجرينَ إليها
- ١٨٧ عودةُ بعض مُهاجري الحَبْشَةِ
- ١٨٨ قدومُ جعفرٍ رضيَ اللهُ عنه مِنَ الحَبْشَةِ
- ١٨٨ فائدة : في حُكْمِ الهجرة
- ١٨٩ إسلامُ حمزةَ وعُمَرَ بن الخطاب رضيَ اللهُ عنهما
- ١٨٩ المُقاطعةُ وَحَصْرُ قُريشٍ لبني هاشمٍ
- ١٩٠ مدَّةُ الحِصارِ وشِدَّتُهُ
- ١٩١ نقضُ الصَّحِيفَةِ

- ١٩٢ أنشقاق القمر
- ١٩٢ فائدة : في أَنَّ مُعْجَزَةَ أَنْشِقَاقِ الْقَمَرِ لَا تُعَدِّلُهَا مُعْجَزَةُ
- ١٩٢ وفاة أبي طالب
- ١٩٢ حرصُ النَّبِيِّ ﷺ على إِسْلَامِ عَمِّهِ
- ١٩٢ تخفيفُ العذابِ عن أبي طالب
- ١٩٣ وفاةُ خديجةَ رضيَ اللهُ عنها
- ١٩٣ اشتدادُ إيذاءِ قريشٍ للنَّبِيِّ ﷺ بعدَ وفاة أبي طالب
- ١٩٤ تحقيقُ حَوْلِ مولِدِ فاطمةَ وأخواتها
- ١٩٥ إِسْلَامُ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رضيَ اللهُ عنه وقومه
- ١٩٧ خروجُ النَّبِيِّ ﷺ إلى الطَّائِفِ
- ١٩٩ فائدة : في أَنَّ الاسْتِهْزَاءَ وَالسَّبَّ أَشَدُّ مِنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ
- ١٩٩ دخولُ النَّبِيِّ ﷺ مَكَّةَ في جوارِ الْمُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ
- ٢٠٠ عَرَضُ النَّبِيِّ ﷺ نَفْسَهُ على القبائلِ
- ٢٠١ ابتداءُ أمرِ الأنصارِ
- ٢٠٢ إِسْلَامُ النَّفَرِ الَّذِينَ لَقِيَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ في المَوْسِمِ
- ٢٠٣ زواجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عنها
- ٢٠٣ بيعَةُ الْعَقْبَةِ الْأُولَى
- ٢٠٣ بَعَثُ مُضْعَبٍ رضيَ اللهُ عنه إلى المدينة وأنتشار الإسلام فيها
- ٢٠٤ بيعَةُ الْعَقْبَةِ الثَّانِيَةِ
- ٢٠٥ تحذيرُ إبليسَ قُريشاً مِنَ الْبَيْعَةِ
- ٢٠٥ استجلاءُ قُريشٍ الْحَقِيقَةِ

- ٢٠٥ تأكُّدُ قُرَيْشٍ مِنْ صَحَّةِ الْخَبَرِ ، وَمَلَا حَقَّتْهَا لِلْمَبَايِعِينَ
- ٢٠٥ إِذْنُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ
- ٢٠٦ ثَنَاءُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْأَنْصَارِ
- ٢٠٦ أُنْتَظَرُ النَّبِيَّ ﷺ الْإِذْنَ بِالْهَجْرَةِ
- ٢٠٧ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَائِلُ
- ٢٠٧ خَوْفُ قُرَيْشٍ مِنْ خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ وَاجْتِمَاعُهُمْ بِدَارِ النَّدْوَةِ
- ٢٠٨ الْإِذْنَ بِالْهَجْرَةِ
- ٢٠٨ الْإِسْرَارُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْهَجْرَةِ
- ٢٠٩ خُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ إِلَى الْغَارِ
- ٢١٠ تَطْوِيقُ الْمُشْرِكِينَ دَارَ النَّبِيِّ ﷺ
- ٢١٠ جَائِزَةُ قُرَيْشٍ لِمَنْ يَرُدُّ النَّبِيَّ ﷺ وَصَاحِبَهُ
- ٢١٠ وَصُولُ الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَابِ الْغَارِ
- ٢١١ لَا تَحْزَنَنَّ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا
- ٢١٢ مَدَّةُ إِقَامَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ
- ٢١٢ خُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ
- ٢١٣ وَصُولُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى قُبَاءٍ
- ٢١٣ دُخُولُ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ ، وَدَعْوَةُ الْأَنْصَارِ لَهُ بِالنَّزُولِ عِنْدَهُمْ
- ٢١٤ خَبَرُ إِسْلَامِ سُرَاقَةَ
- ٢١٥ مَرُورُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ بِأُمِّ مَعْبِدٍ بَعْدَ لِحَاقِ سُرَاقَةَ لَهُمْ
- الباب الثامن : في ذكر بعض ما أشتمل عليه حديث الإسراء من العجائب ،
وأحتوى عليه من الأسرار والغرائب
- زَمَنُ الْإِسْرَاءِ

- ٢١٧ حديثُ الإسراء والمعراج
- ٢٢٠ فائدة : في بعض دقائق الإسراء
- ٢٢٢ فائدة : في اجتماع النَّبيِّ ﷺ بالأنبياء
- ٢٢٢ رؤية النَّبيِّ ﷺ سِدْرَةَ الْمُنتَهَى
- ٢٢٣ ما خُصَّ به النَّبيُّ ﷺ وأُمَّتُهُ
- ٢٢٥ فائدة : في الحكمة من رُكُوب البُرَاق
- ٢٢٥ عَرَضُ الآنِيَةِ عَلَى النَّبِيِّ
- ٢٢٦ رؤية النَّبيِّ ﷺ نَهْرَ الْكَوْثَرِ
- ٢٢٦ رؤية النَّبيِّ ﷺ لِبَعْضِ أَهْلِ النَّارِ
- ٢٢٦ وصِيَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ
- ٢٢٧ ما رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ٢٢٧ إخبارُهُ بِمَسْرَاهُ وَمَوْقِفُ قُرَيْشٍ فِي ذَلِكَ
- ٢٢٨ فائدة : في تعليل مجيء المسجد الأقصى للنَّبِيِّ ﷺ
- ٢٢٨ تصديقُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَسَبَبُ تَسْمِيَّتِهِ بِالصِّدِّيقِ
- ٢٢٩ الْخِلَافُ فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ

القسم الثاني : قسم المقاصد واللواحق

- ٢٣٧ خطبةُ في الحثِّ على الجهاد في سبيل الله
- ٢٤٢ فصلٌ : في فضل الجهاد
- ٢٥٠ فائدة : في فضل مَنْ وَقَفَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَاعَةً
- ٢٥٠ فائدة : في جزاء المرابطين في سبيل الله
- ٢٥٣ بابٌ : في ما أَشْتَهَرَ مِنْ سِيرَتِهِ ﷺ إِلَى وفاته

- زَمَنُ وُصُولِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ٢٥٣
- إِعْتِمَادُ الْهَجْرَةِ بِدَايَةِ التَّارِيخِ ٢٥٣
- عُمُرُ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، وَمَدَّةُ إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ٢٥٣
- سُكُنَى النَّبِيِّ ﷺ فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٥٤
- تَأْسِيسُ مَسْجِدِ قُبَاءَ ٢٥٥
- أَوَّلُ مَوْلُودٍ وُلِدَ بَعْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ ٢٥٥
- أَوَّلُ مَنْ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ ٢٥٥
- بِنَاءُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ٢٥٥
- تَجْدِيدُ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ ٢٥٦
- إِخْبَارُهُ ﷺ عَمَّارًا بِقَتْلِهِ عَلَى يَدِ الْفِتَّةِ الْبَاغِيَةِ ٢٥٧
- فَضْلُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ٢٥٧
- مَشْرُوعِيَّةُ الْأَذَانِ ٢٥٨
- فَائِدَةٌ : فِي قَوْلِ الْقُرْطُبِيِّ وَالْغَزَالِيِّ فِي الْأَذَانِ ٢٥٩
- حُفَى الْمَدِينَةِ ٢٦٠
- الْإِذْنُ بِالْقِتَالِ وَفَرْضُ الْجِهَادِ ٢٦٢
- فَائِدَةٌ : فِي أَيِّ وَقْتٍ يَكُونُ الْجِهَادُ فَرْضَ عَيْنٍ أَوْ فَرْضَ كِفَايَةٍ ٢٦٣
- فَائِدَةٌ : فِي الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ٢٦٣
- الْإِخَاءُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ٢٦٣
- تَجْهِيزُهُ ﷺ السَّرَايَا وَالْبَعُوثَ ٢٦٤
- عَدَدُ غَزَوَاتِهِ ﷺ ٢٦٤
- صَرْفُ الْقِبْلَةِ ٢٦٤

- ٢٦٦ فائدة : في أَنَّ الْقِبْلَةَ أَوَّلَ مَنْسُوخٍ فِي الْإِسْلَامِ
- ٢٦٦ النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ
- ٢٦٧ مَا فَعَلَهُ الْيَهُودُ عِنْدَ صَرْفِ الْقِبْلَةِ
- ٢٦٧ فَرَضُ الصَّيَامِ
- ٢٦٨ فَرَضُ صَدَقَةِ الْفِطْرِ
- ٢٦٨ غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى
- ٢٦٨ عِدَّةٌ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَدْرِ
- ٢٦٩ إِمْدَادُ اللَّهِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَلَائِكَةِ وَفَضْلُهُمْ
- ٢٦٩ فائدة : فِي الْمَزَايَا الَّتِي مَنَحَهَا اللَّهُ لِأَهْلِ بَدْرِ
- ٢٧٠ سَبَبُ غَزْوَةِ بَدْرِ
- ٢٧٠ أَسْتِشَارَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَصْحَابَهُ بَعْدَ نَجَاتِهِ الْعِيرِ
- ٢٧١ مُبَادَرَةُ النَّبِيِّ ﷺ قُرَيْشًا إِلَى الْمَاءِ وَبِنَاءِ الْعَرِيشِ لَهُ
- ٢٧١ دَعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قُرَيْشٍ
- ٢٧٢ تَسْوِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ الصُّفُوفَ
- ٢٧٢ مُنَاشِدَةُ النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ النَّصْرَ
- ٢٧٢ طَرَحُ بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْقَلْبِ ، وَمَخَاطَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ لَهُمْ
- ٢٧٣ عَوْدَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَهْنِئَتُهُ بِالنَّصْرِ
- ٢٧٣ فائدة : فِي سَبَبِ إِحْلَاحِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَبِّهِ بِالنَّصْرِ فِي بَدْرِ
- ٢٧٣ بِنَاؤُهُ ﷺ بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
- ٢٧٤ سَبَبُ قَتْلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ
- ٢٧٤ سَبَبُ قَتْلِ سَلَامِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ

- ٢٧٥ تحريضُ النَّبِيِّ ﷺ على قتلِ كعبِ بنِ الأشرفِ
- ٢٧٦ بعثُ النَّبِيِّ ﷺ عبد الله بن عتيك لقتل سلام بن أبي الحقيق
- ٢٧٧ غزوةُ بني قينقاعَ
- ٢٧٧ غزوةُ أُحُدٍ
- ٢٧٨ خروجُ قريشٍ
- ٢٧٨ مشاورَةُ النَّبِيِّ ﷺ أصحابَهُ في الخروجِ
- ٢٧٨ تهيؤُ النَّبِيِّ ﷺ للخروجِ
- ٢٧٨ أنخذال عبد الله بن أبي المنافقين
- ٢٧٨ تعبثُهُ النَّبِيُّ ﷺ المُسلمينَ للقتالِ
- ٢٧٩ انتصارُ المُسلمينَ ودورُ الرُّماةِ فيه
- ٢٧٩ الابتلاءُ بعدَ النَّصرِ
- ٢٧٩ إشاعةُ مَقْتَلِ النَّبِيِّ ﷺ وما لقيه من الأذى
- ٢٨٠ أوَّلُ مَنْ عَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ بعدَ إشاعةِ مَقْتَلِهِ
- ٢٨٠ أبي بن خلف يبحث عن النَّبِيِّ ﷺ ليقْتله
- ٢٨٠ تغشِيَةُ النُّعاسِ الْمُؤْمِنِينَ
- ٢٨١ شماتَةُ أَبِي سُفْيَانَ بعدَ المعركةِ
- ٢٨١ فائِدةُ : فيمن أكرمَهُ اللهُ بالشَّهادةِ يومَ أُحُدٍ
- ٢٨٢ دفنُ الشُّهداءِ
- ٢٨٢ ما نزلَ من القرآنِ في يومِ أُحُدٍ
- ٢٨٣ غزوةُ حمراءِ الأسدِ
- ٢٨٤ موقفُ أنسِ بنِ النَّضْرِ رضيَ اللهُ عَنْهُ

- ٢٨٤ حضورُ الملائكة ودفاعها عن النبي ﷺ
- ٢٨٥ قتالُ سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه
- ٢٨٥ تأثرُ النبي ﷺ بما لقيه
- ٢٨٥ بشارَةُ النبي ﷺ جابرًا رضي الله عنه
- ٢٨٥ الرَّجِيعُ وبثر معونة
- ٢٨٦ بعثُ الرَّجِيعِ
- ٢٨٦ أسرُ زيدٍ وخُبَيْبٍ
- ٢٨٦ مقتلُ زيدٍ رضي الله عنه
- ٢٨٧ مقتلُ خُبَيْبٍ رضي الله عنه
- ٢٨٨ وقعةُ بئرِ معونةَ
- ٢٨٨ غدرُ عامر بن الطفيل بالمُسلمينَ
- ٢٨٩ دعاءُ النبي ﷺ على قَتْلَةِ أصحابِ بئرِ معونةَ وحُزنُهُ عليهم
- ٢٨٩ أمرُ عامِرِ بنِ فُهَيْرَةَ رضي الله عنه
- ٢٩٠ غزوةُ بني النَّضِيرِ
- ٢٩٠ حصارُ بني النَّضِيرِ
- ٢٩٢ مَالُ أموالِ بني النَّضِيرِ
- ٢٩٢ غزوةُ ذاتِ الرِّقَاعِ ، أو غزوةُ نجدٍ
- ٢٩٤ خبرُ غورثِ بنِ الحارثِ
- ٢٩٤ غزوةُ بني المُصْطَلِقِ
- ٢٩٤ سَبَبُهَا
- ٢٩٥ التَّقَاءُ الفريقينَ وهزيمتهم
- ٢٩٥ سببُ نزولِ سورةِ المُنافقينَ

- ٢٩٦ مقالة عبد الله بن أبي بن سلول
- ٢٩٦ زيد بن أرقم رضي الله عنه يُخبرُ النَّبِيَّ ﷺ بما سمع ، وتصديقُ الوحي له
- ٢٩٧ صورٌ من مواقف عبد الله بن أبي بن سلول
- ٢٩٧ موقف ابن عبد الله بن أبي بن سلول رضي الله عنه من أبيه
- ٢٩٨ حديث الإفك
- ٢٩٩ مرض عائشة رضي الله عنها وإخبارُ أمِّ مسطحٍ لها بالأمر
- ٢٩٩ مواساةُ أم رومان لابنتها رضي الله عنهما
- ٢٩٩ استشارةُ النَّبِيِّ ﷺ أصحابه بشأن عائشة رضي الله عنها
- ٣٠٠ فائدة : في حرصِ الصحابة على إراحةِ خاطره ﷺ
- ٣٠٠ خطبةُ النَّبِيِّ ﷺ بشأن الإفك
- ٣٠٣ فائدة : في طرق روايات حديث الإفك
- ٣٠٣ موقف عائشة من حسان رضي الله عنهما
- ٣٠٥ فائدة : في كفرٍ من يعتقد أنَّ عائشة رضي الله عنها لم تكن بريئة
- ٣٠٦ فضل عائشة ومنزلتها من العلم
- ٣٠٧ غزوةُ الخندقِ أو الأحزاب
- ٣٠٨ سببها
- ٣٠٨ خروجُ المُشركين
- ٣٠٨ مشاورةُ النَّبِيِّ ﷺ أصحابه
- ٣٠٩ مشاركةُ النَّبِيِّ ﷺ أصحابه العملَ
- ٣٠٩ ارتعازُ النَّبِيِّ ﷺ مع أصحابه
- ٣١٠ حصارُ المُسلمين

- ٣١٠ ظُهورُ النَّفاقِ
- ٣١٠ نقضُ بني قُريظةَ العهدَ
- ٣١١ دعاءُ النَّبيِّ ﷺ على الأحزابِ
- ٣١١ تأييدُ اللهِ نبيَّهُ ﷺ بالريحِ
- ٣١١ بعثُ النَّبيِّ ﷺ حذيفةَ بنَ اليمانِ ليتحسَّسَ أخبارَ المُشركينِ
- ٣١٢ ما ظهرَ لِلنَّبيِّ ﷺ مِنَ الآياتِ في حَفْرِ الخَنْدَقِ
- ٣١٢ أمرُ الكُذبةِ
- ٣١٢ تكثيرُ طعامِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنه
- ٣١٢ تكثيرُ طعامِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُما
- ٣١٣ إخبارُهُ ﷺ بِانْتِهاءِ غزوِ قُريشٍ لَهُم
- ٣١٣ غزوةُ بني قُريظةَ
- ٣١٣ أمرُ اللهِ تعالى نبيَّهُ ﷺ بالمسيرِ إلى بني قُريظةَ
- ٣١٣ النَّبيُّ ﷺ يأمرُ أصحابَهُ بالخُروجِ
- ٣١٤ شأنُ أبي لُبابةِ رضيَ اللهُ عنه
- ٣١٤ نزولُ بني قُريظةَ على حُكمِ سعدِ بنِ مُعاذٍ رضيَ اللهُ عنه
- ٣١٥ توجُّهُ سعدٍ رضيَ اللهُ عنه إلى بني قُريظةَ
- ٣١٥ حُكمُ سعدٍ رضيَ اللهُ عنه في بني قُريظةَ
- ٣١٥ تنفيذُ الحُكمِ في بني قُريظةَ
- ٣١٦ وفاةُ سعدِ بنِ مُعاذٍ رضيَ اللهُ عنه
- ٣١٦ زواجُ الرَّسولِ ﷺ مِنْ زَيْنَبَ بنتِ جَحْشٍ رضيَ اللهُ عنها
- ٣١٨ تحريمُ التَّبَنِّي

- ٣١٨ إِفْتِخَارُ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِتَزْوِيجِ اللَّهِ لَهَا
- ٣٢١ وَلِيْمَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
- ٣٢٢ صَلَاحُ الْحَدِيثِ
- ٣٢٣ إِرْسَالُ النَّبِيِّ ﷺ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ لِمَفَاوِضَةِ قُرَيْشٍ
- ٣٢٣ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ
- ٣٢٤ كَيْفِيَةُ الصُّلْحِ
- ٣٢٥ كِتَابَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَقْدَ الصُّلْحِ وَبَنُوهُ
- ٣٢٦ مَوْقِفُ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ شُرُوطِ الصُّلْحِ
- ٣٢٧ فَائِدَةٌ : فِي أَنَّ مَقَامَ الصَّدِيقِيَّةِ فَوْقَ مَقَامِ أَهْلِ الْإِلَهَامِ
- ٣٢٩ حُزْنُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَصُلْحِ الْقَوْمِ
- ٣٣٠ إِسْلَامُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
- ٣٣١ كُتُبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُلُوكِ
- ٣٣٢ بَعَثَ دَحِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ
- ٣٣٦ فَائِدَةٌ : فِي أَنَّ حَبَّ الرِّئَاسَةِ هُوَ الَّذِي أَضَلَّ هِرَقْلَ
- ٣٣٧ غَزْوَةُ خَيْبَرَ
- ٣٣٧ سَبَبُهَا
- ٣٣٧ الْإِغَارَةُ عَلَى خَيْبَرَ وَبَشَارَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِفَتْحِهَا
- ٣٣٧ افْتِتَاحُ حُصُونِهَا
- ٣٣٧ شَأْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ٣٣٨ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَابُ الْحَصَنِ
- ٣٣٨ مَصَالِحَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَهْلِ خَيْبَرَ
- ٣٣٩ قِسْمَةُ غَنَائِمِ خَيْبَرَ

- ٣٣٩ قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وفرح النبي ﷺ به
- ٣٣٩ رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم
- ٣٣٩ مصالحة النبي ﷺ أهل خيبر على النصف من أموالهم
- ٣٣٩ خبرُ الشاة المسمومة
- ٣٤٠ زواج النبي ﷺ بصفية بنت حُيِّ رضي الله عنها
- ٣٤١ فائدة : في أحدٍ وعَيرٍ
- ٣٤١ عُمَرَةُ القُضَاءِ
- ٣٤١ زواجُ النَّبِيِّ ﷺ من ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها
- ٣٤٢ وفدُ عبدِ القيسِ
- ٣٤٢ بناءُ المنبرِ وحنينُ الجِذْعِ
- ٣٤٣ غزوةُ مؤتَةَ
- ٣٤٣ عدَّةُ العدوِّ ، وتشاورُ المُسلمينَ
- ٣٤٣ ابتداءُ القتالِ وأستشهادُ الأمراءِ الثلاثة
- ٣٤٤ تولي خالد بن الوليد رضي الله عنه قيادةَ الجيشِ
- ٣٤٤ نعيُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْدًا وجَعْفَرًا وابنَ رَواحةَ
- ٣٤٥ فائدة : في تأويلِ الجناحين اللّذين لَقِبَ بهما جعفر
- ٣٤٥ رثاءُ حَسّان بن ثابتٍ جعفرًا رضي الله عنهما
- ٣٤٥ فتحُ مَكَّةَ
- ٣٤٦ سببُ الغزوةِ
- ٣٤٧ قدوم أبي سُفيانٍ ليجدّد الصُّلحَ
- ٣٤٧ تهَيُّؤُ النَّبِيِّ ﷺ للغزو وكتمانهُ الأمرِ
- ٣٤٧ أمرُ حاطِبِ بن أبي بلتَعَة رضي الله عنه

- ٣٤٨ خروجُ النَّبِيِّ ﷺ لفتحِ مَكَّةَ ولقاؤُهُ العباسَ في الطريقِ
- ٣٤٨ إسلامُ أبي سُفيانَ بنِ الحارثِ رضيَ اللهُ عنه
- ٣٤٨ اعتذارُ أبي سُفيانَ بنِ الحارثِ عَمَّا كَانَ مِنْهُ قَبْلَ إِسْلَامِهِ
- ٣٤٩ نزولُ النَّبِيِّ ﷺ مَرَّ الظَّهْرانَ ، وتحسُّسُ قُريشٍ عليه
- ٣٤٨ إسلامُ أبي سُفيانَ على يدِ العباسِ رضيَ اللهُ عنهُما
- ٣٤٩ عرضُ جيوشِ الرِّسُولِ ﷺ على أبي سُفيانَ
- ٣٥٠ دخولُ النَّبِيِّ ﷺ مَكَّةَ
- ٣٥٠ دخولُ المُسلمينَ مَكَّةَ
- ٣٥١ إهدارُ النَّبِيِّ ﷺ دماءَ نَفَرٍ مِنَ المُشركينَ
- ٣٥١ إجارةُ أُمِّ هانئٍ رضيَ اللهُ عنها رجلينَ من قُريشٍ
- ٣٥١ طوافُ النَّبِيِّ ﷺ بالبيتِ العَتيقِ وتطهيرُهُ المسجدَ مِنَ الأصنامِ
- ٣٥٢ دُخولُهُ ﷺ الكعبةَ وكسْرُ الأوثانِ وطمسُ الصُّورِ
- ٣٥٢ إعطاءُ النَّبِيِّ ﷺ مِفْتَاحَ الكعبةِ إلى أَهلِهِ
- ٣٥٢ خُطبةُ النَّبِيِّ ﷺ على بابِ الكعبةِ
- ٣٥٣ خُطبةُ النَّبِيِّ ﷺ غَدَاةَ الفتحِ
- ٣٥٣ غزوةُ حُنَينَ
- ٣٥٤ خروجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إلى حُنَينَ
- ٣٥٤ هزيمةُ المُسلمينَ ، وثباتُ النَّبِيِّ ﷺ وبعضِ أَصحابِهِ
- ٣٥٥ عودةُ المُسلمينَ وأحْتدامُ القِتالِ
- ٣٥٥ رميُ النَّبِيِّ ﷺ المُشركينَ بالحصى
- ٣٥٥ ما نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ في يومِ حُنَينَ

- ٣٥٦ شماتة أهل مكة بالنبي ﷺ وأصحابه
- ٣٥٦ محاولة شيبه قتل النبي ﷺ ثم إسلامه
- ٣٥٦ سرية أوطاس
- ٣٥٨ غزوة الطائف
- ٣٥٨ ارتحال المسلمين
- ٣٥٩ نزوله ﷺ بالجعرانة وقسم الغنائم
- ٣٥٩ العباس بن مرداس يسخط عطاءه ، ويعاتب النبي ﷺ فيه
- ٣٥٩ توزيع الغنائم على سائر المسلمين
- ٣٦٠ أمر ذي الخويصرة التميمي
- ٣٦١ مقالة الأنصار بشأن الغنائم وخطة النبي ﷺ فيهم
- ٣٦٢ فائدة : في سبب حجب النبي ﷺ أموال هوازن عن الأنصار
- ٣٦٣ قدوم وفد هوازن مسلمين ، ورد النبي ﷺ سباياهم
- ٣٦٤ عمرة الجعرانة وأستخلاف النبي ﷺ عتابا على الحج
- ٣٦٤ خبر ولادة إبراهيم ابن النبي ﷺ ووفاته
- ٣٦٥ عام الوفود
- ٣٦٦ وفد بني حنيفة
- ٣٦٧ وفد نجران
- ٣٦٨ فائدة : في الحجّة على النصارى في شبهتهم بولادة عيسى عليه الصلاة والسلام
- ٣٦٨ فائدة : في شهادة النبي ﷺ بتفضيل صحابته بعضهم على بعض
- ٣٦٩ وفد أهل اليمن
- ٣٧٠ إسلام كعب بن زهير رضي الله عنه

- غزوة تبوك ٣٧١
- أمرُ المُعَذِّرينَ مِنَ الأعراب ٣٧٣
- أمرُ المنافقين ٣٧٣
- أمرُ البكائين ٣٧٣
- مُروُرُ النَّبِيِّ ﷺ وأصحابِهِ بالحِجْرِ ٣٧٣
- مُصالِحَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَهْلَ أَيْلَةٍ وَجَزِيَاءَ وَأَذْرَح ٣٧٤
- أَعْتَذَارُ الْمُنَافِقِينَ عَنْ تَخَلُّفِهِمْ ٣٧٤
- أمرُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، وَهِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَمُرَّارَةَ بْنِ الرَّيِّع ٣٧٤
- فائدة : فِي قَبُولِ اللَّهِ تَعَالَى تَوْبَةَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ٣٧٧
- وفاةُ النَّجَاشِيِّ ٣٧٧
- حَجُّ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٣٧٨
- بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصَدْرِ بَرَاءَةٍ ٣٧٨
- حَجَّةُ الْوَدَاعِ ٣٨٠
- سَرِيَّةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٣٨٢
- مَرَضُ النَّبِيِّ ﷺ ٣٨٣
- أَشْتَدَّادُ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ ٣٨٣
- أمرُ النَّبِيِّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ٣٨٤
- فائدة : فِي أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ٣٨٥
- هَمُّ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ لِأَصْحَابِهِ كِتَابًا ٣٨٥
- خُطْبَتُهُ ﷺ فِي النَّاسِ ٣٨٥
- نَعِيَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ إِلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَبِشَارَتِهِ لَهَا ٣٨٦

- ٣٨٦ كثرة نزول الوحي على النبي ﷺ في السنة التي قبض فيها
- ٣٨٦ تأثر فاطمة رضي الله عنها لما ألم بأبيها ﷺ
- ٣٨٧ تخيير النبي ﷺ عند قبضه
- ٣٨٧ خروج النبي ﷺ صبيحة يوم وفاته
- ٣٨٨ معالجة النبي ﷺ سكرات الموت
- ٣٨٨ فائدة : في حب الرسول ﷺ لقاء الرفيق الأعلى
- ٣٨٨ عمر النبي ﷺ يوم قبض
- ٣٨٨ دهشة المسلمين لوفاة النبي ﷺ
- ٣٨٩ موقف أبي بكر رضي الله عنه من وفاة النبي ﷺ
- ٣٩٠ زمن وفاة النبي ﷺ
- ٣٩٠ دفن النبي ﷺ
- ٣٩١ أمر سقيفة بني ساعدة
- ٣٩١ مبايعة أبي بكر رضي الله عنه
- ٣٩٢ طلب فاطمة رضي الله عنها ميراثها من النبي ﷺ
- ٣٩٤ زوجاته ﷺ اللواتي توفي عنهن
- ٣٩٥ تذييل
- ٣٩٧ فصل : في وجوب نصب الإمام
- ٣٩٩ فصل : في شروط الإمامة
- ٤٠١ الشروط في عاقد البيعة للإمام وشرط صحة البيعة
- ٤٠١ انعقاد الإمامة للإمام الذي تم السبق لأهل الحل والربط في عقدها له
- ٤٠١ جواز خلع الإمام وعزله

- ٤٠٢ عدم الجواز لأهل الحلّ والعقد تقليد الإمامة لمن فقدَ بعض شروطها بوجود الكامل المستوفي جميع شروطها
- ٤٠٣ فصلٌ : في الإمام الحقّ بعد رسول الله ﷺ
- ٤٠٣ أمر النبيّ ﷺ بتقديم أبي بكرٍ للصلاة في مرضه وبحضور عليّ
- ٤٠٤ تنفيذ آراء الشيعة في استخلاف الرسول ﷺ علياً
- ٤٠٥ مبايعة عليّ أبا بكرٍ وعُمَر وعُثمان رضي الله عنهم
- ٤٠٧ فصلٌ : في فضل الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم أجمعين
- ٤٠٧ الأئمة من قريش
- ٤٠٨ وفاة أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه
- ٤٠٩ عهد الصديق بالخلافة إلى عمر رضي الله عنهما
- ٤٠٩ انتخاب عثمان رضي الله عنه وخلافته
- ٤٠٩ مقتل عثمان رضي الله عنه
- ٤٠٩ مبايعة عليّ رضي الله عنه بالخلافة ومقتله بالكوفة
- ٤١٠ فصلٌ : في ذكر شيء من فضائل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين
- ٤١٢ فصلٌ : في أدلة فضل الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم
- ٤١٢ فضائل الصديق رضي الله عنه
- ٤١٤ فضائل عمر رضي الله عنه
- ٤١٥ فضائل عثمان رضي الله عنه
- ٤١٥ فضائل عليّ رضي الله عنه
- ٤١٥ مناقب الصديق رضي الله عنه
- ٤١٥ مناقب عمر رضي الله عنه
- ٤١٦ مناقب عثمان رضي الله عنه
- ٤١٦ مناقب عليّ رضي الله عنه
- ٤١٧ فائدة : في أدلة فضل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

الخاتمة

الباب الأول : في أحواله النَّفْسِيَّة ، وفيه ست فصول

فصل : في حسن خَلْقته ﷺ

فائدة : في أشبه النَّاس صورةً بالنَّبِيِّ ﷺ

فصل : في حُسْن خُلُقهِ ﷺ

فصل : في وفور عقله ﷺ

وصف ما أمتاز به النَّبِيُّ ﷺ في خَلْقِهِ وخُلُقِهِ

فصل : في حُسْن عِشرته ﷺ

فصل : في سماحته وجوده ﷺ

فصل : في شجاعته ﷺ

فصل : في زهده ﷺ

وصف زهد النَّبِيِّ ﷺ

الباب الثاني : في أقواله القُدْسِيَّة ، وفيه عشرة فصول

فصل : في سوابق الصَّلَاة

دعاؤه ﷺ إذا أمسى وإذا أصبح

دعاؤه ﷺ إذا لبس ثوباً جديداً

دعاؤه ﷺ إذا خرج من بيته

دعاؤه ﷺ إذا دخل الخلاء أو خرج منه

دعاؤه ﷺ في الوضوء

دعاؤه ﷺ إذا خرج إلى الصَّلَاة

دعاؤه ﷺ عند دخول المسجد

دعاؤه ﷺ إذا سمع الأذان

فصل : في الصَّلَاة

أذكاره ﷺ في افتتاح الصَّلَاة

- ٤٤٩ أذكاره ﷺ في القيام
- ٤٥١ أذكاره ﷺ في الرُّكُوعِ
- ٤٥١ أذكاره ﷺ في أَعْتَدَالِهِ مِنَ الرُّكُوعِ
- ٤٥٢ أذكاره ﷺ في السُّجُودِ
- ٤٥٣ أذكاره ﷺ في جُلُوسِهِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ
- ٤٥٤ فائدة : فيما يُتلى من القرآن في الصَّلَاةِ
- ٤٥٤ أذكاره ﷺ في التَّشَهُّدِ
- ٤٥٥ فائدة : في قول : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ
- ٤٥٥ أذكاره ﷺ بَعْدَ التَّشَهُّدِ
- ٤٥٧ فصلٌ : في لَوَاحِقِ الصَّلَاةِ
- ٤٥٧ دعاؤه ﷺ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الصَّلَاةِ
- ٤٥٩ دعاؤه ﷺ في الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ
- ٤٦١ دعاؤه ﷺ في أَوْقَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ
- ٤٦٣ أذكاره ﷺ في التَّلَاوَةِ
- ٤٦٥ أَدْعِيَةٌ مَأْثُورَةٌ عَنْهُ ﷺ
- ٤٦٨ دعاؤه ﷺ عِنْدَ النَّوْمِ
- ٤٦٩ فصلٌ : في المَرَضِ وَتَوَابِعِهِ
- ٤٦٩ فَضِيلَةُ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ
- ٤٧١ عِيَادَةُ الْمَرَضِيِّ
- ٤٧٢ مَا يَقُولُهُ الْمَرِيضُ وَالْعَائِدُ وَالْمُحْتَضِرُ
- ٤٧٣ فَضْلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ وَحُضُورِ دَفْنِهِ
- ٤٧٥ مَا يَقُولُهُ زَائِرُ الْقُبُورِ
- ٤٧٦ فصلٌ : في الصَّيَامِ

٤٧٦

نهيهِ ﷺ عَنِ الرَّفَثِ

٤٧٦

مَا كَانَ يَقُولُهُ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ

٤٧٧

دَعَاءُ الصَّائِمِ

٤٧٧

مَا كَانَ يَدْعُو بِهِ ﷺ لِمَنْ أَفْطَرَ عِنْدَهُ

٤٧٧

دَعَاؤُهُ ﷺ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

٤٧٨

فصلٌ : فِي السَّفَرِ

٤٧٩

دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا سَافَرَ

٤٧٩

مَا كَانَ يَقُولُهُ ﷺ إِذَا وَدَّعَ مُسَافِرًا

٤٨٠

مَا كَانَ يَقُولُهُ ﷺ إِذَا رَكِبَ رَاحِلَتَهُ

٤٨٠

دَعَاءُ رُكُوبِ السَّفِينَةِ

٤٨١

الدُّعَاءُ إِذَا ضَلَّتِ الدَّابَّةُ

٤٨١

كَرَاهَةُ أَصْطِحَابِ الْكَلْبِ وَالْجَرَسِ فِي السَّفَرِ

٤٨١

دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا رَأَى قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا

٤٨١

دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا

٤٨٢

دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا رَجَعَ مِنَ السَّفَرِ

٤٨٣

فصلٌ : فِي الْحَجِّ

٤٨٣

فَضْلُ النَّفَقَةِ فِي الْحَجِّ

٤٨٤

مَا لَا يُبَاحُ لِلْمُحْرِمِ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ

٤٨٤

فَضْلُ التَّلْبِيَةِ

٤٨٤

فَضْلُ يَوْمِ عَرَفَاتٍ

٤٨٤

فَضْلُ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ

٤٨٥	فَضْلُ اسْتِلامِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ
٤٨٥	نَزُولُ الرَّحْمَةِ عَلَى حُجَّاجِ الْبَيْتِ
٤٨٥	غُفْرَانُ ذُنُوبِ الْحَاجِّ
٤٨٦	رَمْيُ الْجِمَارِ
٤٨٦	مَاءُ زَمْزَمَ
٤٨٧	مَوَاقِيتُ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ الْمَكَائِنَةُ
٤٨٧	إِغْتِسَالُهُ ﷺ لِلإِحْرَامِ وَلِدُخُولِ مَكَّةَ
٤٨٧	دُخُولُهُ ﷺ مَكَّةَ
٤٨٧	دَعَاؤُهُ ﷺ حِينَ رَأَى الْبَيْتَ
٤٨٧	دُخُولُهُ ﷺ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ
٤٨٧	طَوَافُهُ ﷺ بِالْبَيْتِ
٤٨٨	اسْتِلامُهُ ﷺ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ وَتَقْبِيلُهُ
٤٨٨	دَعَاؤُهُ ﷺ بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ الْيَمَانِيِّينَ
٤٨٨	أَضْطِبَاعُهُ وَرَمْلُهُ ﷺ فِي الطَّوَافِ
٤٨٩	صَلَاتُهُ ﷺ رَكَعَتِي الطَّوَافِ وَاسْتِلامُهُ الْحَجَرَ ثَانِيَةً
٤٨٩	سَعْيُهُ ﷺ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ
٤٨٩	جَمْعُ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَوَاتِ وَقَصْرُهَا
٤٩٠	دَعَاؤُهُ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ
٤٩١	مَبِيتُهُ ﷺ بِمَزْدَلِفَةَ
٤٩١	دَعَاؤُهُ ﷺ لِلْمُحَلِّقِينَ

٤٩١	إِفْتَاؤُهُ ﷺ النَّاسَ بِمَنْى
٤٩١	مَبِيتُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَنْى
٤٩٢	نَهْيُهُ ﷺ عَنْ صِيَامِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ
٤٩٢	أَمْرُهُ ﷺ بِطَوَافِ الْوُدَاعِ
٤٩٣	دَعَاؤُهُ ﷺ لِلْحَاجِّ
٤٩٣	فَضْلُ زِيَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ
٤٩٣	الرَّوَضَةُ الشَّرِيفَةُ
٤٩٤	فَائِدَةٌ : فِي الْمَسَافَةِ بَيْنَ قَبْرِ الرَّسُولِ ﷺ وَمَنْبَرِهِ
٤٩٤	رَدُّهُ ﷺ السَّلَامَ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ
٤٩٥	فَصْلٌ : فِي الْجِهَادِ
٤٩٥	كِتْمَانُهُ ﷺ جِهَةَ مَسِيرِهِ
٤٩٥	دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا هُمْ بِدُخُولِ أَرْضِ الْعَدُوِّ
٤٩٦	دَعَاؤُهُ ﷺ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ
٤٩٦	دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا خَافَ قَوْمًا
٤٩٦	كِرَاهِيَتُهُ ﷺ تَمَنِّيَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ
٤٩٦	دَعَاؤُهُ ﷺ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى عَدُوِّهِ
٤٩٧	دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ أَوْ شِدَّةٌ
٤٩٧	دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا رَجَعَ مِنَ السَّفَرِ
٤٩٨	فَصْلٌ : فِي الْمَعَاشِ
٤٩٩	فَضِيلَةُ الْخَلِّ وَالتَّأَدُّمِ بِهِ

- ٤٩٩ ما يفعلُ الضَّيْفُ إِذَا تَبِعَهُ غَيْرُ مَنْ دَعَاهُ صَاحِبُ الطَّعَامِ
- ٥٠٠ مِنْ آدَابِ الطَّعَامِ
- ٥٠٠ الْاجْتِمَاعُ عَلَى الطَّعَامِ
- ٥٠٠ مَا يُقَالُ إِذَا فَرَغَ مِنَ الطَّعَامِ
- ٥٠١ مَا جَاءَ فِي اللَّبَنِ
- ٥٠١ أَسْتَحْبَابُ التَّنْفُسِ ثَلَاثًا خَارِجَ الْإِنَاءِ
- ٥٠١ أَسْتَحْبَابُ إِكْرَامِ الضَّيْفِ
- ٥٠١ أَسْتَحْبَابُ ذِكْرِ اللَّهِ بَعْدَ الطَّعَامِ
- ٥٠٢ فَصْلٌ : فِي الْمَعَاشِرَةِ
- ٥٠٢ إِفْشَاءُ السَّلَامِ
- ٥٠٣ فَضِيلَةُ الْمُبْتَدِئِ بِالسَّلَامِ
- ٥٠٣ مَا جَاءَ فِي السَّلَامِ عَلَى الصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ
- ٥٠٣ أَسْتَحْبَابُ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّكَابُ عَلَى الْمَاشِي ، وَالصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ
- ٥٠٣ أَسْتَحْبَابُ السَّلَامِ عِنْدَ دُخُولِ الْمَجْلِسِ وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْهُ
- ٥٠٤ أَسْتَحْبَابُ الْاسْتِثْنَانِ ثَلَاثًا
- ٥٠٤ تَحْرِيمُ النَّظَرِ فِي بَيْتِ غَيْرِهِ
- ٥٠٤ أَسْتَحْبَابُ الْمُصَافَحَةِ
- ٥٠٥ مَا جَاءَ فِي الْعُطَاسِ وَالتَّثَاوُبِ
- ٥٠٦ خُطْبَةُ النِّكَاحِ
- ٥٠٦ الدُّعَاءُ لِلْمُتَزَوِّجِ
- ٥٠٧ مَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَهُ عِنْدَ الْجَمَاعِ

٥٠٧

لا نِكَاحَ إِلَّا بَوْلِيَّ

٥٠٧

الرُّخْصَةُ فِي اللَّعْبِ الَّذِي لَا حُرْمَةَ فِيهِ

٥٠٧

حُسْنُ مُعَاشَرَةِ الْأَهْلِ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ

٥٠٨

مَا جَاءَ فِي أَحْكَامِ الْمَوْلُودِ

٥١١

فصل الختام : في كفارة المجلس

٥١٣

ملاحق الكتاب

٥١٥

ثَبُتُ تَارِيخِيّ مُتَسَلِّسٌ لِأَحْدَاثِ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ وَأَهَمُّ التَّشْرِيعَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ

٥٢٥

ثَبُتُ بِأَسْمَاءِ وَفُودِ الْقَبَائِلِ الَّتِي جَاءَتْ تَبَايَعُ بِالْإِسْلَامِ

٥٢٧

المخططات والمصورات

٥٦١

ثَبُتُ بِمُضْمُونِ الْكِتَابِ

حَدَائِقُ الْأَنْوَارِ وَطَائِفُ الْأَشْجَلِ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ﷺ

إن أحسن ما سطرت الأقلام ، وأفضل ما ورثه
لنا علماؤنا الأعلام .. **سيرة سيد الأنام** عليه
الصلاة والسلام ؛ **فخير الهدى** هديه الأقوم ،
وأفضل الأخلاق خلقه الأعظم ، صلى الله
عليه وسلم .

ولقد صنف العلماء في سيرته العطرة
المختصر والمطول ، والمجمل والمفصل ،
وهذا كتاب منتخب ، اصطفاه مؤلفه مما
سبقه من الكتب ، في **سيرة سيد العجم**
والعرب ، صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم .

وحدائق الأنوار كتاب عظيم الوقع ، **جم**
الفوائد كثير النفع ، **لطيف الحجم** كثير
العلم ، **يحيي القلب** بالكلم الطيب العذب .

قسمه مؤلفه إلى قسمين : قسم المبادئ
والسوابق ، وقسم في المقاصد واللواحق ،
وحلاه بالفوائد ، وطرزه بالفرائد ، حري بهذا
الكتاب أن يقرأ في **المجالس والمدارس** ،
وقد أثبتت **دار المنهاج** نسبة الكتاب لمؤلفه
بعد أن نشر لغيره ، فعاد الحق لأهله .

ISBN: 978 - 9953 - 498 - 71 - 3



9 789953 498713